فاطمة الزهراء

من المهد إلى اللحد

فاطمه الزهراء عليه السلام من المهد الى اللحد

اشاره

سرشناسه : قزوینی، محمد کاظم، 1308 - 1373

عنوان و نام پدیدآور : فاطمه الزهراء علیه السلام من المهد الی اللحد/ محمدکاظم القزوینی.

مشخصات نشر : قم: دارالانصار، 1427ه، =2006م، =1385.

مشخصات ظاهری : 571ص.

شابک : 964-8956-21-9

وضعیت فهرست نویسی : فهرست نویسی توصیفی

یادداشت : عربی

یادداشت : چاپ دوم.

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

شماره کتابشناسی ملی : 1659773

اشاره

ص: 2

ص: 3

ص: 4

الاهداء

إلى سَيّدنا و مَولانا بقيّه العتْرَه الطَاهِره الإِمَام المهدى المنْتظر «عليه السلام».

إليْه أهدى هذه الصفحات المشرقه المتلألئه بحياه جدّته الصدّيقه الطّاهره، ملكه الإسلام فاطمه الزهراء (صلوات الله عليها).

و أنا واثق أن هذهِ الخِدْمَه الضئيله ستقع منه موقع الرضَا و القَبول بإذن الله تعالى.

العراق كربلاء

محمدكاظم القزوينى

ص: 5

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً كما يرضى، و صلى الله على سيدنا محمد المصطفى و آله الطاهرين سادات الورى.

و بعد: انقضت سنوات و أنا أُحدِّث نفسى أن أقوم بتأليف كتاب يتضمن ما تيسَّر من حياه الصدِّيقه الطاهره فاطمه الزهراء، عليها و على أبيها و بعلها و بنيها الصلاه و السلام.

كنت أشعر بضروره هذا العمل، وكانت رغبتى ملحَّه جداً، وذلک لما كنت أجده من النقص الذى يشبه الفراغ فى المكتبه العربيه والإسلاميه بالنسبه لهذه الشخصيه.

و لا أقصد- بكلامى هذا- انتقاصَ الكتب و المؤلفات التى دوّنت حول ترجمه سيده نساء العالمين، بل أقصد أن تلک المؤلفات- القديمه منها و الحديثه- لا تسد الحاجه، و لا تملأ الفراغ الذى يشعر به كل من يريد الإطلاع على حياه السيده الزهراء (عليهاالسلام).

و تلک المؤلفات لا تفى بالغرض، بل هى دون مقام السيده فاطمه الزهراء و لا تؤدِّى ما تستحقه شخصيه عزيزه رسول الله و أحب الناس إليه،

لأن شخصيه الصدِّيقه الطاهره تستوجب التنويه و الإشاده بها أكثر و أكثر من هذا.

و لا أدَّعى أننى أستطيع النهوض بهذا العب ء الثقيل و استيفاء الغرض، و تحصيل الغايه كما ينبغى، بل أعترف بالعجز و القصور الملازمين لفكرى و لسانى و قلمى.

و هكذا انقضت الأيام و الأعوام، و الهواجس تعاودنى بين فتره و أخرى و هناک العوائق التى تحول دون تحقيق هذه الأمنيه.

و قبل فتره غير بعيده هبَّت علىَّ عاصفه من الحوادث و خيَّمت على حياتى سحائب الهموم، فنذرت لله تعالى:- إن كشف عنى الضر و السوء- أن أبادر إلى تأليف كتابٍ حول حياه الصدِّيقه الطاهره فاطمه الزهراء (عليهاالسلام).

فكشف الله عنى الضر برحمته، فله الحمد و له الشكر. و ها أنا قد شرعت بتحرير هذه السطور و الأوراق، و ما أدرى أين ينتهى بى المطاف، و الله المستعان، و هو خير المستعان، و هو حسبى و نعم الوكيل فى المبدأ و المآل و هو خير موفق و معين.

محمد كاظم القزوينى

26 جمادى الثانيه 1392 ه

كربلا المقدسه- العراق

المدخل

بسم الله الرحمن الرحيم

فاطمه..!

و ما أدراک من فاطمه؟!

شخصيه إنسان تحمل طابع الأنوثه لتكون آيةً على قدره الله البالغه و اقتداره البديع العجيب، فإن الله تعالى خلق محمداً (صلى الله عليه و آله و سلم) ليكون آيه قدرته فى الأنبياء، ثم خلق منه بضعته و ابنته فاطمه الزهراء لتكون علامه و آيه على قدره الله فى إبداع مخلوق أُنثى تكون كتله من الفضائل،و مجموعه من المواهب فلقد أعطى الله تعالى فاطمه الزهراء أوفر حظ من العظمه،و أوفى نصيب من الجلاله بحيث لا يمكن لأيه أنثى أن تبلغ تلک المنزله.

فهى من فصيله أولياء الله الذين اعترفت لهم السماء بالعظمه قبل أن يعرفهم أهل الأرض، و نزلت فى حقهم آيات محكمات فى الذكر الحكيم، تتلى آناء الليل و أطراف النهار منذ نزولها إلى يومنا هذا، و إلى أن تقوم القيامه.

شخصيه كلما ازداد البشر نضجاً و فهماً للحقائق، و اطلاعاً على الأسرار ظهرت عظمه تلک الشخصيه بصوره أوسع، و تجلّت معانيها و مزاياها بصُوَر أوضح.

إنها فاطمه الزهراء، الله يثنى عليها، و يرضى لرضاها و يغضب لغضبها.

ص: 8

و رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ينوّه بعظمتها و جلاله قدرها.

و أميرالمؤمنين (عليه السلام) ينظر إليها بنظر الإكبار و الإعظام.

و أئمه أهل البيت (عليهم السلام) ينظرون إليها بنظر التقديس و الاحترام. سيده، باسمها قامت حكومات، و تاسست عروش و باسمها انهات عروش و تقوضت حكومات.

و بحبها سوف ترى الناس يدخلون الجنه افواجا.

و لاجل الانحراف عنها سيق الذين كفروا الى جهنم زمرا.

و اننى اعتقدان الكتاب- بما فيه- يكون عظيم النفع، غزير الفائده، حلو الحديث، تستأنس به النفس، و تستعذ به الروح إلى غير ذلک مما يدركه القارئ و لا يمكن وصفه.

إذ أن التحدث عن حياه السيده فاطمه الزهراء يشتمل على حوادث كلها عِبَر و حِكَم و دروس، يتعرف الإنسان بها على حياه أولياء الله و خاصته، و كيفيه نظرتهم إلى الحياه، و يطلّع على جانب من التاريخ الإسلامى المتعلق بحياه السيده فاطمه الزهراء بالرغم من قصر عمرها، و أنها كانت تعيش فى خدرها، لا يطلّع أحد على معاشرتها، و سلوكها فى البيت إلا أسرتها و ذووها.

و بالرغم من أن التاريخ ظلمها، و لم يُعِر لحياتها و ترجمتها اهتماماً لائقاً بها. فالتحدث عن عبقريه السيده فاطمه الزهراء يعتبر تحدثاً عن المرأه فى الإسلام من حيث حفظ كرامتها، و الاعتراف باحترامها و شخصيتها. و يشمل التحدث نموذجاً من المرأه بصفتها بنتاً فى دار أبيها، و زوجه فى دار بعلها، و أمًّا و مربيّه فى البيت الزوجى.

و لا يخلو الكلام- هنا- عن التحدث عن المرأه فى الإسلام بصفتها إنسانه يُسمح لها بالعمل فى الحقل الاجتماعى، و لكن فى إطار محدود بحدود الدين و العفه، و المحافظه على الشرف و الكيان.

و يتَّضح- ضمناً- أن الإسلام لا يحرم المرأه عن العلم و الثقافه و الأدب و المعرفه و لكن مع رعايه الابتعاد عن التبرج و الاستهتار و الاختلاط، و ما شابه ذلک مما يسبّب الويلات على المرأه المسكينه و يدمِّر كيانها.

إننى أعتقد أن ليس من الممكن أن يوجد فى العالم قانون أو نظام أو جهاز يحافظ على حرمه المرأه و كيانها و شرفها أكثر من محافظه الدين الإسلامى لذلک. فالجمعيات و المنظّمات النسائيه فى البلاد الإسلاميه لم تنفع المرأه أبداً بل قد جلبت عليها الشقاء بصوره فظيعه.

و قد قرأت فى بعض الصحف أن إحدى المنظَّمات النسائيه تطالب حكومتها أن تضع قانوناً لمنع تعدد الزوجات!!

إن المنظَّمه تعتبر تعدُّد الزوجات ظلماً و اعتداءً على المرأه. فهى تطالب بإيقاف الرجل عند حدِّه، لئلا يطمع فى أكثر من امرأه.

إن المنظمه جاهله أو متجاهله إنها بعملها هذا تفتح على المرأه أبواب الفساد و الشقاء، و تغلق عليها أبواب السعاده الزوجيه ولذه الأمومه.

فإذا خُيِّرت المرأه بين أن تتزوج برجل متزوج أو تبقى جليسه بيتها حتى يبيض شعرها كأسنانها، و إلى أن يأتيها الموت و هى واحده من اثنتين:

إما أن تقضى معظم حياتها- بما فى ذلک من عنفوان شبابها- بالكبت و الضغط و الحرمان من ملاذ الحياه.

و إما إن تفسح لنفسها المجال، و تطلق لنفسها الحريه الكامله، فتحضر السهرات،و تشترک فى الحفلات و تراقص الرجال و و....

ثم تفتح عينها فإذا بها مفقوده الشرف، مسلوبه العفاف، محطّمه الشخصيه، ملوثه الساحه، مشوّهه السمعه، يرغب بها الرجال ما دامت طريّه و شهيّه، فإذا فقدت محاسنها، و ذبلت مفاتنها يمجّها كل أحد و ينبذها كل رجل.

إذا خيّرت المرأه بين عدم الزواج و حياه العزوبه التى تنتهى بها إلى أحد المصيرين المذكورين، و بين أن تتزوج برجل متزوج، و تتمتع بالسعاده الزوجيه تحت ظل العداله الإسلاميه، فهى محفوظه الشرف، سليمه العفاف، نزيهه السمعه، طاهره الصحيفه و الساحه تنتج أطفالاً، و تكوّن أسره، و تصلح أجزاء المجتمع، أيهما أفضل و أحسن؟؟

هذان طريقان، لا ثالث لهما، فإن عدد النساء فى العالم أكثر من عدد الرجال، و لو اكتفى كل رجل بامرأه واحده لبقيت هناک الملايين من النساء بغير أزواج. ثم هناک رجال لا تكفيهم امرأه واحده، و هناک نساء لا تنسجم غرائزهن مع غرائز أزواجهن من حيث التجاوب و الرغبه. أضنف إلى هذا كله أن المرأه فى معرض العقم و المرض و السفر إلى غير ذلک مما يطول الكلام بذكره، و لا أقصد فى كتابى هذا التطرق إلى هذه المواضيع و إنما (الكلام يجرُّ الكلام)، و الشى ء بالشى ء يذكر.

أعود- و العود أحمد- إلى حديثى عن الصدِّيقه فاطمه الزهراء، فلا عليک أن تعلم أن من أعجب الغرائب، و أغرب العجائب أن شخصيه كشخصيه فاطمه الزهراء التى هى فى أوج العظمه، و ذروه الشرف و قمّه الفضيله- تصبح هدفاً للأقلام المسمومه، و الغارات القاسيه التى شنّها بعض المسلمين و غيرهم.

و يظهر لک هذا بكل وضوح حينما تراجع كتب الأحاديث الزاخره

بفضائل هذه الشخصيه، ترى إلى جانبها أحاديث افتعلتها يد الدسِّ و العداء، و اختلقتها ألسنه الشحناء و البغضاء من سماسره الحديث الوضّا عين الكذّابين، الذين كانوا أبواقاً للسلطات الماضيه، ينفثون بما يوحى إليهم شياطينهم من زخرف القول و الكذب و الزور و البهتان، شأن من يشترى مرضاه المخلوق بسخط الخالق.

إنهم كتبوا بأقلام العداء و محابر النفاق تلبيه لمن اشترى منهم دينهم و ضمائرهم، و هم غير مبالين بما فى تزويرهم- هذا- من حطٍّ مقام صاحب الشريعه النبى الأقدس (صلى الله عليه و آله و سلم) غير مكترثين بما فى كلامهم ذاک من التناقض للأحاديث المتواتره المدوّنه فى صحاحهم فى فضل السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام)

و كأنهم يعجبهم المس بكرامه الصدِّيقه فاطمه الزهراء إجابه لنداء ضمائرهم، و هم يعلمون أنها عتره الرسول، و أحبُّ الناس إليه، و عزيزته و حبيبته و كأنهم لا يستطيعون التصريح بتدنيس ساحه الرسول الأعظم مباشره فاختاروا الطريق الملتوى غير المباشر، كل ذلک إشباعاً لرغباتهم الجهنَّميه.

و ما أدرى ما هى الدوافع إلى هذا الهجوم العنيف القاسى على شخصيه فاطمه الزهراء؟

و ما هى أسباب هذا العداء العميق العجيب؟

فاليست ابنه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و قرّه عينه و ثمره فؤاده،و روحه التى بين جنبيه؟!

فهل كانت الزهراء خليفه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فدفعتهم الدوافع للمسّ من كرامتها كما أساءوا إلى زوجها العظيم بنفس تلک الدوافع؟

ثم ما هذا التركيز و الإلحاح على محاربه شخصيتها؟

هل لكونها بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟

فلماذا لا نجد هذه الظاهره فى حق سائر بنات النبى؟

أم لأنها زوجه الإمام على (عليه السلام)؟

فقد تزوَّج الإمام أميرالمؤمنين بعدها بأربع نساء، فلماذا لا نجد هذا التهريج و الإرجاف فى حقهن؟

إننى لا أتصور للسيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) ذنباً سوى أنها كانت أحبُّ الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و هى المفضَّله على بقيه بناته و زوجاته و أنها كانت المدافعه و المحاميه عن حقوق زوجها.

و أنها حضرت فى المسجد، و طالبت بحقوقها المغتصبه و أموالها التى جعلتها الله و رسوله لها و أنها احتجت على رئيس الدوله يومذاكِ (1) .

و أمثالها من الفضائل و الفواضل التى خصّها الله بها دون النساء.

فهل هذه ذنوب تبرّر و تبيح للمسلمين أن يذكروها بما لا يناسب قدسيّتها و نزاهتها؟

و قد كان للمستشرقين الأجانب «من اليهود و النصارى» دور مهم فى هذا المجال فلقد حاولوا المسّ بكرامه مقدّسات الإسلام و المسلمين، فالتقطوا الأ باطيل والأ ساطير سقطات القول و نشروها فى أوساطهم.

و جاء بعض المسلمين و ترجموا تلک الكتب المسمومه و طبعوها و نشروها فى البلاد الإسلاميه، بدون أى تعليق أو تهذيب أو تنقيح، كأن نواياهم تتفق مع المستشرقين حول محتويات تلک الكتب.

و الأفضل أن ننقل- هنا- مثالاً- لما نحن فيه- عن الجزء الثالث من

1- 1. سياتيک التفصيل فى شرح خطبها فى مسجد ابيها الرسول.

كتاب الغدير ص10 للمرحوم شيخنا الأمينى مع رعايه الاختصار: كتب مستشرق نصرانى يسمىّ «إميل در منغم» كتاباً سماه «حياه محمد» و الكتاب كله كذب و زور و ضلال و دسٍّ و دجل، و تهجّم على الإسلام و القرآن و النبى «صلى الله عليه و آله و سلم».

و قد ترجم الكتاب أستاذ فلسطينى يسمى «محمد عادل زعيتر» و لم يعلّق على خرافات الكتاب و أساطيره و أكاذيبه، و هو يزعم أنه يراعى أمانه النقل، و ليت شعرى هل التعليق على الباطل ينافى أمانه النقل؟

و من جمله أباطيل الكتاب و أضاليله قوله:

«كانت فاطمه عابسه، دون رقيه جمالاً، و دون زينب ذكاء، و لم تدار فاطمه حينما أخبرها أبوها من وراء الستر: أن على بن أبى طالب ذكر اسمها، و كانت فاطمه تعدُّ علياً ذميماً محدوداً مع عظيم شجاعته، و ما كان أكثر رغبه فيها من رغبتها مع ذلک.

و كان على غير بهىّ الوجه لعينيه الكبيرتين الفاترتين و انخفاض قصبه أنفه، و كبر بطنه و صلعه، و ذلک كله إلى أن علياً كان شجاعاً تقياً صادقاً وفياً مخلصاً صالحاً مع توان و تردُّد!

و كان على غير بهى الوجه لعينيه الكبيرتين الفاترين و انفخاض قصبته انفه،و كبر بطنه، و صلعه، و ذلک كله الى ان عليا كان شجاعا تقيا صاذقا وفيا مخلصا صلحا مع توان و تردد!

و كان على يحرد بعد كل منافره، و يذهب لينام فى المسجد، و كان حموه يربّته على كتفه و يعظه و يوفق بينه و بين فاطمه إلى حين.

و مما حدث أن رأى النبى ابنته ذات مره، و هى تبكى من لكم على لها!!

إن محمداً مع امتداحه قدم على فى الإسلام إرضاءً لابنته كان قليل الالتفات إليه، و كان صهرا النبى الأمويان: عثمان الكريم و أبوالعاصى أكثر

مداراه للنبى من على، و كان على يألم من عدم عمل النبى على سعاده ابنته، و من عدّ النبى له غير قوّام بجليل الأعمال.

و النبى و إن كان يفوّض إليه ضرب الرقاب كان يتجنب تسليم قياده إليه...

و أسوأ من ذلک ما كان يقع عند مصاقبه على و فاطمه لعدَّواتهما أزواج النبى و تنازع الفريقين، فكانت فاطمه تعتب على أبيها متحسره، لأنه كان لا ينحاز إلى بناته...».

إلى غير ذلک من جنايات تاريخيه سوداء سوَّد بها الرجل صحيفه كتابه.

و هنا يجب شيخنا الأمينى (رضوان الله عليه) على مفتريات هذا النصرانى:

«أنا لا ألوم المؤلف- جدع الله مسامعه- و إن جاء بأذنى عناقِ (1) إذ هو من قوم حناق على الإسلام، و هو مع ذلک جرف منهال و سحب منجالِ (2) ينمُّ كتابه عن عجزه و بجره، و إنما العتب كل العتب على المترجم الجانى على الإسلام و الشرق و العرب- و هو يحسب نفسه منها- نعم، جدب السوء (3) يلتجئ إلى نجعه سوءِ، و الجنس إلى الجنس يميل.

كل ما فى الكتاب من تلكم الأقوال المختلفه و النسب المفتعله إن هى الا كلم الطائش، تخالف التاريخ الصحيح، و تضاد ما أصفقت عليه الأمه الإسلاميه و ما أخبر به نبيها الأقدس؛

هل تناسب تقولاته فى فاطمه مع قول أبيها «صلى الله عليه و آله و سلم

1- 2. اى جاء بالكذب و الباطل.
2- 3. مثل يضرب يراد انه لا يطمع فى غيره.
3- 4. يعنى ان الامور تتشاكل فى الجوده و الرداءه

و سلم»: فاطمه حوراء إنسيه، كلما اشتقت إلى الجنه قبلّتهاِ؟ (1) .

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): ابنتى فاطمه حوراء آدميهِ؟ (2) .

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): فاطمه هى الزهراءِ؟ (3) .

أو قول أم أنس بن مالک؟: كانت فاطمه كالقمر ليله البدر، أو الشمس كفر غماماً، إذا خرج من السحاب، بيضاء مشرّبه حمره، لها شعر أسود، من أشد الناس برسول الله شبهاً، و الله كما قال الشاعر:

بيضاء تسحب من قيام شعرها

و تغيب فيه و هو جثل أسحمِ (4) .

فكأنها فيه نهار مشرق

و كأنه ليل عليها مظلمِ (5) .

و لقبها: الزهراء المتسالم عليه يكشف عن جليه الحال. و هل يساعد تلک التحكّمات فى ذكاء فاطمه و خُلقها قولُ أُم المؤمنين خديجه (رضى الله عنها): كانت فاطمه تُحدِّث فى بطن أُمِّها، و لما وُلدت وقعت حين وقعت على الأرض ساجده، رافعه إصبعهاِ؟! (6) .

أو يلائمها قول عائشه: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً و دلاًّ و هدياً و حديثاً برسول الله فى قيامه وقعوده من فاطمه كانت إذا دخلت على رسول الله قام إليه فقبَّلها و رحّب بها، و أخذ بيدها و أجلسها فى مجلسهِ؟! (7) .

و فى لفظ البيهقى فى «السنن: 7 ص 101: ما رأيت أحداً أشبه كلاماً

1- 5. تاريخ الخطيب البغدادى/ 5 ص 86.
2- 6. الضواعق 96 اسعاف الراغبين ص 173.
3- 7. نزهه المجالس/ 2 ص 161.
4- 8. جثل الشعر: كثر و التف و اسود.
5- 9. مستدرک الحاكم 3 ص 161.

6- 10. سیره الملاء، ذخائرالعقبی.
7- 11. الترمذی، و ابن عبدربه فی العقد الفرید2 ص 3.

و حديثاً من فاطمه برسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)... الحديث.

و هل توافق مخاريقه فى الإمام علي (صلوات الله عليه) و عدم بهاء وجهه و عدُّ فاطمه له دميماً، و كونه عابساً مع ما جاء فى جماله البهى: أنه كان حسن الوجه كأنه قمر ليله البدر، و كأن عنقه إبريق فضهِ (1) ضحوك السنِ (2) فإن تبسّم فعن اللؤلؤ المنظومِ (3) .

و أين هى من قول أبى الأسود الدؤلى من أبيات له:

إذا استقبلت وجه أبى تراب

رأيت البدر حار الناظرينا (4) .

نعم،

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله

فالناس أعداء له و خصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها

حسداً و بغضاً: إنه لدميم

أو يخبرک ضميرک الحرُّ فى على ما سلقه الرجل به من «التوانى و التردد»؟ و على ذلک المقتحم فى الأهوال و الضارب فى الأوساط و الأعراض فى المغازى و الحروب؟و هو الذى كشف الكُرب عن وجه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى كل نازله و كارثه منذ صدع بالدين الحنيف إلى أن بات على فراشه، و فداه بنفسه، إلى أن سكن مقرّه الأخير.

أليس على هو ذلک المجاهد الوحيد الذى نزل فيه قوله تعالى: «أجعلتم سقايه الحاج و عماره المسجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الآخر و جاهد فى سبيل الله»؟

1- 12. الاستيعاب 2 ص 469.

2- 13. تهذيب الاسماء و اللغات.
3- 14. حليه الاولياء 1 ص 84.
4- 15. تذكره سبطابن الجوزى ص 104.

و قوله تعالى: «و من الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاه الله»؟! (1) .

فمتى خلي على عن مقارعه الرجال، و الذبِّ عن قدس صاحب الرساله حتى يصح أن يُعزى إليه توانٍ أو تردد فى أمر من أمور الدين؟!

غير أن القول الباطل لا حدَّ له و لا أمد.

و هل يتصور فى أميرالمؤمنين تلك العِشره السيئه مع حليلته الطاهره؟!

و النبى يقول له: أشبهتَ خَلقى و خُلقى و أنت من شجرتى التى أنا منهاِ (2) .

و كيف يراه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أفضل أمته و أعظمهم حلماً و أحسنهم خلقاً و يقول: على خير أُمَّتى، و أعلمهم علماً، و أفضلهم حلماً؟ (3) .

و يقول لفاطمه: إنى زوَّجتک أقدم أُمَّتى سلماً، و أكثرهم علماً، و أعظمهم حلماً؟ (4) .

و يقول لها: زوَّجتک أقدمهم سلماً، و أحسنهم خُلقاً؟ِ (5) .

يقول هذه كلها و عشرته تلک كما كانت بمرأى منه و مسمع؟

أفک الدجَّالون.

كان على (عليه السلام) كما أخبر به النبى الصادق الأمين «صلى الله عليه و آله و سلم».

1- 16. سوره البقره: 3. 2.
2- 17. تاريخ بغداد للخطيب ج 11 ص 171.
3- 18. الطبرى، الخطب ج 11 ص 171.
4- 19. مسند احمدج 5 ص 26 الرياض النضره 2 ص 194.
5- 20. الرياض النضره 2 ص 182.

و هل یقبل شعورک ما قذف به الرجل (فضَّ الله فاه) علیاً بلکْم فاطمه بضعه المصطفی؟!

و علی ذاک المقتص أثر الرسول، و ملأ مسامعه قوله (صلی الله علیه و آله و سلم) لفاطمه: إن الله یغضب لغضبک و یرضی لرضاکِ (1) . و قوله (صلی الله علیه و آله و سلم) و هو آخذ بیدها: من عرف هذه فقد عرفها، و من لم یعرفها، فهی بضعه منی، هی قلبی و روحی التی بین جنبیَّ، فمن آذاها فقد آذانیِ. و من آذانی فقد آذی الله (2) .

و قوله (صلی الله علیه و آله و سلم): فاطمه بضعه منی، یریبنی ما رابها، و یؤذینی ما آذاهاِ.

و قوله (صلی الله علیه و آله و سلم): فاطمه بضعه منی، فمن أغضبها فقد أغضبنیِ (3) .

و قوله (صلی الله علیه و آله و سلم): فاطمه بضعه منی، یقبضنی ما یقبضها و یبسطنی ما یبسطهاِ (4) .

1- 21. مستدرک الصحیحین للحاکم النیسابوری 3 ص 154. التذکره لسبط ابن الجوزی ص 175 و 320، مقتل الحسین الصواعق 105، میزان الاعتدال للحافظ الذهبی ج 2 ص 219، کنز العمال 7 ص 111 الصوائق 105، میزان العتدال للحافظ الذهبی ج 2 ص 72 طبقه القاهره،الاصابه لابن حجر العسقلانی ج 4 ص 366 طبعه دار الکتب المصریه و غیرها.
2- 22. الفصول المهمه لابن الصباغ المالکی 150 نزهه المجالس للصفوری الشافعی 2 ص 228 نور الابصار للشبلنجی المصری ص 45، ارشاد الساری للقسطانی 6/ 144 و غیرها.
3- 23. صحیح البخاری ج 5 ص 21 و 29، خصائص النسائی ص 35.
4- 24. مسند احمد 4 ص 113، مستدرک الصحیحین للحکام 3/ 154 کنز العمال 13/ 96، تاریخ الاسلام للذهبی 2/ 96.

و هل يقتصر امتداح النبى علياً بمدح إسلامه؟! حتى يتفلسف فى سرِّه، و يكون ذلک إرضاءً لابنته، على أن امتداحه بذلک لو كان لتلک المزعمه لكان يقتصر «صلى الله عليه و آله و سلم» على قوله لفاطمه فى ذلک، و كان يتأتى الغرض به، فلماذا كان يأخذ (صلى الله عليه و آله و سلم) بيد على فى الملأِ الصحابى تاره و يقول: إن هذا أول من آمن بى، و هذا أول من يصافحنى يوم القيامه؟

و لماذا كان يخاطب أصحابه أخرى بقوله: أوَّلكم وارداً علىَّ الحوض أوَّلكم إسلاماً: على بن أبى طالب؟

و كيف خفى هذا السرُّ المختلق على الصحابه الحضور و التابعين لهم بإحسان، فطفقوا يمدحونه بهذه الإثاره كما يروى عن سلمان الفارسى، أنس بن مالک، زيد بن أرقم، عبدالله بن عباس، عبد الله بن حجل، هاشم بن عتبه، مالک الأشتر، عبدالله بن هاشم، محمد بن أبى بكر، عمر و بن الحمق، أبوعمر عدى بن حاتم، أبورافع، بريده، جندب بن زهير، أم الخير بنت الحراشِ (1) .

و هل القول بقلِّه التفات النبى إلى على يساعده القرآن الناطق بأنه نفس النبى الطاهر؟! أو جعل مودته أجر رسالته؟!.

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى حديث الطير المشوى، المروى فى الصحاح و المسانيد: اللهم ائتنى بأحبِّ خلقک إليک ليأكل معى.

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم) لعائشه: إنّ علياً أحبُّ الرجال إلىَّ، و أكرمهم علىَّ، فاعرفى له حقه، و أكرمى مثواهِ (2) .

1- 25. اكثر المصادر التاريخچه.
2- 26. الرياض النضره 2 ص 161 ذخائرالعقبى 62.

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): أحبُّ الناس إلىَّ من الرجال علىِ (1) .

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): على خير مَن أتركه بعدىِ (2) .

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): خير رجالكم على بن أبى طالب، و خير نسائكم فاطمه بنت محمدِ (3) .

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): على خير البشر، فمن أبى فقد كفر؟! (4) .

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): من لم يقل على خير الناس فقد كفرِ؟ (5) .

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): فى حديث الرايه المتفق عليه: لأعطيَّن الرايه غداً رجلاً يحبه الله و رسوله، و يحب الله و رسوله؟

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): على منى بمنزله رأسى من بدنى أو جسدىِ؟ (6) .

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): على منى بمنزلتى من ربىِ (7) .

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): على أحبَّهم إلىَّ، و أحبَّهم إلى اللهِ (8) .

1- 27. و فى لفظ: احب اهلى.
2- 28. مواقف الايجى 3 ص 276 مجمع الزوائد 9 ص 113.
3- 29. تاريخ بغدا دللخطيب 4 ص 392.
4- 30. تاريخ بغداد كنوزالحقايق، هامش الجامع الصغير، ص 16 كنز العمال 6 ص 159.
5- 31. تاريخ بغداد 3 ص 192 كنز العمال 6 ص 159.
6- 32. تاريخ بغداد 7 ص 12 الصواعق 75، الجامع الصغير للسيوطى، نورالابصار80.
7- 33. السيره الحليبه 3 ص 391 الرياض النضره 2 ص 163.

8- 34. تاريخ بغداد 1 ص 160.

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم) لعلى: أنا منک و أنت منى، أو: أنت منى و أنا منکِ؟ (1) .

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): على منى و أنا منه، و هو ولى كل مؤمن من بعدىِ؟ (2) .

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى حديث البعث بسوره البراءه المجمع على صحته: لا يذهب بها إلا رجل منى و أنا منهِ؟ (3) .

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): لحمک لحمى، و دمک دمى و الحق معکِ (4) .

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): ما من نبى إلاَّ و له نظير فى أُمته، و على نظيرىِ؟ (5) .

أو ما صحّحه الحاكم و أخرجه الطبرانى عن أم سلمه قالت: كان رسول الله إذا أغضب لم يجترئ أحد أن يكلّمه غير علىِ؟ (6) .

أو قول عائشه: و الله ما رأيت أحداً أحبُّ إلى رسول الله من على و لا فى الأرض امرأه كانت أحبُّ إليه من امرأتهِ؟ (7) .

أو قول بريده و أُبى: أحب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) من النساء فاطمه، و من الرجال علىِ؟ (8) .

1- 35. مسند احمد 5 ص 204 الخصائص للنسائى 36 و 51.
2- 36. مسند احمد5 ص 356.
3- 37. الخصائص للنسائى 8 و غيره.
4- 38. المحاسن و المساوى 1 ص 31 مناقب الخارزمى 76، 83، 87.
5- 39. الرياض النظره 2 ص 164.
6- 40. الصوائق 73 تاريخ الخلفاء للسيوطى 116.
7- 41. مستدرک الحاكم 3 ص 154 الخصائص للنسائى 29.
8- 42. الخصائص للنسائى 29 مستدرک الحاكم 3 ص 155.

أو حديث جميع بن عمير، قال: دخلت مع عمتى على عائشه فسألت: أى الناس أحب إلى رسول الله؟!

قالت: فاطمه.

فقيل: من الرجال؟

قالت: زوجها، إن كان ما علمت صوَّاماً قوَّاماً (1) .

و كيف كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يقدِّم الغير على على فى الالتفات إليه؟! و هو أول رجل اختاره الله بعده من أهل الأرض لما اطَّلع عليهم، كما أخبر به (صلى الله عليه و آله و سلم) لفاطمه بقوله: إن الله اطلع على أهل الأرض فاختار منه أباک فبعثه نبياً، ثم اطلع الثانيه فاختار بعلک فأوحى إلىَّ فأنكحته و اتخذته وصياً (2) .

و بقوله (صلى الله عليه و آله و سلم): إن الله اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوک و الآخر زوجكِ (3) .

إلى آخر ما ذكره شيخنا الأمينى «عليه الرحمه» فى سرد الأحاديث الصحيحه فى تزييف أباطيل ذلک الكتاب التائه.

هذا، و التهجُّمات القاسيه ضدَّ آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) كثيره جداً و سنشير أيضاً إلى بعضها فى المستقبل بمناسبه المقام إن شاءالله.

و قبل الخوض فى صميم البحث لا بأس بذكر مقدمه كمدخل فى الموضوع.

1- 43. جامع الترمذى ص 227 و جمع آخر.
2- 44. الطبرانى، كنزالعمال 6 ص 153، مجمع الزوائد 9 ص 165.
3- 45. مواقف الايجى ص 8.

و حیث أن التحدث فی هذا الکتاب إنما هو عن شخصیه فوق المستویات التی عرفها البشر فلابدَّ من تمهید أمور لعلها تعتبر من «الماورائیات» فالشخصیه المترجمه عبقریه ماورائیه، و سیتَّضح لک صدق هذا القول و صحه هذا الکلام.

ص: 24

من الأمور الثابته قديماً و حديثاً أنّ صفات الأبوين تنتقل إلى الطفل و ترتكز فيه منذ تكوُّنه فى صلب أبيه إلى انتقاله إلى بطن أمه، و نشوّه و نُموِّه، و بعد الولاده و النموّ تظهر الصفات تدريجياً. بل و حتى الرضاع له تأثير عجيب فى صفات الطفل المرتضع و فى الحديث عن الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام): «لا تسترضعوا الحمقاء فإن الرضاع يعدى» و قد كتب الكثيرون حول هذا القانون تفاصيل كثيره.

على ضوء هذا القانون ينبغى أن أذكر شيئاً من ترجمه حياه والدىّ السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) كى نستنتج منها بعض جوانب العظمه التى أحاطت بالسيده فاطمه من ناحيه الوراثه و لكن البحث سيطول، و ينتقل الكتاب عن موضوعه إلى موضوع آخر، إلاَّ أننا نلخّص الكلام فى هذه الجُمل الموجزه فنقول:

سيد الأنبياء و المرسلين محمد بن عبدالله (صلى الله عليه و آله و سلم) أطهر كائن و أشرف مخلوق، و أفضل موجود فى العالم كله، لأجله خلق الله الكائنات، و لا يوجد فى الكون شرف أو فضيله أو مكرمه إلاَّ و أوفى نصيبٍ ممكنٍ منها متوفر فى الرسول العظيم.

هذه عصاره الخلاصه مما يمكن أن يقال فى حق الرسول، و ليس فى هذا التعبير شى ء من الغلو و المبالغه، بل هو كقولنا: الشمس مشرقه، و العسل حلو.

هذا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، و قد انحدرت الزهراء

من صلبه.

و أما السيده خديجه، فكانت امرأه بيضاء، طويله حسناء، شريفه فى قومها، عاقله فى أمورها، لها نصيب وافر من الذكاء، و بصيره فى الأمور، تعتمد على نفسها و شخصها، تدير عجله التجاره بفكرها الوقّاد، و تعرف مبادئ الاقتصاد و التصدير و الاستيراد.

هذا بصفتها إنسان أو بصفتها امرأه.

و أمَّا بصفتها زوجه فقد بذلت تلک الآلاف المؤلفه من أموالها لزوجها الرسول يتصرّف فيها حسب رأيه، و كان لأموال خديجه كل التأثير فى تقويه الإسلام يومذاک إذ كان الدين الإسلامى فى دور التكوين، و كان بأمس الحاجه إلى المال،فقيّض الله للإسلام أموال خديجه، و بالفعل تحقق الهدف.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): «ما نفعنى مالٌ قط مثل ما نفعنى مال خديجه».

و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يفک من مالها الغارم و العانى، و يحمل الكَلَّ، و يعطى فى النائبه و يرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكه، و يحمل من أراد منهم الهجره، و كان ينفق منه ما شاء فى حياتها، ثم ورثها هو و ولَدها بعد مماتهاِ (1) .

و بهذا يتضح كلام الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم): «ما قام و لا استقام الدين إلاّ بسيف على و مال خديجه».

و كانت معاشرتها للرسول فى حياتها الزوجيه تستحق كل تقدير

1- 46. الامالى للطوسى ج 2 ص 82.

و تعظیم، و لهذا کان الرسول إذا ذکرها أو ذکُرت عنده بعد وفاتها ترحَّم علیها، و انکسر قلبه علیها و ربما جرت عبرته علی خده حزناً علیها.

و ذات یوم ذکر رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) خدیجه فقالت عائشه: عجوز کذا و کذا قد أبدلک الله خیراً منها!!

فقال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): ما أبدلنی منها، لقد آمنت بی حین کفر بی الناس، و صدَّقتنی حین کذّبنی الناس، و أشرکتنی فی مالها حین حرمنی الناس، و رزقنی الله ولدها، و حرمنی ولد غیرهاِ (1) .

1- 47. الاستیعاب.

تزوّج الرسول العظيم (صلى الله عليه و آله و سلم) بالسيده خديجه الكبرى و هو ابن خمس و عشرين سنه، و هى بنت أربعين سنه، و قيل: سته و عشرين سنهِ (1) .

و قيل: ثمانيه و عشرين سنهِ (2) .

و يقال إنها كانت قد تزوّجت قبل الرسول بزوجين متعاقبين، و قيل: بل كانت عذراء يوم تزوجها الرسولِ و لكنه غير مشهور.

لم يكن زواج الرسول بالسيده خديجه يشبه الزواج المتعارف بين الناس بل يعتبر هو الزواج الوحيد من نوعه، إذ لم يكن ذلک القرآن الميمون نتيجه حُبٍ و غرام، بل لم يكن هناک دافع مادِّى أو ما يشبهه من الأغراض التى كثيراً تحدث فى زواج العظماء من جوانب السياسه.

بل لم يكن هناک تناسب بين الرسول و بين السيده خديجه من حيث الحياه الاقتصاديه، فالرسول العظيم كان يعيش تحت كفاله عمِّه الفقير أبى طالب.

و السيده خديجه هى أثرى و أغنى امرأه فى مكه، فهناک بون شاسع فى مستوى المعيشه بين هذا و تلک.

1- 48. جنات الخلود.
2- 49. البحار ج 16.

و لكن السيده خديجه كانت قد علمت أو سمعت أن للرسول مستقبلاً متلألئً واسع النطاق، و لعلَّ غلامها (ميسره) هو الذى حدَّثها بما جرى للرسول فى أثناء رحلته إلى الشام قصد التجاره بأموال خديجه، أو بلغها كلام راهب دير بُصرى قرب الشام فى حق الرسول.

فهنا اقترحت السيده خديجه قضيه الزواج، و فاتحت الرسول، و طلبت منه أن يطلب يدها من والدها خويلد أو عمَّها «على قولٍ».

لكن الرسول كان يفضِّل أن يتزوَّج بامرأه فقيره تنسجم حياتها مع حياه، و اعتذر من خديجه، و امتنع من تلبيه طلبها لهذا السبب.

لكن السيده خديجه العاقله اللبيبه الفاضله أجابته بأنها تهب نفسها للنبى، فهل يصعب عليها أن تبذل أموالها له، و تجعلها تحت تصرُّف الرسول؟

و طلبت من الرسول أن يرسل أعمامه إلى أبيها خويلد ليخطبوها.

هنا.. فوجئ أعمام الرسول بهذا النبأ الوحيد من نوعه، و استولت الدهشه على عمات الرسول حينما سمعن منه الخبر.

إنّه لعجيب!!

سيده تملک الآلاف من الأموال، و يعيش العشرات و المئات من العملاء و الأجراء من بركات أموالها و تجارتها القائمه صيفاً و شتاءً، بين اليمن و مكه و بين مكه و الشام.

سيده خطبها الأمراء و الأشراف فرفضتهم.

هكذا سيده كيف تقدم نفسها هبةً لشاب فقير يعيش تحت كفاله عمِّه الفقير أبى طالب؟

فیا تری هل صدقت خدیجه فی تقدیم نفسها للرسول؟

و هل لهذا الخبر نصیب من الحقیقه؟

قامت صفیه بنت عبدالمطلب «عمه النبی» و توجهت إلی دار خدیجه للتحقیق عن الخبر، و إذا بها تجد الترحیب و الاستعداد بجمیع معنی الکلمه.

ص: 30

رجعت صفیه إلی أخوتها «أعمام النبی» و أخبرتهم بصدق الخبر، و استولت الفرحه علی أعمام النبی، فرحه ممزوجه بالتعجب و الدهشه و الذهول.

فإن خدیجه خطبها الأمراء و أشراف العرب فرفضت و لم توافق، إذ إنها لم ترهم لها أکفاءً، فما الذی دعاها إلی انتخاب هذا الزوج الفقیر الذی لا یملک من حطام الدنیا تبراً، و لا من الأرض البسیطه شبراً؟

یا للعجب العجاب!!

قام أعمام النبی و قصدوا دار خدیجه، و خطبوها من أبیها خویلد أو عمِّها، فامتنع ثم وافق بعد ذلک.

ثم لابدَّ من تقدیم مبلغ من المال صداقاً یلیق بمقام خدیجه، فکیف یمکن تحصیل هذا المال؟ و من أین؟ و من الذی یتبرع بالصداق؟

و إذا بالسیده خدیجه تباغتهم مره أخری، و تدفع إلی الرسول أربعه آلاف دینار هدیه، و تطلب منه أن یجعل ذلک المبلغ صداقاً لها و یقدِّمه إلی أبیها خویلد. و فی روایه: أن أباطالب هو الذی دفع الصداق من ماله.

إن کانت السیده خدیجه تؤمن بالقیَم، و تضحَّی بالماده فی سبیل تحصیل الشرف فإن أباها خویلد لم یکن یحمل هذه الفکره، و کثیراً ما تجد التفاوت الکثیر بین ثقافه الأب و ابنه أو ابنته.

و هذا الاختلاف فی التفکیر موجود بین طبقات الناس، و حتی بین الأخ و أخیه، و الرجل و زوجته، و الأب و ما ولد.

کانت هذه المبادره نادره عجیبه جداً، فلم یعهد أحد فی العرب أن المرأه تقدِّم الصداق لزوجها، فلا عجب إذا هاج الحسد بأبی جهل و قال: «یا قوم رأینا الرجال یمهرون النساء، و ما رأینا النساء یمهرون الرجال».

فیجیبه أبوطالب مغضباً: «ما لک؟ یا لکع الرجال! مثل مُحمد یُحمل إلیه و یُعطی، و مثلک یُهدی و لا یُقبل منه»

أو قال: «إذا کانوا مثل ابن أخی هذا، طلبت الرجال بأغلی الأثمان و أعظم المهر، و إذا کانوا أمثالکم لم یزوَّجوا إلاَّ بالمهر الغالی».

و تمَّ الزواج المبارک المیمون علی أحسن ما یرام، و انتقل الرسول إلی دار السیده خدیجه، فکانت خدیجه تشعر أنها فی أسعد أیام حیاتها إذ أنها و صلت إلی أغلی أمانیها و أحلی أحلامها.

و أنجبت السیده خدیجه أولاداً ماتوا کلهم فی أیام الصغر، و أنجبت بنات أربع: زینب و أم کلثوم و رقیه و فاطمه الزهراء، و کانت فاطمه أصغرهنَّ سناً و أجلّهنَّ شأناً و أعظمهنَّ قدراً.

و هناک اختلاف بین المؤرخین و المحدّثین حول البنتین الأولیین، فقیل: إنهما لیستا من بنات النبی، و الصحیح أنهما من بناته و صلبه، و سیأتی الکلام حول ذلک فی المستقبل بالمناسبه بإذن اللهِ (1) .

1- 50. اقتطفنا تفاصیل زواج السیده خدیجه من بحارالانوار ج 16.

كلمه خاطفه حول الماورائيات

اشاره

هذه هى السيده خديجه الكبرى، و هذا بعض مناقبها و فضائلها التى تعتبر كل فضيله منها مثالاً رائعاً للإنسان الكامل، و هذه السيده هى التى أنجبت السيده فاطمه الزهراء، و أرضعتها اللبن الممزوج بالمواهب و الفضائل. و فاطمه الزهراء سليله أبوين هذا بعض ما يتعلق بحياتهما و محاسنهما، و هذه نظره خاطفه أو صوره مصغّره يمكن لنا أن ننظر منها إلى عبقريه سيدتنا فاطمه الزهراء و بذلک تظهر لنا زاويه من حياتها على ضوء الوراثه.

و هناک حقائق ثابته لا يمكن إنكارها، و قد صرحت بذلک أحاديث شريفه كثيره متواتره عن الرسول الاقدس و اهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) لم يكتشفها العلم الحديث و لم تصل اليها الا كتشافات الحديثه بالرغم من وصولها الى الذره فمافوقها و الى الكواكب فمادونها.

تلک الحقائق لامجال للالات و المجاهران تعزوها و تحيط بها علما، و لا طريق لعدسات التصوير ان تلتقطها و لو بالاشعه البنفسجيه و ما فوق البنفسجيه.

و تقشل دون ادراكها مقاييس الطبيعه و المنطق، فالحقيقه فوق ادراک الماده و الموازين المنطقيه، فلا تدرک بالحواس الخمس (الباصره، السامعه، شئت ان تسميهاب (الماورائيات) فلک ذلک.

و قبل عرض تلک الحقائق لابدّ من تمهید مقدمه موجزه فنقول: إن النطفه التی تنعقد- فی الرحم و یتکوّن منها الجنین- انما تتکوّن من الدم، و الدم یستخلص من الطعام بعد إنهاء عملیات الهضم و النضج و الطبخ فی المختبرات التی یحتویها الجسم، فلا شک أن النطفه المتکونه من الدم المستخلص من لحم الخنزیر أو الخمر «مثلاً» تختلف عن النطفه المتکونه من الدم المستخلص من لحم الغنم أو ما أشبه ذلک، لأن نوعیه هذا اللحم تختلف اختلافاً کبیراً عن نوعیه ذاک، فکذلک تختلف منتجات کل واحد منهما.

و للطعام تأثیر خاص فی روح الإنسان و نفسه، فهناک أطعمه مفرِّحه للقلب، مهدئه للأعصاب، تخفف عن توترها، و هناک أطعمه مفعولها عکس ذلک.

و للطعام الحلال و الطاهر تأثیر فی نفس الإنسان و روحه، بعکس الطعام النجس کالخمر أو الحرام کالمسروق و المغصوب.

و نفس التأثیر یظهر فی النطفه التی تنعقد من الطعام الحلال أو الحرام، أو الطاهر أو النجس، و لو أردنا استعراض الشواهد و إقامه الأدله و البراهین علی ذلک لطال بنا الکلام و خرج الکتاب عن أسلوبه و موضوعه المقصود.

و علی هذا الغرار فللطعام الذی یأکله الأبوان کل التأثیر فی توجیه الطفل و تسییره نحو الخیر و الشر، إذ من ذلک الطعام تتکون النطفه، ثم تنتقل من صلب رجل إلی رحم زوجته، و تلتصق بجدار الرحم، و تنمو و تکبر حتی تکمل جنیناً تاماً.

فالطعام من حیث النوعیه و من حیث الحکم الشرعی کالحلال و الحرام، و الطاهر له تأثیر عجیب مدهش فی مصیر الطفل، و کیفیه تفکیره فی الأمور و اختیار لحیاه الدینیه، و توجیهه نحو الاعتدال

و الاستقامه أو الانحراف و الانجراف.

و كذلک الحاله النفسيه الموجوده عند الزوجين عند العمليه الجنسيه لها كل التأثير فى مقدّرات الطفل و حالاته و نفسياته فى المستقبل.

فالخوف و القلق لهما أسوأ الأثر فى مستقبل الطفل المسكين، و بالعكس الطمأنينه و الهدوء النفسى له أحسن الأثر فى الطفل.

كذلک الرغبه الملحه و الشوق الشديد يؤثر فى جمال الطفل و حسنه و ذكائه، بينما عدم الرغبه و ضعف الشهوه بسبب خلاف ذلک.

و انطلاقاً من هاتين النقطتين: نقطه تأثير الطعام و نقطه تأثير الحاله النفسيه ننتقل بالقرّاء إلى طائفه من الأحاديث المتواتره، فقد ذكر شيخنا المجلسى (قدّس سره) فى الجزء السادس عشر من البحار هذا الحديث الشريف:

اعتزال النبى عن خديجه

... هبط جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فناداه يا محمد! العلي الأعلى يقرأ عليک السلام، و هو يأمرک أن تعتزل خديجه أربعين صباحاً.

فشقّ ذلک على النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و كان لها محبّاً و بها وامقاً (محباً) فأقام النبى أربعين يوماً يصوم النهار و يقوم الليل، حتى إذا كان فى آخر أيامه تلک. بعث إلى خديجه بعمار بن ياسر و قال: قل لها: يا خديجه لا تظنى أن انقطاعى عنک هجره و لا قلى، و لكن ربى أمرنى بذلک لينفّذ أمره، فلا تظنى يا خديجه إلاّ خيراً، فإن الله (عز و جل) ليباهى بک كرام ملائكته كل يوم مراراً.

فإذا جنّک الليل فأجيفى (ردّى) الباب، و خذى مضجعک من

فراشک، فإنی فی منزل فاطمه بنت أسد.

فجعلت خدیجه تحزن کل یوم مراراً لفقد رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فلما کان فی کمال الأربعین هبط حبرئیل فقال: یا محمد! العلی الأعلی یقرئک السلام و هو یأمرک أن تتأهب لتحیَّته و تحفته.

طعام الجنه

فقال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): یا جبرئیل و ما تحفه رب العالمین و ما تحیته؟؟

فقال جبرئیل: لا علم لی.

فبینما النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) کذلک إذ هبط میکائیل و معه طبق مغطّی بمندیل سندس أو إستبرق، فوضعه بین یدی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) و أقبل جبرئیل (علیه السلام) و قال: یا محمد یأمرک ربک أن تجعل اللیله إفطارک علی هذا الطعام.

قال علی بن أبی طالب (علیه السلام): کان النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) إذا أراد أن یفطر أمرنی أن أفتح الباب لمن یرد من الأقطار فلما کان فی تلک اللیله أقعدنی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) علی باب المنزل و قال: یا بن أبی طالب إنه طعام محرَّم إلاّ علیَّ.

قال علی (علیه السلام): فجلست علی الباب، و خلی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) بالطعام، و کشف الطبق، فإذا عذق من رطب، و عنقود من عنب، فأکل النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) منه شبعاً و شرب من الماء ریاً، و مدّ یده للغسل، فأفاض الماء علیه حبرئیل، و غسل یده میکائیل و تمندله إسرافیل، و ارتفع فاضل (باقی) الطعام مع الإناء إلی السماء.

ثم قام النبی لیصلی فأقبل علیه جبرئیل و قال: الصلاه محرَّمه علیک

فی وقتک حتی تأتی إلی منزل خدیجه فتواقعها، فإن الله (عز و جل) آلی (حلف) علی نفسه أن یخلق من صلبک هذه اللیله ذریه طیّبه.

فوثب النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) إلی منزل خدیجه؛

قالت خدیجه: و قد کنت قد ألفت الوحده، فکان إذا جنّنی اللیل غطّیت رأسی، و سجفت (أرسلت) سترى و غلّقت بابی، و صلّیت وِ ردی، و أطفأت مصباحی، و آویت إلی فراشی؛ فلما کانت تلک اللیله لم أکن نائمه و لا بالمنتبهه إذ جاء النبی فقرع الباب، فنادیت: من هذا الذی یقرع حلقه لا یقرعها إلا محمد؟

فنادی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) بعذوبه کلامه و حلاوه منطقه: افتحی یا خدیجه فإنی محمد.

قالت خدیجه: فقمت مستبشره بالنبی، و فتحت الباب، و دخل النبی المنزل.

و کان النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) إذا دخل المنزل دعا بالإناء فتطهر للصلاه، ثم یقوم فیصلی رکعتین یوجز فیهما، ثم یأوی إلی فراشه.

فلما کانت تلک اللیله لم یدعُ بالإناء و لم یتأهب للصلاه... بل کان بینی و بینه ما یکون بین المرأه و بعلها، فلا و الذی سمک السماء، و أنبع الماء؛ ما تباعد عنی النبی حتی حسست بثقل فاطمه فی بطنی... الی آخره (1) .

نستفید من هذا الحدیث أموراً:

1- إن الله تعالی أمر نبیه أن یعتزل خدیجه، و أن ینقطع عن رؤیتها لفتره حتی یزداد بها شوقاً و رغبه.

2- اشتغاله بالمزید من العباده للمزید من روحانیه النفس و سمّوها

1- 51. البحار ج 16/ 78.

و تعالیها بسبب الاتصال بالعالم الأعلی.

3- إفطاره بالتحفه السماویه الطاهره، السریعه التحول إلی النطفه بسبب لطافتها.

4- تکوّن النطفه من طعام سماوی لطیف، لا یشبه الأطعمه المادیه.

5- التوجه إلی دار خدیجه فوراً استعداداً لانتقال النطفه مع تلک المقدمات.
و قد ذکر هذا الحدیث- من علماء العامه- بتغییر یسیر کلٌّ من:

1- الخوارزمی فی مقتل الحسین ص 63- 68.

2- الذهبی فی الاعتدال ج 2 ص 26.

3- تلخیص المستدرک ج 3 ص 156.

4- العسقلانی فی لسان المیزان ج 4 ص 36.

ثم هناک أحادیث کثیره بهذا المعنی مع اختلاف یسیر فی ألفاظها، و اتفاقها حول النقطه الجوهریه، و هی انعقاد نطفه السیده فاطمه الزهراء من طعام الجنه و نذکر من بعض تلک الأحادیث الجمله المرتبطه بالموضوع رعایةً للاختصار، فنقول:

عن الإمام الرضا (علیه السلام) قال: قال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): لما عُرج بی إلی السماء أخذ بیدی جبرئیل فأدخلنی الجنه فناولنی من رطبها فأکلته، فتحول ذلک نطفه فی صلبی فلما هبطت واقعت خدیجه، فحملت بفاطمه، ففاطمه حوراء إنسیَّه، فکلما اشتقت إلی رائحه الجنه شممت رائحه ابنتی فاطمهِ (1) .

عن الإمام الباقر (علیه السلام) عن جابر بن عبدالله قال: قیل لرسول

1- 52. الامالی للصدوق.

الله (صلى الله عليه و آله و سلم): إنک لتلثم فاطمه و تلزمها و تدنيها منک... و تفعل بها ما لا تفعله بأحد من بناتک؟

فقال (صلى الله عليه و آله و سلم): إن جبرئيل أتانى بتفاحه من تفاح الجنه فأكلتها فتحول ماءً فى صلبى ثم واقعت خديجه فحملت بفاطمه.

و أنا أشم منها رائحه الجنهِ (1) .

و عن ابن عباس قال: دخلت عائشه على رسول الله و هو يقبّل فاطمه، فقالت له: أتحبها يا رسول الله؟

قال: أما والله لو علمت حبّى لها لازددت لها حباً، إنه لما عرج بى إلى السماء الرابعه...

إلى أن يقول: فإذا برطب ألين من الزبد، و أطيب من المسک، و أحلى من العسل، فأخذت رطبه فأكلتها فتحولت الرطبه نطفه فى صلبى، فلما أن هبطت إلى الأرض واقعت خديجه فحملت بفاطمه، ففاطمه حوارء إنسيه، فإذا اشتقتُ إلى الجنه شممتُ رائحه فاطمهِ (2) .

و قد روى هذا الحديث بألفاظ مختلفه كلٌّ من:

1- الخطيب البغدادى فى تاريخه ج 5 ص 87.

2- الخوارزمى فى مقتل الحسين ص 63.

3- الحافظ الذهبى فى مقتل الحسين ص 63.

4- الزرندى فى (نظم درر السمطين).

5- العسقلانى فى لسان الميزان ج 5 ص 160.

6- القندوزى فى ينابيع الموده.

7- محب الدين الطبرى فى ذخائر العقبى ص 34.

1- 53. علل الشرائع.
2- 54. البحار ج 16.

و هذه الأحاديث مرويه عن عائشه و ابن عباس و سعيد بن مالک و عمر بن الخطاب. 8- و روى ذلک الشيخ شُعيب المصرى فى (الروض الفائق) ص 214 قال: «روى بعض الرواه الكرام: أن خديجه الكبرى (رضى الله عنها) تمنَّت يوماً من الأيام على سيد الأنام أن تنظر إلى بعض فاكهه دار السلام، فأتى جبرئيل إلى المفضّل على الكونين من الجنه بتفاحتين و قال: يا محمد يقول لک من جعل لكل شى ء قدراً: كل واحده و أطعم الأخرى لخديجه الكبرى، و أغشها، فإنى خالق منكما فاطمه الزهراء. ففعل المختار ما أشار به الأمين و أمر...

إلى أن قال: فكان المختار كلما اشتاق إلى الجنه و نعيمها قبَّل فاطمه و شمَّ طيب نسيمها، فيقول- حين يستنشق نسمتها القدسيه: إن فاطمه حوراء إنسيه».

و هناک روايات متواتره بهذا المضمون، و اكتفينا بما ذكرنا.

بقيت هنا كلمه لا بأس بالإشاره إليها، و هى أن الأحاديث كما تراها تصرح بأن السيده خديجه حملت بفاطمه (عليهاالسلام) بعد المعراج مباشره، و كان المعراج على ما هو المذكور فى بعض كتب الحديث فى السنه الثالثه من المبعث، و فى بعضها: فى السنه الثانيه و قيل غير ذلک.

و ستأتيک طائفه من الأحاديث من أئمه أهل البيت (عليهم السلام) تصرح بولادتها بعد المبعث بخمس سنين، و معنى هذا أنها بقيت فى بطن أمها أكثر من عامين، و هذا غير صحيح قطعاً، فكيف يمكن الجمع بين القولين؟.

يمكن أن تُحلَّ هذه المشكله بما يلى:

1- إن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) عُرج به إلى السماء

أكثر من مره كما فى كتاب الكافى (1) و هذا عندى أحسن الوجوه.

2- الأخذ بالقول المروى بولادتها فى السنه الثانيه أو الثالثه من المبعث (كما سيأتى) و هذا يتفق مع القول بالمعراج فى تلك السنه نفسها، و خاصه بعد الالتفات إلى اختلاف الأقوال حول الشهر الذى كان فيه المعراج.

الجنين يتكلم مع امه

و من جمله مزايا السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) أنها كانت تكلم أمها خديجه و هى فى بطنها.

و لم ينفرد علماء الشيعه بذكر هذه الفضيله، بل شاركهم كثير من علماء العامه و محدثيهم، فقد روى عبدالرحمن الصفورى الشافعى فى (نزهه المجالس) ج 2 ص 227:(قالت أمَّها خديجه (رضى الله عنها): لما حملتُ بفاطمه كانت حملاً خفيفاً، تكلِّمنى من باطنى.

و روى الدهلوى فى (تجهيز الجيش) عن كتاب (مدح الخلفاء الراشدين): «أنه لما حملت خديجه بفاطمه كانت تكلمها ما فى بطنها، و كانت تكتمها عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فدخل عليها يوماً وجدها تتكلم و ليس معها غيرها، فسألها عمن كانت تخاطبه فقالت: ما فى بطنى، فإنه يتكلم معى.

فقال النبى (صلى الله عليه و آله و سلم): أبشرى يا خديجه، هذه بنت جعلها الله أم أحد عشر من خلفائى يخرجون بعدى و بعد أبيهم».

و ذكر شعيب بن سعد المصرى فى «الروض الفائق ص 214: فلما سأله الكفار أن يريهم انشقاق القمر، و قد بان لخديجه حملها بفاطمه

1- 55. الكافى ج 1/ 442 باب مولد النبى حديث 13.

و ظهر، قالت خديجه: وا خيبه من كذَّب محمداً و هو خير رسول ربى.

فنادت فاطمه- من بطنها: يا أماه لا تحزنى و لا ترهبى، فإن الله مع أبى. فلما تم حملها و انقضى، وضعت فاطمه فأشرق بنور وجهها الفضاء.

و قد مرّ عليک فى (المقدمه) الحديث المروى عن السيده خديجه حول تكلُّم السيده فاطمه الزهراء و هى فى بطن أمَّها.

ص: 42

من العجب: الاختلاف الواضح فى تاريخ ولادتها، و أنها هل كانت قبل المبعث أو بعده؟ فإنک تجد طائفه كبيره من الأحاديث تصرِّح بولادتها بعد المبعث بخمس سنين أو ثلاث سنين، و تجد كميه من الأقوال التى تلحّ و تركز على ميلادها قبل المبعث بخمس سنين، و تجد القول الأول للشيعه مروياً عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) و يوافقهم بعض علماء العامه.

و القول الثانى خاص بعلماء العامه و محدّثيهم.

و إليک بعض تلک الأحاديث حول ميلادها بعد المبعث:

1- الكافى (للكلينى): ولدت بعد النبوه بخمس سنين و بعد الإسراء بثلاث سنين، و قبض النبى و لفاطمه يومئذٍ- ثمانى عشره سنه !... الى آخره.

2- المناقب (لابن آشوب): ولدت فاطمه بعد النبوه بخمس سنين، و بعد الإسراء بثلاث سنين فى العشرين من جمادى الآخره، و أقامت مع أبيها بمكه ثمانى سنين ثم هاجرت... الى آخره.

3- و فى (الكافى) عن الإمام الباقر (عليه السلام): ولدت فاطمه بنت محمد بعد مبعث رسول الله بخمس سنين، و توفيت و لها ثمانى عشره سنه و خمسه و سبعون يوماً.

4- روضه الواعظين: ولدت فاطمه بعد مبعث النبى بخمس سنين... الى آخره.

5- إقبال الأعمال: قال الشيخ المفيد فى كتاب (حدائق الرياض): يوم العشرين من جمادى الآخره كان مولد السيده فاطمه الزهراء سنه اثنتين من المبعث.

6- مصباح الكفعمى: ولدت فى العشرين من جمادى الآخره يوم الجمعه سنه اثنتين من المبعث، و قيل سنه خمسٍ من المبعث.

7- مصباح الكفعمى و الطوسى: فى اليوم العشرين من جمادى الآخره يوم الجمعه سنه اثنتين من المبعث كان مولد فاطمه (عليهاالسلام) فى بعض الروايات، و فى روايه أخرى: سنه خمس من المبعث، و العامه تروى أن مولدها قبل المبعث بخمس سنين.

8- دلائل الإمامه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: ولدت فاطمه فى جمادى الآخره العشرين منها سنه خمس و أربعين من مولد النبى... إلى آخره (1) .

هذه نبذه من أقوال أئمه أهل البيت (عليهم السلام) و قدماء علماء الشيعه (رحمهم الله) حول ولاده السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) بعد المبعث.

و أما أقوال علماء العامه:

1- معرفه الصحابى لأبى نعيم: إن فاطمه كانت أصغر بنات رسول الله سنّاً، ولدت و قريش تبنى الكعبه.

2- مقاتل الطالبيين لأبى الفرج: كان مولد فاطمه قبل النبوه و قريش حينئذ تبنى الكعبه.

3- ابن الأثير فى (المختار من مناقب الأخيار).

1- 56. التقطنا هذه الاحاديث من بحارالانوار ج 43.

4- الطبری فی (ذخائر العقبی).

5- السیوطی فی (الثغور الباسمه).

هذا و لعل الباحث یجد هذا القول فی أکثر کتب العامه حول مولد الزهراء.

و قد مرت علیک طائفه من الأحادیث المرویه عن کتب العامه حول انعقاد نطفتها من طعام الجنه.

بعد الإطلاع علی هذه الأحادیث و لو بصوره موجزه یتضح لنا أنَّ ولاده السیده الزهراء کانت قبل المبعث، إذ لم یکن قبل المبعث معراج و لا هبوط جبرئیل و لا میکائیل علی النبی بالوحی، و بهذا ینکشف لنا تزویر الأقوال المصرحه بولادتها قبل المبعث بخمس سنین و أن القائلین بذلک لهم غایه تدفعهم، و هدف یدعوهم إلی اختلاق هذا القول، و هو نسف الأحادیث الوارده عن نزول الطعام من السماء و انعقاد نطفه السیده فاطمه من أطعمه الجنه و ثمارها.

و هدف آخر: و هو أنَّهم یحاولون أن یثبتوا أن فاطمه الزهراء کان مزهوداً فیها، و لا یرغب فیها أحد، و لهذا بلغت من العمر ثمانیه عشر سنه (علی زعمهم) و لم یخطبها أحد فی خلال تلک الفتره.

و سیأتی مزید من القول حول هذا الموضوع فی المستقبل فی فصل البحث عن زواجها.وعلی کلٍّ.. فقد روی الطبری فی (ذخائر العقبی) و الصفوری الشافعی فی (نزهه المجالس) و القندوزی فی (ینابیع الموده) عن خدیجه (علیهاالسلام) قالت:... فلما قربت ولادتی أرسلت إلی القوابل من قریش فأبین علیَّ لأجل محمد (صلی الله علیه و آله و سلم).

فبینما أنا کذلک إذ دخل علیَّ أربع نسوه، علیهن من الجمال و النور

ما لا يوصف، فقالت إحداهن: أنا أُمكِ حواء. و قالت الأُخرى: أنا آسيه. و قالت الأُخرى: أنا أُم كلثوم (كلثم) أُخت موسى، و قالت الأُخرى: أنا مريم، جئنا لنلى أمرک.

و قد ورودت هذه الروايه بصوره أُخرى:

... فلما أرادت خديجه أن تضع بعثت إلى نساءٍ قريش ليأْتينها فيلين منها ما تلى النساء ممن تلد، فلم يفعلن، و قلن لا نأتيک، قد صرت زوجه محمد (صلى الله عليه و آله و سلم).

فبينما هى كذلک إذ دخل عليها أربع نسوه، عليهن من الجمال و النور ما لا يوصف، فقالت لها إحداهن: أنا أُمُّكِ حواء، و قالت الأُخرى: أنا آسيه بنت مزاحم، و قالت الأُخرى: أنا كلثم أُخت موسى و قالت الأُخرى: أنا مريم بنت عمران (أُم عيسى). جئنا لنلى من أمرک ما يلى النساء.

قال: فولدت فاطمه.

فوقعت- حين وقعت- على الأرض ساجده رافعه إصبعها.

و روى عن المفضل بن عمرقال: قلت لابى عبدالله الصادق (عليه السلام): كيف كانت ولاده فاطمه؟

فقال نعم.... فلما حملت [خديجه] بفاطمه، كانت فاطمه تحدثها من بطنها و تصبرها، و كانت تكتم ذلک من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فدخل رسول الله يوما فسمع خديجه تحدث فاطمه فقال لها: ياخديجه من تحدثين؟

قالت: الجنين الذى فى بطنى يحدثنى و يونسنى.

قال: يا خديجه هذا جبرئيل يخبرنى انهاانثى، و انها النسله الطاهره الميمونه،و ان الله تبارک و تعالى سيجعل نسلى منها، و سيجعل من نسلها ائمه و يجعلهم خلفاءه فى ارضه، بعد انقضاء وحيه.

... ثم اشار (علیه السلام) الی نزول النسوه الاربع علی خدیجه لمساعدتها علی امر الولاده...

ثم قال (علیه السلام): فوضعت [خدیجه] فاطمه مطهره، فلما سقطت الی الارض، اشرق منها النور حتی دخل بیوتات مکه....

و دخل عشر من الحورالعین، کل واحده منهن معهاطست من الجنه و ابریق من الجنه،و فی الابریق ماء من الکوثر، و اخرجت خرقتین بیضاوین- اشد بیاضا من اللبن، و اطیب ریحامن المسک و العنبر- فلفتها بواحده و قنعتها بالثانیه.

ثم استنطقتها، فنطقت فاطمه بالشهادتین و قالت: اشهد لا الله الا الله، و ان ابی رسول الله سید الانبیاء، و ان بعلی سید الاوصیاء، و ولدی ساده الاسباط.

ثم سملت [فاطمه] علیهن، و سمت کل واحده منهن باسمها، و اقبلن یضحکن الیها، و تباشرت الحورالعین، و بشراهل السماء بعضهم بعضا بولاده فاطمه.

و حدث فی السماء نور زاهر، لم تره الملائکه قبل ذلک.

و قالت النسوه: خذیها یا خدیجه طاهره مطهره زکیه میمونه، بورک فیها و فی نسلها.

فتناولتها فرحه مستبشره، و القمتها ثدیها فدر علیها (1) .

و روی ابن عساکر فی التاریخ الکبیر: و کانت خدیجه اذا ولدت ولدا، دفعته لمن یرضعه، فلما ولدت فاطمه لم ترضعها احد غیرها.

و رواه ابن کثیر فی البدایه و النهایه.

1- 57. بحارالانوار ج 43 ص 2.

التسميه

تعتبر تسميه الطفل المولود أو التسميه (بصوره عامه) من سنن الله تعالى الأولى و قد سمَّى الله تعالى آدم و حوَّاء يوم خلقهما، و علَّم آدم الأسماء كلها،و قد سار الناس على هذه السنه أو السيره. فالتسميه لا بدَّ منها عند البشر المتحضّر، و لعل البشر المتوحش فى الغابات بسبب ابتعادهم عن الحضاره- لا يعرفون التسميه و لا يسمُّون.

و تختلف أسماء البشر على مرِّ الأجيال و العصور، و على اختلاف لغاتها فقد توجد هناک مناسبه بين الاسم و المسمَّى، و قد لا توجد، و قد يكون للإسلام معنى فى قاموس اللغه و قد لا يكون له معنى، بل هو اسم مخترع لا من ماده لغويه.

أما أولياء الله فإنَّ التسميه تعتبر عندهم ذات أهميه كبرى، و لا يخلو الأمر عن الحقيقه، أنَّ الإنسان ينادى و يدعى باسمه، فكم هناک فرق بين الاسم الحسن الجيِّد، و بين القبيح السيئ؟!

و كم فرق بين تأثير نفس صاحب الاسم بهذا و ذاک و هكذا تأثر السامع للاسم؟ فهذه امرأه عمران ولدت بنتاً فقالت: «و إنى سميتها مريم».

و اختار الله لنبيه يحيى (عليه السلام) هذا الاسم قبل أن تنعقد نطفته فى رحم أُمِّه، لأنَّ زكريا سأل ربه قال: «فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْکَ وَلِيّاً يَرِثُنِى وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً «يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُکَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً» (1) .

1- 58. مريم: 7.

و أنت إذا أمعنت النظر فی قوله تعالی: «لم نجعل له من قبل سمیاً» یتضح لک أنَّ تعیین أسماء أولیاء الله یکون من عنده (عز و جل)، و أنَّ الله یتولی تسمیتهم و لم یکلها إلی الأبویْن.

إذا عرفت هذا فهلمَّ معی إلی طائفه کبیره من الأحادیث التی تذکر اسم السیده فاطمه الزهراء و وجه التسمیه، و أنها إنما سمیت بفاطمه لأسباب و مناسبات، و لیست هذه التسمیه ارتجالیه، و لا ولیده إعجاب وا ستحسان فقط، بل روعی فیها مناسبه الاسم مع المسمی، بل صدق الاسم علی المسمَّی، و بهذه الأحادیث یتضح ما نقول.

قال الإمام الصادق (علیه السلام): لفاطمه تسعه أسماء عند الله (عز و جل): 1- فاطمه

2- و الصدِّیقه

3- و المبارکه

4- و الطاهره

5- و الزکیه

6- و الراضیه

7- و المرضیه

8- والمحدَّثه

9- و الزهراء... (1) .

و الان... الیک شرحا موجز لهذه الاسماء المقدسه:

1- 59. البحار: ج 43/ 10.

لقد وردت احاديث متنوعه فی سبب تسميتها (عليهاالسلام) بفاطمه.

و قبل ان نذكر تلک الاحاديث نقول: ان اسم فاطمه مشتق من الفطم و هو بمعنی القطع، يقال: فطمت الام طفلها، و فطمت الحبل.

قال العلامه المجلسی (رحمه الله تعالی)- مامعناه-:... كثيرا ما يجی ء اسم الفاعل بمعنی اسم مفعول، كقولهم: سركاتم، ای: مكتوم، و مكان عامر، ای: معمور، و كما قالو تعالی: «فی عيشه راضيه» ای مرضيه.

و الان اليک بعض تلک الاحاديث:

1- لانها فطمت شيعتها من النار.

روی عن الامام الصادق عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلی الله عليه و آله و سلم) ان جبرئيل قال له:... سميت فاطمه، فی الارض، [لانها] فطمت شيعتها من النار (1) .

2- لأن الله فُطمت هی و شيعتها من النار.

روی عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلی الله عليه و آله و سلم): انه قال: يا فاطمه اتدرين لم سُمِّيتِ فاطمه؟

قال علی (عليه السلام): لم سُميت؟

1- 60. بحارالانوار ج 43/ 18.

قال: لأنَّها فُطمت هی و شیعتها من النار (1) .

و عنه (صلی الله علیه و آله و سلم) انه قال: سمیت فاطمه، لان الله فطمها و ذریتها من النار، من لقی الله منهم بالتوحید و الایمان بما جئت به (2) .

و روی ابن عباس عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) انه قال:... و انما سماها فاطمه، لان الله فطمها و ذریتها و محبیها من النار (3) .

و روی ابن عباس عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) انه قال:... و انما سماها فاطمه، لان الله فطمها و ذریتها و محبیها عن النار (4) .

و روی عن الإمام الباقر (علیه السلام) انه قال: لفاطمه وقفه علی باب جهنم.... فتقول: الهی و سیدی، سمیتنی فاطمه، و فطمت بک من احبک و تولاک، و احب ذریتک و تولاهم من النار، و وعدی الحق و انا لا اخلف المیعاد..... الی آخر الخبر (5) .

1- 61. بحارالانوار ج 43/ 14، و ذکره محب الدین الطبری فی ذخائرالعقبی ص 26 طبعه القاهره، و القندوزی الحنفی فی ینابیع الموده ص 194 و الصفوری و الشافعی فی نزهه المجالس، و روی قریبا منه الخرکوشی فی کتاب (شرف النبی) و ابن بطه فی کتاب الابانه و غیرهم.
2- 62. بحارالانوار ج 43.
3- 63. تاریخ بغداد للخطیب البغدادی ج 13 ص 331 طبعه القاهره/ ذخائر العقبی للطبری ص 26 طبعه القاهره/ کنزالعمال للمتقی الهندی ج 13 ص 94 طبعه حیدرآباد دکن/ فیض القدیر للمناوی الشافعی ج 1 ص 206 طبعه القاهره/ غیرها.
4- 64. ینابیع الموده للقندوزی ص 397 طبعه اسلامبول/ نور الابصار للشبلنجی ص 41 طبعه مصر.
5- 65. بحارالانوار ج 43 ص 15.

3- لانها فطمت من الشر.

روی عن الامام الصادق (علیه السلام) انه قال: تدری ای شی ء تفسیر فاطمه؟

قلت: أخبرنی یا سیدی؟

قال: فُطمت من الشر.

ثم قال: لولا أن أمیرالمؤمنین تزوَّجها لما کان لها کف ء إلی یوم القیامه علی وجه الأرض، آدم فمن دونه (1) .

و قد روی هذا الحدیث من علماء العامه منهم: ابن شیرویه الدیلمی عن أُم سلمه قالت: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): «لو لم یخلق الله علیاً لما کان لفاطمه کفو».

و رواه الخوارزمی فی مقتل الحسین (علیه السلام) ص 65، و الترمذی فی المناقب، و المناوی فی کنوز الحقائق، و القندوزی الحنفی فی ینابیع الموده عن أُم سلمه و عن العباس عم رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

4- لان الخلق فطمو عن معرفتها.

روی عن الامام الصادق (علیه السلام) انه قال:... و انما سمیت فاطمه لان الخلق فطموعن معرفتها (2) .

5- لان الله فطما بالعلم.

روی عن الامام الباقر (علیه السلام) انه قال: لما ولدت فاطمه (علیهاالسلام) اوحی الله (عز و جل) الی ملک، فانطلق به لسان محمد (صلی الله علیه و آله و سلم) فسماها فاطمه.

1- 66. بحارالانوار ج 43 ص 16.
2- 67. بحارالانوار ج 43 ص 65.

ثم قال [تعالى]: انى فطمتک بالعلم، عن الطمث.

ثم قال ابوجعفر (عليه السلام): و الله لقد فطمها الله تبارک و تعالى بالعلم، و عن الطمث بالميثاق. (1) .

و كان هذا الاسم محبوباً عند أهل البيت (عليهم السلام) يحترمونه و يحترمون من سُمِّيت به.

فقد سال الإمام الصادق (عليه السلام) أحد أصحابه- و قد رزقه الله بنتاً- بِم سمَّيتها؟

قال الرجل: سميتها فاطمه.

قال الإمام الصادق: فاطمه؟ سلام الله على فاطمه، أما إن سميتها فاطمه فلا تلطمها و لا تشتمها و أكرمها.

و عن السكونى قال: دخلت على أبى عبدالله- الصادق- (عليه السلام) و أنا مغموم مكروب قال لى: يا سكونى ما غمک؟

فقلت: ولدت لى ابنه....

فقال: ما سمَّيتها؟

قلت: فاطمه.

قال: آه آه آه.

ثم قال: أما إذا سميتها فاطمه فلا تسبها و لا تلعنها و لا تضربها (2) .

و فى سفينه البحار عن أبى لحسن (الكاظم) قال: لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد.... و فاطمه من النساء.

إن الحديث الأول الذى مرّ فى تسميتها- (عليهاالسلام)- بفاطمه- عن الإمام الباقر (عليه السلام) قد جاء فيه ذيّله الإمام بقوله: «و الله لقد فطمها الله

1- 68. بحارالانوار ج 43.
2- 69. وسائل الشيعه ج 7 باب احكام الاولاد.

تبارک و تعالی بالعلم و عن الطمث بالمیثاق».

إن المقصود من کلمه (المیثاق) هنا هو عالم الذر، ذلک العالم الذی أشار إلیه قوله تعالی: «و إذ أخذ ربک من بنی آدم من ظهورهم ذریتهم و أشهدهم علی أنفسهم ألستُ بربکم قالوا بلی» (1) .

و ملخص القول: إن الله تعالی أخرج ذریه آدم من صلبه کهیئه الذر، فعرضهم علی آدم و قال: إنی آخذ علی ذریتک میثاقهم أن یعبدونی و لا یشرکوا بی شیئاً و علیَّ أرزاقهم.

ثم قال لهم: ألست بربکم قالوا: بلی شهدنا أنک ربنا.

فقال للملائکه: اشهدوا.

فقالوا: شهدنا.

و قیل: إن الله تعالی جعلهم فهماء عقلاء یسمعون خطابه و یفهمونه ثم ردَّهم إلی صلب آدم، و الناس محبوسون بأجمعهم حتی یخرج کل من أخرجه الله فی ذلک الوقت، و کل من ثبت علی الإسلام فهو علی الفطره الأُولی، و من کفر و جحد فقد تغیَّر عن الفطره الأُولی.

و هذا القول مستخلص من طائفه کبیره من الأحادیث، و الأخبار المعتبره، و هذا العالم یسمَّی عالم الذر و یسمی عالم المیثاق، و الإمام الباقر (علیه السلام) یشیر فی کلامه إلی أن الصدیقه الطاهره فاطمه الزهراء کانت طاهره من العاده الشهریه من ذلک العالم و من ذلک الوقت.

و أما الأحادیث التی تتحدث عن عالم الذر فکثیره جداً، و نکتفی هنا بذکر بعضها:

1- فی الکافی عن الإمام أبی عبدالله (الصادق) (علیه السلام) قال: سُئل

1- 70. الاعراف 174.

رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): بأى شى ء سبقت ولد آدم؟

قال: إننى أول من أقرَّ بربى، إن الله أخذ ميثاق النبيين و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا: بلى. فكنت أول من أجاب.

2- عن أبى بصير قال: قلت لأبى عبدالله الصادق (عليه السلام): كيف أجابوا و هم ذر؟

قال: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه.

و زاد العياشى: يعنى فى الميثاق.

3- و عن زراره أنه سئل من الإمام الباقر (عليه السلام) عن قول الله عز و جل: «و إذ أخذ ربک من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم»؟

قال: من ظَهرِ آدم ذرينَه إلى يوم القيامه فخرجوا كالذر، فعرَّفهم و أراهم صنعه، و لو لا ذلک لم يعرف أحد ربه.

4- و لما حج عمر بن الخطاب و استلم الحجر قال: أما و الله إنى لأعلم أنک حجر، لا تضر و لا تنفع، و لو لا أن رسول الله استلمک ما استلمتک.

فقال له على: يا أباحفص لا تفعل فإن رسول الله (صلى الله عليهو آله و سلم) لم يستلم إلاَّ لأمر قد علمه و لو قرأت القرآن فعلمت من تأويله ما علم غيرک لعلمت أنه يضر و ينفع، له عينان و شفتان و لسان ذلق يشهد لمن وافاه بالموافاه.

فقال له عمر: فأوجدنى ذلک فى كتاب الله يا أباالحسن.

فقال على (عليه السلام): قوله تبارک و تعالى: «و إذ أخذ ربک من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا»، فلما أقروا بالطاعه أنه الرب و أنهم العباد أخذ عليهم الميثاق بالحج إلى بيته الحرام، ثم خلق الله رقا أرقَّ من الماء و قال للقلم: أكتب موافاه خلقى ببيتى الحرام. فكتب القلم موافاه بنى آدم فى الرق ثم قيل للحجر:

افتح فاک. ففتحه فألقم الرق. ثم قال للحجر: احفظه و اشهد لعبادی بالموافاه. فهبط الحجر مطیعاً لله.

یا عمر: أو لیس إذا استلمت الحجر قلت: أمانتی أدَّیتها، و میثاقی تعاهدته لتشهد لی بالموافاه؟

فقال عمر: اللهم نعم.

فقال له علی: من ذاک».

و إنک تجد طائفه کبیره من الأحادیث التی تتضمن البحث عن عالم الذر فی کتاب الکافی للکلینی و البحار للمجلسی و غیرها من موسوعات الأحادیث.

و قد التبس الأمر علی بعض علمائنا. فلم یفهموا الآیه فجعلوا یشککون فی تلک الأحادیث (سامحهم الله) بالرغم من کثرتها بل بالرغم من صریح الآیه.

و خلاصه الکلام أن عالم الذر هو عالم المیثاق، و من ذلک العالم- بل و قبل ذلک کانت الأفضلیه لرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و أهل بیته الطاهرین، و من جملتهم ابن الطاهره فاطمه الزهراء.

و لا یصعب علیک قبول هذا القول، فإن هناک أحادیث کثیره رواها علماء الفریقین من الشیعه و السنه قد بلغت أو تجاوزت حدَّ التواتر و هی تؤیِّد هذا الموضوع.

أما الأحادیث المذکوره فی کتب الشیعه فیعسر إحصاؤها وعدُّها.

و أما فی کتب العامه: فقد روی الصفوری الشافعی فی (نزهه المجالس) ج 2 ص 223 قال: قال الکسائی و غیره: لما خلق الله آدم... إلی أن قال: و علیه جاریه لها نور و شعاع، و علی رأسها تاج من الذهب، مرصَّع بالجواهر لم یر آدم أحسن منها. فقال: یا رب من هذه؟

قال: فاطمه بنت محمد (صلى الله عليه و آله و سلم)

فقال: يا رب من يكون بعلها؟

قال: يا جبرئيل افتح له باب قصر من الياقوت. ففتح له، فرأى فيه قبَّةً من الكافور، فيها سرير من ذهب، عليه شاب حسنه كحسن يوسف فقال: هذا بعلها على بن أبى طالب... الى آخرالحديث.

و روى العسقلانى فى (لسان الميزان) ج 3 ص 346:

عن الإمام الحسن بن على العسكرى (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن جابر بن عبدالله عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): لما خلق الله آدم و حوَّاء تبخترا فى الجنه و قالا: من أحسن منَّا؟ فبينما هما كذلک. إذ هما بصوره جاريه لم ير مثلها، لها نور شعشعانى يكاد يطفئ الأبصار. قالا: يا رب ما هذه؟ قال: صوره فاطمه سيده نساء ولدک.

قال: ما هذا التاج على رأسها؟

قال: على بعلها.

قال فما القرطان؟

قال: ابناها، وجد ذلک فى غامض علمى قبل أن أخلقک بألفى عام».

ص: 57

لقد مرَّ علیک أن من جمله أسمائها (علیهاالسلام) الصدِّیقه، بکسر الصاد و الدال المشدّده «صیغه المبالغه» فی التصدیق أی الکثیره الصدق.

و الصِدِّیق أبلغ من الصدوق.

و قیل: الصدِّیق: من کثر منه الصدق.

و قیل: بل مَن لم یکذب قط.

و قیل: الکامل فی الصدق، الذی یصدِّق قوله بالعمل، البار، الدائم التصدیق.
و قیل: مَن لم یتأت منه الکذب لتعوِّده الصدق.

و قیل: مَن صدق بقوله و اعتقاده، و حقق صدقه بفعله. کذا فی تاج العروس.

و قیل: المداوم علی التصدیق بما یوجبه الحق.

و قیل: الذی عادته الصدق.

و قیل: إنه المصدِّق بکل ما أمر الله به وبأنبیائه، لا یدخله فی ذلک شک، و یؤیده قوله تعالی: «و الذین آمنوا بالله و رسله أولئک هم الصدِّیقون» (1) .

هذه تعاریف فی معنی الصدِّیق، و لکن المستفاد من الآیات الکثیره و الروایات المتعدده أن مرتبه الصدِّیقین فی عداد مراتب الأنبیاء و الشهداء،

1- 71. سوره الحدید: 19.

لهم حساب خاص بهم و درجه مخصوصه بهم. تامل هذه الآيات ليظهر لک ما قلنا:

1- «و من يطع الله و الرسول فأولئک مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصدِّيقين و الشهداء و الصالحين، و حسن أولئک رفيقاً» (1) .

3- «و اذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صدِّيقاً نبياً» (2) .

3- «و اذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صدِّيقاً نبياً (3) .

4- «ما المسيح ابن مريم إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل و أمه صدِّيقه (4) .

و فى تفسير قوله تعالى: «و أُمَّه صدِّيقه» قيل: سُميَّت صدِّيقه لأنها تُصدِّق بآيات ربها، و منزله ولدها و تصدِّقه فيما أخبرها به، بدلاله قوله تعالى: «و صدَّقت بكلمات ربها» و قيل: لكثره صدقها، و عظم منزلتها فيما تصدق به من أمرها.

بعد استعراض هذه الآيات و الأقوال يمكن لنا أن نستفيد أن التصديق بالله و بالأنبياء و الكتب السماويه و الأحكام الشرعيه تاره يكون باللسان دون العمل.ففى الوقت الذى يصدّق الإنسان بأن الله تعالى يراه مع ذلک يعصى الله (عز و جل) و يعلم بأن الله تعالى قد أوجب عليه حقوقاً ماليه أو غير ماليه مع ذلک لا يؤدى تلک الحقوق، و يعلم بأن الله حرَّم الخمر و الربا و الزنا و مع ذلک لا يرتدع عن تلک المعاصى فهو مصدّق بالله و بالحلال و الحرام، و الثواب و العقاب، و الجنه و النار، و لكن عمله لا يطابق هذا التصديق، أى لم

1- 72. سوره النساء: 68.
2- 73. سوره مريم: 41.
3- 74. سوره مريم: 56.
4- 75. سوره المائده: 75.

يبلغ به التصديق درجه المطابقه بين القول و الفعل أو بين الاعتقاد و العمل. و لكنّ الصدِّيقين هم الذين يعتقدون الحق و يؤمنون به، و يعملون على ضوء تلک المعتقدات، و هؤلاء عددهم قليل و نادر فى كل زمان و فى كل مكان.

و أنت إذا قارنت بين هذه التعاريف و بين أعمال الناس يظهر لک بكل وضوح أن عدد الصدِّيقين قليل جداً جداً، و لعل فى بعض البلاد لا يوجد صدّيق واحد.

و بعد هذا كله سوف يسهل عليک أن تعرف أن السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام)قد بلغت مرتبه الصديقين، و سماها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)بالصديقه. كما فى (الريلض النضره) ج 2 ص 202 و فى (شرف النبوه) عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) انه قال لعلى: اتيت ثلاثا لم اوت مثلها زوجه.

و اوتيت الحسن و الحسين من صلبک و لم اوت من صلبى مثلها.

و لكنكم منى و انا منكم.

و سال المفضل بن عمرالامام الصادق (عليه السلام) قال: قلت: من غسل فاطمه؟

قال: ذاک اميرالمومنين.

(قال المفضل): فكانى استعظمت ذلک من قوله.

فقال: كانک ضقت مما اخبرتک به؟

قلت: قد كان ذلک جعلت فداک!

قال: لا تضيقنَّ، فإنها صدِّيقه، و لم يغسِّلها إلا صدِّيق، أما علمت أن مريم لم يغسِّلها إلا عيسى؟ (1) .

و روى عن الامام الصاذق (عليه السلام)- فى حديث له عن السيده فاطمه (عليهاالسلام)- انه قال:... «و هى الصديقه الكبرى، و على معرفتها دارت القرون الاولى» (2) .

1- 76. علل الشرائع: ص 184 باب 148 ح 1.
2- 77. بحارالانوار ج 43 ص 105.

المباركه

البركه: النماء و السعاده و الزياده كما فى (تاج العروس).

و قال الراغب: و لما كان الخير الإلهى يصدر من حيث لا يحبس، و على وجه لا يحصى و لا يحصر قيل- لكل ما يشاهَد منه زياده محسوسه-: هو مبارک فيه، و فيه بركه. و لقد بارک الله فى السيده فاطمه أنواعاً من البركات و جعل ذريه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) (من نسلها، و جعل الخير الكثير فى ذريَّتها، فإنها ماتت و تركت و لدين و بنتين فقط، و هم: الإمام الحسن و الإمام الحسين (عليهماالسلام) و زينب و أم كلثوم.

و جاءت واقعه كربلاء، و قتل فيها أولاد الحسين و لم يبق من أولاده إلاَّ على بن الحسين (زين العابدين).

و قُتِل من أولاد الإمام الحسن سبعه (على قول) و اثنان من ولد زينب، و أما أم كلثوم فإنها لم تعقب.

و بعد واقعه كربلاء تكررت الحوادث، و اقيمت المذابح و المجاورفى نسل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ذريه فاطمه الزهراء من واقعه الحره، الى واقعه زيد بن على بن الحسين الى واقعه الفخ، الى مطارده العلويين فى عهد الامويين.

و جاء دور بنى العباس، فضربوا الرقم القياسى فى محاربه العلويين، و ابادتهم و استيصال شافتهم، راجع كتاب (مقاتل الطالبيين) تجد بعض تلک الحوادث.

و استمرت المكافحه أكثر من قرنين حتى قُتل الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام)- و هو الإمام الحادى عشر- مسموماً فى مدينه سامراء.

و لم يكن صلاح الدين الأيوبى بأقل من العباسيين فى إراقه دماء آل رسول الله و دماء شيعتهم، فلقد أقاموا فى المغرب العربى مجازر و مذابح جماعيه تقشعر منها الجلود.

و مع ذلک كله فقد جعل الله البركه فى نسل فاطمه الزهراء، و قد جعل الله منها الخير الكثير.

و فى تفسير قوله تعالى: «إنا أعطيناک الكوثر» أقوال للمفسرين، و إن كان المشهور أن الكوثر هو الحوض المعروف فى القيامه، أو النهر المشهور فى الجنه و لكن الكوثر على وزن فوعل- هو الشى ء الكثير و الخير الكثير.

و قد ذكر السيوطى فى (الدر المنثور) فى تفسير شرح الكوثر: و أخرج البخارى و ابن جرير و الحاكم عن طريق أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه قال: الكوثر: الخير الكثير الذى أعطاه الله إياه، قال أبوبشر: قلت لسعيد بن جبير فإنّ ناساً يزعمون أنَّه نهر فى الجنه.

قال: النهر الذى فى الجنه هو من الخير الكثير الذى أعطاه.

و الأنسب بالمقام. و بمقتضى الحال- كما فى التفسير للرازى- أن يكون المقصود من الكوثر هى الصدّيقه فاطمه الزهراء، فقد ذكر الطبرسى فى (مجمع البيان) فى تفسير سوره الكوثر: قال: قيل: الكوثر هو الخير الكثير، و قيل: هو كثره النسل و الذريه، و قد ظهرت الكثره فى نسله من وُلد فاطمه حتى لا يحصى عددهم، و اتصل إلى يوم القيامه مددهم.

و قال الفخر الرازى فى تفسيره حول الآيه:

و القول الثالث: الكوثر أولاده، قالوا: لأن هذه السوره إنما نزلت ردَّاً عله من عابه (عليه السلام) بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون

على مرِّ الزمان فانظر كم قُتل من أهل البيت؟ ثم العالم ممتلئ منهم، و لم يبق من بنى أُميه فى الدنيا أحد يُعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر و الصادق و الكاظم و الرضا (عليهم السلام) و النفس الزكيه و أمثالهم؟».

و وجه المناسبه: أن الكافر شمت بالنبى حين مات أحد أولاده و قال: إن محمداً أبتر، فإن مات، مات ذكره. فأنزل الله هذه السوره على نبيه تسليه له كأنه تعالى يقول: إن كان ابنک قد مات فإنا أعطيناک فاطمه، و هى و إن كانت واحده و قليله، و لكن الله سيجعل هذا الواحد كثيراً.

و تصديقاً لهذا الكلام ترى فى العالم (اليوم) ذريه فاطمه الزهراء- الذين هم ذريه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) منتشرين فى بقاع العالم، ففى العراق حوالى مليون و فى إيران حوالى ثلاثه ملايين، و فى مصر خمسه ملايين و فى المغرب الاقصى خمس ملايين و فى الجزائر و تونس و ليبيا عدد كثير، و كذلک فى الأردن و سوريا و لبنان، و السودان و بلاد الخليج و السعوديه ملايين، و فى اليمن و الهند و باكستان و الأفغان و جزر إندونيسيا حوالى عشرين مليوناً. و قلَّ أن تجد فى البلاد الإسلاميه بلده ليس فيها أحد من نسل السيده فاطمه الزهراء. و يقدَّر مجموعهم بخمسه و ثلاثين مليوناً، و لو أجريت إحصائيات دقيقه و صحيحه فلعل العدد يتجاوز هذا المقدار (1) .

هؤلاء ذريه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و هم من صلب على و فاطمه و فيهم الملوک و الأمراء و الوزراء و العلماء و الكتَّاب و الشخصيات البارزه و العباقره المرموقه.

1- 78. هذا الاحصاء لعام 1366 ه ما اليوم فقد تضاعف عددهم الى مايعلمه الله تعالى.

و منهم مَن يعتزُّ بهذا الانتساب و يفتخر به، و منهم مَن يهمله و لا يبالى به، و منهم مَن يسير على طريقه أهل البيت، و منهم مَن يسير على خلاف مذهب أهل البيت.

و من أعجب العجب أن بعض المسلمين ما كان يعجبهم أن يعترفوا بهذا الانتساب أى انتساب ذريه على و فاطمه على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بل يعتبرون هذا الاعتراف كذباً و افتراءً، و يحاربون هذه الفكره محاربه شعواء لا هواده فيها، و كانوا يسفكون الدماء البريئه لأجل هذه الحقيقه.

انظر إلى موقف الحَجاج السفَّاک الهتَّاک تجاه هذا الأمر، و هكذا المنصور الدوانيقى، و هرون الرشيد و غيرهم ممن حذا حذوهم و سلک طريقتهم.

عن عامر الشعبى أنه قال: بعث إلىَّ الحجاج ذات ليله فخشيت فقمت فتوضأت و أوصيت، ثم دخلت عليه، فنظرت فإذا نطع منشور و السيف مسلول، فسلَّمت عليه فردَّ علىَّ السلام فقال: لا تخف فقد أمنتک الليله و غدا إلى الظهر، و أجلسنى عنده ثم أشار فأتى برجل مقيَّد بالكبول و الأغلال، فوضعوه بين يديه فقال: إن هذا الشيخ يقول: إنَّ الحسن و الحسين كانان ابنى رسول الله، ليأتينى بحجه من القرآن و إلاَّ لأضربنَّ عنقه.

فقلت: يجب أن تحلَّ قيده، فإنَّه إذا احتج فإنَّه لا محاله يذهب و إن لم يحتج فإنَّ السيف لا يقطع هذا الحديد.

فحلّوا قيوده و كبوله، فنظرت فإذا هو سعيد بن جبير، فحزنت بذلک، و قلت: كيف يجد حُجَّةً على ذلک من القرآن؟

فقال الحجاج: ائتنى بحجه من القرآن على ما ادعيت و إلاَّ أضرب عنقک.

فقال له: انتظر.

فسكت ساعه ثم قال له مثل ذلک. فقال: انتظر. فسكت ساعه ثم قال له مثل ذلک فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال: «و وهبنا له إسحاق و يعقوب.... إلى قوله: و كذلک نجزى المحسنين» ثم سكت و قال للحجاج: اقرأ ما بعده. فقرأ: (و زكريا و يحيى و عيسى) فقال سعيد: كيف يليق هاهنا عيسى؟

قال: إنَّه كان من ذريته.

قال: إن كان عيسى من ذريه إبراهيم و لم يكن له أب بل كان ابن ابنته فنُسب إليه مع بُعده فالحسن و الحسين أولى أن يُنسبا إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) مع قربهما منه.

فأمر له بعشره آلاف دينار، و أمر أن يحملوه إلى داره و أذن له فى الرجوع.

قال الشعبي: فلما أصبحت قلت فى نفسى: قد وجب علىَّ أن آتى هذا الشيخ فأتعلَّم منه معانى القرآن، لأنى كنت أظن أنى أعرفها، فإذا أنا لا أعرفها. فأتيته فإذا هو فى المسجد، و تلک الدنانير بين يديه، يفرِّقها عشراً عشراً، و يتصدق بها ثم قال: هذا كله ببركه الحسن و الحسين (عليهماالسلام) لئن أغممنا و احداً لقد أفرحنا ألفاً و أرضينا الله و رسوله (صلى الله عليه و آله و سلم) (1) .

أقول: الآيات التى استدل بها سعيد بن جبير (رضوان الله عليه) هى: و وهبنا له إسحاق و يعقوب كلاًّ هدينا، و نوحاً هدينا من قبل، و من ذريته داود و سليمان و أيوب و يوسف و موسى و هارون و كذلک نجزى المحسنين

1- 79. بحار الانوار: ج 43.

و زكريا و يحيى و عيسى و إلياس كل من الصالحين» (1) .و لقد جرى حوار- حول هذا الموضوع- بين هارون الرشيد و الإمام موسى بن جعفر (عليهماالسلام):

كما فى كتاب عيون أخبار الرضا (عليه السلام) أن هارون الرشيد قال للإمام موسى بن جعفر (عليه السلام):

لِمَ جوَّزتم للعامه و الخاصه أن ينسبوكم إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و يقولون لكم يا بنى رسول الله، و أنتم بنو على، و إنما ينسب المرء إلى أبيه، و فاطمه إنما هى و عاء و النبى (عليه السلام) جدّكم من قِبَل أُمِّكم؟؟؟

فقال الإمام: لو أنّ النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) نُشر (أى بعث حياً فخطب إليک كريمتک هل كنت تجيبه؟

قال الرشيد: سبحان الله! و لِمَ لا أُجيبهُ؟ بل أفتخر على العرب و العجم و قريش بذلک.

فقال الإمام: و لكنه (صلى الله عليه و آله و سلم) لا يخطب إلىَّ و لا أزوِّجه.

قال الرشيد: و لِمَ؟

قال الإمام: لأنى ولدنى و لم يلدک.

قال الرشيد: أحسنت يا موسى.

ثم قال الرشيد: كيف قلتم إنا ذريه النبى، و النبى (عليه السلام) لم يعقِّب؟ و إنما العقب للذكر، لا للأنثى، و أنتم ولد الابنه، و لا يكون لها عقب؟

1- 80. الانعام: 80.

فاعتذر الإمام عن الإجابه على هذا السؤال المحرج و طلب من الرشيد إعفاءه عن الجواب رعايه للتقيه. فقال الرشيد: لا، أو تخبرنى بحجتكم فيه يا ولد على و أنت يا موسى يعسوبهم و إمام زمانهم، كذا أنهى إلى و لست أعفيک فى كل ما أسئلک عنه حتى تأتينى فيه بحجه من كتاب الله، فأنتم تدَّعون- معشر وُلد على- أنَّه لا يسقط عنكم منه شى ء أَلِفٌ و لا واو إلاَّ و تأويله عندكم، و احتججتم بقوله (عز و جل): (ما فرَّطنا فى الكتاب من شى ء) و قد استغنيتم عن رأى العلماء و قياسهم.

فقال الإمام: تأذن لى فى الجواب؟

قال الرشيد: هات.

قال الإمام: أعود بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم و من ذريته داود و سليمان و أيوب و يوسف و موسى و هارون و كذلک نجزى المحسنين و زكريا و يحيى و عيسى. مَن أبوعيسى.

قال الرشيد: ليس لعيسى أب.

قال الإمام: إنما ألحقنام بذرارى الأنبياء (عليهم السلام) من طريق مريم (عليها السلام) و كذلک أُلحقنا بذرارى النبى (صلى الله عليه و آله و سل) من قَبِل أمِّنا فاطمه (عليهاالسلام)... إلى آخر الحديث (1) .

هذه هى الآيات التى استدل بها الأئمه (عليهم السلام) حول انتسابهم إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سل) عن طريق السيده فاطمه الزهراء.

و أما الأحاديث التى تصرّح بهذا المعنى فكثيره جداً، و نكتفى- هنا- بما يلى:
1- الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد) ج 1 ص 316.

1- 81. عيون اخبارالرضا: ج 1 ص 81 ح 9.

عن ابن عباس قال: كنت أنا و أبی: العباس بن عبدالمطلب جالسین عند رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) إذ دخل علی بن أبی طالب فسلّم، فردّ علیه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و بشّ به، فقال العباس: یا رسول الله أتحبّ هذا؟

فقال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): یا عمَّ رسول الله! و اللهِ اللهُ أشدُّ حُبّاً له منی، إنَّ الله جعل ذریه کل نبی فی صلبه، و جعل ذریتی فی صلب هذا.

و رواه الخوارزمی فی (المناقب) ص 229.

2- عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: إنَّ الله (عز و جل) جعل ذریه کل نبی فی صلبه و جعل ذریتی فی صلب علی.

و رواه محب الدین الطبری فی (ذخائرالعقبی).

و الجوینی فی (فرائدالسمطین).

والذهبی فی (میزان الاعتدال).

و ابن حجر فی (الصواعق المحرقه) ص 74.

و المتقی الهندی فی (منتخب کنز العمال).

و الزرقانی فی (شرح المواهب اللدنیه).

و القندوزی فی (ینابیع الموده) ص 183.

3- و ذکر النسائی فی کتاب (خصائص أمیرالمؤمنین) عن محمد بن أسامه بن زید، عن أبیه قال: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): أما أنت یا علی فختنی (1) و أبوولدی و أنت منی و أنا منک.

1- 82. الختن: الصهر.

4- و روى أيضاً عن أسامه قال: طرقت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ليله لبعض الحاجه، فخرج و هو مشتمل على شى ء لا أدرى ما هو؟ فلما فرغت من حاجتى قلت: ما هذا الذى أنت مشتمل عليه؟ فكشفه فإذا هو الحسن و الحسين على و ركيه، فقال: هذان ابناى، و ابنا بنتى، اللهم إنک تعلم أنى أحبُّهما فأحبهما.و الأحاديث التى تصرح بأن الحسن و الحسين (عليهماالسلام) كانا ابنى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) كثيره جداً.

و جاء بعض الجهلاء يتفلسف ليُنكر أبوّه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) (لولديه: الحسن و الحسين (عليهماالسلام) مستدلاً بقوله تعالى: (ما كان محمد أباأحد من رجالكم) فيزعم الجاهل أنَّ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ليس بأب أحد، مع العلم أن الآيه نزلت حول نفى نسب زيد الذى تبنَّاه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ثم زوَّجه زينب بنت جحش ثمّ طلّقها زيد و تزوجها النبى (فلما قضى زيد منها و طراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن و طراً و كان أمر الله مفعولاً) (1) ففى هذا بيان أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ليس بأب لزيد حتى تحرم عليه زوجته، فإن تحريم زوجه الابن معلق بثبوت النسب، فمن لا نسب له لا حرمه لامرأته، و لهذا أشارت الآيه إليهم فقالت: (من رجالكم) و قد ولد لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أولاد ذكور: إبراهيم و القاسم و الطيب و المطهر، فكان (صلى الله عليه و آله و سلم) أباهم.

و قد صح و ثبت أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قال للحسن (عليه

1- 83. الاحزاب: 38.

السلام): إن ابنى هذا سيد.

و قال أيضاً: الحسن و الحسين ابناى هذان امامان قاما او قعدا. و قال ايضاء: إن كل بنى بنت ينسبون إلى أبيهم إلاّ أولاد فاطمه فإنى أنا أبوهم.

و قيل: أراد بقوله: (من رجالكم) البالغين من رجال ذلک الوقت و لم يكن أحد من أبنائه رجلاً فى ذلک الوقت.

و ختاماً لهذا الفصل نقول: كل ما تقوله فى أبوَّه رسول الله لأولاده الذكور فهو الثابت فى أبوَّه رسول الله لولديه الحسن و الحسين، و الكلام هناک نفس الكلام هنا.

ص: 71

لقد مرّ علیک أن من جمله أسمائها (علیهاالسلام): الطاهره.

وقد روی عن الامام محمد الباقر عن آبائه (علیهم السلام) قال: «انما سمیت فاطمه بنت محمد: الطاهره، لطهارتها من کل دنس، و طهارتها من کل رفث و ما رات قط یوما حمره و لانفاسا» (1) .

و أحسن ما نبحث فیه حول هذا الموضوع هی آیه التطهیر، و هی قوله تعالی: «انما یرید الله لیذهب عنکم الرجس اهل البیت و یطهرکم تطهیرا».

إن هذه الآیه الکریمه تعتبر فی طلیعه الآیات ذات الأهمیه الکبری، و ذلک لعظم معناها و مغزاها، لأنها منبع فضائل أهل البیت النبوی لا شتمالها علی أمور عظیمه.

و قد کثرت الأقوال، و جالت الأقلام حول هذه الآیه.

و لعل من الصحیح أن نقول: إن آیه التطهیر معترک الآراء المتضاربه و الأقوال المختلفه، و خاصه حول کلمه: (أهل البیت) و المقصود منهم، و مدی شمول هذه الکلمه.

و الأمر الذی لا شک فیه أن آیه التطهیر تشمل الصدِّیقه الطاهره فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) قطعاً، و بإجماع المفسرین و المحدِّثین من الشیعه و السنَّه، إلاَّ من شذَّ و ندر.

إذ أن جمیع الأحادیث الوارده حول نزول هذه الآیه متفقه علی

1- 84. بحارالانوار ج 43 ص 19.

شمولها لعلیٍ و فاطمه و الحسن و الحسین) (علیهم السلام) بالقدر المتیقن.

و إن کان هناک قول یشعر بشمولها لزوجات النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) اعتماداً علی ظاهر لفظ (أهل البیت) أو سیاق الآیه التی سبقتها و لحقتها خطابات لزوجات النبی، فإن جمیع الأحادیث تصرّح بأن النبی لم یسمح حتی لزوجته السیده أم سلمه أن تدخل تحت الکساء قبل نزول آیه التطهیر.

و قد ذکرنا الشی ء الیسیر- مما یتعلق بالآیه- فی کتاب (علی من المهد إلی اللحد) و نذکر هنا بعض الأحادیث و مصادرها من کتب علماء السُّنه، رعایه العامه، لأسلوب الکتاب و تتمیماً للفائده.

و ینبغی أن نعلم أن الذین رووا نزول أیه التطهیر فی حق علی و فاطمه و الحسن و الحسین (علیهم السلام) یعسر إحصاؤهم، و لعلهم یتجاوزون المئات.

و لو أردنا استعراض أقوال المفسرین و المحدثین حول الآیه لطال بنا الکلام، و خرج الکتاب عن أسلوبه، و لکننا نذکر هنا عشرین مصدراً من مشاهیر مؤلفات علماء العامه و حفّاظهم و مفسریهم و محدّثیهم، و فی ذلک کفایه لکل منصف:

1- الخطیب البغدادی فی تاریخه (ج 10) بإسناده عن أبی سعید الخدری عن النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فی قوله تعالی:

(إنما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت و یطهرکم تطهیراً) قال: جمع رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) علیاً و فاطمه و الحسن و الحسین، ثم أدار علیهم الکساء فقال: هؤلاء أهل بیتی، اللهم أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهیراً، و أم سلمه علی الباب فقالت: یا رسول الله ألست منهم؟

فقال: إنک لعلی خیر أو: إلی خیر.

2- الزمخشری فی تفسیره (الکشاف) ج 1 ص 193.

روی عن عائشه (رضی الله عنها) أن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) خرج و علیه مرط مرجَّل من شعر أسود موشی منقوش، فجاء الحسن بن علی فأدخله. ثم جاء الحسین فدخل معه، ثم جاءَت فاطمه فأدخلها، ثم جاء علی فأدخله ثم قال: (إنما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت و یطهرکم تطهیراً).

3- الإمام الرازی فی تفسیره ج 2 ص 700 طبع الأستانه. روی أنه (علیه السلام) لما خرج فی المرط الأسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسین فأدخله ثم فاطمه ثم علی ثم قال: إنما یرید الله... الی آخره.

4- ابن الأثیر الجزری فی کتابه: (أسد الغابه فی معرفه الصحابه ج 2 ص 12): عن عمر بن أبی سلمه (ربیب النبی) (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: لما نزلت هذه الآیه علی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): إنما یرید الله- فی بیت أم سلمه فدعی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فاطمه و حسناً و حسیناً فجلّلهم بکساءٍ و علیّ خلف ظهره ثم قال: هؤلاء أهل بیتی فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهیراً. قالت أم سلمه: و أنا معهم یا رسول الله؟ قال: أنتِ علی مکانک، أنت فی خیر.

5- سبط ابن الجوزی فی (تذکره الأئمه ص 244) عن واثله بن الأسقع قال: أتیت فاطمه (علیهاالسلام) أسألها عن علی فقالت: توجَّهَ إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم). فجلست أنتظره فإذا برسول الله قد أقبل و معه علی و الحسن و الحسین، قد أخذ بید کل واحدٍ منهم حتی دخل الحجره فأجلس الحسن علی فخذه الیمنی، و الحسین علی فخذه الیسری، و أجلس علیاً و فاطمه بین یدیه ثم لفَّ علیهم کساه أو ثوبه ثم قرأ: إنما یرید

الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت- الايه- ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى حقاً. 6- الإمام الواحدى فى كتابه: (أسباب النزول) بسنده إلى أم سلمه زوج النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) ذكرت أن رسول الله كان فى بيتها، فأتته فاطمه ببرمه فيها حريره فدخلت بها عليه فقال لها: ادعى لى زوجک و ابنيک.

قالت: فجاء على الحسن و الحسين فدخلوا، فجلسوا يأكلون من تلک الحريره، و هو على دكانٍ (1) و تحته كساء خيبرى.

قالت: و أنا فى الحجره أصلّى، فأنزل الله تعالى: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً، قالت: فأخذ فضلَ الكساء فغشّاهم به، ثم أخرج يديه فألوى بهما إلى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى و حامتى فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً. قالت: فأدخلت رأسى البيت فقلت: أنا معكم يا رسول الله؟

قال: آئل إلى خير، آئل إلى خير.

و نقل الترمذى فى صحيحه: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) كان من وقت نزول هذه الآيه إلى قريب سته أشهر إذا خرج إلى الصلاه يمر بباب فاطمه يقول: الصلاه أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس.. الايه.

7- ابن الصباغ المالكى فى كتابه: (الفصول المهمه ص 7) يروى عن الواحدى قريباً من الحديث الذى مرّ، و ذيّله بقوله: و قال بعضهم فى ذلک شعراً:

1- 85. الدكان: شى ء كالمصلبه يقعد عليه.

إن النبی و وصیّه

و ابنیه و ابنته البتول الطاهره

أهل العباء فإننی بولائهم

أرجو السلامه و النجاه فی الآخره

8- أبوبکر السیوطی فی کتابه: (الدر المنثور ج 5 ص 198) و (الخصائص الکبری ج 2 ص 264) و الإتقان ج 2 ص 200) روی هذا الحدیث بطرق کثیره، متعدده الأسانید تنتهی أسانیدها إلی کل من أم سلمه و عائشه و أبی سعید الخدری و زید بن أرقم و ابن عباس، و الضحاک بن مزاحم، و أبی الحمراء و عمر بن أبی سلمه و غیرهم: إن النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) دعا فاطمه و علیاً و حسناً و حسیناً. لمّا نزلت: إنما یرید الله، فجلّلهم بکساء و قال: و الله هؤلاء أهل بیتی، فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهیراً.

9- الطبری فی (ذخائرالعقبی ص 21): روی عن عمر بن أبی سلمه نزول الآیه فی الخمسه الطیبه، و روی عن أم سلمه أن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)أخذ ثوباً و جلّله فاطمه و علی و الحسن و الحسین و هو معهم، و قرأ هذه الآیه: إنما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت و یطهرکم تطهیراً. قالت: فجئت أدخل معهم فقال: مکانک إنک علی خیر.

و عنها أیضاً: أن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال لفاطمه: ائتی بزوجک و ابنیک. فجاءت بهم و أکفأ علیهم کساء فدکیاً، ثم وضع یده علیهم، ثم قال: اللهم هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتک و برکاتک علی آل محمد إنک حمید مجید. قالت أم سلمه: فرفعت الکساء لأدخل معهم فجذبه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و قال: إنک علی خیر.

10- محمد بن أحمد القرطبی فی کتابه: (الجامع لأحکام القرآن ج 14 ص 182) روی نزول الآیه فی حق أهل البیت (علیهم السلام).

11- ابن العربی فی کتابه: (أحکام القرآن ج 2 ص 166).

12- ابن عبدالبر الأندلسی فی کتابه: (الاستیعاب ج 2 ص 460).

13- البیهقی فی کتابه: السنن الکبری ج 2 ص 149.

14- الحاکم النیسابوری فی کتابه: (المستدرک علی الصحیحین ج 2 ص 416) روی عن أم سلمه قریباً ممّا تقدَّم.... إلی أن قالت: فقال (صلی الله علیه و آله و سلم): اللهم هؤلاء أهل بیتی قالت أم سلمه: یا رسول الله ما أنا من أهل البیت؟ قال: إنک أهلی إلی خیر، و هؤلاء أهل بیتی... الی آخره.

15- الإمام أحمد بن حنبل فی (مسند ج 1 ص 331).

16- النسائی فی کتابه: (الخصائص ص 4).

17- محمد بن جریر الطبری فی تفسیره (ج 22 ص 5).

18- الخوارزمی فی: (کتاب المناقب ص 35).

19- الهیثمی فی: مجمع الزوائد 9 ص 166).

20- ابن حجر الهیثمی فی الصواعق المحرقه ص 85).

انتخبنا هذا العدد و هذه العده من جماعه کثیره من المفسرین و المحدّثین، و لو لا الخوف من الملل لأسهبنا فی ذکر المصادر، و فی هذا المقدار تبصره لمن کان له قلب أو ألقی السمع و هو شهید.

لا أرانی بحاجه إلی المزید من التحدّث حول الموضوع بعد شهاده آیه التطهیر التی یستفاد منها أن الزهراء طاهره- بجمیع معنی الکلمه.

و ستأتیک الأحادیث الکثیره حول کونها بتولاً.

و رعایه لأسلوب الکتاب و بمناسبه اسمها (الطاهره) نذکر ما تیسّر: لقد طهرّها الله عن العاده الشهریه، و عن کل دنس و رجس، و عن کل رذیله، و الرجس: کل أمر تستقذره الطباع، و یأمر به الشیطان، و یحق لأجله العذاب، و یشین السمعه و تقترف به الآثام، و تمجّه الفطره، و تسقط

به المروه.

و ذكر ابن العربى فى (الفتوحات المكيه باب 29) (إن الرجس فيه عباره عن كل ما يشين الإنسان» و هذا معنى العصمه التى تعتقد به الشيعه فى الأنبياء و الأئمه و السيده فاطمه الزهراء، و هى مرتبه عظيمه، و منزله ساميه خص الله بعض عباده.

و ليس من لوازم العصمه تبليغ الأحكام، فإن كانت العصمه لازمه للنبى و الإمام لقيامهما بأعباء التبليغ فليس معنى ذلک أن غيرهما لا يتصف بالعصمه.

و قد احتج الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) على عصمه السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) بآيه التطهير، فى حوار جرى بينه و بين أبى بكر: نذكر بعضه كشاهد لما نحن فيه:

قال على (عليه السلام) لأبى بكر: يا أبابكر أتقرأ كتاب الله؟ قال: نعم. قال: أخبرنى عن قول الله (عز و جل): «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً». فيمن نزلت؟ فينا أو فى غيرنا؟

قال: بل فيكم.

قال: فلو أن شهوداً شهدوا على فاطمه بنت رسول الله بفاحشه ما كنت صانعاً؟

قال: كنت أقيم عليها الحدَّ كما أقيم على نساء المسلمين!!

قال: كنت إذن عند الله من الكافرين.

قال: و لِم؟

قال لأنک رددت شهاده الله لها بالطهاره، و قبلت شهاده الناس

علیها... الی آخره (1) .

و من لوازم هذه الطهاره عدم التنجس بالموت مع العلم أن کل إنسان مهما بلغ فی التقوی و العباده إذا مات نجس جسمه نجاسه مشدّده، بحیث یجب الغسل علی مَن مسَّ ذلک المیت بعد برده، و لا یطهر المیت إلا بالتغسیل، و لکن المعصومین کانوا مطهرین فی حیاتهم و بعد موتهم.

فی کتاب الشیعه عن الحسن بن عبید قال: کتبت إلی الصادق (علیه السلام): هل اغتسل أمیرالمؤمنین حین غسَّل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) عند موته؟فأجاب: «النبی طاهر مطهَّر، و لکن فعل أمیرالمؤمنین و جرت به السُنه (2) .

وسیأتیک المزید من التفصیل فی أواخر هذا الکتاب فی باب تغسیلها، إن شاءالله.

1- 86. البحار: ج 43.
2- 87. وسائل الشیعه ج 2 ص 928، ح 7.

حدیث کساء

اشاره

و قد روی فی کتب الشیعه حول نزول آیه التطهیر حدیث اشتهر بحدیث الکساء و هو-کما فی عوالم الکبیر عن جابر بن عبدالله الأنصاری:

عن فاطمه الزهراء بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أنها قالت: دخل علیَّ أبی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فی بعض الأیام فقال: السلام علیک یا فاطمه. فقلت: و علیک السلام. فقال: إنی أجد فی بدنی ضعفاً. فقلت له: أعیذک بالله یا أبتاه من الضعف. فقال: یا فاطمه ائتینی بالکساء الیمانی و غطِّنی به.

قالت فاطمه (علیهاالسلام): فأتیته بالکساء الیمانی فغطَّیته به و صرت أنظر إلیه و إذا وجهه یتلألأ کأنه البدر فی لیله تمامه و کماله.

قالت فاطمه: فما کانت إلاَّ ساعه و إذا بولدی الحسن (علیه السلام) قد أقبل و قال: السلام علیک یا أماه. فقلت: و علیک السلام یا قره عینی و ثمره فؤادی.قال لی: یا أماه إنی أشم عندک رائحه طیبه کأنها رائحه جدی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فقلت: نعم یا ولدی إن جدک نائم تحت الکساء فأقبل الحسن (علیه السلام) نحو الکساء و قال: السلام علیک یا جداه، السلام علیک یا رسول الله أتأذن لی أن أدخل معک تحت الکساء؟ فقال: و علیک السلام یا ولدی و صاحب حوضی قد أذنت لک. فدخل معه تحت الکساء.

قالت: فما كان إلاّ ساعه و إذا بولدی الحسین (علیه السلام) قد أقبل و قال: السلام علیک یا أماه. فقلت: و علیک السلام یا قره عینی و ثمره فؤادی فقال لی: یا أماه إنی أشم عندک رائحه طیبه کأنها رائحه جدی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فقلت: نعم، إن جدَّک و أخاک تحت الکساء. فدنی الحسین) (علیه السلام) نحو الکساء و قال: السلام علیک یا جدَّاه، السلام علیک یا من اختاره الله، أتأذن لی أن أکون معکما تحت هذا الکساء؟

قال (صلی الله علیه و آله و سلم): و علیک السلام یا ولدی و شافع أمتی قد أذنت لک. فدخل معهما تحت الکساء.

قالت فاطمه (علیهاالسلام) فأقبل عند ذلک أبوالحسن علی بن أبی طالب (علیه السلام) و قال: السلام علیک یا بنت رسول الله.

فقلت: و علیک السلام یا أباالحسن یا أمیرالمؤمنین.

فقال: یا فاطمه إنی أشم عندک رائحه طیبه کأنها رائحه أخی و ابن عمی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

فقلت: نعم، ها هو مع ولدیک تحت الکساء.

فأقبل أمیرالمؤمنین (علیه السلام) نحو الکساء و قال: السلام علیک یا رسول الله أتأذن لی أن أکون معک تحت هذا الکساء؟

قال له: و علیک السلام یا أخی و خلیفتی و صاحب لوائی قد أذنت لک. فدخل علی (علیه السلام) تحت الکساء.

ثم أتت فاطمه (علیهاالسلام) و قالت: السلام علیک یا أبتاه السلام علیک یا رسول الله أتأذن لی أن أدخل معکم تحت هذا الکساء؟

قال لها: و علیک السلام یا بنتی و بضعتی قد أذنت لکِ. فدخلت فاطمه معهم تحت الکساء.

فلما اكتملوا و اجتمعوا تحت الكساء أخذ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بطَرفى الكساء و أومأء بيده اليمين إلى السماء و قال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتى و خاصَّتى و حامَّتى لحمهم لحمى، و دمهم دمى، يؤلمنى ما يؤلمهم و يُحرجنى ما يُحرجهم (1) أنا حرب لمن حاربهم، و سلم لمن سالمهم، و عدوٌ لمن عاداهم، و محب لمن أحبَّهم، إنَّهم منى و أنا منهم، فاجعل صلواتک و برکاتک و رحمتک و غفرانک و رضوانک علىَّ و علیهم، و أذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهیراً.

قال الله (عز و جل): یا ملائکتی و یا سکان سماواتی إنی ما خلقت سماءً مبنیه، و لا أرضاً مدحیَّه، و لا قمراً منیراً، و لا شمساً مضیئه، و لا فلکاً یدور، و لا بحراً یجری، و لا فُلکاً تسری إلاَّ فی محبّه هؤلاء الخمسه الذین هم تحت الکساء.

فقال الأمین جبرئیل: یا رب من تحت الکساء؟

فقال الله (عز و جل): هم أهل بیت النبوه و معدن الرساله، هم فاطمه و أبوها و بعلها و بنوها.

فقال جبرئیل: یا رب أتأذن لی أن أهبط إلی الأرض لأکون لهم سادساً؟

فقال الله (عز و جل): قد أذنت لک.

فهبط الأمین جبرئیل فقال: السلام علیک یا رسول الله! العلی الأعلی یقرئک السلام، و یخصّک بالتحیه و الإکرام و یقول لک: و عزتی و جلالی! إنی ما خلقت سماءً مبنیه، و لا أرضاً مدحیَّه، و لا قمراً منیراً و لا شمساً مضیئه، و لا فلکاً یدور، و لا بحراً یجری و لا فُلکاً تسری إلاَّ لأجلکم، و قد

1- 88. و فی نسخه: و یحزننی مایحزنهم.

أذن لی أن أدخل معکم تحت الکساء، فهل تأذن لی أن أدخل أنت یا رسول الله؟ فقال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): و علیک السلام یا أمین وحی الله قد أذنت لک. فدخل جبرئیل معهم تحت الکساء فقال: إن الله قد أوحی إلیک (1) یقول: إنما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت و یطهرکم تطهیراً.

فقال علی بن أبی طالب: یا رسول الله أخبرنی ما لجُلُوسِنا هذا تحت الکساء من الفضل عند الله؟

فقال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): و الذی بعثنی بالحق نبیاً، و اصطفانی بالرساله نجیاً ما ذُکر خبرنا هذا فی محفل من محافل أهل الأرض و فیه جمع من شیعتنا و محبّینا إلاَّ و نزلت علیهم الرحمه و حفّت بهم الملائکه، و استغفرت لهم إلی أن یتفرقوا.

فقال علی (علیه السلام): إذن- و الله- فزنا و فازت شیعتنا و ربِّ الکعبه. فقال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): و الذی بعثنی بالحق نبیاً، و اصطفانی بالرساله نجیاً ما ذکر خبرنا هذا فی محفل من محافل أهل الأرض و فیه جمع من شیعتنا و محبّینا و فیهم مهموم إلاَّ و فرّج الله همَّه، و لا مغموم إلاَّ و کشف الله غمه، و لا طالب حاجه إلاَّ و قضی الله حاجته.

فقال علی (علیه السلام) اذن- و الله- فزنا و سعدنا و کذالک شیعتنا فازوا و سعدنا و کذالک شیعتنا فازوا و سعدوا فی الدنیا و الاخره. انتهی.

الشیعه و حدیث الکساء

لقد جرت السیره عند الشیعه- طوال القرون و العصور- علی تلاوه

1- 89. و فی نسخه: فقال لابی: ان الله قد اوحی الیکم یقول...

حدیث الکساء فی المجالس و المجامع و المحافل، للتبرک و استجابه الدعاء و نزول الرحمه الالهیه.

و هناک الاثارالعجیبه التی ظهرت ببرکه تلاوه هذا الحدیث الشریف، من شفاء المرضی و قضاء الحوائج و رفع الشدائد و المکاره.

و قد روی حدیث الکساء هذا، فی المصادرالتالیه:

1- غرر الاخبار للدیلمی صاحب کتاب ارشاد القلوب، و هو من علماء القرن الثامن الهجری.

2- المنتخب للطریحی صاحب کتاب مجمع البحرین.

3- نهج المحجه فی فضائل الائمه للشیخ علی نقی بن احمد الاحسائی، و هو من علماء القرن الثانی عشر.

4- عوالم العلوم للشیخ عبدالله افندی البحرانی... فقد رواه باسانید علیه متصله، عن سلسله من العلماء العظام، فیهم العلامه الحلی و الشیخ الطوسی و الشیخ المفید و ابن قولویه و علی بن ابراهیم صاحب التفسیر و الشیخ الکلینی و غیرهم.

کما افرد بعض العلماء کتبا مستقله حول هذا الحدیث و شرحه و بیان طرقه.

هذا... و من اراد التفصیل فلیراجع کتاب احقاق للقاضی نورالله التستری ج 2 ص 558.

الشعراء و حدیث الکساء

کما کان للشعراء دور کبیرفی نظم هذا الحدیث الشریف و صیاغته فی قوالب شعریه رائعه، باللغه العربیه و الفارسیه و الهندیه «الاردو».

و منهم السید الاجل السید محمد القزوینی بن السید مهدی القزوینی

النجفى الحلى، حيث نظم هذا الحديث الشريف فى القصيده التاليه:

ووت لنا فاطمه خير النساء

حديث أهل الفضل أصحاب الكساء

تقول: إن سيد الأنام

قد جاءنى يوماً من الأيام

فقال لى: إنى أرى فى بدنى

ضعفاً أراه اليوم قد أنحلنى

قومى عَلىَّ بالكساء اليمانى

و فيه غطينى بلا توانى

قالت: فجئته و قد لبيته

مسرعةً و بالكساء غطيّته

و كنت أرنو وجهه كالبدر

فى أربع بعد ليال عشر

فما مضى إلاَّ يسير من زمن

حتى أتى أبومحمد الحسن

فقال: يا أماه إنى أجد

رائحه طيبه أعتقد

بأنها رائحه النبىِّ

أخ الوصى المرتضى على

قلت: نعم هاهو ذا تحت الكسا

مدثَّرٌ به، مغطىً و اكتسى

فجاء نحوه ابنه مسلماً

مستأذناً قال له: أدخل مكرماً

فما مضى إلاَّ القليل إلاَّ

جاء الحسين السبط مستقلا

فقال يا أم أشمّ عندكِ

رائحه كأنها المسک الذكى

وحقِّ من أولاک منه شرفاً

أظنها ريح النبى المصطفى

قلت: نعم تحت الكساء هذا

بجنبه أخوک فيه لاذا

فأقبل السبط له مستأذناً

مسلّماً قال له: أدخل معنا

وما مضى من ساعه إلاَّ و قد

جاء أبوهما الغضنفر الأسد

أبوالأئمه الهداه النُّجبا

المرتضى رابع أصحاب الكسا

فقال يا سيده النساء

و منِ بها زُوِّجتُ فى السماء

إنى أشمّ فى حماک رائحه

كأنها الورد الندىّ فايحه

يحكى شذاها عَرف سيد البشر

و خير من لبَّى و طاف و اعتمر

ص: 85

قلت: نعم تحت الكساء التحفا

و ضمّ شبليک و فيه اکتنفا

فجاء يستأذن منه سائلاً

منه الدخول قال: فأدخل عاجلا

قالت: فجئت نحوهم مسلّمه

قال: ادخلی محبوّه مکرّمه

فعندما بهم أضاء الموضع

و کلّهم تحت الکساء اجتمعوا

نادی إله الخلق جل و علا

يُسمع أملاک السموات العلی

أقسم بالعزه و الجلال

و بارتفاعی فوق کل عالی

ما من سما رفعتها مبنيه

و ليس أرض فی الثری مدحيه

و لا خلقت قمراً منيرا

کلاَّ و لا شمساً أضاءت نورا

و ليس بحر فی المياه يجری

کلاَّ و لا فُلک البحار تسری

إلاَّ لأجل من هم تحت الکسا

من لم يكن أمرهم ملتبسا

قال الأمين: قلت: يا رب و من

تحت الكسا؟ بحقهم لنا أبِن

فقال لى: هم معدن الرساله

و مهبط التنزيل و الجلاله

و قال: هم فاطمه و بعلها

و المصطفى و الحسنان نسلها

فقلت: يا رباه هل تأذن لى

أن أهبط الأرض لذاک المنزل

فأغتدى تحت الكساء سادساً

كما جعلتُ خادماً و حارسا؟

قال: نعم. فجاءهم مسلّما

مسلماً يتلو عليهم إنما

يقول: إنَّ الله خصّكم بها

معجزه لمن غدا منتبها

أقرأكم ربُّ العلا سلامه

و خصّكم بغايه الكرامه

و هو يقول معلناً و مفهما

أملاكه الغر بما تقدما

قال على: قلت: يا حبيبى

ما لجلوسنا من النصيب؟

قال النبى: و الذى اصطفانى

و خصّنى بالوحى و اجتبانى

ما إن جر ى ذكر لهذا الخبرِ

فى محفل الأشياع خير معشر

إلاَّ و أنزل الإله الرحمه

و فيهم حفَّت جنود جمَّه

ص: 86

من الملائكه الذين صدقوا

تحرسهم فى الدهر ما تفرقوا

كلاًّ و ليس فيهم مغموم

إلاَّ و عنه كُشفت هموم

كلاًّ و لا طالب حاجه يرى

قضاءها عليه قد تعسّرا

إلاَّ قضى الله الكريم حاجته

و أنزل الرضوان فضلاً ساحته

قال علىٌ: نحن و الأحباب

أشياعنا الذين قدماً طابوا

فُزنا بما نلنا و ربِّ الكعبه

فليشكرنَّ كلُ فَردٍ ربَّه

يا عجباً يستأذنُ الأمين

عليهم و يهجمُ الخئون

قال سُليمٌ: قلتُ: يا سلمان

هل دخلوا و لم يک استئذان

فقال: أى و عزَّه الجبار

ليس على الزهراءِ من خمار

لكنها لاذت وراء الباب

رعايه للستر و الحجابِ

فمذ رأوها عَصَروها عصره، كادت، بروحى

أن تموت حسره

تصيح: يا فضهُ أسندينى

فقد و ربى قتلوا جنينى

فأسقطت بنت الهدى واحزنا

جنينها ذاک المسمَّى مُحسنا

ص: 87

الزکیه

لقد وردت کلمات فی القرآن الکریم مشتقه من التزکیه فی مواضع عدیده کقوله تعالی: «قد افلح من زکاها» و قوله: «اقتلت نفسا زکیه» و قوله: «لاهب لک غلاما زکیا» و قوله «ذلک ازکی لکم واطهر».

و هذه الکلمه تستعمل فی التطهیر و النمو، فالآیه الاولی معناها: قد افلح من زکی نفسه بالتطهیر من الاخلاق الذمیمه، الناشئه من شر البطن و الکلام و الغضب و الحسد و البخل، و حب الجاه و حب الدنیا و الکبر و العجب.

فالتطهیر من هذه الصفات یکون بالتجرد عنها، و بالعمل الصالح الذی هو ضد البخل و الکبر، و ماشا به ذلک.

و معنی الایه الثانیه: اقتلت نفسا طاهره لم تصدر منها جنایه او ای عمل یوجب قتلها. و معنی الایه الثالثه: ای غلاما طاهرا من الذنوب، تاما فی افعال الخیر. و السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) زکیه بجمیع هذه المعانی و المفاهیم، و فی آیه التطهیر کفایه لاثبات هذه الامور، فهی زکیه ای مطهره من کل رجس، و قد ذکرنا معانی (الرجس) عند البحث عن آیه التطهیر.

و اما الایه التی معناها النمو و الزیاده فان السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) زکیه بذالک المعنی ایضا، و قد ذکرنا بعض ما یتعلق بهذا الموضوع فی معنی کلمه (المبارکه).

الرضا بما قدَّر الله تعالى لعبده يعتبر من أعلى درجات الإيمان بالله (عز و جل)، و قد رضيت السيده فاطمه الزهراء بما قدر لها من مراره الحياه، و هذا الكتاب كله يحدثک عن المصائب و النوائب التى انصبّت عليها، منذ نعومه أظفارها إلى أن فارقت الحياه فى عنفوان شبابها، و=هى فى جميع تلک المراحل راضيه بما كتب الله لها من خوف و اضطهاد و حرمان و فقر و أحزان و هموم و غموم و مآسى و آلام، و ستجد شيئاً من تلک المكاره التى امتزجت بحياتها تجدها فى هذا الكتاب، و يجدر بها أن يشملها قوله تعالى: (يا أيتها النفس المطمئنه ارجعى إلى ربک راضيه مرضيه) لأنها راضيه بثواب الله، راضيه عن الله بما أعد الله لها، راضيه بقضاء الله فى الدنيا حتى رضى الله عنها.

إن درجه المرضیین عند الله تعالی درجه عالیه، و منزله سامیه فهناک القلیل من عباد الله الذین رضی الله عنهم فکانوا مرضیین عند الله تعالی بسبب اعتدالهم و استقامتهم.

و من جمله الذین فازوا بتلک المنزله الرفیعه و الدرجه الراقیه هی سیدتنا فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) فإن الله تعالی قد رضی عنها، احسن الرضا، فکانت مرضیه عنده لعبادتها و طاعتها، مرضیه لزهدها و انفاقها، مرضیه لصبرها و استقامتها.

و قد روی الحافظ العسقلانی عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) انه قال: «اتانی جبرئیل فقال: یا محمد ان ربک یحب فاطمه فاسجد، فسجدت...»الی آخره (1) .

کما روی الذهبی ان جبرئیل نزل علی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) عند والده فاطمه فقال: «... الله یقروک السلام، و یقری ء مولودک السلام» (2) .

1- 90. لسان المیزان لابن حجر العسقلانی ج 3 ص 275 طبعه حیدر آباد.
2- 91. میزان الاعتدال للذهبی ج 2 ص 26 طبعه القاهره.

قبل کل شی ء ینبغی أن نعلم: هل تتحدث الملائکه مع غیر النبی؟ و هل یراهم غیر النبی؟ أو یسمع أصواتهم؟

للإجابه علی هذه الأسئله نراجع القرآن الکریم للتحقیق عن الجواب الصحیح: 1- قال تعالی: «و إذ قالت الملائکه یا مریم إن الله اصطفاک و طهَّرک و اصطفاک علی نساء العالمین یا مریم اقنتی لربّک و اسجدی و ارکعی مع الراکعین» (1) .

إن صریح هذه الآیه أن الملائکه خاطبت مریم بما مرّ علیک من کلمات الثناء و الأوامر الإلهیه.

و لا شک أنها کانت تسمع نداءهم و تفهم خطابهم و إلا فما فائده هذا الخطاب؟ و قیل: الذی خاطبها هو جبرئیل وحدهِ (2) .

2- قل سبحانه: «و اذکر فی الکتاب مریم إذ انتبذت من أهلها مکاناً شرقیاً فاتخذت من دونهم حجاباً، فأرسلنا إلیها روحنا فتمثَّل لها بشراً سویا قالت إنی أعوذ بالرحمن منک إن کنت تقیاً، قال إنما أنا رسول ربّک لأهب لک غلاماً زکیاً، قالت أنّی یکون لی غلام و لم یمسسنی بشر و لم أکُ بغیّاً، قال کذلک قال ربک هو علیَّ هیِّن، و لنجعله آیه للناس،

1- 92. آل عمران: 41.
2- 93. مجمع البیان فی تفسیر الایه.

و رحمةً و كان أمراً مقضياً» (1) .

لقد أجمع المفسرون أن المقصود من «روحنا» هو جبرئيل، تمثّل لها بصوره آدمى صحيح، لم ينقص منه شى ء فانتصب بين يديها، و جرى بينهما الكلام و الحوار.

3- قال سبحانه: «و امرأته قائمه فضحكت فبشّرناها بإسحاق و من وراء إسحاق يعقوب. قالت يا ويلتى ءألد و أنا عجوز و هذا بعلى شيخاً إنّ هذا لشى ء عجيب قالوا: أتعجبين من أمر الله رحمه الله و بركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد» (2) .

إن هذه الآيات تتعلق بمجى ء الملائكه إلى دار إبراهيم الخليل (عليه السلام) لتبشّره بالولد، و كانت زوجته ساره تخدم و تحمل الطعام إليهم ظناً منها أنهم ضيوف.

و هذه الايات صزيخه بان ساره قد تكلمت مع الملائكه، و خاطبتها الملائكه بما مر عليک من الايات.

4- قال (عز و جل): «وأوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيه فإذا خفتِ عليه فألقيه فى اليم» (3) .

و قد ذكر المفسرون معنى (أوحينا) أى ألهمنا، و قذفنا فى قلبها، و على قول: إنها نوديت بهذا الخطاب.

و قد ذكر المنّاوى فى شرح الجامع الصغير ج 2 ص 270 عن القرطبى قال: (محدَّثون) بفتح الدال اسم مفعول، جمع محدَّث أى مُلهَم، أو صادق الظن و هو مَن أُلقى فى نفسه شى ء على وجه الإلهام و المكاشفه من

1- 94. مريم: 16- 21.
2- 95. هود: 70- 73.
3- 96. القصص: 7.

الملأ الأعلى، أو مَن يجرى الصواب على لسانه بلا قصد، أو تكلِّمه الملائكه بلا نبوه، أو من إذا رأى رأياً أو ظنَّ ظناً أصاب كأنه حُدِّث به و ألقى فى روعه من عالم الملكوت، فيظهر على نحو ما وقع له، و هذه كرامه يكرم الله بها من يشاء من صالحى عباده، و هذه منزله جليله من منازل الأولياء.»

أقول: بعد هذه المقدمات سوف لا يصعب عليک أن تعرف أن السيده فاطمه الزهراء كانت محدَّثه، إذ ليست سيده نساء العالمين و بنت سيده الأنبياء و المرسلين بأقلِّ شأناً من مريم بنت عمران أو ساره زوجه إبراهيم أو أم موسى، و ليس معنى ذلک أن مريم أو ساره أو أم موسى كنَّ من الأنبياء، و هكذا ليس معنى ذلک أن السيده فاطمه الزهراء كانت نبيه.

و قد روى الشيخ الصدوق فى (علل الشرائع) عن زيد بن على قال: سمعت أن أباعبدالله (الصادق) يقول إنَّما سمِّيت فاطمه محدَّثه (بفتح الدال) لأن الملائکه كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادى مريم بنت عمران، فتقول الملائکه: يا فاطمه إن الله اصطفاک و طهَّرک و اصطفاک على نساء العالمين (1) .

قال الإمام الصادق (عليه السلام) لأبى بصير....: و إن عندنا لمصحف فاطمه، و ما يدريهم ما مصحف فاطمه؟ قال: فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، و الله ما فيه من قرآنكم حرف واحد و إنما هو شى ء أملاه الله عليها و أوحى إليها... الى آخر حديث (2) .

إن هذا الحديث يكشف لنا أموراً قد تحتاج إلى بحث و تحقيق، فقول الإمام (عليه السلام): «فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات» يريد بذلک حجم

1- 97. علل الشرائع: ص 182 باب 146 ح 1.
2- 98. الكافى: ج 1 ص 238 ح 1.

المصحف، و كميه المواد الموجوده فيه، و حيث أن القرآن كتاب معروف و مشهور عند جميع المسلمين فى كل زمان و مكان من حيث الحجم و السور و الآيات و الكميه.

و لهذا جعل الإمام (عليه السلام) القرآن مقياساً و ميزاناً يقيس عليه مصحف فاطمه (عليهاالسلام) من حيث الحجم و كميه المواد.

فمثلاً: لو أن قرآناً طبع بحروف متوسطه، و صفحات حجمها متوسط، فلنفرض أن عدد تلک الصفحات تبلغ خمسمائه صفحه فلو طبعنا مصحف فاطمه (عليهاالسلام) بنفس تلک الحروف و نفس حجم تلک الصفحات لبلغ عدد صفحات مصحف فاطمه (عليهاالسلام) ألفاً و خمسمائه صفحه، أى ثلاثه أضعاف صفحات القرآن، و هذا معنى كلام الإمام (عليه السلام): (فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات) و ليس معناه أن القرآن الموجود بين أيدينا ناقص، و أن مصحف فاطمه مكمِّل له.

كلاّ و ألف كلاّ.

و ليس معناه أن الله أنزل على السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) قرآناً. و كل من ادَّعى غير هذا فهو إمَّا جاهل أو معاند مفتر كذّاب.

و أما كلمه: المصحف (و إن كان هذا الاسم) يستعمل فى زماننا هذا اسماً للقرآن و لكنه فى اللغه يستعمل فى الكتب.

قال الرازى فى مختار الصحاح: (و المصحف- بضم الميم و كسرها- و أصله الضم، لأنه مأخوذ من (أصحف) أى جُمعت فيه الصحف.

و فى المنجد: المَصحف و المُصحف جمعه مصاحف: ما جُمع من الصحف بين دفَّتى الكتاب المشدود.

و فى صراح اللغه:-

مصحف- بالكسر و الضم- كراسه.

قال الفراء و قد استثقلت العرب الضمه فى حروف فكسروا ميمها، و أصلها الضم من ذلک مصحف و مخدع و مطرف... لأنها فى المعنى مأخوذه من أصحف أى جمعت فيه الصحف.

و فى المصباح المنير:- و الصحيفه قطعه من جلد أو قرطاس كتب فيه... و الجمع صُحُف بضمتين و صحائف... و المصحف بضم الميم أشهر من كسرها.

و فى أقرب المُوارد:- المُصحف اسم مفعول... و حقيقتها مجمع الصحف أو ما جمع منها بين دفتى الكتاب المشدود... و فيه لغتان أخريان و هما المِصحف و المَصحف جمعه مصاحف.

و فى لسان العرب:-

المُصحف و المِصحف الجامع للصُّحف المكتوبه بين الدفتين كأنه أُصحِف، و الكسر و الفتح فيه لغه.

ايها القارى الكريم: اليک الآن هذاالحديث الشريف الذى يتحدث فيه الامام الصادق (عليه السلام) عن معنى المحدثه و «مصحف فاطمه»:...

فى بحارالانوار ج 43:... و ساله بعض اصحابه عن مصحف فاطمه.

فسكت الإمام طويلاً، ثم قال: إنكم لتبحثون عما تريدون و عما لا تريدون!

إن فاطمه مكثت بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) خمسه و سبعين يوماً، و كان دخلها حزن شديد على أبيها، و كان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاها على أبيها، و يطيب نفسها و يخبرها عن أبيها و مكانه

و یخبرها بما یکون بعدها، و کان علی (علیه السلام) یکتب ذلک، فهذا مصحف فاطمه. و الحسین بن أبی العلا یروی عن الإمام الصادق (علیه السلام) قوله:... و مصحف فاطمه، ما أزعم أن فیه قرآناً، و فیه ما یحتاج الناس إلینا، و لا نحتاج إلی أحد، حتی أن فیه الجلد بالجلده، و نصف الجلده، و ربع الجلده و أرش الخدش.. الی آخره.

و فی حدیث آخر قال (علیه السلام): و أما مصحف فاطمه (علیهاالسلام) ففیه ما یکون من حادث، و أسماء من یملک إلی أن تقوم الساعه.

بقی الکلام حول جمله (أوحی إلیها) فالمستفاد من القرآن أن الوحی من الله لا یختص بالأنبیاء، بل یوحی الله تعالی إلی غیر الأنبیاء أیضاً، استمع إلی هذه الآیات البیِّنات:

1- «فقضیهن سبع سموات فی یومین وأوحی فی کل سماء أمرها» (1) .

2- «و إذا أوحیت إلی الحواریین أن آمنوا بی و برسولی» (2) .

3- «إذ یوحی ربّک إلی الملائکه أنی معکم فثبّتوا الذین آمنوا» (3) .

4- «و أوحی ربک إلی النحل أن اتخذی من الجبال بیوتاً» (4) .

5- «و أوحینا إلی أم موسی أن أرضعیه» (5) .

6- «و إذ أوحینا إلی أمک ما یوحی» (6) .

هذه بعض الآیات التی تصرح بأن الوحی لا یختص بالأنبیاء، بل لا یختص بالبشر، فلقد أوحی الله تعالی إلی کل سماء، و أوحی إلی الحواریین و إلی الملائکه و إلی النحل و إلی أم موسی، فلا یصعب علیک أن تقبل بأنَّ الله تعالی أوحی إلی سیده نساء العالمین و بنت سید الأنبیاء

1- 99. فصلت 10.
2- 100. المائده 111.
3- 101. الانفال 12.
4- 102. النحل. 7.

5- 103. القصص 6.
6- 104. طه 39.

و المرسلين فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) و كما تقول فى تفسير الوحى إلى أم موسى قل فى تفسير الوحى إلى فاطمه الزهراء.

و ختاماً لهذا البحث: إن مصحف السيده فاطمه الزهراء كتاب ضخم، يحتوى على جميع الأحكام الشرعيه بالتفصيل، و يستوعب قانون العقوبات فى الإسلام، حتى بعض المخالفات التى عقوبتها جلده واحده أو نصف جلده أو ربع جلده، بل و حتى غرامه من خدش جسم أحد من الناس خدشه واحده.

و فيه أسماء ملوک العالم الذين حكموا البلاد من ذلک اليوم و سيحكمون إلى قيام القيامه، كل ذلک كان فى علم الله الذى هو بكل خلق عليم و بكل شى ء خبير بصير محيط.

و فيه ذكر الحوادث المهمه من الملاحم و المجازر التى تحدث فى الكون و غير ذلک من القضايا المهمه.

و ليس فيه شى ء من القرآن كما هو صريح الحديث.

و لقد أطلنا البحث و الكلام حول هذا الموضوع لأن بعض أصحاب النفوس المريضه و القلوب السقيمه اعتبروا هذا الحديث مرتعاً خصباً للتهريج و التشنيع ضد الشيعه و التشيّع، كأنهم لم يقرأوا هذه الآيات أو لم يفهموها أو تناسوها فهاجموا الشيعه مهاجمه شعواء فقالوا ما قالوا، و حسابهم على الله يوم فصل القضاء.

عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) انه قال: «... فخلق الله نور فاطمه الزهراء- يومئذ- كالقنديل، و علقه فى قرطا العرش، فزهرت السماوات السبع و الارضون السبع، من اجل ذلک سميت فاطمه: الزهراء» (1) .

و عن ابن عباس قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم):

«و أما ابنتى فاطمه فإنها سيده نساء العالمين من الأولين و الآخرين، و هى بضعه منى و هى نور عينى، و هى ثمره فؤادى و هى روحى التى بين جنبىّ، و هى الحوراء الإنسيه متى قامت فى محرابها بين يدى ربها (جل جلاله) زهر نورها لملائكه السموات كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض (2) .

و بهذين الحديثين اتضح لنا سبب تسميتها (عليهاالسلام) الزهراء، و هناک أحاديث أخرى بهذا المضمون، و إنها كانت تتمتع بوجه مشرق مستنير زاهر، و فيما ذكرنا كفايه.

و لسيدتنا فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) أسماء غير التى مرّت عليک و كل اسم يدل على فضيله و مزيه امتازت بها السيده الزهراء، منها: البتول، العذراء، الحانيه (من الحنو) بسبب كثره شفقتها و عطفها على اولادها.

و كنيتها: أم أبيها، و هى من أفضل كناها.

1- 105. بحارالانوار ج 43 ص 17.
2- 106. امالى الصدوق/ بحار الانوار ج 43.

البتول

اعلم أنَّ الله تعالى قد جعل فى مخلوقاته- من الجماد و النبات و الحيوان و الإنسان- قوانين و سُنَن، و جعل تلک المخلوقات خاضعه لتلک القوانين. فالنار طبيعتها الإحراق و هذه سُنّه الله فى النار.

و النبات يحتاج إلى زمان محدود و مكان معيّن بشروط خاصه حتى ينمو و يكبر و يثمر. أنظر إلى الحبه التى تزرع، و العوامل التى تساعدها على أن تنبت من الأرض، و الزمان المعيّن لنموِّها !.. و هذه سُنّه الله فى النباتات.

و كذلک الحيوانات جعلها الله خاضعه لقوانين خاصه و أحجامها و ألوانها و غير ذلک. و الإنسان كذلک خاضع لقوانين كونيه، و طبائع جسميه و نفسيه و روحيه، و لكن الله تعالى جعل أولياءه فوق تلک القوانين و السنن فى ظروف خاصه لحكمته البالغه.

و بعباره أخرى: جعل الله تلک القوانين هى الخاضعه لأوليائه بإذنه.

أنظر إلي النار المحرقه، التى تحرق كل ما أصابته، و لكن الله تعالى جعل النار برداً و سلاماً على إبراهيم الخليل (عليه السلام).

و كذلک أنبت الله على نبيه يونس (عليه السلام) شجره من يقطين، بعد أن نبذه الحوت بالعراء و هو سقيم، مع العلم أن حبه اليقطين تحتاج إلى مده غير قصيره،حتى تنبت وتورق وتستر بوَرقها جسم إنسان أو غير إنسان، و هكذا جعل الله النبات خاضعاً لوليه يونس (عليه السلام).

و التناسل لا يمكن إلاّ بالتلقيح، و انتقال نطفه الرجل إلى رحم المرأه، و تطوُّر النطفه إلى علقه إلى مضغه إلى عظام إلى خلق آخر، و إلى أن يكمل الجنين خلال سته أشهر على أقل التقادير، أو تسعه أشهر كما هو الغالب.

هذه سنه الله فى قانون التناسل بين البشر، و لكن هذه السُنه و هذا القانون كان خاضعاً لمريم إذ حملت بعيسى (عليه السلام) و لم يمسسها بشر، و حملت و بلدها فانتبذت به مكاناً قصياً، فأجاءها المخاض إلى جذع النخله، فوضعت بعيسى، كل ذلک خلال تسع ساعات أو ست ساعات فقطِ (1) .

و على هذا الغرار كانت المعجزات تصدر عن الأنبياء و الأوصياء عن طريق خرق العاده و الطبيعه.

هذا و الأمثله كثيره جداً، تجد فى القرآن الكريم طائفه كبيره من القصص التى تحدّى فيها الأنبياء و الأوصياء قانون الطبيعه، كهبوط آدم من الجنه إلى الأرض، و فوران التنور بالماء فى قصه نوح (عليه السلام) و حمْل ساره بإسحاق (عليه السلام) بعد أن كانت عجوزاً عقيماً، و انقلاب العصا حيَّه تسعى فى قصه موسى (عليه السلام) و إبراء الأكمه و الأبرص و إحياء الموتى فى قصه عيسى (عليه السلام) و قصه الإسراء و المعراج فى قصه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و غير ذلک من القضايا الخارقه للعاده و الطبيعه.

و قد ذكرت هذه الفقرات كمقدمه تمهيديه لما يلى:

إن العاده الشهريه التى تراها المرأه فى كل شهر منذ بلوغها حدِّ الأنوثه إلى الخمسين أو الستين من العمر ما هى إلاّ دم فاسد، قد تخزنه فى

1- 107. (مجمع البيان)سوره مريم. ج 6/ 511.

الأوعيه و الأجهزه التى جعلها الله فى جسم المرأه ليكون ذلک الدم غذاء للجنين، فإذا لم يكن جنين فى الرحم سال الدم إلى الخارج، و ربما انقلب إلى اللبن إذا كانت المرأه مرضعه.

قال تعالى: «و يسألونک عن المحيض قل هو أذىً» أى إن دم الحيض ماده ضارّه، مؤذيه فى جسم المرأه، فلابدَّ من خروجها لتنجو المرأه من أمراض و أعراض.

و فى فتره العاده الشهريه تحدث حوادث جسميه و روحيه للمرأه تغيِّر ملامحها، و لون وجهها، بل و أخلاقها و نفسيِّتها و من الممكن معرفه الحائض من ملامح وجهها و عينيها، بل من نظراتها و حركاتها، و هذا النزيف لا يشبه النزيف الطبيعى العادى الذى يصاب به الإنسان، بل يختلف عن ذلک اختلافاً كثيراً.

إن العاده الشهريه حينما تحدث للمرأه تشعر بشى ء من الانفعال و الخجل و الانكسار و إن كان الأمر خارجاً عن إرادتها و اختيارها، و لكنها تتألم بهذا الحادث الذى لا يحسن التصريح به لكل أحد، و خاصه للرجال، و النزيف و حاله الانفعال توجد فى المرأه ضعفاً و انكساراً فى جسمها و روحها.

و لهذا سقط عنها حكم الصلاه و الصوم خلال فتره العاده، و حرَّم الله عليها اللبث فى المساجد و دخول المسجد الحرام و المسجد النبوى و قراءه سُوَر العزائم الأربع و هى السور التى فيها آيات السجده الواجبه و غير ذلک مما هو مذكور فى الكتب الفقهيه.

و نفس هذه الأحكام تجرى فى أيام النفاس لنفس الأسباب التى مرّ ذكرها. و لكن الله تعالى كره لسيده النساء فاطمه الزهراء أن تتلوّث بهذه

القذاره المعنويه، فأذهب الله عنها الرجس و طهَّرها تطهيراً.

و هاک طائفه من الأحاديث الصحيحه التی تصرّح بهذا المعنی:

1- روی القندوزی فی ينابيع الموده ص 260 عن رسول الله (صلی الله عليه و آله و سلم): إنما سمِّيت فاطمهُ: البتول لأنها تبتَّلت فی الحيض و النفاس.

2- روی محمد صالح الكشفی الحنفی فی (المناقب) عن النبی (صلی الله عليه و آله و سلم) قال: و سميت فاطمه بتولاً لأنها تبتلت و تقطّعت عما هو معتاد العورات فی كل شهر.

3- روی الأمر تسری فی (أرجح المطالب): أن النبی (صلی الله عليه و آله و سلم)سئل عن بتول وقيل: إنا سمعناک- يا رسول الله- تقول: مريم بتول و فاطمه بتول؟ فقال: البتول التی لم تر حمره قط، أی لم تحض، فإن الحيض مكروه فی بنات الأنبياء. أخرجه الحاكم.

4- و روی الحافظ أبوبكر الشافعی فی (تاريخ بغداد ج 13- ص 331) عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلی الله عليه و آله و سلم): ابنتی حوراء آدميه لم تحض و لم تطمث... الی آخره و رواه النسائی أيضا.

5- و روی ابن عساكر فی (التاريخ الكبير ج 1 ص 391) عن أنس بن مالک عن أم سليم قالت: لم تر فاطمه (رضی الله عنها) دما فی حيض و لا فی نفاس.

6- الحافظ السيوطی: و من خصائص فاطمه (رضی الله عنها) أنها كانت لا تحيض،

7- و روی الرافعی فی التدوين عن أم سلمه (ض) قالت: ما رأت فاطمه (رضی الله عنها) فی نفاسها دما و لا حيضا.

8- روى الطبرى فى (ذخائر العقبى) عن أسماء بنت عُميس قالت: قبلت (أى ولدت) فاطمه بالحسن فلم أر لها دماً فى حيض و لا نفاس، فقال النبى (صلى الله عليه و آله و سلم): «أما علمت أن ابنتى طاهره مطهره، لا يُرى لها دمٌ فى طمث و لا ولاده؟» ورواه الصفورى فى (نزهه المجالس) ص 227.

9- عن أبى بصير عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: حرَّم الله (عز و جل) على على النساء ما دامت فاطمه حيَّه (فى قيد الحياه).

قلت: و كيف؟

قال: لأنها طاهره لا تحيض.

قال شيخنا المجلسى: هذا التعليل يحتمل وجهين:

الأول: أن يكون المراد أنها لما كانت لا تحيض حتى يكون له عذر فى مباشره غيرها فلذا حرَّم الله عليه غيرها رعايه لحرمتها.

الثانى: أن جلالتها منعت من ذلک، و عبَّر عن ذلک ببعض ما يلزمه من الصفات التى اختصت بها.

أقول: و نزاهه السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) عن هذه الدماء تُعتبر من مصاديق آيه التطهير التى تُصرِّح بإذهاب الرجس عنهم و تطهيرهم تطهيراً.

العذراء

لقد مرّ علیک أن من جمله أسمائها: العذراء أی أنها کانت عذراء دائماً، و قد مرّت علیک أحادیث کثیره تصرِّح بأنَّ السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) خُلقت من طعام الجنه، و صرَّح النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) بأنها حوراء إنسیه،و لیس فی هذا التعبیر شی ء من المجاز أو الغلوّ، بل هی الحقیقه والحق.

و نجد إلی جانب تلک الأحادیث قوله تعالی: (إنَّا أنشأنا هن إن شاء فجعلنا هنَّ أبکاراً) و معنی ذلک أنَّ الحور العین أبکار دائماً.

و فی مجمع البیان فی تفسیر الآیه: لا یأتیهن أزواجهن إلاّ و جدوهن أبکاراً.

و الیک هذا حدیث الذی یفسِّر الموضوع تفسیراً کاملاً.

فقد سأل رجل من الإمام الصادق (علیه السلام)- فی ضمن مسائل- قال: فکیف تکون الحوراء فی کل ما أتاها زوجها- عذراء؟

قال: لأنها خلقت من الطیب، لا یعتریها عاهه و لا تخالط جسمها آفه... و لا یدنسها حیض، فالرحم ملتزقه... الی آخر (1) .

1- 108. البرهان فی تفسیر القرآن ج 4/ 281.

لقد فتحت السيده فاطمه الزهراء عينها فى وجه الحياه، و فى وجه أبيها الرسول ترتضع من أمِّها السيده خديجه اللبن المزيج بالفضائل و الكمال.

و كانت تنمو فى بيت الوحى نموًّا متزايداً، و تنبت فى مهبط الرساله نباتاً حسناً، يزقّها أبوها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) العلوم الإلهيه، و يفيض عليها المعارف الربانيه، و يعلّمها أحسن دروس التوحيد، وأرقى علوم الإيمان و أجمل حقائق الإسلام.

و يربّيها أفضل تربيه و أحسنها، إذ وجد الرسول فى ابنته المثاليه كامل الاستعداد لقبول العلوم و وعيها، و وجد فى نفسها الشريفه الطيبه كل الروحانيه و النورانيه، و التهيؤ لصعود مدارج الكمال.

إلى جانب هذا شاءت الحكمه الإلهيه للسيده فاطمه الزهراء أن تكون حياتها ممزوجه بالمكاره، مشفوعه بالآلام و المآسى منذ صغر سنّها، فإنها فتحت عينها فى وجه الحياه و إذا بها ترى أباها خائفاً، يحاربه الأقربون و الأبعدون و يناوئه الكفّار و المشركون.

فربما حضرت فاطمه فى المسجد الحرام فرأت أباها جالساً فى حِجر إسماعيل (عليه السلام) يتلو القرآن، و ترى بعض المشركين يوصلون إليه أنواع الأذى، و يحاربونه محاربه نفسيه.

و حضرت يوماً فنظرت إلى بعض المشركين و هو يُفرغ سلا الناقه (1) .

1- 109. هو الكيس الذى يتكون فيه الجنتين.

على ظهر ابيها الرسول و هو ساجد.

كانت الزهراء تشاهد ذالک المنظر المولم، و تسمح ذالک عن ظهر آبيها و ثيابه،و ترمى القوم بكلمات التحقير و الهاهانه و هم يضحكون منها، شأن السفله الأوباش.

و عن ابن عباس: إن قريشاً اجتمعوا فى الحجر، فتعاقدوا باللات و العزّى و مناه:لو رأينا محمداً لقمنا مقام رجل واحد، و لنقتلنّه، فدخلت فاطمه (عليهاالسلام) على النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) باكيه، و حكت مقالهم... الى آخر كلامه.

واشتدت الأزمه و زادت المحنه حتى اضطر الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يختفى فى شعب أبى طالب، و رافقته عائلته، وآل أبى طالب إلى ذلک المكان، و كانوا يعيشون فى جو من الإرهاب و الإرعاب. ففى كل ليله يتوقعون هجوم المشركين عليهم و خاصه بعد أن كتب المشركون الصحيفه القاطعه، و حاصروا بنى هاشم حصاراً اقتصادياً فلا يدعونهم يبيعون و لا يشترون شيئاً حتى المواد الغذائيه، بل و منعوا إيصال الطعام إليهم، فاستولى الجوع عليهم، و أثَّر فى الأطفال أكثر و أكثر، فلا عجب إذا كانت أصوات بكاء الأطفال تصل إلى مسامع أهل مكه، فبين شامت بهم مسرور، و بين متألِّم حزين.

و طالت المده ثلاث سنين و شهوراً، و كانت السيده فاطمه من الذين شملتهم هذه المأساه.

و هذه المآسى أيقظت فى السيده فاطمه روح الجهاد و الاستقامه و المثابره، و كأنها كانت فتره التمرين و التدريب للمستقبل القريب.

و مما كان يهوِّن الخطب، و يجبر خاطر السيده فاطمه الزهراء و يقرّ عينها أنها كانت ترى البطل الشهم أباطالب يقف ذلک الموقف المشرِّف فى نصره أبيها الرسول فكان تاره يحمل سيفه و يرافقه أخوه حمزه و يمشيان

خلف الرسول نحو المسجد الحرام ليعلن مؤازرته و مناصرته للرسول، و كأنهما جنديان مسلحان فى حاله الإنذار، و ربما انضمّ إلى أبى طالب بعض عبيده و مواليه يمشون خلف الرسول و كأنهم مفرزه عسكريه أو سريه جيش.

و تاره أخرى كان يصرّح بتجاوبه وانحيازه إلى الرسول، فكان بعلن إسلامه إظهاراً للحقيقه، فينظم القصائد التى كان لها أحسن أثر فى ذلک اليوم فى دعم الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم)، و منها:

ما رواه الطبرى بإسناده أن رؤساء قريش لما رأوا دفاع أبى طالب عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) اجتمعوا إليه، و قالوا: جئناک بفتى قريش جمالاً وجوداً و شهامه: عماره بن الوليد، ندفعه إليک و تدفع إلينا ابن أخيک الذى فرّق جماعتنا، و سفّه أحلامنا فنقتله!!

فقال أبوطالب: ما أنصفتمونى! تعطونى ابنكم فأغذوه، و أعطيكم ابنى فتقتلونه؟ بل، فليأت كل امرئ بولده فأقتله، و قال:

منعنا الرسول رسول المليک

ببيض تلألأ كلمع البروق

أذود و أحمى رسول المليک

حمايه حام عليه شفيق

و أقواله و أشعاره المنبئه عن إسلامه كثيره لا تحصى فمن ذلک قوله:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً

نبياً كموسى خطَّ فى أول الكتب؟

أليس أبونا هاشم شدَّ أزره

و أوصى بنيه بالطعان و بالحرب؟

و قوله من قصيده:

و قالوا لأحمد: أنت امرؤ

خلوف اللسان ضعيف السبب

ألا: إن أحمد قد جاءهم

بحق، و لم يأتهم بالكذب

و قوله فى حديث الصحيفه، و هو من معجزات النبى (صلى الله عليه و آله و سلم):

ص: 107

و قد كان أمر الصحيفه عبره

متى ما يخبِّر غائب القوم يعجبِ

محا الله منها كفرهم وعقوقهم

و ما نقموا من ناطق الحق معربِ

و أمسى ابن عبدالله فينا مصدِّقاً

على سخط من قومنا غير معتب

و قوله من قصيده يخص أخاه حمزه على اتباع النبى والصبر فى طاعته:

صبراً أبا يعلى على دين أحمد

و كن مظهراً للدين وُفّقت صابرا

فقد سرنى إذ قلت أنک مؤمن

فكن لرسول الله فى الله ناصراً

و قوله يحض النجاشى (ملک الحبشه) على نصر النبى:

تعلَّمِ (1) مليک الحبش أن محمداً

نبى كموسى و المسيح ابن مريم

أتى بهدىً مثل الذى أتيا به

و كلّ بأمر الله يهدى و يعصم

و إنكم تتلونه فى كتابكم

بصدق حديث، لا حديث المرجّم

فلا تجعلوا لله نداً، و أسلموا

و إن طريق الحق ليس بمظلم

و قال أيضاً:

لقد أكرم الله النبى محمداً

فأكرم خلق الله فى الناس أحمد

و شقّ له من اسمه ليجلّه

فذو العرش محمود، و هذا محمدِ (2) .

و قال أيضاً:

كذبتم و بيتِ الله نبزى محمداً

و لما نطاعن دونه و نناضلِ

و نُسلمه حتى نُصرَّع حوله

و نذهل عن أبنائنا و الحلائل

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمه للأرامل

يلوذ به الهَّلاک من آل هاشم

فهم عنده فى رحمه و فواضل

1- 110. تعلم اى اعلم.
2- 111. و قد ضمن حصان بن ثابت هذا البيت فى قصيده فى مدح الرسول.

ألم تعلموا أن ابننا لا مكذَّب

لدينا، و لا نعبأ بقول الأباطل

فأيَّده ربّ العباد بنصره

و أظهر ديناً حقه غير باطل

اقيمُ على نصر النبى محمد

أُقاتل عنه بالقنا و القنابلِ (1) .

إلى غير ذلک من مواقفه وتصريحاته ومساندته للرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) ولولا إيمانه بالله واعتقاده بالإسلام لما قام تلک المواقف، و لما غامَرَ بنفسه وبأولاده فى سبيل نصره النبى و تقويه دينه. و لم يكن ذلک التفادى و المخاطره بدافع القرابه، فلقد كان للرسول ثمانيه أعمام (غير أبى طالب) فلماذا لم يسجِّل التاريخ لهم تلک المواقف المشرِّفه، بل سجل التاريخ عن بعض أعمام النبى مواقف مخزيه كمواقف عمِّه أبى لهب.

1- 112. القنابل: جمع قنبله- الطائفه من الناس او الخيل- و فى الاصطلاح الحديث هى القذيفه المحشوه بمواد متفجره او حارقه.

کانت الأعوام تَمُرّ، و السنوات تنقضی، و حیاه الزهراء مشفوعه بالحوادث و المآسی، و قد بلغت السابعه من عمرها أو قاربت الثامنه و إذا بفاجعه تطلّ على حیاتها، و تخیِّم الهموم و تتراکم الأحزان على قلبها، و هی وفاه أُمها السیده خدیجه، تلک الأم البارَّه الحنون التی کانت تنظر إلى ابنتها الصغیره فاطمه العزیزه نظره حزن و تألم و تأثر لأنها تعلم أن الزهراء ستفجع بأُمها العطوفه الرؤوفه.

کانت السیده خدیجه طریحه الفراش، و قد خیَّم علیها شبح الموت، فدخل علیها رسول الله (صلى الله علیه و آله و سلم) و هی تعالج سکرات الموت فقال لها: بالرغم منَّا ما نرى بک یا خدیجه، فإذا قدمت على ضرائرک فاقرئیهن السلام! قالت: من هنَّ یا رسول الله؟

قال (صلى الله علیه و آله و سلم): مریم بنت عمران، و کلثم أُخت موسى، و آسیه امرأه فرعون. فقالت: بالرفاء یا رسول اللهِ (1) .

و کان رسول الله (صلى الله علیه و آله و سلم) یقول: أُمرت أن أُبشِّر خدیجه ببیت فی الجنه من قصب، لا صخب فیه و لا نصبِ (2) .

قال ابن الأثیر فی (النهایه): القصب- فی هذا الحدیث-: لؤلؤ

1- 113. البحار جلد 19/ 24 عن من لها یحضره الفقیه.
2- 114. مسند احمد.

مجوَّف واسع كالقصر المنيف. والصخب: الضجه و اضطراب الأصوات للخصام.

كانت السيده خديجه تتأوه و تبكى فقالت لها أسماء بنت عميس:

أتبكين و أنت سيده نساء العالمين؟ و أنت زوجه النبى؟ مبشَّره على لسانه بالجنه؟

فقالت: ما لهذا بكيت، و لكن المرأه ليله زفافها لا بدَّ لها من امرأه تفضى إليها بسرِّها و تستعين بها على حوائجها، و فاطمه حديثه عهد بصبا، و أخاف أن لا يكون لها من يتولى أمرها حينئذ!

فقالت أسماء: يا سيدتى لک عهد الله إن بقيت إلى ذلک الوقت أن أقوم مقامک فى هذا الأمر... إلى آخر الخبر.

و فارقت السيده خديجه الحياه، و عمرها ثلاث و ستون سنه (على قول) فكانت وفاتها ضربه مؤلمه على قلب الرسول، و خاصه و أن النبى قد فجع بعمِّه أبى طالب بعد أيام أو شهور من وفاه السيده خديجه فازداد حزناً، حتى سمَّى تلک السنه (عام الحزن) لأنه أصيب بمصيبتين عظيمتين على قلبه البار:

مصيبه زوجته خديجه، لا لأنها زوجته فقط، بل لأنها أَول من صدَّقته بالنبوه، و لأنها كانت زوجه و معاضده و مساعده و محاميه لزوجها، لانها و هبت الالاف المولفه من اموالها فى سبيل الاسلام لانها كانت تحمل شخصيه فريده من نوعها فى المكه، فى نساء العرب.

و دفنت فى الهجون، فنزل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى قبرها.و كانت السيده فاطمه (عليه السلام) تلوذ به رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و تدور حوله و تساله: يا رسول الله عين امى؟ فجعل النبى لايجيبها، و هى تدور على من تسئله، فهبط عليه جبرائيل فقال: ان ربک

يأْمرک أن تقرأ على فاطمه السلام و تقول لها: أُمک فی بیت من قصب، کعابه من ذهب، و أعمدته من یاقوت أحمر، بین آسیه امرأه فرعون و مریم بنت عمران.

فقالت فاطمه: إن الله هو السلام و منه السلام، و إلیه یعود السلام.

والمصیبه الأخری مصیبه عمِّه أبی طالب الذی کفل النبی من یوم وفاه جده عبدالمطلب، و هو ابن ثمان سنوات، و استمرت الکفاله حتی بلغ النبی من العمر ثلاثاً و خمسین سنه، و هی السنه التی مات فیها أبوطالب.

و لأبی طالب حقوق و خدمات و مواقف تجاه النبی طیله هذه السنوات تعتبر فی قمه فضائله و فواضله، و لولاه لمات الدین الإسلامی و هو فی المهد:

و لو لا أبوطالب و ابنه

لَما مَثُل الدین شخصاً فقاما

فهذا بمکه آوی و حاما

و هذا بیثرب جسَّ الحِماما

و لله ذا فاتحاً للهدی

و لله ذا للمعالی ختاما

و کان لهاتین الفاجعتین أکبر الأثر فی حیاه الرسول و تغییر مجراها، لو لا موت أبی طالب لما هاجر من مکه، لأنَّه حینذاک شعر بفقدان الناصر و الکفیل و المحامی و لم یکن فی أعمامه مَن یقوم مقام أبی طالب حتی عمه حمزه یو مذاک.

و قد رثاه ابنه الإمام علی بن أبی طالب (علیه السلام) بأبیات:

أباطالب عصمه المستجیر

و غیث المحول و نور الظُّلَم

لقد هدَّ فقدک أهل الحفاظ

فصلَّی علیک ولی النعم

و لقَّاک ربک رضوانه

فقد کنت للطهر من خیر عمِ (1) .

ص: 112

1- 115. کتاب الکنی و الالقاب للقمی.

و لما أصيب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بوفاه السيده خديجه و عمه أبى طالب عزم على الهجره من مكه، و أمر عليّاً أن يبيت على فراشه تلک الليله، و سُمّيت تلک الليله: (ليله المبيت) و هى الليله التى اجتمع فيها حوالى أربعين أو أربعه عشر رجلاً من المشركين، و طوَّقوا بيت الرسول، و هم يريدون الهجوم على النبى ليقتلوه فى بيته، فخرج النبى إلى الغار، و بقيت السيده فاطمه فى البيت، و هى تتوقع هجوم الأعداء على دارها فى كل ساعه و تستمع إلى هتافات الكفر و الإلحاد ضد الرسول.

و يعلم الله مدى الخوف و القلق المسيطر عليها طيله تلک الليله، و هى تعلم خشونه طباع المشركين و قساوه قلوبهم، فيكون أسوأ الاحتمالات عندها أقرب الاحتمالات.

و إلى أن اصبح الصباح من تلک الليله، و هجم القوم فى الدار شاهرين سيوفهم كأنهم ذئاب ضاريه أو كلاب مستسبعه تطلب فريستها، و قصدوا نحو فراش النبى فلم يجدوه بل وجدوا عليّاً (عليه السلام) راقداً فى فراش النبى، ملتحفاً برده رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فخابت ظنونهم، و خرجوا من الدار فاشلين، و كادوا أن يتفجَّروا حقداً و غيظاً و غضباً.

فكانت تلک الساعات من أحرج الساعات و أكثرها خوفاً و فزعاً على قلب السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام).

و يا ليت الأمر كان ينتهى هنا، و لكن أحقاد الكفر كانت كامنه فى

الصدور كأنها جمره تحت رماد.

و لما خرج أميرالمؤمنين (عليه السلام) بالفواطم من مكه و هُنَّ: فاطمه الزهراء بنت رسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلم) و فاطمه بنت أسد (أم أميرالمؤمنين)و فاطمه بنت الزبير بن عبدالمطلب، فلحقهم العدو، و اعترضهم فى أثناء الطريق للحيلوله دون الهجره، و كان الموقف حرجاً، و استولى الرعب و الفزع على قلوب الفواطم من الأعداء، و كادت أن تقع هناک كارثه أو كوارث لولا حفظ الله و عنايته، ثم بساله الإمام على و بطولته المشهوره، و كفاهم الله شر الأعداء،و نجى على و الفواطم بقدره الله تعالى.

وصلت الفواطم إلى المدينه، و قد كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قد سبقهم إليها، و كان ينتظرهم، و لما وصلوا دخل النبى المدينه و نزل فى دار أبى أيوب الأنصارى، و التحقت به ابنته فاطمه الزهراء، و نزلت على أم أبى أيوب الأنصارى.

كانت السيده الزهراء تعيش تحت ظل والدها الرسول فى المدينه بعد أن مرَّت بها عواصف شديده و حوادث مؤلمه، من موت أمها خديجه و هجره أبيها الرسول من وطنه و مسقط رأسه، و هجوم الأعداء على الدار، و هجرتها من مكه إلى المدينه، و مطارده الأعداء لها،

فهل انتهت تلک الحوادث و المصائب؟

كلا، بل كانت تلک القضايا بدايه مآسى أخرى، و كوارث متسلسله متعاقبه، إذ ما مضت سنه واحده على الهجره الا و المشركون يجتمعون فى مكه و يقصدون التوجه إلى المدينه لمحاربه الرسول و المسلمين.

فنول جبرئيل و أخبر النبى بالمؤامره، و خرج (صلى الله عليه و آله و سلم) بالمسلمين من أهل المدينه و بمن التحق به من المهاجرين من أهل مكه، خرج بهم ليستقبل العدو فى أثناء الطريق قبل وصولهم المدينه، فوصلوا

إلى منطقه بين المدينه و مكه يقال لها: (بدر).

و هناک التقوا بالمشرکين، و کان عدد المشرکين ثلاثه أضعاف المسلمين، و لکن کانت الغلبه و الانتصار للمسلمين و الهزيمه والاندحار للمشرکين، فرجع النبی إلى المدينه مظفَّراً منصوراً.

ص: 115

و بعد سنه واحده و شهر وقعت غزوه أُحد، و قُتل فيها من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) سبعون رجلاً كانوا هم الصفوه و الزبده من أصحابه، و فى طليعتهم عمّه سيد الشهداء حمزه بن عبدالمطلب، و أُصيب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بحجر انكسرت منه جبهته الشريفه، و حجر أصاب فمه الطاهر و انكسرت منه ثناياه، و تخثَّر الدم على لحيته كأنه حِنّاء أو خضاب.

و فى تلك الآونه صاح إبليس صيحه سمعها المسلمون فى أُحد، و سمعها أهل المدينه، صاح: (قُتل محمد).

اضطربت القلوب فى جبهه القتال، و انهزم المنهزمون، و ثبت المؤمنون حقاً، و لم يكن اضطراب العوائل فى المدينه بأقل من اضطراب المسلمين فى ساحه القتال.و قد خرجت صفيه بنت عبدالمطلب (عمه النبى) و فاطمه الزهراء إلى أحد، فصاحت فاطمه، و وضعت يدها على رأسها.

و خرجت تصرخ، و خرجت كل هاشميه و قريشيه، واضعه يدها على رأسها.

و كان وصول فاطمه الزهراء وصفيه إلى أُحد بعد أن وضعت الحرب أوزارها، و بعد أن قُتل من قُتِل، و جُرحَ من جُرح، و كان النبى يتفقد القتلى و يبحث عن المفقودين من أصحابه.

و هو إذ ذاک قد وصل إلى مصرع حمزه، فوجده بحاله لا توصف،

فقد مثّلوا به أبشع و اقبح مُثله، فقد قطعوا أصابع يديه و رجليه، و جدعوا أنفه و أذنيه و شقّوا بطنه، و أخرجوا كبده، و تركوه بهذه الحاله.

كان هذا المنظر المشوَّه مؤلماً و محزنا و مخدشاً لقلب الرسول، إذ هو نكايه و تنكيل من المشركين لعمِّ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ناصره و المدافع عنه.

كان الحزن و الغيظ قد أخذ من الرسول كل مأْخذ، فبينما هو كذلک و إذا به يرى عمَّته صفيه وابنته فاطمه قد توجَّهتا نحو تلک المنطقه، فغطى الرسول جثمان حمزه بردائه، و ستَرَه من القرن إلى القدم كى لا يُرى شى ء من مواضع المثله.

و أقبلت صفيه و فاطمه تعدُوان، و جلستا عند مصرع حمزه، و شرعتا بالبكاء والنحيب، و رسول الله يساعدهما على البكاء، و يشاركهما فى الأنين والنحيب، ثم نظرت فاطمه إلى جراحه جبهه الرسول، و إلى الدماء المتخثره على وجهه الطاهر و لحيته الشريفه، فصاحت و جعلت تمسح الدم و تقول: اشتدّ غضب الله على من أدمى وجه رسول الله.

فغسلت الدماء عن وجه أبيها، و كان على يصبّ الماء بالمجن (1) .

فلما رأت فاطمه أنَّ الماء لا يزيد الدم إلاَّ كثره عمدت إلى قطعه حصيره فأحرقتها، و جعلت رمادها ضماداً على جبهه أبيها، و ألزمته الجرح، فاستمسک الدم.

أترى كيف انقضت تلک الساعات على قلب فاطمه؟

فقد تداخلها الحزن العظيم و الخوف الشديد و هى البنت الباَرَّه بأبيها، العارفه بحقه.

و لما رجع على (عليه السلام) من أُحد ناولَ فاطمه سيفه، و قال:

1- 116. المجن: الترس.

خذى هذا السيف، فلقد صدقنى اليوم، و أنشأ يقول:

أفاطم هاكِ السيف غير ذميمِ

فلستُ برعديدٍ، و لا بلئيم

لعمرى لقد أعذرتُ فى نصر أحمد

و طاعه ربٌ بالعباد عليم

أُريد ثواب الله لا شى ء غيره

و رضوانه فى جنه و نعيم

و كنتُ امرأً يسمو إذ الحرب شمَّرت

و قامت على ساق بغير مليم

أممت بن عبدالدار حتى جرحته

بذى رونق يفرى العظام صميم

فغادرته بالقاع فارفضَّ جمعه

عباديد مما قانط و كليم

و سيفى بكفّى كالشهاب أهزُّه

أحزُّ به من عاتقِ و صميم

فما زلت حتى فضَّ ربى جموعهم

و أشفيت منهم صدر كل حليم

أَميطى دماء القوم عنه فإنه

سقى آل عبد الدار كأْس حميم

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): خذيه يا فاطمه فقد أدَّى بعلک ما عليه، قتل الله صناديد قريش بيديهِ.

ايها القارى ء الكريم: لقد مرَّ عليک أن السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) حضرت فى أُحد، بعد أن وضعت الحرب أوزارها، و لما نظرت إلى جراحه أبيها غسلت الدماء بالماء، و أحرقت قطعه حصيره و جعلت رمادها على جبهه أبيها الرسول.

هذه الواقعه كما ذكرها المؤرخون.

و لكن فى زماننا- هذا- جاءت طائفه من الناس، واعتبروا هذه الواقعه ساحه لمسرحياتهم الشاذه، فكتبوا بكل إصرار و إلحاح و تكرار أن فاطمه كانت تحضر جبهات القتال و تضمِّد الجرحى، و تداويهم و تسعفهم !!

أنا ما أدرى ما يقصد هؤلاء الشواذ من اختلاق هذه الأكذوبه؟

إذا قامت سيده بتضميد جراحه أبيها فقط و فقط فى العمر مره واحده بعد انتهاء القتال هل يقال عنها: أنها كانت تحضر جبهات القتال و تضمد

الجرحى و تداويهم؟؟

أنا ما أدرى ما هدف هؤلاء من ترويج هذا الباطل و إشاعه هذا الافتراء؟

هل يريدون المسَّ بقدسيَّه السيده فاطمه الزهراء و نزاهتها؟

أم يريدون فتح الطريق للاختلاط بين الجنسين.

و لنفرض أن نسيبه بنت كعب حضرت يوم أُحد لتضميد الجرحى فهل معنى ذلک أن نعتبر السيده فاطمه الزهراء- و هى سيده نساء العالمين فى العفاف و الحياء و الحشمه و النزاهه و العصمه نعتبرها كالموظفات فى المستشفيات و المستوصفات و مؤسَّسات الإسعاف الدوليه؟؟

أنا ما أدرى، و لعلهم يدرون و يعرفون ما يبرِّر لهم هذه الأكذوبه !.

ص: 119

و من المشاکل التی عکَّرت- علی السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام)- حیاتها أنها ابتلیت ببعض زوجات أبیها الرسول، من اللواتی قد تکوَّنت عندهنَّ عقده نفسیه، فکنَّ یحسدن السیده فاطمه الزهراء علی مواهبها و فضائلها، و خاصه و أن الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) کان یغمر السیده فاطمه بألطافه و یمطر علیها عواطفه، و یحبها حباً عجیباً یهیِّج فی قلوب بعض نسائه الحسد الکامن.

فقد روی شیخنا المجلسی (علیه الرحمه) عن کتاب الخصال عن أبی عبدالله الصادق (علیه السلام) قال: دخل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) منزله، فإذا عائشه مقبله علی فاطمه تصایحها، و هی تقول: و الله یا بنت خدیجه ما ترین إلا أنّ لأُمُّک علینا فضلاً، و أی فضل کان لها علینا؟ و ما هی إلاَّ کبعضنا!!

فسمع النبی مقالتها لفاطمه، فلما رأت فاطمه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) بکت، فقال: ما یبکیک یا بنت محمد؟

قالت: ذکرت عائشه أُمی فنقّصتها فبکیتُ.

فغضب رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) ثم قال: مَه یا حمیراء! فإن الله تبارک و تعالی بارکَ فی الودود الولود و إن خدیجه (رحمها الله) ولدت منی طاهراً (و هو عبدالله) و هو المطهّر، و وَلدت منی القاسم و رقیه و أم کلثوم و زینب، و أنت ممن أعقم الله رَحِمها. فلم تلدی شیئاً (1).

1- 117. الخصال للشیخ الصدوق.

و لعائشه مواقف غير مشكوره تجاه السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) تدل على جانب كبير من انحرافها العميق العريق المتواصل، بحيث لم يُعهد تلك المواقف المتطرفه من بقيه زوجات الرسول تجاه سيده العالمين.

و منها: لما بلغ عائشه خبر وفاه الزهرا (عليه السلام) تبسمت!!

و سوف تقرا ان السيده فاطمه اوصت اسماء بنت عميس بعدم السماح لعائشه ان تحضر عند جنازتها ساعه الوفاه، و هذا يدل على سخطها على عائشه و عدم رضاها عنها، و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): «ان الله يغضب لغضب فاطمه و يرضى لرضاها».

هذا.. و فى الحديث الاول تصريح بأن بنات السيده خديجه الكبرى كلهن من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لا من زوج آخر و ليس هذا الحديث هو الدليل الوحيد على ذلک بل توجد أدلّه و براهين قطعيه على أنَّهن كنَّ بنات رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حقيقه، و من صلبه، إلا أن المجال- فى هذا الكتاب- لا يسع للشرح و التفصيل أكثر من هذا، و لعلنا نلتقى- إن شاءالله-بالقراء فى غير هذا الكتاب حول هذا الموضوع، و نؤدى بعض ما يتطلبه البحث و التحقيق.

كانت السيده فاطمه الزهراء (عليه السلام) قد بلغت من العمر تسع سنوات، و لكنها كانت تتمتّع بالنمو الجسمى، بل الكمال الجسمانى، و كانت تمتاز من صغر سنِّها بالنضج الفكرى و الرشد العقلى المبكر، و قد وهب الله لها العقل الكامل و الذهن الوقاد، و الذكاء الذى لا يوصف، و لها أوفر نصيب من الحسن و الجمال و الملاحه، خلقةً و وارثه، فمواهبها كثيره و فوق العاده و فضائلها الموروثه و المكتسبه تمتاز عن كل أنثى و عن كل ابن أنثى.

و أما ثقافتها الدينيه و الأدبيه فحدِّث و لا حرج، و سيتضح لک أنها أعلم امرأه و أفضلها فى العالم كله، و لم يشهد التاريخ امرأه حازت الثقافه و العلم و الأدب بهذا المستوى، مع العلم أنها لم تدخل فى مدرسه و لم تتخرج من كليه سوى مدرسه النبوه و كليه الوحى و الرساله.

فلا عجب إذا خطبها مشاهير أصحاب النبى، (صلى الله عليه و آله و سلم) و كان النبى يعتذر إليهم و يقول: أمرها إلى ربها، إن شاء أن يزوِّجها زوَّجها.

و روى شعيب بن سعد المصرى فى (الروض الفائق): (فلما استنارت فى سماء الرساله شمس جمالها، و تم فى أفق الجلاله بدر كمالها، امتدت إليها مطالع الأفكار و تمنّت النظر إلى حسنها أبصار الأخيار، و خطبها سادات المهاجرين و الأنصار، ردَّهم (المخصوص من الله بالرضا) و قال: إنى

أنتظر بها القضاء). و خطبها أبوبكر و عمر فقال النبى (صلى الله عليه و آله و سلم): إنها صغيرهِ (1) و خطبها عبدالرحمن بن عوف، فلم يجبه النبى بل أعرض عنه.

بعد الانتباه إلى هذه الجمله و هى قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): (أنها صغيره) يتضح لنا ايضا تزوير الأقوال المرويه بولادتها قبل المبعث بخمس سنين،إذ لو كان الأمر هكذا لكان عمرها يومذاک ثمانيه عشر سنه كما صرح بذالک بعذ هولاء، والبنت التى عمرها ثمانيه عشر سنه كيف تكون صغيره؟ و قد تزوَّج رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) عائشه و عمرها على أكثر التقادير عشر سنوات، و لم يعتبرها الرسول صغيره فكيف تكون ابنته الشابه صغيره لا تصلح للزواج؟

ثم لو كان الأمر كما يزعمون و إنها ولدت قبل المبعث بخمس سنين لكان عمرها يوم كانت فى مكه- قبل الهجره- بين السادسه عشره و السابعه عشره، و هذه الفتره من العمر أحسن أوقات الزواج، فكيف لم يخطبها أحد فى مكه، لا من بنى هاشم و لا من غيرهم بل لم يُسمع أنها كانت فى مظنه الخطبه و الزواج؟؟

و قد روى على بن المتقى فى كتابه: (كنز العمال ج 2 ص 99) عن أنس بن مالک قال: جاء أبوبكر إلى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فقعد بين يديه فقال:يا رسول الله قد علمت مناصحتى و قِدَمى فى الإسلام و أنى و أنى...

قال: و ما ذاک؟

1- 118. فضا احمد بن حنبل، والنسائى فى الخصائص ص 31 و ابن الجوزى التذكره ص 136

قال: تزوجنى فاطمه.

فسكت عنه أو قال: فأعرض عنه، فرجع أبوبكر إلى عمر فقال: هلكتُ و أهلكت.

قال: و ما ذاک

قال: خطبت فاطمه إلى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فأعرض عنى

قال عمر: مكانک حتى آتى النبى فأطلب منه مثل الذى طلبت.

فأتى عمر النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتى و قِدَمى فى الإسلام و أنى و أنى...

قال: و ما ذاک؟

قال: تزوجنى فاطمه. فأعرض عنه، فرجع عمر إلى أبى بكر فقال: إنه ينتظر أمر الله فيها.

و روى الهيثمى فى (مجمع الزوائد): أن كُلاً من أبى بكر وعمر أمر ابنته أن تخطب فاطمه من رسول الله، فذكرت كل واحده منهما فاطمه لأبيها، فأجابها رسول الله: حتى ينزل القضاء، فتمنَّت كل واحده منهما أنهما لم تكن ذكرت للنبى شيئاً.

و لعل الرسول ما يكن يحب أن يصارحهم بأنه يدخرها لكفوها، و ما أحب أن يصارحهم بأنهم ليسوا بأكفاء لها أو يفاجئهم بأن مستوى ابنته فوق المستويات.

كان الرسول يرى أن تجرى الأشياء على مجراها الطبيعى، و كان الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) قد نزل فى بيت سعد بن معاذ (على قول) منذ وصوله إلى المدينه، فجاء إليه سعد بن معاذ و هو فى بعض بساتين المدينه و قال: ما يمنعک أن تخطب فاطمه من ابن عمک؟

و فی (منتخب العمال): انطلق عمر إلی علی (رضی الله عنه) فقال: ما یمنعک من فاطمه فقال:

أخشی أن لا یزوِّجنی!

قال: فإن یزوِّجک فمن یزوج؟ و أنت أقرب خلق الله إلیه.. إلی آخر کلامه.

إن علیاً لم یذکر فاطمه طیله حیاته لأی أحد، و لم یذکر رغبته حیاءً من رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) ثم ظروفه الاقتصادیه یومذاک کانت قاسیه جدّاً، فما کان یملک من حطام الدنیا أموالاً و لا یملک فی المدینه داراً ولا عقاراً، فکیف یتزوج؟ و أین یتزوج؟ و أین یسکن؟

و لیست السیده الزهراء بالمرأه التی یستهان بها فی زواجها!

و لکن، لما کان المقصود من الزواج تشکیل البیت الزوجی و تأْسیس الصرح العائلی، و فقد جاء الإسلام لیفتح الأغلال و التقالید التی حبست علی الناس سنّه الزواج، و شدّدت علیهم هذا الأمر الذی یعتبر من ضروریات الفطره، و من لوازم نظام البقاء و الحیاه الزوجیه و العائلیه.

فقد أصبح الزواج- بفضل الإسلام- أمراً سهلاً مستسهلاً، فالتعصب القِبَلی و العنصری قد أشرف علی الزوال، و کان الرسول فی دَور التکوین، و هو القدوه و الأسوه للمسلمین، و حرکاته و سکناته، و أعماله و أفعاله ستکون حجه و دلیلاً عند المسلمین، فکان الرسول یحارب تقالید الجاهلیه و عادات الکفر باللسان والید، قولاً و فعلاً.

فقد أتاه علی یخطب منه ابنته فاطمه، و النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) له الولایه العامه علی جمیع المسلمین و المسلمات، و علی ابنته و من عداها، و لکنه (صلی الله علیه و آله و سلم) حفظ لفاطمه کرامتها، و لم یعلن موافقته للزواج قبل الاستئذان من فاطمه، و بعمله هذا أعلن أنه لابد من

موافقه البنت لأنها هی التی تريد أن تعيش مع زوجها، و تكون شريكه حياته، و يكون شريک حياتها.

إن تزويج البنت بغير إذنها أو موافقتها إهدار لكرامتها و تحقير لنفسيتها، و تحطيم لشخصيتها، و تصريح عملی لها أنها لا يحق لها إبداء رأيها حول انتخاب الزوج فكأنها بهيمه أو داجنه تباع و توهب بلا إذن منها أو موافقه.

فقال الرسول: يا علی قد ذكرها قبلک رجال، فذكرت ذلک لها، فرأيت الكراهه فی وجهها، و لكن علی رِسلک حتی أخرج إليک.

فقام (صلی الله عليه و آله و سلم) و ترک علياً جالساً ينتظر النتيجه. و دخل علی ابنته فاطمه، و أخبرها بأن علياً جاء يطلب يدها؛

ربما يحتاج الأب إلی أن يخبر ابنته عمن جاء يخطبها و يذكر لها أوصافه من حيث العمر والمهنه و بقيه الخصوصيات إذا لم يكن معروفاً، لتكون البنت علی علم و بصيره.

و لكن هنا لا حاجه إلی ذلک، فعلیّ (عليه السلام) أعرف من أن يعرّف، و فاطمه تعرف علياً و تعرف سوابقه و مواهبه و فضائله، و لا تجهل شيئاً. فاكتفی الرسول بأن قال: يا فاطمه إن علی بن أبی طالب مَن قد عرفتِ قرابته و فضله و إسلامه، و إنی قد سألت ربی أن يزوِّجک خير خلقه، و أحبَّهم إليه، و قد ذكر عن أمرک شيئاً، فما ترين؟

فسكتت، و لم تولّ وجهها، و لم ير فيها رسول الله (صلی الله عليه و آله و سلم) كراهه، فقام و هو قول: الله أكبر! سكوتها إقرارها.

اعتبر الرسول سكوتها موافقه و رضی منها علی الزواج، إذ لا ينتظر من الفتاه البكر الحييّه (ذات الحياء) أن تصرّح بموافقتها، بل ينتظر منها التصريح بالمخالفه و الرفض عند عدم الموافقه، لأن الحياء يمنع التصريح

بالموافقه، و لا يمنع التصريح بالرفض.

و رجع النبى إلى على و هو ينتظر، فأخبره بالموافقه، و سأله عن مدى استعداده لاتخاذ التدابير اللازمه لهذا الشأن، إذ لابد من الصداق و دوىّ على مر الأجيال، فلابدّ من رعايه جميع جوانبه، و لا يصح إهمال أى ناحيه منه مع رعايه البساطه:

فقال النبى لعلى: هل معک شى ء أزوجک به؟

فقال على: فداک أبى و أمى! و الله لا يخفى عليک من أمرى شى ء، أملک سيفى و درعى و ناضحى!! (1) . هذه ثروه الامام على، و جميع ما يملكه من حطام الدنيا و هو مقبل على الزواج.

تلقّى الرسول كلامه بر حابه صدر، و قال:

يا على! أما سيفک فلا غنى بک عنه، تجاهد به فى سبيل الله، و تقاتل به أعداء الله، و ناضحک تنضح به على نخلک و أهلک، و تحمل عليه رحلک فى سفرک، و لكنى قد زوجتک بالدرع و رضيت بها منک، بِع الدرع و ائتنى بثمن!!

و كان على (عليه السلام) قد أصاب هذه الدرع من مغانم غزوه بدر- كان كما ذكره العسقلانى فى (الإصابه ج 4 ص 365) و قد كان النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) قد أعطاه إياها، و كانت تسمَّى (الحطميه) لأنها كانت تحطِّم السيوف أى تكسِّرها- كما فى لسان العرب....

فباع على (عليه السلام) الدرع بأربعمائه و ثمانين أو بخمسمائه

1- 119. الناضح: البعيرالذى يحمل عليه الماء.

درهم، و جاء بالدراهم إلى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و طرحها بين يديه، و تمَّ الوفاق على أن يكون ثمن الدرع صداقاً لأ شرف فتاه فى العالم، و أفضل أنثى فى الكون، و هى سيده نساء العالمين، و بنت سيد الأنبياء و المرسلين و أشرف المخلوقين!!

زوَّج رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ابنته الطاهره من على بن أبى طالب بهذه البساطه و السهوله ليفكّك أغلال التقاليد التى قيَّد الناس بها أنفسهم. لقد صنع رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ما صنع ليقتدى به الناس الذين هم دونه فى الشرف و المنزله بملايين الدرجات.

و زوَّج ابنته و هى سيده نساء العالمين بمهر قليل كى لا تستنكف الفتاه المسلمه أن تتزوج بمهر قليل.

و غير ذلک من الحِكَم و الفوائد التى لا مجال لذكرها هنا.

فقد حفظ الله تعالى لسيده النساء كرامتها، فقد زوَّج الله فاطمه الزهراء من الامام على بن أبى طالب قبل أن يزوِّجها أبوها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) من على.

و ليس ذلک ببعيد، فقد زوَّج الله من هى دون فاطمه الزهراء بدرجات و مراتب كثيره، أليس الله قد زوَّج زينب بنت جحش من رسول الله بقوله تعالى: «فلما قضى زيد منها و طراً زوّجناكها».

أليس الله قد زوج رسوله امرأه مؤمنه و هبت نفسها للنبى؟

فما المانع أن ينعقد مجلس العقد أو حفله القِران فى السموات العلى، و يحضرها الملائكه المقرّبون كما صرَّحت بذلک الأحاديث؟

كل ذلک كرامه لها و لأبيها، و بعلها و بنيها الذين سيولدون منها،

و هم حجج الله على الخلق أجمعين.

كانت حفله القِران التى أقيمت فى السماء الرابعه عند البيت المعمور وحيده من نوعها فريده بمزاياها، لم يشهد الكون مثلها، فقد اجتمع ملائكه السموات كلها فى السماء الرابعه و نُصب منبر الكرامه، و هو منبر من نور، و أوحى الله تعالى إلى مَلَكِ من ملائكه حُجُبه يقال له: (راحيل) أن يعلو ذلک المنبر، و أن يحمده بمحامده، و يمجِّده بتمجيده، و أن يثنى عليه بما هو أهله، و ليس فى الملائكه أحسن منطقاً و لا أحلى لغةً من راحيل المَلَک، فعلا المنبر و قال: «الحمد لله قبل أوليَّه الأولِّين، الباقى بعد فناء العالمين، نحمده إذ جعلنا ملائكه روحانيين، و بربوبيته مذعنين، و له على ما أنعم علينا شاكرين، و حَجَب عنا النهم للشهوات، و جعل نهمتنا و شهوتنا فى تقديسه و تسبيحه.

الباسط رحمته، الواهب نعمته، جلَّ عن إلحاد أهل الأرض من المشركين و تعالى بعظمته عن إفک الملحدين ثم قال- بعد كلام-:

اختار الله الملک الجبار صفوه كرمه، و عبد عظمته لأمَته سيده النساء، بنت خير النبيين و سيد المرسلين و إمام المتقين، فوصل حبله بحبل رجل من أهله، صاحبه المصدّق دعوته، المبادر إلى كلمته، على الوَصول بفاطمه البتول ابنه الرسول.

ثم أعقبه جبرئيل عن الله تعالى قوله:

(الحمد ردائى، و العظمه كبريائى، و الخلق كلهم عبيدى و إمائى، زوّجت فاطمه أمَتى من على صفوتى اشهدوا يا ملائكتى) (1) و قد روى هذا الحديث جمع من علماء العامه منهم:

1- 120. بحارالانوار ج 43.

عبدالرحمن الصفورى فى (نزهه المجالس ج 2 ص 223) عن جابر بن عبدالله (رضى الله عنه): قال: دخلت أم أيمن على النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و هى تبكى، فسألها عن ذلک.

فقالت: دخل علىَّ رجل من الأنصار و قد زوَّج ابنته، و قد نثر عليها اللوز والسكر، فتذكرت تزويجک فاطمه و لن تنثر عليها شيئاً.

فقال: والذى بعثنى بالكرامه، و خصنى بالرساله إن الله- لما زوج علياً فاطمه- و أمر الملائكه المقربين أن يحدقوا بالعرش، فيهم جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل، و أمر الطيور أن تغنى، فغنّت، ثم أمر شجره طوبى أن تنثر عليهم اللؤلؤ الرطب مع الدر الأبيض مع الزبرجد الأخضر مع الياقوت الأحمر.

و فى روايه: إن الزواج عند سدره المنتهى و أوحى الله إليها أن أنثرى ما عليک فنثرت الدر و الجوهر و المرجان.

و ذكر الحافظ أبونعيم فى (حليه الأولياء ج 5 ص 59): عن عبدالله بن مسعود:...ثم أمر الله شجره الجنان فحملت الحلى و الحلل، ثم أمرها فنثرته على الملائكه، فمن أخذ منهم شيئاً يومئذ أكثر مما أخذ غيره افتخر به إلى يوم القيامه.

و رواه جماعه كالخوارزمى فى (مقتل الحسين)، والعسقلانى فى (لسان الميزان) و(تهذيب التهذيب) والقندوزى فى (ينابيع الموده).

و فى (نزهه المجالس) عن أنس بن مالک، بينما النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فى المسجد إذ قال لعلىٍّ: هذا جبرئيل أخبرنى أن الله قد زوَّجک فاطمه؛ و أشهد على تزويجها أربعين ألف ملَک، و أوحى إلى شجره طوبى أن أنثرى عليهم الدرَّ و الياقوت و الحلى و الحلل، فنثرت عليهم، فابتدرت الحورالعين يلتقطن من أطباق الدر و الياقوت و الحلى و الحلل، فهم يتهادونه إلى يوم القيامه.

و رواه السيوطى فى (تحذير الخواص).

و أجرى الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) صيغه العقد فى المسجد و هو على المنبر، بمرأى من المسلمين و مسمع.

و هكذا سنَّ رسول الله الإعلان و الإشهاد فى عقد النكاح، و كميَّه الصداق كى يقتدى به المسلمون فلا يغالوا فى الصداق و قال (صلى الله عليه و آله و سلم): «لا تغالوا فى الصداق فتكون عداوه».

و جعل النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) المهر الذى جرت عليه السنَّه خمسمائه درهم، و تزوَّج رسول الله بزوجاته بهذا المبلغ من الصداق و كذلک الأئمه من أهل البيت (عليهم السلام) كانوا لا يتعدون هذا المبلغ فى الزواج. و نعود الى حديثنا عن زواج السيده فاطمه:

فقد باع علىّ (عليه السلام) الدرع، و جاء بالثمن الى الرسول، فقسّم النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) المبلغ أثلاثاً: ثلثا لشراء الجهاز، و ثلثا لشراء الطيب و العطر للزفاف، و ثلثا تركه أمانه عند أم سلمه ثم ردّه إلى علىٍ قبيل الزفاف إعانهً و مساعده منه إليه لطعام و ليمه الزفاف.

من الطبيعى أن زواج على (عليه السلام) من السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام)كان سبب هياج الحسد و العداء فى بعض القلوب، و خاصه و أن بعضهم كان قد خطب فاطمه من أبيها فرفض طلبه، و أعرض عنه، فلا عجب إذا جاء إلى الرسول أناس من قريش فقالوا: إنک زوّجت علياً بمهر خسيس فقال لهم: ما أنا زوّجت علياً، و لكن الله زوَّجه ليله أسرى بى عند سدره المنتهى... الى آخره (1) .

1- 121. من لا يحضره الفقيه.

و قال (صلی الله علیه و آله و سلم): إنما أنا بشر مثلکم، أتزوج فیکم و أزوِّجکم إلاَّ فاطمه، فإن تزویجها نزل من السماءِ (1) .

و دفع الرسول شیئاً من المال لأبی بکر لیشتری لفاطمه متاعاً لبیتها الزوجی و بعث معه بلالاً، و سلمان لیُعیناه علی حمل ما یشتری، و قیل: أردفه بعمار بن یاسر و جماعه، و قال لأبی بکر: اشترِ بهذه الدراهم لابنتی ما یصلح لها فی بیتها.

قال أبوبکر: و کانت الدراهم التی أعطانیها ثلاثه وستین درهماً؛ فحضروا السوق فکانوا یعترضون الشی ء مما یصلح، فکان ما اشتروه:

1- فراشان من خیش مصر، حشو أحدهما لیف، و حشو الآخر من جز الغنم.

2- نطع من أدم (جلد).

3- و ساده من أدم حشوها من لیف النخل.

4- عباءه خیبریه.

5- قربه للماء.

6- کیزان (جمع کوز) و جرار (جمع جره) و عاء للماء.

7- مطهره للماء مزفّته.

8- ستر صوف رقیق.

9- قمیص بسبعه دراهم.

10- خمار بأربعه دراهم.

11- قطیفه سوداء.

12- سریر مزمّل بشریط.

1- 122. الكافى.

13- أربعه مرافق من أدم الطائف حشوها إذخر (نبات معروف).

14- حصير هجرى.

15- رحى لليد.

16- مخضب من نحاس.

17- قعب للبن.

18- شنٌّ للماء.

حتى إذا استكمل الشراء حمل أبوبكر بعض المتاع و حمل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) الباقي، فلما عرض المتاع على رسول الله و كان فى حجره أم سلمه جعل يقلّبه بيده و يقول: بارک الله لأهل البيت.

و فى روايه: رفع رأسه إلى السماء و قال: اللهم بارک لقوم جُلُّ آنيتهم الخزف.هذا جميع الأثاث و المتاع الذى اشتروه لابنه سيد الأنبياء، و هى أشرف أنثى، و سيده نساء العالمين.

نعم، إن السعاده الزوجيه لا تحصل عن طريق البذخ و الترف و السرف، فإن الملابس الفاخره، والكراسى الثمينه، و الأحجار الكريمه و أوانى الذهب و الفضه، و الفرش الغاليه و الستائر القيمه، و القصور الشاهقه و السيارات الضخمه، و وسائل التنوير و التبريد و التدفئه، و غيرها ليست من أسباب السعاده الزوجيه التى يتصورها البسطاء من الناس.

فكم من امرأه ترفل فى ثيابها و بدلاتها، و تجلس على فراش و ثير، و تتلألأ الحلى- المرصّع بالمجوهرات- على جيدها و معصميها، و شحمه أذنيها، و مع ذلک كله تشعر بأنها فى جحيم، و تعتبر نفسها شقيه فى الحياه غير سعيده فى دنياها.

و كم من امرأه تعيش فى كوخ أو بيت متواضع، تطحن و تعجن و تخبز و تغسل و تكنس و ترضع و تتعب و تعيش بكل بساطه، محرومه عن مئات الوسائل مع ذلک تشعر بأنها سعيده فى حياتها، و كأن بيتها الصغير الضيّق البسيط جنه عدن.

و نفس هذا الكلام يجرى فى الرجال، فترى القصر المنيف المشيَّد الشامخ جحيماً على الرجل، يدخله كرهاً، و كأنَّه فى قفص، و يحاول الخروج منه ساعه قبل ساعه.

و ترى البيت المتواضع الحقير يأوى إليه الرجل بكل شوق و رغبه، و لا يحب مغادره بيته حينما يرى البيت الزوجى مبنياً على أسس السعاده و الخير.

و لكن مع الأسف أن ملايين الفتيان و الفتيات يتصورون أن السعاده الزوجيه و الحياه السعيده تحصل عن طريق الثروه و الأثرياء، و يعتبرون البساطه فى المعيشه من وسائل الشقاء و علائم الحرمان.

فيبقى هؤلاء المساكين غير متزوجين و غير متزوجات، ينتظرون السعاده الزوجيه تطرق باب دارهم!!

إن كانت السيده فاطمه (عليهاالسلام) قد تزوّجت بهذا المهر القليل نزولاً عند رغبه أبيها الرسول- حتي يقتدى به المسلمون- و تحقيقاً لأهدافه الحكيمه، فليس معنى ذلک أن تنسى السيده فاطمه نفسها، أو تنسى عظمتها، بل لابدّ من المحافظه على مقامها الأسمى و حقيقتها الشريفه، و مكانتها العليا، و طموحها نحو الفضائل و القيم، و لهذا فقد روى أحمد بن يوسف الدمشقى فى: (أخبار الدول و آثار الأول) قال: (و قد ورد فى الخبر أنها لما سمعت بأن أباها زوّجها، و جعل الدراهم مهراً لها فقالت: يا رسول الله إن بنات الناس يتزوّجن بالدراهم فما الفرق بينى و بينهن؟ أسألک أن تردها، و تدعوالله تعالى أن يجعل مهرى الشفاعه فى عصاه أمتک.

فنزل جبرئيل (عليه السلام) و معه بطاقه من حرير مكتوب فيها: (جعل الله مهر فاطمه الزهراء شفاعه المذنبين من أمه أبيها) فلما احتضرت أوصت بأن توضع تلک البطاقه على صدرها تحت الكفن. فوضعت، و قالت: إذا حشرت يوم القيامه رفعت تلک البطاقه بيدى و شفعت فى عصاه أمه أبىِ (1) .

إن هذا الحديث- كما تراه- يدل على ما كانت تتمتع به السيده فاطمه الزهراء من علو الهمه و سموّ النفس، و عظمه الشخصيه، و بُعد

1- 123. سنوافيک فى اواخر هذا الكتاب بطائفه كبيره من الاحاديث حول شفاعتها يوم القيامه.

المدى، و جلاله القدر، فإنها تطلب من أبيها الرسول أن يدعو الله تعالى أن يمنحها هذا الحق العظيم و هو الشفاعه فى يوم القيامه. و أستجيب دعاء الرسول و نفِّذ طلبه، و نزل صک من السماء إجابه لهذا الطلب، و ستبرز السيده فاطمه ذلک الصک عند الحاجه، كما روى الصفورى فى (نزهه المجالس) قال: قال النسفى: سألت فاطمه (رضى الله عنها) النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) ان يكون صداقها الشفاعه لامه يوم القيامه، فاذا صارت على الصراط طلبت صداقها.

و قد وردت روايات كثيره عن ائمه اهل البيت (عليهم السلام) حول ان الله تعالى جعل الشفاعه يوم القيامه من صداق السيده فاطمه الزهراء.

ص: 136

وقعت فتره بين العقد و الزفاف بدون قصد بل إن علياً (عليه السلام) كان يستحى أن يطالب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بزوجته، و كان الرسول أيضاً يحافظ على كرامه السيده فاطمه فما ينبغى له أن يزف ابنته قبل مطالبه زوجها ذلک.

و طالت تلک الفتره شهراً أو شهوراً، و بقى الأمر مسكوتاً عنه، و أخيراً جاء عقيل إلى الامام على يسأله عن سبب السكوت و القعود، و يستنهضه للقيام بمقدمات الزفاف و كان على (عليه السلام) يستحى من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يطالبه أن يزفّ السيده فاطمه و لكن عقيلاً ألح عليه، فخرجا يريدان الدخول على الرسول للمذاكره حول الموضوع.

التقت أم أيمن بهما، و سألت منهما عدم التدخل مباشرةً، و تكفّلت هى إنهاء الأمر،و لهذا ذهبت إلى أم سلمه فأعلمتها بذلک، و أعلمت نساء النبى، فاجتمعن عند الرسول فأحدقن به، و قلن: فديناک بآبائنا و أمهاتنا يا رسول الله ! قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجه فى الأحياء لقرَّت بذلک عينها !!

فلما سمع النبى اسم خديجه بكى، ثم قال: خديجه ! و أين مثل خديجه؟ صدَّقتنى حين كذّبنى الناس، و آزرتنى على دين الله، و أعانتنى عليه بمالها !!

إن الله (عز و جل) أمرنی أن أبشّر خدیجه ببیت فی الجنه من قصب الزمرد، لا صخب فیه و لا نصب.

قالت أم سلمه: فقلنا: فدیناک بآبائنا و أمهاتنا یا رسول الله إنک لم تذکر من خدیجه أمراً إلاَّ و قد کانت کذلک، غیر أنها مضت إلی ربها، فهنَّأها الله بذلک، و جمع بیننا و بینها فی درجات جنته و رضوانه و رحمته.

یا رسول الله! هذا أخوک فی الدنیا، و ابن عمک فی النسب، علی بن أبی طالب یحب أن تُدخل علیه زوجته فاطمه تجمع بها شمله.

و فی روایه: إن المتکلمه هی أم أیمن قالت: یا رسول الله! لو أن خدیجه باقیه لقرَّت عینها بزفاف فاطمه، و إن علیاً یرید أهله، فقرِّ عین فاطمه ببعلها، و اجمع شملهما، و قرِّ عیوننا بذلک.

فقال (صلی الله علیه و آله و سلم): فما بال علی لا یسألنی ذلک؟

قالت: الحیاء منک یا رسول الله!!

فقال- لأم أیمن-: انطلقی إلی علی فائتینی به.

خرجت أم أیمن، فإذا علی ینتظر لیسألها عن جواب رسول الله، و حضر علی (علیه السلام) عند الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) و جلس مطرقاً رأسه نحو الأرض حیاءً منه، فقال له: أتحب أن تدخل علیک زوجتک؟

قال: نعم، فداک أبی و أمی!

قال: نعم، و کرامه، أدخلها علیک فی لیلتنا هذه أو لیله غد إن شاءالله.

هیئ منزلاً حتی تحوِّل فاطمه إلیه.

قال علی: ما هاهنا منزل إلاَّ منزل حارثه بن النعمان.

فقال النبی: لقد استحینا من حارثه بن النعمان، قد أخذنا عامه منازله!!

فوصل الخبر إلى حارثه، فجاء النبى و قال: يا رسول الله! أنا و مالى لله و لرسوله و الله ما شى ء أحبّ إلى مما تأخذه، والذى تأخذه أحب إلىَّ مما تتركه!!

يا لروعه الإيمان بالله و الرسول.

يا لجمال الاعتقاد بالآخره و الأجر و الثواب!!

جعل حارثه أحد منازله تحت تصرّف على، و قام على بتأثيث حجره العرس و تجهيزها،فقد بسط كثيباً (رملاً) فى أرض الحجره، و نصب عوداً يوضع عليه القربه و اشترى جرّه و كوزاً، و نصبوا خشبه من حائط إلى حائط للثياب!!، و بسط جلد كبش، و مخدّه ليف!

هذا جميع ما كان يتمتع به على (عليه السلام) من متاع الحياه الدنيا و زخرفها!!

لقد مرّ عليک أن الصداق الذى استلمه النبى من على (عليه السلام) قسّمه أثلاثاً: ثلثاً اشترى به المتاع، و ثلثاً للطيب بمناسبه الزفاف، و ثلثاً تركه أمانه عند السيده أم سلمه.

استرجع النبى الثلث الأخير من الصداق، و سلَّمه إلى على كمساعده، حيث أنه فى مقتبل حياه جديده، و الحاجه ماسَّه إلى المال كما لا يخفى، و قال: يا على إنه لابدّ للعروس من وليمه.

يا لشرف الإنسانيه!!

يا لعظمه الأخلاق!!

يا لصدق المحبه و العاطفه!!

و تقدّم بعض الأصحاب إلى على ببعض الهدايا، و أمر النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) علياً أن يصنع طعاماً فاضلاً.

أمره بالوليمه لأن الله تعالى يحب إطعام الطعام، لأن الوليمه فيها خير

كثير، و فائده عامه و منافع جمه، فهى إشباع البطون الجائعه، و غرس المحبه فى القلوب، و قبل كل شى ء فيها رضى الله سبحانه.

و لكننا- يا للأسف- استبدلنا الوليمه بحفله القِران و استبدلنا الإطعام بتناول بعض المرطبات و الحلويات التى لا تسمن و لا تغنى من جوع!!

و من الضرورى أن لا ننسى أن السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) قد ضربت الرقم القياسى فى الإنفاق فى سبيل الله، و الإيثار ابتغاء وجه الله، و لعلک لا تجد مثيله لهذه المكرمه فى تاريخ النساء! فقد روى الصفورى فى (نزهه المجالس) ج 2 ص 226 عن ابن الجوزى أن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) اعد لها قميصاً جديداً ليله عرسها و زفافها و كان لها قميص مرقوع و إذا بسائل على الباب يقول: أطلب من بيت النبوه قميصاً خَلِقاً، فأرادت أن تدفع إليه القميص المرقوع، فتذكرت قوله تعالى: «لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون».فدفعت له الجديد، فلما قرب الزفاف نزل جبرئيل قال: يا محمد! إن الله يقرؤک السلام، وأمرنى أن أسلِّم على فاطمه، و قد أرسل لها معى هديه من ثياب الجنه من السندس الأخضر.. الى آخر الخبر.

لقد تهيأ طعام الوليمه، فلقد طبخ اللحم، واحضر الخبز، و التمر و السمن، و أقبل رسول العظمه (صلى الله عليه و آله و سلم) و حسر عن ذراعيه، و جعل يشدخ التمر فى السمن ليكونا بمنزله الحلويات و الفطائر، و أمر النبى علياً أن يدعو الناس إلى وليمته الزواج.

فأقبل الامام على (عليه السلام) إلى المسجد، و المسجد غاص بالمسلمين و هناک أهل الصَّفه و هم المهاجرون الذين ما كانوا يملكون يومذاک شيئاً.

و هناک أهل المدينه من الأنصار و غيرهم ممن ليسوا من الأغنياء، فما يصنع على (عليه السلام) بهذا العدد الكثير مع الطعام القليل؟!

و نفسيته الطاهره الشريفه لا تسمح له أن يدعو قوماً و لا يدعو قوماً

آخرين فالكل يحبون أن يأكلوا من وليمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و الجميع يرغبون إلى الحضور فى تلک المأدبه المباركه.

لكن إيمان على (عليه السلام) بقدره الله تعالى، و اعتقاده ببركات يمين رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) هوَّن عليه كل شى ء، فصعد على مكان عال، يسمعه كل أحد، و نادى: «أيها الناس أجيبوا إلى وليمه فاطمه بنت محمد».

فوصل صوت علي (عليه السلام) حتى إلى بساتين- المدينه و مزارعها، و أقبل الناس رجالاً و نساءً- و حتى أهل البساتين- يأكلون و يشربون، و يحملون معهم من ذلک الطعام.

و هنا ظهرت بركه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) إذ أن الطعام لم ينفذ، بل و كأنه لم ينقص، و دعا رسول الله بالأوانى فملئت بالطعام، و وجَّه بها إلى بيوت زوجاته و أخذ صفيحه (آنيه) و قال: و هذه لفاطمه و بعلها!!

و غابت الشمس من ذلک اليوم، واقترب زفاف السيده فاطمه إلى دار زوجها.

فهنا اتخذ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) جميع التدابير اللازمه لزفاف ابنته فاطمه.

و بالرغم من أن زواج السيده فاطمه كان يمتاز بالبساطه و السهوله و الابتعاد عن التكليف و الترف، و ما أشبه ذلک إلاَّ أنه كان محاطاً بآيات العظمه و الجلاله و الجمال، حتى روى الهيثمى فى (مجمع الزوائد) عن جابر أنه قال: حضرنا عرس على و فاطمه رضى الله عنهما فما رأينا عرساً كان أحسن منه... الى آخره.

أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) زوجاته بتزيين السيده

فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) استعداداً للزفاف، فقامت النسوه فضمَّخنها بالطيب،و ألبسنها الحلى، فكانت إحداهن تمشط شعرها،و الأخرى بتزيينها و لبست الحلَّه التى جاء بها جبرئيل من الجنه، و كانت الحلَّه لا تُقوَّم بقيمه، و لا تثمَّن.

و إنما بذل الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) هذه العنايه الخاصه، و خصَّ ابنته السيده فاطمه الزهراء بعواطفه الغزيره دون سائر بناته لأسباب، منها:

فضائلها الشخصيه، و مزاياها النفسيه.

شخصيه زوجها على بن أبى طالب.

فهو صاحب المواهب و السوابق و هو ابن عم الرسول، و اخوه و وزيره و خليفته و حامل لوائه و لم يكن فى أصهاره من له تلك القرابه القريبه و المنزله الخصيصه.

و أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يعلم أن ابنته الطاهره ستشملها آيه التطهير و آيه المباهله و القربى.

و أنها أم الأئمه الطاهرين إلى يوم القيمه.

لقد جاءت تلك الليله التى ستشعر السيده فاطمه بأنها يتيمه، و تشعر بفقدان أمها خديجه، و الأم لها دور مهم فى ليله عرس ابنتها، و لكن أين خديجه هذه الليله؟

و لما انصرفت الشمس نحو الغروب دعا الرسول بابنته الطاهره و دعا بصهره العظيم فأقبلت السيده فاطمه و قد لبست ثوباً طويلاً، تجرّ ذيلها على الأرض، و قد تصبّبت عرقاً حياءً من أبيها سيد الأنبياء.

و قد شاءالله تعالى أن يكون زواج السيده فاطمه ممتازاً من جميع الجوانب و النواحى و هكذا أراد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أن

لا تشعر ابنته العزيزه باليتم، و لهذا، و لغير ذلک- أتى النبى ببغلته الشهباء، و ثنى عليها قطيفه، و قال لفاطمه: اركبى.

و أمر النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) سلمان أن يقود البغله، و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يسوقها (1) .

بالله عليک- أيها القارئ- هل سمعت أو قرأت فى تاريخ عظماء الدنيا- من أنبياء و ملوک و وزراء و سلاطين- أن بنتاً تزف إلى دار زوجها، و سيِّد الأنبياء يسوق بغلتها؟

نعم، لقد اشترک أهل السماء مع أهل الأرض فى زفاف الإنسيه الحوراء.

فقد روى الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد ج 5 ص 7) و الجوينى فى (فرائد السمطين) و الذهبى فى (ميزان الاعتدال) و العسقلانى فى (لسان الميزان) و القرمانى فى (أخبار الدول) و القندوزى فى (ينابيع الموده) عن ابن عباس أنه قال: لمّا زفت فاطمه إلى على كان النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) قُدامها، و جبرئيل عن يمينها، و ميكائيل عن يسارها، و سبعون ألف ملک خلفها، يسبّحون الله و يقدّسونه حتى طلع الفجر.

وروى عن الامام موسى بن جعفر عن آبائه (عليهم السلام) عن جابر بن عبدالله الانصارى قال: «... فلما كانت ليله الزفاف اتى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) ببغلته الشهباء (2) و ثنى عليها قطيفه، و قال: اركبى

1- 124. بحارالانوار ج 43.
2- 125. كان النبى (صلى الله عليه و آله) قد سمى ناقته: العضباء و بغلته: الشهباء، و عصاه: الممشوق، و عمامته:السحاب. و هكذا.

و امر سلمان ان یقودها، و النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) یسوقها.

فبینما هو فی بعض الطریق اذ سمع النبی و جبه فاذا هو بجبرئیل فی سبعین الفا،و میکائیل فی سبعین الفا.

فقال النبی: ما اهبطکم الی الارض؟ قالوا: جئنا نزف فاطمه الی علی بن ابی طالب.فکبر جبرئیل، و کبر میکائیل، و کبرت الملائکه، و کبر محمد (صلی الله علیه و آله و سلم).

فوقع التکبیر علی العرائس من تلک اللیله (1) .

و هکذا اجتمع رجالات بنی هاشم یمشون فی موکب السیده. و أمر النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) بنات عبدالمطلب (عماته) و نساء المهاجرین و الأنصار أن یرافقن فاطمه فی تلک المسیره و کانت زوجات الرسول (صلی الله علیه وآله) یمشین قُدَّامها، و یرجزن فکانت أم سلمه تقول:

سِرنَ بعون الله جاراتی

و اشکرنه فی کل حالات

و اذکرن من أنعم رب العلی

من کشف مکروه و آفات

فقد هدانا بعد کفر، و قد

أنعشنا ربّ السموات

و سرن مع خیر نساء الوری

تُفدی بعمَّاتٍ و خالات

یا بنت من فضله ذو العلی

بالوحی منه و الرسالات

ثم قالت عائشه:

يا نسوه استترن بالمعاجز

و اذكرن ما يحسن فى المحاضر

و اذكرن ربِّ الناس إذ يخصنا

بدينه مع كل عبد شاكر

و الحمد لله على أفضاله

و الشكر لله العزيز القادر

1- 126. امالى الطوسى ج 1 ص 263.

و سرن بها فالله أعطى ذكرها

و خصّها منه بطهر طاهر

ثم قالت حفصه:

فاطمه خير نساء البشر

و من لها وجه كوجه القمر

فضَّلک الله على كل الورى

بفضل من خصَّ بآى الزمَّر

زوَّجک الله فتىً فاضلاً

أعنى علياً خير من فى الحضر

فَسرن جاراتى بها إنها

كريمه بنت عظيم الخطر

ثم قالت معاذه أم سعد بن معاذ:

أقول قولاً فيه ما فيه

و أذكر الخير و أبديه

محمد خير بنى آدم

ما فيه من كبرٍ و لا تيه

بفضله عرَّفنا رشدنا

فالله بالخير يجازيه

و نحن مع بنت نبى الهدى

ذی شرف قد مکنت فیه

فی ذروه شامخه أصلها

فما أری شیئاً یدانیه

و کانت النسوه یرجّعن أول بیت من کل رجز، و دخلن الدار، ثم أنفذ رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) إلی علی و دعاه ثم دعا فاطمه فأخذ یدها و وضعها فی ید علی و قال: بارک الله فی ابنه رسول الله.

یا علی! هذه فاطمه و دیعتی عندک!!

یا علی! نعم الزوجه فاطمه!

و یا فاطمه! نعم البعل علی!!

اللهم بارک فیهما، و بارک علیهما، و بارک لهما فی شبیلهما، اللهم إنهما أحب خلقک إلی فأحبهما، و اجعل علیهما منک حافظاً، و إنی أعیذهما بک و ذریتهما من الشیطان الرجیم.

ثم دعا بماءٍ فأخذ منه جرعه فتمضمض بها، ثم مجها فی القعب، ثم صبّها علی رأس فاطمه و علی صدرها و بین کتفیها ثم دعا علیاً فصنع به

كما صنع بها.

و أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) النساء بالخروج فخرجن، و بقيت أسماء بنت عميس، فلما أراد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يخرج رأى سواداً فقال: من أنت؟

قالت: أسماء بنت عميس!

قال: ألم آمرک أن تخرجی؟

قالت: بلی یا رسول الله! فداک أبی و أمی، و ما قصدت خلافک، و لکنی أعطیت خدیجه عهداً- و حدّثته- فبکی رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) إذ هاجت عواطفه من حدیث خدیجه، و إنها کانت تتفکر حول تلک اللیله، و أن فاطمه- اللیله- منکسره القلب.

فقال لها: بالله لهذا وقفت؟

قالت أسماء: نعم، و الله!

فقال (صلى الله عليه و آله و سلم): یا أسماء، قضی الله لک حوائج الدنیا و الآخره.

الاقوال حول سنه زواجها

اختلف المؤرخون و المحدثون فی تاریخ سنه زواج السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) فقد روی السید ابن طاووس فی الإقبال بإسناده إلی الشیخ المفید:إن زواجها کان لیله إحدی و عشرین من المحرم سنه ثلاث من الهجره.

و فی المصباح: فی أول یوم من ذی الحجه، و روی أنه کان یوم السادس منه.

و فی الأمالی: أن زواجها کان بعد وفاه رقیه زوجه عثمان بسته عشر یوماً و ذلک بعد رجوعه من بدر، و ذلک لأیام خلت من شوال.

ص: 147

تحقيق حول أسماء بنت عميس و أم سلمه

إن أسماء بنت عُميس كانت زوجه جعفر بن أبى طالب و قد هاجر جعفر إلى الحبشه مع زوجته و عدد من المسلمين قبل الهجره من مكه بسنوات، و رجع جعفر من الحبشه إلى المدينه يوم فتح خيبر فى السنه الخامسه من الهجره.

هذا هو المتفق عليه بين المؤرخين، و لكنک تجد حديثاً يصرّح بحضور أسماء بنت عُميس عند السيده خديجه الكبرى ساعه وفاتها فى مكه كما مر عليک.

و تجد الأحاديث الكثيره التى تصرِّح بحضورها فى زواج السيده فاطمه الزهراء تجد التصريح باسمها و اسم أبيها و اللقب: (أسماء بنت عُميس الخثعميه).

و قد روى صاحب كشف الغمه حضور أسماء بنت عُميس الخثعميه فى زواج السيده فاطمه، و رواه الحضرمى فى (رشفه الصادى ص 10) و أحمد بن حنبل فى (المناقب) و الهيثمى فى (مجمع الزوائد) و النسائى فى (الخصائص ص31) و محب الدين الطبرى فى (ذخائر العقبى) عن ابن عباس، و عن الخوارزمى عن الحسين بن على (عليهماالسلام) و عن السيد جلال الدين عبد الحميد بن فخار الموسوى، و عن الدولابى و عن الإمام الباقر عن آبائه (عليهم السلام).

و روى عن بعض هؤلاء شيخنا المجلسى فى العاشر من البحار ج 43.

مع العلم أن زواج السيده فاطمه كان بعد واقعه بدر، و قبل واقعه أحد، أی فی السنه الأولی أو الثانیه من الهجره، فکیف الجمع بین هذین القولین؟

ان هذه مشکله تاریخیه لم یجد المؤرخون لها حلاً مقبولاً صحیحاً، و قد تکلَّف شیخنا المجلسی فی البحار ج 43 ببعض التأویلات أو التصرفات. و لکنها لا تتفق مع التصریح باسم أسماء بنت عُمیس الخثعمیه.

و أعجب من هذا ما ذکره القمی فی سفینه البحار فی ماده (ک ذ ب) عن مجاهد قال:قالت أسماء بنت عُمیس: کنت صاحبه عائشه التی هیأتها و أدخلتها علی رسول الله، و معی نسوه، و قالت: فوالله ما وجدنا عنده قوتاً إلاَّ قدحاً من لبن، فشرب ثم ناوله عائشه، فاستحیت الجاریه فقلت لها:

لا تردی ید رسول الله، خذی منه فأخذته علی حیاء فشربت منه، ثم قال:

ناولی صواحبک

فقلن: لا نشتهیه.

فقال: لا تجمعن جوعاً و کذباً.

قالت: فقلت: یا رسول الله إن قالت إحدانا- لشی ء-: لا نشتهیه أیعدُّ ذلک کذباً؟

قال (صلی الله علیه و آله و سلم): إن الکذب لیکتب حتی یکتب الکذیبه کذیبه.کان المقصود من ذکر هذا الحدیث هو حضور أسماء بنت عمیس فی زواج الرسول بعائشه و کان ذلک قبل زواج السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام).

أضف إلی هذا أنه قد اشتهر بالتواتر حضور أسماء بنت عمیس عند ولاده الإمام الحسین (علیه السلام) فی السنه الرابعه أو الخامسه من الهجره،

و كل ذلک قبل فتح خيبر، أى قبل رجوع جعفر بن أبى طالب من الحبشه.

و قد روى شيخنا المجلسى فى البحار ج 43 عن محمد بن يوسف الكنجى فى كتابه: (كفايه الطالب) حضور أسماء بنت عميس فى زواج السيده فاطمه الزهراء.

قال محمد بن يوسف: هكذا رواه ابن بطه، و هو حسن عال، و ذكر أسماء بنت عميس فى هذا الحديث غير صحيح لأن أسماء هذه امرأه جعفر بن أبى طالب...

إلى أن قال: و أسماء التى حضرت فى عرس فاطمه (عليهاالسلام) إنما هى أسماء بنت يزيد ابن السكن الأنصارى، و أسماء بنت عميس كانت مع زوجها جعفر بالحبشه،و قدم بها يوم فتح خيبر سنه سبع، و كان زواج فاطمه (عليهاالسلام) بعد وقعه بدر بأيام يسيره، فصحَّ بهذا أن أسماء المذكوره فى هذا الحديث إنما هى بنت يزيد..... الى آخره.

أقول: لو لم يكن فى الأحاديث تصريح باسم أسماء و اسم أبيها و لقبها لأمكن هذا التوجيه أو التأويل، و لكن كيف يصح هذا التكلف و التعسّف فى التأويل فى مقابل هذا النص الصريح، و هو: (أسماء بنت عميس الخثعميه)؟

و أما أسماء بنت يزيد الأنصارى فان لنا ان نتساءل: كيف كانت فى مكه يوم توفيت السيده خديجه مع العلم أنها أنصاريه أى من أهل المدينه؟

و الحال أن أسماء التى حضرت وفاه خديجه فى مكه هى التى حضرت زواج فاطمه الزهراء فى المدينه.

و إننى أظن أن الكنجى إنما قال هذا لوجود المشاركه فى الاسم بين أسماء بنت عميس و أسماء بنت يزيد، و لم يذكر أحد من المؤرخين حضور أسماء الأنصاريه فى مكه عند وفاه السيده خديجه.

و الذی یقوی عندی أن الحل الصحیح و الجواب المعقول هو: أن أسماء هذه هی أسماء بنت عمیس الخثعمیه زوجه جعفر بن أبی طالب، و أنها هاجرت مع زوجها إلی الحبشه، و لکنها رجعت إلی مکه، و هاجرت إلی المدینه، و لعلها کررت سفرها إلی الحبشه لأن المسافه من جده إلی الحبشه هی مسافه عرض البحر الأحمر، و لیس قطع هذه المسافه بالصعب المستصعب ذهاباً و إیاباً، و إن کان التاریخ لم یذکر ذلک لأسماء فإن التاریخ ایضا لم یذکر لأبی ذر الغفاری هجره الی الحبشه،و قد روی عن ابی ذر قوله: کنت أنا و جعفر بن أبی طالب مهاجرین إلی بلاد الحبشه.... الی آخر کلامه

روی ذلک الشیخ المجلسی عن کتاب: (علل الشرائع) للصدوق.

و قد ظفرت بروایه رواها المجلسی فی البحار ج 43 فی باب تزویج السیده فاطمه (علیهاالسلام) عن کتاب (مولد فاطمه) عن ابن بابویه: أمر النبی بنات عبدالمطلب.... إلی أن یقول: و النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) و حمزه و عقیل و (جعفر) و أهل البیت یمشون خلفها.. إلی آخره.

فالتصریح بوجود جعفر یحل هذه المشکله.

بقیت هنا کلمه: و هی أن هجره الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) کانت بعد وفاه السیده خدیجه الکبری قطعاً، علی اختلاف فی تاریخ وفاتها فی الشهور و الأعوام قبل الهجره.

و لکن الظاهر أن السیده خدیجه توفیت قبل الهجره بأقل من سنه.

و من ناحیه أُخری کانت هجره جعفر بن أبی طالب إلی الحبشه مرتین، و هجرته الثانیه کانت بعد وفاه السیده خدیجه، و قبل هجره الرسول إلی المدینه.

و الدليل على ذلک هو الخبر المروى: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يوم كان فى الغار قال: (إنى أرى سفينه جعفر تعوم فى البحر).

و من هنا يسهل علينا أن نعرف بأنَّ بنت عميس كانت فى مكه يوم وفاه خديجه، و أنها قد حضرت عند وفاتها.

و أما مشكله أُم سلمه، فإننا نجد اسم السيده أُم سلمه فى الأيام التى سبقت زواج السيده فاطمه الزهراء، فقد كان النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فى بيتها يوم خطبه على (عليه السلام) من فاطمه الزهراء، و قد سمعت أن النبى أودع عندها شيئاً من صداق فاطمه الزهراء و كانت مرجع النساء فى قضايا زواج السيده فاطمه.

مع العلم أن المؤرخين ذكروا أن الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) تزوجها فى السنه الرابعه من الهجره، و زواج السيده فاطمه كان فى السنه الثانيه من الهجره بعد بدر و قبل أُحد، فكيف كانت أُم سلمه فى هذه المراحل مع العلم أنها لم تكن زوجه للنبى (صلى الله عليه و آله و سلم) يومذاک؟.

نجيب عن هذا الكلام بما يلى:

أولاً: المناقشه فى سنه زواجها من الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) فلعل الرسول تزوجها فى أوائل الهجره، أو أن زواج السيده الزهراء كان فى السنه الرابعه من الهجره و هذا احتمال بعيد و قول ضعيف لا يُعبأُ به.

ثانياً: إن السيده أُم سلمه هى بنت عمه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فلا مانع أن تساهم فى مراحل زواج السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) بحيث أن النبى يستودعها صداق فاطمه الزهراء، أو يكون لها اقتراح و رأى فى تعجيل زفاف السيده فاطمه الزهراء. و لعل هذا الوجه هو الاقوى.

هذا ما يتبادر إلى ذهنى و الله العالم بحقائق الأمور.

إن الحضاره- اليوم- بدأت تشعر بضروره احترام بعض المساكن و المبانى و الأراضى، و ذلک بعد أن شعرت باحترام الفضيله و أهلها، و التقدير عن الشرف و العلم و القيم.

و على هذا الأساس أحدثت الحضاره قانوناً بل قوانين بهذا الشأن، و رعايه لهذا الأمر، فالصيانه الدبلوماسيه التى منحها القانون لمبانى السفارات و الهيئات الدبلوماسيه و هكذا القوانين التى تفرض احترام الجامعات و المعاهد العلميه و المساجد و المعابد تقديراً للعلم والدين و الثقافه هى من نتائج الشعور بهذا المعنى.

و لكن هذه الحقيقه كانت ثابته عندالله تعالى، و عند أوليائه من أهل السموات و الأرض منذ الأزل، و انطلاقاً من هذه الحقيقه نجد الأحكام الوارده حول احترام المساجد و خاصه المسجد الحرام، و تحريم الدخول فيه على بعض الأفراد كالمشركين أو المجنب و الحائض، و تحريم تنجيسها، أو إتيان ما ينا فى قدسيتها و احترامها، أو الصيد فى الحرم (و هو المناطق المحيطه بمكه من جميع الجوانب، حسب حدود معينه مذكوره فى كتب الفقه).

بعد ذكر هذه المقدمه اعلم أن البيت الذى كانت السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) تسكن و تعيش فيه كان محاطاً بالقداسه و الروحانيه و النور، و التجليل و التبجيل، و يعرف حق ذلک البيت كل من يعرف حق فاطمه و أبيها، و بعلها و بنيها.

و قد روى شيخنا المجلسى (عليه الرحمه) عن أنس بن مالک و عن بريده قال: قرأ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): «فى بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له بالغدو و الآصال» (1) .

فقام رجل فقال: أى بيوت هذه يا رسول الله؟

فقال: بيوت الأنبياء.

فقام إليه أبوبكر،

فقال: يا رسول الله! هذا البيت منها؟!

و أشار إلى بيت على و فاطمه.

قال: نعم، من أفضلها!! (2) .

و عن ابن عباس قال: كنت فى مسجد رسول الله، و قد قرأ القارئ:

(فى بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه...الايه) فقلت: يا رسول الله! ما البيوت؟

فقال: رسول الله (صلى الله عليه و آله): بيوت الأنبياء. و أومى بيده إلى منزل فاطمه! (3) .

و فى الكافى عن جابر بن عبدالله الأنصارى قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يريد فاطمه (عليهاالسلام) و أنا معه، فلما انتهينا إلى الباب وضع يده عليه فدفعه، ثم قال: السلام عليكم.

فقالت فاطمه (عليهاالسلام): عليک السلام يا رسول الله.

قال: ءأدخل؟

قالت: أدخل يا رسول الله.

1- 127. النور: 36.

2- 128. و فی نسخه: من افاضلها/ تفسیر الثعلبی و منه تفسیر (البرهان) ج 3/ 139.
3- 129. کشف الغمه.

قال: أدخل أنا و من معی؟

فقالت: یا رسول الله لیس علی قناع.

فقال: یا فاطمه خذی فضل ملحفتک، فقنّعی به رأسک. ففعلت.

ثم قال: السلام علیکم.

فقالت: و علیک السلام یا رسول الله

قال: ءأدخل؟

قالت: نعم یا رسول الله.

قال: أنا و مَن معی؟

قالت: أنت و مَن معک.. إلی آخره (1) .

1- 130. الکافی ج 5/ باب الدخول علی النساء حدیث 5.

انتقلت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) إلى البيت الزوجى، و كان انتقالها من بيت الرساله و النبوه إلى دار الإمامه و الوصايه و الخلافه و الولايه، و حصل تطور فى سعاده حياتها، فبعد أن كانت تعيش تحت شعاع النبوه صارت قرينه الإمامه.

كانت حياتها فى البيت الزوجى تزداد إشراقاً و جمالاً إذ كانت تعيش فى جوٍّ تكتنفه القداسه و النزاهه، و تحيط به عظمه الزهد و بساطه العيش، و كانت تعين زوجها على أمر دينه و آخرته، و تتجاوب معه فى اتجاهاته الدينيه، و تتعاون معه فى جهوده و جهاده.

و ما أحلى الحياه الزوجيه إذا حصل الانسجام بين الزوجين فى الاتجاه و المبدأ و نوعيه التفكير، مبنياً على أساس التقدير و الاحترام من الجانبين.و ليس ذلک بعجيب، فإن السيده فاطمه الزهراء تعرف لزوجها مكانته العظمى و منزلته العليا عندالله تعالى، و تحترمه كما تحترم المرأه المسلمه إمامها، بل أكثر و أكثر، فإن السيده فاطمه كانت عارفه بحق على حق (عليه السلام)معرفته، و تقدره حق قدره، و تطيعه كما ينبغى، لأنه أعز الخلق إلى رسول الله. لأنه صاحب الولايه العظمى، و الخلافه الكبرى و الإمامه المطلقه.

لأنه أخو رسول الله و خليفته، و وارثه و وصيه.

لأنه صاحب المواهب الجليله، و السوابق العظيمه.

و هکذا کان علی (علیه السلام) یحترم السیده فاطمه الزهراء احتراماً لائقاً بها،لا لأنها زوجته فقط:

بل لأنها أحب الخلق إلی رسول الله.

لأنها سیده نساء العالمین.

لأن نورها من نور رسول الله.

لأنها من الذین بهم فتح الله کتاب الإیجاد و الوجود.

لأنها کتله من العظمه.

لأنها مجموعه من الفضائل، و لو کانت فضیله واحده من تلک الفضائل متوفره فی امرأه واحده لاستحقت التقدیر و التعظیم.

فکیف بفاطمه الزهراء، و قد اجتمعت فیها من المزایا و المواهب و الفضائل و المکارم ما لم تجتمع فی أیه امرأه فی العالم کله، من حیث النسب الشریف الأرفع، و الروحانیه و القدسیه، و من حیث بدء الخلقه و منشأ إیجادها و کرامتها عندالله، و عبادتها و علمها و دیانتها، و زهدها و تقواها و طهارتها و نفسیتها و شخصیتها، و غیر ذلک من مئات المزایا مما یطول الکلام بذکرها.

بعد ما قصصنا و لم نقصص علیک یمکن لک أن تدرک الجوّ الذی کان الزوجان السعیدان یعیشانه، و الحیاه الطیبه السعیده الحلوه (بجمیع معنی الکلمه) التی کانا یتمتعان بها:

حیاه لا یعکِّرها الفقر، و لا تغیّرها الفاقه، و لا تضطرب بالحوادث.

حیاه یهب علیها نسیم الحب و الوئام، و تزینها العاطفه بجمالها المدهش.

قال علی (علیه السلام): فوالله ما أغضبتها و لا أکرهتها علی أمر حتی قبضها الله عز و جل، و لا أغضبتنی و لا عصت لی أمراً، لقد کنت

انظر إليها فتنكشف عنى الهموم و الأحزان (1) .

و روى عن الإمام الباقر (عليه السلام): أن فاطمه (عليهاالسلام) ضمنت لعلى (عليه السلام) عمل البيت و العجين و الخبز، و قمَّ البيت، و ضمن لها على (عليه السلام) ما كان خلف الباب: نقل الحطب و أن يجى ء بالطعام. لا يُعلم بالضبط مده إقامه الإمام و السيده فاطمه (عليهماالسلام) فى دار حارثه بن النعمان، إلاّ أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بنى لها بيتاً ملاصقاً لمسجده، له باب شارع إلى المسجد، كبقيه الحجرات التى بناها لزوجاته، و انتقلت السيده إلى ذلک البيت الجديد الملاصق لبيت الله، المجاور لبيت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

1- 131. بحارالانوار ج 43.

لقد تکرر منّا الکلام أن بعض حَمَله الأقلام أساءوا إلی السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) فی شتی المیادین و مختلف المجالات، و قد تقدم منا الکلام أن زواج الإمام أمیرالمؤمنین (علیه السلام) بالسیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام)قد هیَّج الأحقاد فی قلوب الحاسدین، فجعلوا یتشبثون بشتی الوسائل لتعکیر حیاه الزوجین السعیدین، و إثاره الفتن و المشاغبات، کما هو شأن المفسدین الذین تتکون عندهم عقده الحقاره النفسیه بسبب الفشل فی الحیاه.

و من جمله تلک المشاغبات أنهم أشاعوا أن علیّاً قد خطب ابنه أبی جهل، و وصل الخبر إلی السیده فاطمه الزهراء أن زوجها قد خطب بنت رئیس المشرکین و قطب الکافرین أبی جهل.

فتأثرت السیده فاطمه و ذهبت إلی حجره أبیها الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) و لکن سرعان ما انکشف الأمر، و اتضحت الحقیقه، و ظهر تزویر هذا الخبر.

هذه خلاصه هذه الا کذوبه.

و لکن هلم معی إلی بعض المؤلفین و الکُتّاب کیف اتخذوا هذه التهمه مرتعاً خصباً للتهریج و التشنیع ضد الإمام أمیرالمؤمنین (علیه السلام)، فجعلوا یطبّلون و یزمّرون من حیث یشعرون أو لا یشعرون.

و من جمله المطبّلین و المزمّرین هی الکاتبه المصریه بنت الشاطی ء، التی

كتبت ما كتبت و هى غير مباليه بما تكتب، أو متعمده فيما تكتب، فإنها اعتبرت هذه الأكذوبه حقيقه ثابته عندها، لا شک فيها و لا ريب.

و هنا نقتطف بعض ما كتبته الكاتبه المصريه فى كتابها: (بنات النبى) ص 167:

«لقد همّ على بالزواج على فاطمه... دون أن يخطر بباله أن فى هذا ما تنكره بنت نبى الإسلام».

أنا لا أدرى بماذا أُجيب على هذه الكلمه الهوجاء التائهه؟

و هل يوجد فى العالم كله رجل لا يشعر أن زوجته تكره الضرّه؟

و تكره أن يتزوج عليها زوجها؟

إنَّ أقلَّ الناس إدراكاً و معرفه بالأمور يشعر بهذا الأمر، و لكن الكاتبه تقول: (دون أن يخطر بباله (ببال على) أن فى هذا ما تنكره بنت نبى الإسلام»!!

و تقول بعد ذلک: «ألا: ليت علياً قد صبر على واحده».

ثم إنّها ملأت صفحات من كتابها فى ذم أبى جهل و مواقفه ضد الإسلام، ثم قارنت بين بنت أبى جهل و بين بنت الرسول، و هى بهذه المقارنه تقصد التشنيع و و التهريج ضد هذا الزواج المزعوم.

و من العجب أن الكاتبه نفسها تبدى استياءها من بعض المستشرقين المسيحيين المتعصبين الذين تلاعبوا بالتاريخ الإسلامى، و تخص الكاتبه منهم (لامانس) المبشّر المسيحى المعادى.

و مع الأسف أن الكاتبه نفسها نسيت التريّث و التروّى حول هذه المفتريات، و اعتبرتها و حياً يوحى.

و استعانت الكاتبه بنسيج خيالها و وصفها الروائى الذى هو عاده مؤلفى الأساطير.

و هنا يجيب الفاضل المعاصر السيد حسن الأمين- عن هذه المفتريات- فى الجزء الثالث من كتابه (دائره المعارف الإسلاميه الشيعيه (ص 10) تحت عنوان:

دسائس على النبى و علىّ و فاطمه:

ورد فى كتاب ذخائر العقبى أن علياً أراد أن يتزوج بنت أبى جهل على فاطمه، و أن النبى غضب لذلک و صعد المنبر محتداً ناقماً على هذا الأمر، شاجباً له، بالتفاصيل المزريه التى وردت فى الكتاب مما هو طعن صريح بمحمد، فضلاً عن أنه طعن بعلىٍّ و فاطمه.

أمّا أنه طعن بمحمد، فذلک أنه أظهره بمظهر من يرفض أن يطبّق الشريعه على نفسه و على من يتصل به فى حين أنه يفرض على غيره تطبيقها.

فهو يبيح للناس تعدد الزوجات، و لكن يأبى أن ينطبق هذا التعدد على ابنته. و هذا من أفظع ما يوجَّه إلى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) من مطاعن و لكن أعداء محمد استطاعوا أن يفعلوا ذلک، و أن يستغلوا ذوى النظر القصير، فيروونه فى كتبهم و لا يرون فيه شيئاً.

أمّا أنه طعن فى على: فذلک بإظهاره بمظهر من أغضب فاطمه وأغضب النبى نفسه.و أمّا أنه طعن فاطمه: لأنها تابى أن تطبِّق شريعه الله التى جاء بها أبوها على نفسها.

نحن لن نتعرض لسند الخبر، فإن هذا الخبر بادئ الفساد من نفسه و لكننا نتساءل: لماذا خصّ رواوا الخبر بنت أبى جهل بهذا الشرف؟

و لماذا لم ينسبوا إلى على محاولته التزوج على فاطمه من غير بنت

أبى جهل؟

أكان ذلک لأن بنت أبى جهل كانت من الجمال و الكمال بحيث لم تكن أى فتاه عربيه غيرها على شى ء من مثلها؟

إنما خصُّوا بذلک بنت أبى جهل ليكون الطعن فى على (عليه السلام) أبلغ و أنفذ، فهو لم يختر لإغاظه النبى و ابنته فاطمه إلاّ بنت أعدى عدوٍّ للنبى و الإسلام. كشفتْ الدسيسه عن نفسها، و فضحت مخترعيها و لو كانوا أكثر ذكاءً لخففّوا من غلوائهم، و لم يمدحوا أنفسهم و هم يشتمون محمداً و ابنته و ابن عمه.

فقد أوردوا فى القصه هذا النص عن لسان النبى: (ذكر- النبى - صهراً له من بنى عبد شمس فأثنى عليه فى مصاهرته فأحسن).

قال- النبى-: «حدَّثنى- أى ذلک الصهر من بنى عبد شمس- فصدَّقنى، و وعدنى فأوفانى».

و معنى هذا الكلام أن النبى يثنى على صهره الأموى من بنى عبدشمس و يقول عنه: أنّه حدّثه فصدقه فى حديثه، و وعده فوفى بما وعد!!

و هكذا- كما قلنا- فضحت الدسيسه نفسها بنفسها و اظهرت زيفها دون ان تحوجنا فى ذالک الى كثير عناء.

اريد لهذا الخبرا الزائف غايه اخرى مضافه الى غايه الطعن فى النبى و فى على و فاطمه، هذه الغايه هى صرف الانظار عن حقيقه الذين اغضبوا

فاطمه، و جعل المقصود بذلک هو على بن أبى طالب.

فقد أورد مدبّر و الخبر و منظّموه- أوردوه بعدَّه نصوص ليكون فى كل نصٍ غايه مستقله.

و من النصوص التى أوردها قولهم: قال النبى: (فاطمه بضعه منى، يريبنى ما رابها، و يؤذينى ما يؤذيها».

ثم فسّروا هذا الحديث بأن قالوا: إن المقصود منه أنَّ الله حرَّم على أن يتزوج على فاطمه و يؤذى رسول الله.

ص: 163

و حملت السيده فاطمه الزهراء بولدها الحسن (عليه السلام) و عمرها اثنتا عشره سنه و انتقل شی ء من نور الإمام و الإمامه من صلب على إلى فاطمه، و من الطبيعى أن النور يتجلى فى وجهها، و يزهر وجهها كى يصدق عليها اسم (الزهراء)و اقتربت الولاده، و اتفقت للرسول سفره جاء يودّع ابنته فاطمه، فأوصاها بوصايا تتعلق بالمولود المنتظر و منها: أن لا يلفّوه فى خرقه صفراء.

و وضعت فاطمه ولدها الأول فى النصف من شهر رمضان (على قول) سنه ثلاث من الهجره، فكان يوماً عظيماً، و قد حضرت عند الولاده أسماء بنت عميس فلفّوه فى خرقه صفراء، لا تعمداً و مخالفه للرسول، بل سهواً و غفله- أو جهلاً- من النسوه اللاتى حضرن الولاده.

فأقبل النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و قال: أرونى ابنى، ما سميتموه؟

و كانت فاطمه قالت لعلى (عليه السلام): سمِّه. فقال على: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله فلما جاء النبى و أخذ المولود قال: ألم أنهكم أن تلفوه فى خرقه صفراء؟ ثم رمى بها، و أخذ خرقه بيضاء فلفَّه بها.

ثم قال لعلى (عليه السلام): هل سميّته؟

فقال على: ما كنت لأسبقک باسمه.

فقال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): و ما کنت لأسبق ربی (عز و جل).

فأوحی الله إلی جبرئیل: أنه قد وُلد لمحمد ابن، فاهبط، فأقرأه السلام، و هنأه و قل له: إن علیاً منک بمنزله هارون من موسی، فسمِّه باسم ابن هارون. فهبط جبرئیل فهنأه من الله (عز و جل)، ثم قال: إن الله تبارک و تعالی یأمرک أن تسمیه باسم ابن هارون.

فقال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): و ما کان اسمه؟

قال جبرئیل: شبَّر.

فقال النبی: لسانی عربی (1) قال جبرئیل: سمّه الحسن. فسمَّاه الحسن، و أذَّن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فی أذنه الیمنی و أقام فی الیسری.

فلما کان یوم السابع عقّ النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) بکبشین أملحین، و أعطی القابله فخذاً و دیناراً. و حلق رأسه، و تصدّق بوزن الشعر فضّه، و طلی رأسه بالخلوق (2) و قال:یا أسماء الدم فعل الجاهلیه. (أی إن أهل الجاهلیه کانوا یطلون رأس المولود بالدم).

و کان الرسول یقبّله: و یُدخل لسانه فی فم الحسن فیمصّه الحسن و قیل: کان ذلک کله یوم السابع من الولادهِ. (3) .

1- 132. لان شبر کلمه عبریه و لیست عربیه.
2- 133. الخلوق: طیب مرکب من الزعفران و غیره.
3- 134. بحارالانوار ج 44.

حملت السيده فاطمه الزهراء بطفلها الثانى،و مضت سته أشهر على الحمل، و إذا بها تشعر بعلائم الولاده.

و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قد بشَّر بولاده الحسين.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): أقبل جيران أم أيمن إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فقالوا: يا رسول الله إن أم أيمن لم تنم البارحه من البكاء،لم تزل تبكى حتى أصبحت.

فبعث رسول الله إلى أم أيمن فجاءته فقال لها: يا أم أيمن! لا أبكى الله عينيک! إن جيرانک أتونى و أخبرونى أنک لم تزل الليل تبكين أجمع، فلا أبكى الله عينيک ما الذى أبكاک؟ قالت: يا رسول الله، رأيت رؤيا عظيمه شديده، فلم أزل أبكى الليل أجمع فقال لها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): فقصِّيها على رسول الله.

فإن الله و رسوله أعلم.

فقالت: رأيت ليلتى هذه كأن بعض أعضائک ملقىً فى بيتى!

فقال لها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): نامت عينک و رأيت

خیراً، یا أم أیمن تلد فاطمه الحسین فتربینه و تلبینه فیکون بعض أعضائی فی بیتک.

فلما ولدت فاطمه الحسین (علیهماالسلام) أقبلت به أُم أیمن إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فقال: مرحباً بالحامل و المحمول یا أُم أیمن هذا تأویل رؤیاک.

و رأت أُم الفضل زوجه العباس (عم النبی) رؤیا شبیهه برؤیا أُم أیمن.

و حضرت النسوه وقت الولاده، منهن: صفیه بنت عبدالمطلب (عمه النبی) و أسماء بنت عمیس و أُم سلمه، فلما وُلد الحسین قال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): یا عمه هلمِّی إلیّ ابنی.

فقالت: یا رسول الله إنّا لم ننظفه بعد.

فقال: یا عمه أنت تنظّفینه؟ إن الله تبارک و تعالی قد نظّفه و طهّره.

و هبط جبرئیل علی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و أمره أن یسمیه: الحسین باسم ابن هارون، و کان اسمه بالعبریه (شبیر) و معناها بالعربیه: الحسین.

و هبط علی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) أفواج من الملائکه لتُهنّئه بولاده الحسین و تعزّیه بشهادته، و أخذ رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)الحسین، فجعل لسانه فی فمه، فجعل الحسین یمصه.

و کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) یأتیه کل یوم. فیلقمه لسانه فیمصّه الحسین حتی نبت لحمه واشتد عظمه من ریق رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

و لم یرتضع الحسین (علیه السلام) من أُمّه، و لا من امرأه أُخری!

قال سیدنا بحر العلوم (علیه الرحمه):

لله مرتضع لن يرتضع أبداً

من ثدى أُنثى و من طه مراضعه

يعطيه إبهامه آناً فآونةً

لسانه فاستوت منه طبائعه

و فى اليوم السابع من ولادته أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فحلق رأس الحسين، و تصدّق بوزن شعره فضه، وعقّ عنهِ (1) .

هذا و تجد التفصيل فى كتابنا: (الامام الحسين (عليه السلام) من المهد إلى اللحد) إن شاءالله تعالى.

1- 135. بحارالانوار ج 43.

من الصحیح أن نقول أن ولاده السیده زینب الکبری (علیهاالسلام) کانت بعد ولاده الحسین (علیه السلام).

و بعباره أخری: أن السیده زینب هی الطفل الثالث للسیده فاطمه الزهراء بإجماع أکثر المؤرخین و المحدّثین، إلاّ من شذّ و ندر من المؤرخین المتطرفین الذین جعلوها الطفل الرابع، زاعمین أن السیده فاطمه الزهراء حملت بزینب بعد سقوط جنین لها، و هم بذلک یقصدون تغطیه الجریمه و ستر المأساه التی حدثت عند باب دار السیده فاطمه الزهراء بعد وفاه الرسول، مما أدّی ذلک إلی سقوط جنینها.

و من جمله من أعجبهم هذا القول الشاذ هی بنت الشاطئ المصریه فی کتابها: (بطله کربلاء) و إلیک نص کلامها:

«إنها الزهراء بنت النبی، توشک أن تضع فی بیت النبوه مولوداً جدیداً بعد أن أقرّت عینی الرسول بسبطیه الحبیبین: الحسن و الحسین، و ثالث لم یقدّر له أن یعیش هو المحسن بن علی.. الی آخر کلامها.

و لا یُهمّنا- الآن- النقاش حول هذه المغالطه، لأن لنا مجالاً واسعاً- فی المستقبل- حول المحسن بن علی، و أنه هو الطفل الأخیر لفاطمه الزهراء (علیهاالسلام) و أنه مات جنیناً فی بطن أُمه علی أثر الصدمه و الضغطه التی حدثت بین الحائط و بین باب بیت فاطمه.

و إنما نذکر هنا نبذه مختصره من حیاه السیده زینب الکبری رعایه

لأسلوب الكتاب، و تجد التفصيل فى كتابنا: زينب الكبرى من المهد الى اللحد فإن حياتها المشرقه جديره بالبحث و التحليل و الإشاده و التنويه، و نذكر هنا الشى ء اليسير اليسير عن مولدها و نشأتها:

وُلدت السيده زينب الكبرى فى السنه الخامسه من الهجره، و هى المولود الثالث للبيت النبوى العلوى الشريف الأرفع.

و إننى أراها- هنا- فى غنى عن التعريف و الوصف، و ما عسانى أن أقول فى سيده أبوها: الإمام المرتضى على بن أبى طالب (عليه السلام) و أمها التى أنجبتها: سيده نساء العالمين الصديقه الكبرى فاطمه الزهراء بضعه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و أخواها سيدا شباب أهل الجنه الإمامان: الحسن و الحسين (عليهماالسلام) فهى حصيله الفضائل، و نتيجه العظمه، محاطه بهاله من الشرف الرفيع من جميع جوانبها.

فلا تسأل عن صدرٍ أرضعها، و حجرٍ رباها، و تربيه شملتها، و رعايه أحاطت بها، و البيت الذى فتحت فيه عينها.

و لا تسأل عن عوامل الوراثه، و تفاعل التربيه، و تأثير الجو العائلى المقدس فى نفسيه السيده زينب، مضافه إلى أخلاقها المكتسبه، و مواهبها التى ظهرت من الإمكان إلى الفعل.

و كم يؤلمنى أن أقول بأن التاريخ قد ظلم السيده زينب كما ظلم أباها و أمها و أسرتها أجمعين. إذ لم يعبأ بها التاريخ كما ينبغى، و لم يتحدث عنها كما تقتضيه و تتطلبه شخصيه سيده مثل زينب الكبرى عقيله الهاشميين، حفيده رسول الله (صلى الله عليه و آله سلم).

قد سمّاها جدّها الرسول زينباً. و الكلمه مركبه من: (زين الأب).

و قد ذكر الشيخ محمد جواد مغنيه فى كتابه: (الحسين و بطله كربلاء) نقلاً عن جريده الجمهوريه المصريه 31/ 10/ 72 مقالاً للكاتب

المصرى يوسف محمود، نقتطف منه موضع الحاجه:

(وُلدت فى شعبان من السنه الخامسه للهجره، فحملتها أمها، و جاءت بها إلى أبيها (على) و قالت:

سمِّ هذه المولوده.

فقال لها- رضى الله عنه-: ما كنت لأسبق رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)و كان فى سفر له، و لما جاء النبى و سأله عن اسمها قال: ما كنت لأسبق ربى.

فهبط جبرئيل يقرأ على النبى السلام من الله الجليل و قال له: اسم هذه المولوده زينب، فقد اختار الله لها هذا الاسم).

هذا ما ذكره صاحب المقال بدون تعرّض لسند هذا الحديث، ذكرته بالنص.

و للسيده زينب الكبرى حياه مشرقه و تاريخ حافل بالمكارم و الفضائل و ملى ء بالمآسى فى أدوار حياتها فى عهد الطفوله و دور الصبا، من افتجاعها بجدّها الرسول الأقدس (صلى الله عليه و آله و سلم) و أمها الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) و الأحداث التى عاشتها السيده زينب طيله ربع قرن الفتره التى كان أبوها المرتضى على (عليه السلام) جليس البيت مسلوب الإمكانيات. ثم هجرتها من المدينه إلى الكوفه عاصمه أبيها يومذاک.

و شاءت الإراده الإلهيه أن تفجع السيده زينب بأبيها العظيم الإمام على (عليه السلام) تلک الكارثه التى اهتزت لها السموات العلى.

و أعقبت ذلک أحداث من الحرب التى قامت بين أخيها الإمام الحسن (عليه السلام) و بين معاويه ابن آكله الاكباد، و ما انتجت تلک النتائج.

و إلى أن انتهت الفتره بوفاه الإمام الحسن (عليه السلام) مسموماً.

و انقضت سنوات و إذا بالسيده زينب تواجه كارثه أخرى هى أعظم فاجعه عرفها التاريخ تلک فاجعه كربلاء الداميه ذات المسيره الطويله و الأبعاد العديده فكانت السيده زينب تعيش تلک الأحداث بدون أن يعتريها انهيار أو ارتباک، لم تفقد أعصابها، و لم يختل و عيها.

و إلى أن رجعت إلي المدينه، و حكمت السلطه عليها بالإبعاد، فاختارت مصر، و قدّر الله لها أن تفارق حياتها- تلک الحياه المدهشه- فى أرض النيل فيكون مثواها ملاذاً و معاذاً و مهوى أفئده الملايين على مرّ القرون و إلى يومنا هذا و إلى يوم يعلمه الله.

هذه نبذه موجزه و لمحه خاطفه تعتبر عصاره و خلاصه لحياه سيدتنا زينب الكبرى (عليها و على جدها و أمها و أبيها و أخويها الصلاه والسلام).

و إلى اللقاء فى كتاب: (زينب الكبرى من المهد إلى اللحد).

ص: 172

استقبل بیت السیده فاطمه الزهراء و علی (علیهماالسلام) بنتهما الثانیه و طفلهما الرابع بما استقبل به من سبقها من الأطفال من الفرح و السرور.

و قد شارکت السیده أم کلثوم أختها زینب فی النسب الشریف و التربیه الممتازه و الأحداث کلها، و إن اختلفت عنها فی بعض جوانب حیاتها.

و هی أیضاً من الذین شملهم ظلم التاریخ، کما شملتها المآسی و الالام التی لا یتحملها أقویاء الرجال.

و لعلنا نتطرق إلی نبذه من جوانب حیاتها أثناء التحدث عن شقیقتها زینب الکبری، و نؤدی بعض ما یتطلبه البحث و التحقیق إن شاءالله.

و هی فی قوله تعالی: «قل لا أسئلکم علیه أجراً إلاَّ الموده فی القربی و مَن یقترف حسنه نزد له فیها حسناً إن الله غفور شکور» (1) هذه الآیه کما تراها خطاب من الله العظیم إلی نبیه الکریم: (قل) یا محمد لأمتک: (لا أسئلکم علیه) علی أداء الرساله (أجراً) شیئاً من الأجر (إلاَّ الموده فی القربی) أی إلاَّ أن تودّوا قرابتی.

و قد اتفقت کلمات أئمه أهل البیت (علیهم السلام) و کلمات أتباعهم أن المقصود من القربی هم أقرباء النبی، و هناک أحادیث متواتره مشهوره فی کتب الشیعه و السُنه حول تعیین القربی بأفرادهم و أسمائهم، و من جمله الأحادیث التی ذکرها علماءُ السنه فی صحاحهم و تفاسیرهم هذا الحدیث:

لما نزلت هذه الآیه قالوا: یا رسول الله من قرابتک هؤلاء الذین و جبت علینا مودتهم؟

قال (صلی الله علیه و آله و سلم): علی و فاطمه و ابناهما.. الی آخره.

ذکر هذا الحدیث طائفه من علمائهم، منهم:

1- ابن الحجر فی الصواعق المحرقه له.

2- الثعلبی فی تفسیره.

3- السیوطی فی الدر المنثور.

4- أبو نعیم فی حلیه الأولیاء.

1- 136. الشوری: 22.

5- الجوینی الشافعی فی فرائدالمسطین.

و حدیث آخر رواه الطبری و ابن حجر أیضاً: أن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: إن الله جعل أجری علیکم الموده فی أهل بیتی، و إنی سائلکم غداً عنهم.

هؤلاء بعض الرواه الذین ذکروا و نقلوا هذا الحدیث بصوره إجمالیه.

وإلیک بعض الأحادیث التی تصرّح باحتجاج أئمه أهل البیت (علیهم السلام) بهذه الآیه علی أن المقصود من القربی هم:

فی الصواعق المحرقه لابن حجر: عن علی (علیه السلام): فینا فی آل حم، لا یحفظ مودّتنا إلاَّ کل مؤمن ثم قرأ: «قل لا أسئلکم علیه أجراً إلاَّ الموده فی القربی، و من یقترف حسنه نزد له فیها حسناً إن الله غفور شکور).

و فی الصواعق أیضاً عن الإمام الحسن المجتبی (علیه السلام) أنه خطب خطبه قال فیها: و أنا من أهل البیت الذین افترض الله (عز و جل) مودتهم و موالاتهم، فقال فیما أنزل علی محمد (صلی الله علیه و آله و سلم): «قل لا أسئلکم علیه أجراً إلاَّ الموده فی القربی، و من یقترف حسنه نزد له فیها حسناً» و اقتراف الحسنه مودتنا اهل البیت... الی آخره.

و فی الصواعق أیضاً عن الإمام زین العابدین علی بن الحسین (علیهماالسلام) حینما أتاه رجل من أهل الشام، و هو (علیه السلام) أسیر، و قد أقیم علی باب الجامع الأموی بدمشق فقال له الشامی: الحمد لله الذی قتلکم... الی آخره. فقال له: أما قرأت «قل لا أسئلکم علیه أجراً إلاَّ الموده فی القربی».

و إلی هذا أشار الشاعر الکمیت الأسدی بقوله:

وجدنا لکم فی آل حم آیه

تأوّلها منَّا تقی و معربُ

و عن جابر بن عبدالله قال: جاء إعرابی إلی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم).

قال: یا محمد أعرض علیَّ الإسلام.

فقال: تشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شریک له. و أن محمداً عبده و رسوله.

قال: تسألنی علیه أجراً؟

قال: لا، إلاَّ الموده فی القربی.

قال: قرابتی أو قرابتک؟

قال: قرابتی.

قال: هات أبایعک، فعلی من لایحبّک و لایحب قرابتک لعنه الله.

فقال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): آمین.

رواه الکنجی فی (کفایه الطالب) ص 31.

و ذکر ابن حجر فی الصواعق ص 101 هذین البیتین لابن العربی:

رأیت و لائی آل طه فریضه

علی رغم أهل البعد یورثنی القربا

فما طلب المبعوث أجراً علی الهدی

بتبلیغه إلاَّ الموده فی القربی

و ذکر هذین البیتین للإمام الشافعی:

یا أهل بیت رسول الله حبّکم

فرض من الله فی القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكُمُ

مَن لم يصلّ عليكم لا صلاه له

و قد ذكر شيخنا الأمينى (عليه الرحمه) فى الجزء الثالث من الغدير خمسه و أربعين من اسماء المحدثين والحافظو المفصرين من العامه الذين رووا نزول هذه الآيه فى شأن على و فاطمه و الحسن و الحسين (عليهم السلام) و هم:

الإمام أحمد، ابن المنذر، ابن أبى حاتم، الطبرى، ابن مردويه، الثعلبى،

أبوعبدالله الملا، أبوالشيخ النسائى، الواحدى، أبونعيم، البغوى، البزاز، ابن المغازلى، الحسكانى، محب الدين، الزمخشرى، ابن عساكر، أبوالفرج، الجوينى، النيسابورى، ابن طلحه، الرازى، أبوالسعود، أبوحيان، ابن أبى الحديد،البيضاوى، النسفى، الهيثمى، ابن الصباغ، الكنجى، المناوى، القسطلانى، الزرندى، الخازن، الزرقانى، ابن حجر، السمهودى، السيوطى، الصفورى، الصبان، الشبلنجى، الحضرمى، النبهانى.

ص: 177

قال الله تعالی: «فمن حاجّک فیه من بعد ما جاءک من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءکم و نساءنا و نساءکم و أنفسنا و أنفسکم ثم نبتهل فنجعل لعنه الله علی الکاذبین» (1) تعتبر هذه الواقعه من الوقائع المشهوره، و الحوادث المعروفه عند المسلمین من یوم وقوعها إلی یومنا هذا، و لا أرانی بحاجه إلی ذکر المصادر و المدارک لها.

و یکفی أن أقول: إن جمیع المفسرین و المحدّثین- إلاَّ من شذَّ و ندر- قد اتفقت کلمتهم علی نزول هذه الآیه علی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) حینما جری الحوار بینه و بین النصاری حول عیسی ابن مریم (علیه السلام) و إلیک الواقعه بصوره موجزه مرویه عن أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب (علیه السلام):

قدم علی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) و فد من نصاری نجران (2) و یتقدمهم ثلاثه من کبارهم: العاقب، و محسن، و الأسقف، و رافقهم رجلان من مشاهیر الیهود، جائوا لیمتحنوا رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)

فقال له الأسقف: یا أبا القاسم فذاک موسی من أبوه؟.

النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): عمران.

الأسقف: فیوسف من أبوه؟

1- 137. آل عمران: 60.
2- 138. نجران منطقه تقع علی الحدود بین الحجاز و الیمین.

النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): یعقوب.

الأسقف فداک أبی و أمی: فأنت من أبوک؟

النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): عبدالله بن عبدالمطلب.

الأسقف: فعیسی مَن أبوه؟

فسکت النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): «إن مثل عیسی عندالله کمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له کن فیکون» فوثب الأسقف و ثبه إعظام لعیسی أن یقال له من تراب ثم قال: ما نجد هذا- یا محمد- فی التوراه و لا فی الإنجیل و لا فی الزبور، و لا نجد هذا إلا عندک.

فأوحی الله إلیه: «فقل تعالوا ندع.. الی آخره».

فقالوا: أنصفتنا یا أباالقاسم فمتی موعدک؟

قال: بالغداه إن شاءالله.

فلما صلی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) الصبح أخذ بید علی و جعله بین یدیه، و أخذ فاطمه (علیهاالسلام) فجعلها خلف ظهره، و أخذ الحسن و الحسین عن یمینه و شماله، و قال لهم: إذا دعوتُ فأمِّنوا. ثم برک لهم بارکاً. فلما رأوه قد فعل ذلک ندموا و تآمروا فیما بینهم و قالوا: و الله إنه لَنبی، و لئن بَاهَلَنا لیستجیب الله له علینا، فیهلکنا، ولا ینجینا شی ء منه إلاَّ أن نستقیله (1) .

و ذکر الرازی فی تفسیره: قال أسقف نجران: یا معشر النصاری! إنی لأری وجوهاً لو سألوا الله أن یزیل جبلاً لأزاله بها، فلا تباهلوهم فتهلکوا،

1- 139. بحارالانوار ج 16.

و لا یبقی علی وجه الأرض نصرانی إلی یوم القیامه.

فأقبلوا حتی جلسوا بین یدیه ثم قالوا: یا أباالقاسم أقِلنا.

قال: نعم. قد أقلتکم، أما والذی بعثنی بالحق لو باهلتکم ما ترک الله علی ظهر الأرض نصرانیاً إلاّ أهلکه.

ذکرنا هذه الواقعه مع رعایه الاختصار، و قد ذکرنا ما تیسّر حول الآیه فی کتاب (علی من المهد إلی اللحد).

و یکون حدیثنا- هنا- حول قوله تعالی: «و نساءنا و نساءکم» فقد أجمع المسلمون أن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) لم یأخذ معه من الرجال إلاّ علیاً، و من الأبناء إلاّ الحسن و الحسین، و من النساء إلاَّ ابنته فاطمه الزهراء، و لم یأخذ معه أحداً من زوجاته، و هنَّ فی حجراته و لم یأخذ معه إحدی عمّاته کصفیه بنت عبدالمطلب التی کانت شقیقه أبیه عبدالله، و لم یصطحب معه أم هانی بنت أبی طالب، و لا دعی غیرهن من الهاشمیات و لا من نساء المهاجرین و الأنصار.

فلو کانت فی نساء المسلمین امرأه کفاطمه الزهراء فی الجلاله و العظمه و القداسه و النزاهه لدعاها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) لترافقه للمباهله، مع العلم أن الله تعالی أمر نبیه أن یدعو نساءه بقوله تعالی: (و نساءنا) و لکنه (صلی الله علیه و آله و سلم) لم یجد امرأه تلیق بالمباهله سوی ابنته الصدّیقه الطاهره. و لهذا انتخبهاِ.

و قد روی القندوزی الحنفی عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) انه قال:«لو علم الله تعالی ان فی الارض عبادا اکرم من علی و فاطمه و الحسن و الحسین لامرنی ان اباهل بهم، و لکن امرنی بالمباهله بهولاء، و هم افضل الخلق» (1) .

1- 140. ینابیع الموده ص 244 طبقه اسلامبول.

قال الله تبارک و تعالی:

«إن الأبرار یشربون من کأس کان مزاجها کافوراً، عینا یشرب بها عبادالله یفجرونها تفجیراً الی قوله: و کان سعیکم مشکوراً». (1) نزلت هذه الآیات حینما تصدّقت السیده فاطمه الزهراء و زوجها الإمام أمیرالمؤمنین و ولداها الإمامان: الحسن و الحسین (علیهم السلام». و قد ذکر الواحدی فی کتابه (البسیط) و الثعلبی فی تفسیره الکبیر و أبوالمؤید موفق فی کتاب الفضائل و غیرهم أن الآیات نزلت فی علی و فاطمه و الحسن و الحسین (علیهم السلام).

و نکتفی هنا بما ذکره الزمخشری فی تفسیره (الکشاف) ما لفظه: و عن ابن عباس (رض): إن الحسن و الحسین مرضا. فعادهما رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فی ناس معه فقالوا: یا أباالحسن لو نذرت علی و لدیک. فنذر علی و فاطمه و فضه (جاریه لهما): إن برئا (الحسن و الحسین) مما بهما أن یصوموا ثلاثه أیام. فشفیا، و ما معهم شی ء (طعام) فاستقرض علی من شمعون الخیبری الیهودی ثلاثه أصوع من شعیر، فطحنت فاطمه صاعاً و اختبزت خمسه أقراص علی عددهم فوضعوها بین أیدیهم لیفطروا، فوقف علیهم سائل فقال: السلام علیکم أهل بیت محمد، مسکین من

1- 141. سوره الدهر.

مساكين المسلمين، أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنه. فآثروه و باتوا لم يذوقوا إلاّ الماء، و أصبحوا صياماً، فلما أمسوا و وضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه. و وقف عليهم أسير فى الثالثه ففعلوا مثل ذلک. فلما أصبحوا أخذ على (رض) بيد الحسن و الحسين. و أقبلوا إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فلما أبصرهم و هم يرتعشون كالفراخ من شده الجوع قال: ما أشدَّ ما يسوءنى ما أرى بكم.

و قام فانطلق معهم فرأى فاطمه فى محرابها قد التصق بطنها بظهرها، و غارت عيناها فساءه ذلک، فنزل جبرئيل (عليه السلام) و قال: خذها يا محمد، هنَّاک الله فى أهل بيتک. فأقرأه السوره.

و أما تفسير الآيات مع رعايه الاختصار و الإيجاز:

«إن الأبرار» الأبرار: جمع بارّ أو برّ، و هم على و فاطمه و الحسن و الحسين (عليهم السلام) «يشربون من كأس» هى الزجاجه إذا كان فيها الشراب أو المراد من الكأس نفس الشراب لا الزجاجه «كان مزاجها» الذى تمزج به من عين فى الجنه تسمى «كافوراً» لأن ماءها فى بياض الكافور و برودته لا فى خواصه و آثاره، و من الممكن أن كافور اسم عين فى الجنه بدليل قوله تعالى «عيناً» كأنها عطف أو بدل من كافور أى تفسير له «يشرب بها عباد الله» الكاملون فى العباده الذين ذكر هم فى كتابه «و عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً و الذين يبيتون لربهم سجداً و قياماً» إلى آخر الآيات الداله على الصفات الكامله.

«يفجرونها» يفجرونها حيث شاءوا (تفجيراً» سهلاً يسيراً «يوفون بالنذر» إنهم استحقوا هذا الجزاء بسبب وفائهم بالنذر، لأن النذر هو ما

يوجبه الإنسان على نفسه فإذا و فى بالنذر فهو بما أوجب الله عليه كان أوفى «و يخافون يوماً كان شره مستطيراً» منتشراً «و يطعمون الطعام على حبه» أى بالرغم من حبِّهم للطعام لشدَّه جوعهم بسبب الصوم، و قيل «على حبه» اى حب الله و قربه اليه «مسكيناً و يتيماً و أسيراً» كل ذلک حباً للخير و إيثاراً على أنفسهم، و إشفاقاً على المسكين و رأفه باليتيم و عطفاً على الأسير «إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً» بفعل تفعلونه «و لا شكوراً» بقول تقولونه.

قال مجاهد: إنهم لم يقولوا حين أطعموا الطعام شيئاً، و إنما علمه الله منهم فأثنى به عليهم.

«إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً» شديد العبوس تشبيهاً له فى تخويفه بالأسد العبوس أو الحاكم المتنمر العبوس.

«فوقاهم الله شر ذلک اليوم» تأميناً لهم من شره و ضره «و لقَّاهم نصرةً» فى وجوههم «و سروراً» فى قلوبهم «و جزاهم بما صبروا» على الإيثار مع شده الجوع «جنه و حريراً» ثم ذكر الله أحوالهم فى الجنه «متكئين فيها على الأرائک» فى منتهى الراحه و الرفاهيه «لا يرون فيها شمساً» يؤذى حرّها «و لا زمهريراً» يؤذى برده.

«و دانيه عليهم ظلالها و ذلّلت قطوفها تذليلاً» يسهل عليهم اقتطاف فواكه الجنه «و يطاف عليهم بآنيه من فضه و أكواب» خلقها الله بإرادته «كانت قواريراً قوارير من فضه قدَّروها تقديراً» على حسب ما تشتهى أنفسهم و تتمنى قلوبهم فى التكيف بالكيفيات المخصوصه... إلى آخر السوره التى فى وصف نعم الجنه و نعيمها و عيون تسمى زنجبيلاً و سلسبيلا.

و الخدم الذين يخدمونهم و المُلک الكبير الذى يكون لهم مع النعيم و الملابس

الخُضر من الإستبرق، و الزينه التى يتزينون بها، و الشراب الطهور الذى يشربونه.

و العجيب أن الله تعالى ذكر فى هذه السوره الكثير الكثير من نعم الجنه، و لم يذكر- هنا- الحور العين، لأن الآيه نزلت فى حق على و فاطمه و ولديهما، فحفظ الله لفاطمه الزهراء جلالتها إذ لم يذكر- (عز و جل)- الحور العين كرامه لسيده نساء العالمين.

ص: 184

قال تعالی: «الله نور سموات و الارض، مثل نوره المشکاه فیها مصباح، المصباح فی زجاجه، الزجاجها کانها کوکب دری....» (1) .

روی الحافظ ابن المغازی الشافعی فی کتاب المناقب- بالاسنادالی علی بن جعفر قال: سالت اباالحسن (الکاظم) (علیه السلام)عن قوله (عز و جل): «کمشکاه فیها مصباح»؟

قال (علیه السلام): المشکاه: فاطمه، و المصباح: الحسن، و الحسین: الزجاجه:

«کانها کوکب دری»: قال: کانت فاطمه کوکبا دریا بین نساء العالمین... «یکاد زیتها یعضی ء» قال: یکاد العلم ان ینطق منها (2) .

اقول: لقد مرت علیک بعض الاحادیث التی تتحدث عن نور الزهراء الزاهرء المشرق.

و عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) انه قال: «... و نور ابنتی فاطمه من نور الله...» (3) .

1- 142. النور: 35.
2- 143. المناقب ص 317.
3- 144. بحار الانوار ج 15 ص 10.

مکانه فاطمه الزهراء عند ابیها الرسول

ان من الصعب المستصعب تحدید مکانه السیده فاطمه الزهراء عند ابیها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و من الصحیح ان یقال: انه خارج عن قدره القلم و اللسان، و التحلیل و البیان.

و یمکن لنا ان نجمل القول و نوجزه فنقول:

کانت السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) قد حلت فی اوسع مکان من قلب ابیها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و وقعت فی نفسه الشریفه احسن موقع.

فکان النبی یحبها حبا لایشبه محبه الاباء لبناتهم، اذ کان الحب مزیجا بالاحترام و التعظیم، فلم یعهد من ای اب فی العالم ما شوهد من رسول الله تجاه السیده فاطمه الزهراء.

و لم یکن ذلک منبعثا من العاطفه الابویه فحسب، بل کان الرسول ینظر الی ابنته بنظر الاکبار و الاجلال، و ذلک لما کانت تتمتع به السیده فاطمه من المواهب و المزایا و الفضائل، و لعله (صلی الله علیه و آله و سلم) کان مامورا باحترامها و تجلیها، فما کان یدع فرصه او مناسبه تمر به الا و ینوه بعظمه ابنته، و یشهد بمواهبها و مکانتها الساميه عندالله تعالی و عند رسوله (صلی الله علیه و آله و سلم).

مع العلم انه لم یسمع من الرسول ذلک الثناء المتواصل الرفیع

و لا معشاره فی حق بقیه بناته.

و لم یکن ثناوه علیها اندفاعا للعاطفه و الحب النفسی فقط، بل ما کان یسع له السکوت عن فضائل ابنته و درجتها السامیه عندالله تعالی. و لو لم یکن لها عندالله فضل عظیم لم یکن رسول الله (صلی الله علیه و اله و سلم) یفعل معها ذلک اذ کانت ولده و قد امر الله بتعظیم الولد للوالد، و لا یجوز ان یفعل معها ذلک، و هو بضد ما امر به امته عن الله تعالی.

و کان ذلک کله لاسباب منها:

کشفا للحقیقه، و اظهارا لمقام ابنته عندالله و عند الرسول، و کان (صلی الله علیه و آله) یعلم ما سیجری علی ابنته العزیزه من بعده من انواع الظلم و الاضطهاد و الایذاء و هتک الحرمه، و لهذا اراد الرسول ان یتم الحجه علی الناس، حتی لایبقی لذی مقال مقال او عذر، و الیک هذه الاحادیث التی تدل علی ما کانت تتمتع به السیده فاطمه من المکانه فی قلب الرسول (صلی الله علیه و اله و سلم):

روی عن الامام الصادق عن آبائه (علیهم السلام) عن السیده فاطمه (علیها السلام) قالت: لما نزلت «لا تجعلوا دعاء الرسول بینکم کدعاء بعضکم بعضا» هبت رسول الله ان اقول له: یا ابه. فجعلت اقول: یا رسول الله. فاقبل علی فقال:یا فاطمه انما لم تنزل فیک و لا فی اهلک و لا فی نسلک، انت منی و انا منک، انما نزلت فی اهل الجفاء و البذخ و الکبر من قریش قولی: یا ابه. فانها احیی للقلب و ارضی للرب، ثم قبل النبی جبهتی...» (1).

1- 145. المناقب لابن المغازلی الشافعی ص 364.

کلاما و حدیثا برسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) من فاطمه، کانت اذا دخلت علیه رحب بها و قبل یدیها و اجلسها فی مجلسه، فاذا دخل علیها قامت الیه فرحبت به و قبلت یدید... الی آخره.

و سال بزل الهروی الحسین بن روح قال: کم بنات رسول الله (صلی الله علیه و اله و سلم)؟

قال: اربع.

فقال: ایتهن افضل؟

قال: فاطمه.

قال: و لم صارت افضل و کانت اصغرهن سنا و اقلهن صحبه لرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)؟

قال: لخصلتین خصها الله بهما.

1- انها ورثت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

2- و نسل رسول الله منها، و لم یخصها بذلک الا بفضل اخلاص عرفه من نیتها.

و عن حذیفه قال: کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) لا ینام حتی یقبل عرض وجه فاطمه.... (1) .

و عن ابن عمر: ان النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) قبل راس فاطمه و قال: فداک ابوک، کما کنت فکونی. (2) .

و فی روایه: فداک ابی و امی. (3) .

و عن عائشه: قبل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) نحر فاطمه.

1- 146. مقتل الحسین للخوارزمی الحنفی ص 66.

2- 147. مقتل الحسين للخوارزمى الحنفى ص 66.
3- 148. مستدرک الحصيحين للحاكم النيشابورى الشافعى ج 3 ص 165.

و فی روایه: فقلت: یا رسول الله فعلت شیئا لم تفعله؟

فقال: یا عائشه انی اذا اشتقت الی الجنه قبلت نحر فاطمه. (1) .

و عن عائشه قالت: کان النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) اذا قدم من سفر قبل نحر فاطمه و قال: منها اشم رائحه الجنه. (2) .

اقول: قد ذکرنا شیئا من هذه الاحادیث فی اوائل الکتاب.

و عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: «رائحه الانبیاء: رائحه السفر جل، و رائحه الحور العین: رائحه الاس، و رائحه الملائکه: رائحه الورد،و رائحه ابنتی فاطمه الزهراء: رائحه السفر جل و الاس و الورد». (3) .

و عنه (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: «.. و لو کان الحسن شخصا لکان فاطمه، بل هی اعظم، ان ابنتی فاطمه خیر اهل الارض عنصرا و شرفا و کرما» (4) .

و عن الامام الحسین بن علی (علیهاالسلام) عن جده رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: «فاطمه بهجه قلبی، و ابناها ثمره فوادی، و بعلها نور بصری، و الائمه من ولدها امناء ربی، و حبله الممدود بینه و بین خلقه، من اعتصم به نجا، و من تخلف عنه هوی (5) .

و روی ان النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) ناول الزهراء ماءا، فشربت فقال لها: «هنیئا مریئا یا ام الابرار الطاهرین» الی آخر الحدیث (6) .

1- 149. ذخائر العقبی للمحب الطبری ص 36، وسیله المال للحضرمی ص 79 طبعه المکتبه الظاهریه بدمشق.
2- 150. ینابیع المواد للقندوزی الحنفی ص 260.
3- 151. بحارالانوار، کتاب الاطعمه و الاشربه، باب السفر جل.
4- 152. فرائد المسطین للجوینی الشافعی ج 2 ص 68.
5- 153. فرائص المسطین للجوینی الشافعی ج 2 ص 66.
6- 154. بحار الانوار ج 76 ص 57.

و عن فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) قالت: قال لی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): «الا ابشرک؟ اذا اراد الله ان یتحف زوجه ولیه فی الجنه، بعث الیک تبعثین الیها من حلیک» (1) .

و بهذا الاحادیث الاتیه- الصحیحه عند الفریقین- یمکن لنا ان نطلع علی المزید من الاسباب و العلل التی کونت فی سیده نساء العالمین تلک القداسه و العظمه و الجلاله:

1- قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): افضل نساء اهل الجنه: خدیجه بنت خویلد، و فاطمه بنت محمد، و آسیه بنت مزاحم (امراه فرعون) و مریم بنت عمران. (2) .

2- و قال ایضا: حسبک من نساء العالمین: مریم بنت عمران و آسیه بنت مزاحم و خدیجه بنت خویلد و فاطمه بنت محمد (3) .

3- و قال ایضا: حسبک من نساء العالمین: مریم بنت عمران و خدیجه بنت خویلد، و فاطمه بنت محمد و آسیه امراه فرعون (4) .

هذه احادیث ثلاثه تصرح بتفضیل هذه السیدات الاربع علی سائر

1- 155. دلائل الامامه ص 2.
2- 156. مسند احمد بن حنبل ج 1 ص 293، الاستیعاب لابن عبدالبر الاندلسی ج 2 ص 750 فی ترجمه السیده خدیجه، مستدرک الحصیحین للحاکم ج 3 ص 160، الاعتقاد للحافظ البیهقی ص 165، تاریخ الاسلام للذهبی ج 3 ص 92 اسد الغابه لابن الاثیر الجزری ج 5 ص 437 و غیرها.
3- 157. المصدر السابق.
4- 158. الاستیعاب، لابن عبدالبر الاندلسی ج 2 ص 750، مشکل الاثار للطحاوی ج 1 ص 48، مستدرک الحصیحین للحاکم ج 3 ص 157، معالم التنزیل للحافظ البغوی الشافعی ج 1 ص 291 و غیرها.

نساء العالم، الا انها لاتصرح ببيان الافضل من تلک الاربع، و لکن الاحاديث المتواتره المعتبره تصرح بتفضيل السيده فاطمه الزهراء عليهن و على غيرهن.

و نحن لانشک فى ذلک، بل نعتبره من الامور المسلمه المتفق عليها، لانها بضعه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و لا نعدل بها احدا.

و لم ننفرد بهذه الحقيقه، بل وافقنا على ذلک الکثير الکثير من العلماء و المحدثين المنصفين، من المتقدمين منهم و المتاخرين و المعاصرين، بل صرح بذلک بعضهم، و اليک بعض اقوال اولئک الاعلام:

عن مسروق قال: حدثتنى عائشه ام المومنين قالت: انا کنا ازواج النبى عنده لم تغادر منا واحده، فاقبلت فاطمه تمشى، لا والله ما تخفى مشيتها من مشيه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، فلما رآها رحب بها و قال: مرحبا بابنتى، ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله، ثم سارها (1) .

فبکت بکاء شديدا، فلما راى حزنها سارها الثانيه! فاذا هى تضحک، فقلت لها- انا من بين نسائه-: خصک رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بالسر من بيننا، ثم انت تبکين؟

فلما قام رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) سالتها: عما سارک؟

قالت: ما کنت لافشى على رسول الله سره، فلما توفى قلت لها: عزمت عليک بما لى عليک من الحق(!!) لما اخبرتينى!

قالت: اما الان فنعم، فاخبرتنى قالت: سارنى فى الامر الاول فانه اخبرنى ان جبرائيل کان يعارضه (القرآن) کل سنه (2) و انه قد عارضنى به

1- 159. اى: اسراليها.
2- 160. هکذا وجدنا فى المتن، و الاصح: يعارضنى، کما فى مصادر اخرى.

العام مرتين، و لا ارى الاجل الا قد اقترب، فاتقى الله و اصبرى فانى نعم السلف انا لک، قالت: فبکيت بکائى الذى رايت، فلما راى جزعى سارنى الثانيه قال: يا فاطمه الا ترضين ان تکونى سيده نساء المومنين او سيده نساء هذه الامه؟ (1) .

و فى روايه البغوى فى (مصابيح السنه): الا ترضين ان تکونى سيده نساء العالمين و سيده نساء هذه الامه، و سيده نساء المومنين؟

و الاحاديث التى تصرح بسيادتها و تفضيلها على نساء العالمين کثيره جدا، و جلها مرويه عن عائشه، و عن عمران بن حصين، و عن جابر بن سمره و عن ابن عباس و ابى بريده الاسلمى و غيرهم، و قد روى البخارى هذا الحديث فى الجزء الرابع ص 203 من صحيحه، و عدد کثير من علماء العامه کالقسطلانى و القندوزى و المتقى و الهيثمى و النسائى و الطحاوى و غيرهم ممن يطول الکلام بذکرهم.

و لقد ورد هذا الحديث بطرق عديده، و فى بعضها: ان سبب ضحکها هو اخبار النبى لها بانها اول اهل بيته لحوقا به، و فى بعضها ان سبب ضحکها او تبسمها هو اخبار النبى لها انها سيده نساء العالمين.

ولکن روى احمد بن حنبل حديثا يجمع بين هاتين الطائفتين من الاحاديث: باسناده عن عائشه قالت: اقبلت فاطمه تمشى کان مشيتها مشيه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فقال: مرحبا بابنتى، ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله، ثم انه اسر اليها حديثا فبکت، ثم اسر اليها حديثا

1- 161. طبقات ابن سعد ج 2، و رواه باختلاف يسير کل من مسلم فى صحيحه ج 7 ص 142، و البلاذرى فى انساب الاشراف ص 552، و السيوطى فى الخصائص ص 34 و الحافظ البيهقى فى الاعتقاد ص 125، و الطبرى فى ذخائر العقبى ص 39، و سبط ابن الجوازى فى التذکره ص 319، و غيرهم.

فضحکت، فقلت: ما رایت کالیوم فرحا اقرب من حزن، فسالتها عما قال؟ فقالت: ما کنت لافشی سر رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

حتی اذا قبض النبی سالتها؟

فقالت: انه اسر الی فقال: ان جبرئیل کان یعارضنی بالقرآن فی کل عام مره، و انه عارضنی به العام مرتین و لا اراه الا قد حضر اجلی، و انک اول اهلی لحوقا بی و نعم السلف انا لک، فبکیت لذلک، ثم قال: الا ترضین ان تکونی سیده نساء هذه الامه او نساء المومنین؟

قالت: فضحکت لذلک. (1) .

و قد روی البخاری فی صحیحه ج 5 ص 21 و 29: ان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: فاطمه بضعه منی، فمن اغضبها فقد اغضبنی.

و روی البخاری عن ابی الولید: ان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: فاطمه بضعه منی من آذاها فقد آذانی.

و قد ورد هذا الحدیث بالفاظ متنوعه و معانی متحده کقوله (صلی الله علیه و آله و سلم):

فاطمه بضعه منی، یوذینی ما آذاها، و یغضبنی ما اغضبها.

فاطمه بضعه منی، یقبضنی ما یقبضها، و یبسطنی ما یبسطها. (2) .

فاطمه شجنه منی (3) فاطمه مضغه منی فمن آذاها فقد آذانی.

فاطمه مضغه منی، یسرنی ما یسرها.

یا فاطمه ان الله یغضب لغضبک و یرضی لرضاک.

1- 162. مسند احمد ج 6 ص 282.
2- 163. ای: یسرنی ما یسرها، لان الانسان اذا سر انبسط وجهه.
3- 164. الشجنه ای: القطعه و البضعه.

فمن عرف هذه فقد عرفها، و من لم يعرفها فهى بضعه منى.

هى قلبى و روحى التى بين جنبى، فمن آذاها فقد آذانى، و من آذانى فقد آذى الله.

ان الله يغضب لغضب فاطمه و يرضى لرضاها.

و قد روى هذه الاحاديث اكثر من خمسين رجلا من رجال الحديث و السنن، كاحمد بن حنبل، و البخارى، و ابن ماجه و السجستانى و الترمذى و النسائى و ابوالفرج و النيسابورى و ابونعيم و البيهقى و الخوارزمى و ابن عساكر و البغوى و ابن الجوزى و ابن الاثير و ابن ابى الحديد و السيوطى و ابن حجر و البلاذرى و غيرهم ممن يعسر احصاوهم، و قد ذكرنا شيئا من تلك الاحاديث مع مصادرها فى اوائل الكتاب.

و قد وقعت هذه الاحاديث موقع الرضا و القبول من الصحابه و التابعين لتواترها و صحه اسنادها و شهرتها فى الملا الاسلامى.

اما الصحابه فلنا فى المستقبل مجال واسع لاعتراف بعضهم بصحه هذا الحديث و سماعه من الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم).

و اما التابعون فقد روى ابوالفرج فى الاغانى ج 8 ص 307 باسناده قال: دخل عبدالله بن حسن على عمر بن عبدالعزيز و هو حديث السن و له و فره، فرفع مجلسه، و اقبل عليه و قضى حوائجه، ثم اخذ عكنه من عكنه (1) فغمز (بطنه) حتى اوجعه و قال له: اذكرها عندک للشفاعه.

فلما خرج (عبدالله بن حسن) لامه اهله (2) و قالوا: فعلت هذا بغلام حديث السن، فقال: ان الثقه حدثنى حتى كانى اسمعه من فى رسول

1- 165. العكنه- بضم العين- اللحم المنثى من البطن.
2- 166. اى: لام الناس عمر بن عبدالعزيز.

الله (صلی الله علیه و آله و سلم) (1) قال: (انما فاطمه بضعه منی یسرنی ما یسرها) و انا اعلم ان فاطمه لو کانت حیه لسرها ما فعلت بابنها.

قالوا: فما معنی غمزک بطنه و قولک ما قلت؟

قال: انه لیس احد من بنی هاشم الا و له شفاعه، فرجوت ان اکون فی شفاعه هذا.

قال السمهودی- بعد ایراده حدیث فاطمه بضعه منی یوذینی ما آذاها و یریبنی ما ارابها-: فمن آذی شخصا من اولاد فاطمه او ابغضه جعل نفسه عرضه لهذا الخطر العظیم، و بضده (و بالعکس) من تعرض لمرضاتها فی حبهم و اکرامهم.

و قال السهیلی: هذا الحدیث یدل علی ان من سبها کفر، و من صلی علیها فقد صلی علی ابیها، و استنبط ان اولادها مثلها لانهم بضعه مثلها، و فک الفرع من اصله هو فک الشی ء من نفسه و هو غیر ممکن و محال، باعتبار ان ذلک الفرع هو الشخص المعمول من ماده ذلک الاصل و نتیجته المتولده منه- انتهی کلامه-.

اقول: لعل المقصود من الخطر العظیم الذی ذکره السمهودی هو اشاره الی قوله تعالی: (ان الذین یوذون الله و رسوله لعنهم الله فی الدنیا و الاخره و اعد لهم عذابا مهینا) و قوله (و الذین یوذون رسول الله لهم عذاب الیم).

ایها القاری ء الذکی: بعد الانتباه الی هذه الایات، و بعد الامعان و التدبر فی هذه الاحادیث و الروایات ما تقول فیمن آذی فاطمه الزهراء؟؟!!

اعود الی حدیثی عن مدی حب النبی (صلی الله علیه و آله و سلم)

1- 167. ای: من فم رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

لابنته السیده فاطمه الزهراء:

من الصعب احصاء الاحادیث التی تصرح بان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) اذا اراد سفرا کان آخر عهده بانسان من اهله فاطمه (علیهاالسلام) و اول من یدخل علیها- بعد رجوعه من السفر- فاطمه (1) .

کان (صلی الله علیه و آله) اذا رجع من سفره دخل علی ابنته فاطمه اولا، ثم ذهب الی داره و التقی بزوجاته. (2) .

انه کان یفضل الزهراء علی زوجاته و نسائه، و ما ذاک الا لان الله فضلها علیهن و علی نساء العالمین.

فقدم من غزاه، و قد علقت مسحا او سترا علی بابها، و حلت (3) الحسن و الحسین قلبین من فضه، فقدم و لم یدخل، فظنت ان ما منعه ان یدخل دارها ما رای، فهتکت الستر، و فکت القلبین من الصبیین، و قطعته منهما، و دفعته الیهما، فانطلقا الی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و هما یبکیان، فاخذه منهما فقال: یاثوبان اذهب بهذا الی فلان، ان هولاء اهلی اکره ان یاکلوا طیباتهم فی حیاتهم الدنیا، یاثوبان (4) اشتر لفاطمه قلاده من عصب و سوارین من عاج.

روی هذا الحدیث الخطیب العمری فی (مشکاه المصابیح) و الطبری فی (ذخائر العقبی) و النویری فی (نهایه الارب) و القندوزی فی (ینابیع الموده) و الطبرانی فی (المعجم الکبیر) و الزبیدی فی (اتحاف الساده) و غیرهم.

1- 168. السنن الکبری للبیهقی ج 1 ص 26، ذخائر العقبی للطبری ص 37، مستدرک الصحیحین للحاکم ج 3 ص 156 و غیرها.
2- 169. الاستیعاب للاندلسی ج 2 ص 750، مستدرک الصحیحین ج 3 ص 155.
3- 170. حلت- من التحلیه- و هی التجمیل و لبس الحلی. قلبین- تثنیه قلب- و هو السوار.
4- 171. ثوبان: اسم غلام.

و قد روی هذا الحدیث من علمائنا: الشیخ الکلینی فی (الکافی) و الطبرسی فی (مکارم الاخلاق) اکثر تفصیلا و توضیحا مع اختلاف یسیر:

عن زراه عن ابی جعفر (الباقر) (علیه السلام) قال: کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) اذا اراد سفرا سلم علی من اراد التسلیم علیه من اهله، ثم یکون آخر من یسلم علیه فاطمه (علیهاالسلام) فیکون وجهه الی سفره من بیتها، و اذا رجع بدا بها (ای یزورها قبل کل احد) فسافر مره، و قد اصاب علی (علیه السلام) شیئا من الغنیمه فدفعه الی فاطمه فخرج، فاخذت سوارین من فضه، و علقت علی بابها سترا، فلما قدم رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) دخل المسجد، فتوجه نحو بیت فاطمه کما کان یصنع، فقامت فرحه الی ابیها صبابه و شوقا الیه، فنظر فاذا فی یدها سواران من فضه و اذا علی بابها ستر، فقعد رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) حیث ینظر الیها، فبکت فاطمه و حزنت و قالت: ما صنع هذا بی قبلها.

فدعت ابنیها، فنزعت الستر عن بابها، و خلعت السوارین من یدیها ثم دفعت السوارین الی احدهما و الستر الی الاخر ثم قالت لهما: انطلقا الی ابی، فاقرئاه السلام و قولا له: ما احدثنا بعدک غیر هذا، فشانک به.

فجاءاه، فابلغاه ذلک عن امهما، فقبلهما رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و التزمهما و اقعد کل واحد منهما علی فخذه، ثم امر بذینک السوارین فکسرا فجعلهما قطعا، ثم دعا اهل الصفه و هم قوم من المهاجرین، لم یکن لهم منازل و لا اموال فقسمه بینهم قطعا... الی آخره.

ان هذا الحدیث الذی تراه مشهورا عند الفریقین، مرویا بطرق عدیده لعله یحتاج الی شرح و تعلیق، مع العلم ان رواه هذا الحدیث لم یتطرقوا الی

شرح ما یلزم:

اقول: لیس المقصود من هذا الستر هو الستر المرخی علی مدخل البیت عند فتح باب البیت، لان هذا امر مستحب للمبالغه علی التستر و الحجاب، و حاشا رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) ان یغضب من ستر قد علق علی مدخل بیت فاطمه.

بل المقصود ان السیده فاطمه (علیهاالسلام) کانت قد علقت علی باب البیت (لامدخل البیت) سترا یستر الباب الخشبی، للزینه، المسمی فی زماننا ب(الدیکور)تجملا او تجمیلا للباب و بعباره اخری: البست الباب ثوبا- ای سترا-، و لیس هذا بحرام بل لانه لایتفن مع التزهد او الزهد المطلوب من آل محمد (علیهم السلام) و المواساه المترقبه المتوقعه منهم، و نفس هذا الکلام یاتی فی موضوع السوار و القلاده.

و بناء علی صحه هذا الحدیث کان الافضل للسیده الزهراء (علیهاالسلام) ان تنفق ذلک الستر فی سبیل الله بسبب الحاجه الماسه الیه، لکثره الفقراء، و شده الفقر المدقع عند فقراء المهاجرین و من باب المواساه و الایثار.

و روی ابن شاهین فی (مناقب فاطمه) عن ابی هریره و ثوبان هذا الحدیث مع تغییر یسیر، الی ان قال: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم):- بعد ما دفعت الزهراء الستر و السوار الی ابیها-: فعلت، فداها ابوها- ثلاث مرات- ما لال محمد و للدنیا؟ فانهم خلقوا للاخره، و خلقت الدنیا لهم.

و فی روایه احمد بن حنبل: فان هولاء اهل بیتی، و لا احب ان یاکلوا طیباتهم فی حیاتهم الدنیا.

و یستفاد من هذا التعلیل ان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) لایحب ان ینقص حظ ابنته فاطمه الزهراء من الاجر و الثواب فی الاخره،

لان مراره الحیاه و خشونه العیش فی الدنیا لهما تعویض فی الاخره.

و بهذا الحدیث الاتی یتضح ما قلنا:

عن تفسیر الثعلبی عن الامام جعفر بن محمد (علیه السلام) و عن جابر بن عبدالله الانصاری قالا: رای النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فاطمه و علیها کساء من اجله الابل، و هی تطحن بیدیها، و ترضع ولدها، فدمعت عینا رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فقال: یابنتاه تعجلی مراره الدنیا بحلاوه الاخره.

فقالت: یا رسول الله الحمدلله علی نعمائه، و الشکر لله علی آلائه.

فانزل الله: (و لسوف یعطیک ربک فترضی) (1) .

1- 172. بحارالانوار ج 43.

کانت السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) علی جانب کبیر من الزهد، و معنی الزهد، التخلی عن الشی ء و ترکه و عدم الرغبه فیه، و کلما ازداد الإنسان شوقاً إلی الآخره ازداد زهداً فی الدنیا، و کلما عظمت الآخره فی نفس الإنسان صغرت الدنیا فی عینیه و هانت، و هکذا کلما ازداد الإنسان عقلاً و علماً و إیماناً بالله ازداد تحقیراً و استخفافاً لملّذات الحیاه.

أرأیت الأطفال کیف یلعبون، و یفرحون، و یحزنون و یتسابقون و یتنازعون علی أشیاء تافهه یلعبون بها، فإذا نضجت عقولهم و تفتحت مشاعرهم تراهم یبتعدون عن تلک الألاعیب، و یستنکفون من التنازل إلی ذلک المستوی، و یعتبرونه منافیاً للوقار، و مُخلاًّ للشخصیه، کل هذا بسبب تطوُّر مداارکهم، و انتقالهم من دور الصبا إلی مرحله الرجوله و النضج.

نعم، هکذا کان أولیاء الله، کانوا ینظرون إلی حطام الدنیا نظره تحقیر و استهانه، و لا تتعلق قلوبهم بحب الدنیا و ما فیها، و لا یحبون الدنیا للدنیا، بل یحبون الدنیا للآخره، یحبون البقاء فی الدنیا لیعبدوا الله تعالی، یریدون المال لینفقوه فی سبیل الله (عز و جل)، لإشباع البطون الجائعه و إکساء الأبدان العاریه و إغاثه الملهوف و إعانه المضطر.

بعد هذه المقدمه یسهل علیک أن تدرک أسس الزهد السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) فهی عرفت الحیاه الدنیویه، و ادرکت الحیاه الأخرویه، فلا عجب إذا قنعت بالیسیر الیسیر من متاع الحیاه، و اختارت

لنفسها فضيله المواساه و الإيثار، و هانت عليها الثروه، و كرهت الترف و السرف.

و لا غرو من ذالک، فهی بنت أزهد الزهاد، و حياتها العقائديه ملازمه للزهد و حياتها الاجتماعيه أيضاً تتطلب منها الزهد، فهی أولی الناس بالسير علی منهاج أبيها الرسول الزاهد العظيم (صلی الله عليه و آله و سلم).

و حياتها الزوجيه تبلورت بالزهد و القناعه، فلقد كان زوجها الإمام علی (عليه السلام) أول الناس و أكثرهم اتباعاً للرسول فی زهده، ولم يشهد التاريخ الإسلامی رجلاً من هذه الأمه أكثر زهداً من علی بن أبی طالب (عليه السلام).

و هو الذی كان يخاطب الذهب و الفضه بقوله: يا صفراء يا بيضاء غريا غيری. و قد امر علی (عليه السلام) لأعرابی بألف. فقال الوكيل: من ذهب أو فضه؟

فقال علی: كلاهما عندی حَجَران، فأعطوا الأعرابی أنفعهما له.

و قد ذكرنا بعض ما يتعلق بهذا الموضوع فی كتابنا: (علی من المهد إلی اللحد) و إنما تطرقنا هنا إلی زهد علی (عليه السلام) بمناسبه حديثنا عن زهد السيده فاطمه الزهراء.

و قد مرّ عليک فيما مضی- بعض الأحاديث عن زهدها و إنفاقها فی سبيل الله فی باب زواجها و نزول سوره هل أتی و غيرهما.

و إليک نبذه من الأحاديث التی تشير إلی نفس الموضوع:

فی كتاب (بشاره المصطفی) عن الإمام الصادق عن أبيه (عليهماالسلام) عن جابر بن عبد الله الأنصاری قال:

صلَّی بنا رسول الله (صلی الله عليه و آله و سلم) صلاه العصر، فلما

انفتل جلس فی قبلته و الناس حوله. فبینما هم کذلک إذ أقبل شیخ من العرب مهاجره العرب، علیه سمل قد تهلل و أخلق (1) و هو لا یکاد یتمالک کِبَراً و ضعفاً، فأقبل علیه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) یستحثه الخبر، فقال الشیخ: یا نبی الله أنا جائع الکبد فأطعمنی، و عاری الجسد فاکسنی و فقیر فارشنِی (2) .

فقال (صلی الله علیه و آله و سلم): ما أجد لک شیئاً، و لکن الدال علی الخیر کفاعله، انطلق إلی منزل مَن یحب الله و رسوله، و یحبه الله و رسوله، یؤثر الله علی نفسه، انطلق إلی حجره فاطمه.

و کان بیتها ملاصق بیت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) الذی یتفرد به لنفسه من أزواجه، و قال: یا بلال قم فقف به علی منزل فاطمه.

فانطلق الإعرابی مع بلال، فلما وقف علی باب فاطمه نادی بأعلی صوته: السلام علیکم یا أهل بیت النبوه و مختلف الملائکه، و مهبط جبرئیل الروح الأمین بالتنزیل من عند رب العالمین.

فقالت فاطمه: و علیک السلام، فمن أنت یا هذا؟

قال: شیخ من العرب، أقبلت علی أبیک سید البشر مهاجراً من شقه، و أنا- یا بنت محمد- عاری الجسد، جائع الکبد، فواسینی یرحمک الله.

و کان لفاطمه و علی- فی تلک الحال- و رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) ثلاثاً ما طعموا فیها طعاماً، و قد علم رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) من شأنهما.

1- 173. السمل الثوب الخلق.تهلل الثوب: انخرق.
2- 174. ارشنی: احسن الی.

فعمدت فاطمه إلی جلد کبش مدبوغ بالقرظِ (1) کان ینام علیه الحسن و الحسین، فقالت: خذ هذا یا أیها الطارق، فعسی الله أن یرتاح لک ما هو خیر منه.

فقال الإعرابی: یا بنت محمد شکوت إلیک الجوع، فناولتنی جلد کبش؟ ما أنا صانع به مع ما أجد من السغب؟ (2) .

قال: فعمدت فاطمه- لما سمعت هذا من قوله- إلی عقد کان فی عنقها أهدته لها فاطمه بنت عمها حمزه بن عبدالمطلب، فقطعته من عنقها، و نبذته إلی الأعرابی فقالت: خذه و بِعهُ، فعسی الله أن یعوِّضک به ما هو خیر منه.

فأخذ الإعرابی العقد، و انطلق إلی مسجد رسول الله، والنبی (صلی الله علیه و آله و سلم) جالس فی أصحابه فقال: یا رسول الله أعطتنی فاطمه بنت محمد هذا العقد فقالت: بِعه فعسی الله أن یصنع لک.

قال: فبکی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فقال: و کیف لا یصنع الله لک، و قد أعطته فاطمه بنت محمد سیده بنات آدم.

فقام عمار بن یاسر (رحمهالله علیه) فقال: یا رسول الله أتأذن لی بشراء هذا العقد؟

قال: اشتر یا عمار، فلو اشترک فیه الثقلان ما عذبّهم الله بالنار.

فقال عمار: بکَمْ العقد یا أعرابی؟ قال: بشبعه من الخبز و اللحم، و برده یمانیه استر بها عورتی و أصلّی فیها لربی، و دینار یبلغنی إلی أهلی.

و کان عمار قد باع سهمه الذی نفله رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) من خیبر و لم یبق منه شیئاً فقال: لک عشرون دیناراً و ماتا درهم

1- 175. لقرظ: شی ء یدبغ به الجلد.
2- 176. السغب: الجوع.

هجریه، و بُرده یمانیه، و راحلتی تبلغک أهلک، و شبعک من خبز البر و اللحم.فقال الإعرابی: ما أسخاک بالمال أیها الرجل؟ و انطلق عمار فوفّاه ما ضمن له.و عاد الإعرابی إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فقال له رسول الله:أشبعت و اکتسیت؟!

قال الأعرابی: نعم، و استغنیت بأبی أنت و أمی.

قال: فأجزِ فاطمه بصنیعها.

فقال الأعرابی: اللهم أنت إله ما استحدثناک، و لا إله لنا نعبده سواک، فأنت رازقنا علی کل جهات، اللهم اعط فاطمه مالا عین رات و لا اذن سمعت...

و الی ان قال: فعمد عمار الی العقد فطیبه بالمسک، و لفه فی برده بمانیه،و کان له عبد اسمه سهم ابتاعه من ذالک السهم الذی اصابه بخیبر، فدفع العقد الی المملوک.

فضحک المملوک فقالت: ما یضحک یا غلام؟

فقال اضحکنی عظم برکه هذا العقد، و اعتقت المملوک.

فضحک المملوک فقالت: ما یضحک یا غلام؟

فقال: اضحکنی عظم برکه هذا العقد، اشبع جائعا، و کسی عریانا و اعنی فقیرا واعتق عبدا، و رجع الی ربه ای الی صاحبه.

و فی کتاب البحار ج 43 عن تفسیر فرات بن ابراهیم عن ابی سعید الخذری قال:

أصبح على بن أبى طالب (عليه السلام) ذات يوم ساغباً (1) و قال: يا فاطمه هل عندک شى ء تغذّينيه؟

قالت: لا، و الذى أكرم أبى بالنبوه، و أكرمک بالوصيه ما أصبح الغداه شى ء، و ما كان شى ء أطعمناه مذيومين إلاّ شى ء كنت أؤثرک به على نفسى، و على ابنى هذين: الحسن و الحسين.

فقال على: يا فاطمه! ألا كنتِ أعلَمتِنى فأبغيكم شيئاً؟

فقالت: يا أباالحسن إنى لأستحيى من إلهى أن أكلّف نفسک ما لا تقدر عليه.

فخرج على بن أبى طالب من عند فاطمه (عليهماالسلام) واثقاً بالله بحسن الظن، فاستقرض ديناراً فبينما الدينار فى يد على بن أبى طالب (عليه السلام) يريد أن يبتاع لعياله ما يصلحهم، فتعرَّض له المقداد بن الأسود، فى يوم شديد الحر، قد لوّحته الشمس من فوقه، و آذته من تحته فلما رآه على بن أبى طالب (عليه السلام) أنكر شأنه فقال: يا مقداد ما أزعجک هذه الساعه من رحلک؟

قال: يا أباالحسن خلّ سبيلى ولا تسألنى عما ورائى!!

فقال: يا أخى إنه لا يسعنى أن تجاوزنى حتى أعلم علمک.

فقال: يا أباالحسن رغبه إلى الله و اليک أن تخلّى سبيلى، و لا تكشفنى عن حالى!!!

فقال له: يا أخى إنه لا يسعک أن تكتمنى حالک.

فقال: يا أباالحسن! أمَّا إذا أبيتَ! فوالذى أكرم محمد بالنبوه و أكرمک بالوصيه ما أزعجنى من رحلى إلاّ الجهد و قد تركت عيالى

1- 177. اى: جائعا.

يتضاعون جوعاً، فلما سمعت بكاء العيال لم تحملنى الأرض، فخرجت مهموماً، راكب رأسى، هذه حالى و قصتى!!

فانهملت عينا على بالبكاء حتى بلّت دمعته لحيته فقال له: أحلفُ بالذى حلفتَ: ما أزعجنى إلاَّ الذى أزعجک من رحلک، فقد استقرضت ديناراً، فقد آثرتک على نفسى.فدفع الدينار إليه و رجع حتى دخل مسجد النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فصلّى فيه الظهر و العصر و المغرب، فلما قضى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) المغرب مرَّ بعلى بن أبى طالب و هو فى الصف الأول فغمزه برجله، فقام على متعقباً خلف رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حتى لحقه على باب من أبواب المسجد، فسلَّم عليه فردَّ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) السلام، فقال: يا أباالحسن هل عندک شى ء نتعشاه فنميل معک؟

فمكث مطرقاً لا يحير جواباً، حياءً من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و كان النبى يعلم ما كان من أمر الدينار، و من أين أخذه و أين وجّهه، و قد كان أوحى الله تعالى إلى نبيه محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يتعشى تلک الليله عند على بن أبى طالب.

فلما نظر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى سكوته فقال: يا أباالحسن ما لَک لا تقول: لا. فانصرف؟ أو تقول: نعم. فأمضى معک؟

فقال:- حياءً و تكرماً-: فاذهب بنا!!

فأخذ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يد على بن أبى طالب فانطلقا حتى دخلا على فاطمه (عليهاالسلام) و هى فى مصلاّها قد قضت صلاتها، و خلفها جفنه تفور دخاناً.

فلما سمعت كلام رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) خرجت من مصلاّها فسلّمت عليه و كانت أعزّ الناس عليه، فردّ عليهاالسلام، و مسح بيده على رأسها و قال لها: يا بنتاه كيف أمسيت؟

قالت: بخير.

قال: عشّينا، رحمک الله، و قد فعل.

فأخذت الجفنه فوضعتها بين يدى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و على بن أبى طالب....

فقال على لها: يا فاطمه أنّى لک هذا الطعام الذى لم أنظر إلى مثل لونه قط، و لم أشمّ ريحه قط، و ما آكل أطيب منه؟؟

قال: فوضع رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) كفّه الطيبه المباركه بين كتفى على بن أبى طالب (عليه السلام) فغمزها، ثم قال: يا على! هذا بدل دينارک، و هذا جزاء دينارک من عندالله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

ثم استعبر النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) باكياً، ثم قال: الحمد لله الذى أبى لكم أن تخرجا من الدنيا حتى يجزيكما و يجريک- يا على- مجرى زكريا، و يجرى فاطمه مجرى مريم بنت عمران، كلما دخل عليها زكريا المحراب و جد عندها رزقاً.

العباده لها معنیان: معنی عام و معنی خاص.

فالعباده بمعناها العام هی: کل ما یتغرب الانسان به الی الله سبحانه، من النوایا الطیبه و الاقوال الحسنه و الاعمال الصالحه و الاخلق الحمیده و غیرها.

و العباده بمعناها الخاص هی الصلاه الخاص هی الصلاه و الصوم و الحج و الزکاه و غیرها مما هو واضح للجمیع.

و قد تجلت العباده- بکل معانیها و ابعادها فی حیاه السیده الطاهره فاطمه (علیه السلام).

فحیاتها کلها عباده، منذ البدایه حتی النهایه، فمن حمل الماء الی بیوت الفقراء و المساکین و اطعام الطعام و الایثار، و تعلیم الاحکام الشریعه،و تحمل متاعب الاعمال المنزلیه و الزهد و الحرمان و البساطه فی العیش، و حسن التبعل، و الدفاع عن الامامه و الولایه، و ما اصابها من الالام و المصائب بعد وفاه ابیها الرسول (صلی الله علیه و آله) و غیرها مما قراته و تقرا فی صفحات حیاتها المشرقه- کلها عباده خالصه لوجه الله سبحانه.بالاضافه الی الصلاه و الخشوع و المناجاه و غیرها.

و قد روی عن ابن عباس- فی قوله تعالی: «کانو قلیلا من اللیل ما یهجعون و بالاسحارهم یستغفرون» (1) - قال: نزلت فی علی بن ابی طالب

1- 178. الذاریات

و فاطمه و الحسن و الحسین (1) .

و فیما یلی نذکر بعض الاحادیث المرویه فی هذا المجال:

1- روی عن الإمام الحسن (علیه السلام) قال: رأیت أمِّی فاطمه (علیهاالسلام) قامت فی محرابها لیله جُمعتها فلم تزل راکعه ساجده حتی اتَّضح عمود الصبح، و سمعتها تدعو للمؤمنین و المؤمنات و تُسمّیهم، و تکثر الدعاء لهم و لا تدعو لنفسها بشی ء.

فقلت: یا أمَّاه لِمَ لا تدعین لنفسک کما تدعین لغیرک؟

فقالت: یا بنی ! الجار ثم الدار» (2) .

2- عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: «و أمَّا ابنتی فاطمه فإنها سیده نساء العالمین من الأولین و الآخرین، و هی بضعه منی و هی نور عینی، و هی ثمره فؤادی، و هی روحی التی بین جنبیَّ، و هی الحوراء الإنسیه.

متی قامت فی محرابها بین یدی ربها (جل جلاله) زَهَر نورها لملائکه السماء کما یزهر نور الکواکب لأهل الأرض، و یقول الله (عز و جل) لملائکته: یا ملائکتی انظروا إلی أَمَتی فاطمه، سیده إمائی قائمه بین یدی، ترتعد فرائصها من خیفتی، و قد أقبلت بقلبها علی عبادتی، أشهدکم أنی قد أمنت شیعتها من النار...» الی آخر حدیث.

3- و فی کتاب عده الداعی لابن فهد الحلی: و کانت فاطمه (علیهاالسلام) تنهج فی الصلاه من خیفه الله. و النهج- بفتح النون والهاء- تتابع النَفَس.

1- 179. شواهد التنزیل للحسکانی الحنفی ج 2 ص 194.
2- 180. بحارالانوار ج 43.

4- و روی الحسن البصری قال: ما کان فی هذه الامه اعبد من فاطمه، کانت تقوم حتی تور مت قدماها.

5- و روی عن الامام جعفر الصادق (علیه السلام) انه قال: «من صلی اربع رکعات، یقرا- فی کل رکعه (1) - خمسین مره «قل هو الله احد» کانت صلاه فاطمه، و هی صلاه الاولین (2) .

6- و عنه (علیه السلام) قال: کانت لامی فاطمه رکعتان تصلیها، علمها جبرئیل (علیه السلام) فاذا سلمت سبحت التسبیح (3) ثم تقول:

«سبحان ذی العز الشامخ المنیف، سبحان ذی الجلال الباذخ العظیم، سبحان ذی الملک الفاخر القدیم، سبحان من لبس البهجه و الجمال، سبحان من تردی بالنور و الوقار، سبحان من یری اثر النمل علی الصفا، سبحان من یری وقع الطیر فی الهواء، سبحان من هو هکذا، لا هکذا غیره» (4) .

7- و روی ان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال لامیر المومنین و ابنته فاطمه (علیهماالسلام): اننی ارید ان اخصکما بشی من الخیز مما علمنی الله (عز و جل) و اطلعنی الله علیه، فاحتفظابه.

قالا: نعم یا رسول الله فما هو؟

قال: یصلی احدکما رکعتین، یقراء فی کل رکعه: فاتحه الکتاب و آیه الکرسی- ثلاث مرات- و «قول هو الله احد»- ثلاث مرت- و آخر الحشر- ثلاث مرات- من قوله: «و لو انزلنا هذا القران علی جلا...» الی آخره.

1- 181. بعد الحمد.
2- 182. من لا یحضره الفقیه ج 1 ص 564.
3- 183. ای: تسبیح الزهراء (علیهاالسلام).
4- 184. بحار الانوار ج 89، و رویت الصلاه بصوره اخری ایضا.

فاذا جلس فليتشهد و ليثن عل الله (عز و جل) و ليصل على النبى و ليدع للمومنين و المومنات، ثم يدعو صلى الله عليه و آله و سلم على اثر ذالک صلى الله عليه و آله و سلم فيقول:

«الهم انى اسالک بحق کل اسم هو لک، يحق عليک فيه اجابه الدعا اذا دعيت به، و اسالک بحق کل ذى حق عليک، و اسالک بحقک على جميع ما هو دونک ان تفعل بى...» کذا و کذا (1) .

8- و عن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: للامر اللمخوف العظيم تصلى رکعتين، و هى التى کانت الزهرا (عليهاالسلام) تصليها، تقرا فى الاولى الحمد و قل هو الله احد خمسين مره، و فى الثانيه مثل ذالک، فاذا سلمت صليت على النبى (صلى الله عليه و آله) ثم ترفع يديک و تقول:

اللهم اتوجه اليک بهم، و اتوسل اليک بحقهم (بحقک- خ ل) العظيم الذى لا يعلم کنهه سواک، و بحق من حقه عندک عظيم، و باسمائک الحسنى و کلماتک التامات التى امرتنى ان اعودک بها، و اسالک باسمک العظيم الذى امرت ابراهيم (عليه السلام) ان يدعو به الطير فاجباته، و باسمک العظيم الذى قلت للنار: «کونى بردا و سلاما على ابراهيم» فکانت، و باحب اسمائک اليک و ارفها عندک، و اعظمها لديک، و اسرعها اجابه، و انجحها طلبه، و بما انت اهله و مستحقه و مستوجبه؛ و اتوسل اليک، و ارغب اليک، و اتصدق منک، و استغفرک، و استمنحک، و اتضرع اليک، و اخضع بين يديک، و اخشع لک، و اقر لک بسوء صنيعتى، و اتملق والح عليک، و اسالک بکتبک التى انزلتها على انبيائک و رسلک صلواتک عليهم اجمعين من التوراه الانجيل و القرآن العظيم من اولها الى آخرها، فان فيها اسمک الاعظم، و بما فيها من اسمائک العظمى، اتقرب اليک، و اسالک ان

1- 185. قوله: کذا و کذا. اى: تذکر حاجتک/ الحديث فى بحار الانوارج 89 ص 365.

تصلی علی محمد و آله، و ان تفرج عن محمد و آله، و تجعل فرجی مقرونا بفرجهم،و تبدا بهم فیه، و تفتح ابواب السماء لدعائی فی هذا الیوم، و تاذن فی هذا الیوم و هذه اللیله بفرجی و اعطاء سولی و املی فی الدنیا و الاخره، فقد مسنی الفقر و نالنی الضر و شملتنی الخصاصه، و الجاتنی الحاجه، و توسمت بالذاه و غلبتنی المسکنه، و حقت علی الکلمه، و احاطت بی الخطیئه، و هذا الوقت و عدت اولیائک فیه الاجابه.

فصل علی محمد و آله، و امسح ما بی بیمینک الشافیه، و انظر الی بعینک الراحمه، و ادخلنی فی رحمتک الواسعه، و اقبل الی بوجهک الذی اذا قبلت به علی اسیر فککته، و علی خائف آمنته؛ و لا تخلفنی لقا لعدوک و عدوی، یا ذالجلال و لااکرام.

یا من لا یعلم کیف هو، و حیث هو، و قدرته الا هو، یا من سد الهواء بالسماء، و کبس الارض علی الماء، و اختار لنفسه احسن الاسماء، یا من سمی نفسه بالاسم الذی به یقضی حاجه کل طالب یدعوه به، اسالک بذالک الاسم، فلا شفیع اقوی لی منه، و بحق محمدا و آل محمد ان تصلی علی محمد و آل محمد، و ان تقضی لی حوائجی، و تسمع محمدا و علیا و فاطمه و الحسن و الحسین و علیا و محمدا و جعفرا و موسی و علیا و محمدا و علیا و الحسن و الحجه صلوات الله علیهم و برکاته و رحمته (1) - صوتی، فیشفعوا لی الیک و تشفعهم فی، و لا تردنی خائبا، بحق لا اله الا انت، و بحق محمد و آل محمد، و افعل بی کذا و کذا یا کریم (2) .

1- 186. و فی نسخه: صلواتک علیهم و برکاتک و رحمتک.
2- 187. مصباح المتجهد: ص 266.

و قال السید ابن طاووس الحلی: روی صفوان قال: دخل محمد ابن علی الحبلی علی ابی عبدالله الصادق (علیه السلام) فی یوم الجمعه فقال له: تعلمنی افضل ما اصنع فی مثل هذا الیوم؟

فقال (علیه السلام): یا محمد ما اعلم احدا کان اکبر عند رسول الله من فاطمه، و لا افضل مما علمها ابوها محمد بن عبدالله (صلی الله علیه و آله و سلم).

قال (صلی الله علیه و آله): من اصبح یوم الجمعه فاغتسل و صف قدمیه و صلی اربع رکعات مثنی مثنی، یقرا فی اول رکعه الحمد و الاخلاص خمسین مره، و فی الثانیه فاتحه الکتاب و العادیات خمسین مره، فی الثالثه فاتحه الکتاب و اذا زلزلت الارض خمسین مره، و فی الرابعه فاتحه الکتاب و اذا جاء نصرالله و الفتح خمسین مره- و هذه سوره النصر و هی آخر سوره نزلت- فاذا فرغ منها دعا، فقال (1) :

«الهی و سیدی، من تهیا او تعبا او اعد او استعد لوفاده الی مخلوق رجاء رفده و فوائده و نائله و فواضله و جوائزه، فالیک یا الهی کانت تهیئتی و تعبیتی و اعدادی و استعدادی رجاء رفدک و معروفک ونائلک و جوائزک، فلا تحرمنی ذالک، یا من لا یخیب علیه مساله السائل، و لا تنقصه عطیه نائل فانی لم آتک بعمل صالح قدمته، و لا شفاعه مخلوق رجوته، اتقرب الیک بشفاعه محمد و اهل بیته صلواتک علیهم اجمعین، ارجو عظیم عفوک الذی عفوت به علی الخاطئین عند عکوفهم علی المحارم فلم یمنعک طول عکوفهم علی المحارم ان عدت علیهم بالمغفره، و انت سیدی العواد بالنعماء، و انا العواد بالخطاء، اسسالک بمحمد و آله الطاهرین ان تغفر لی

1- 188. جزاء الشرط محذوف لدلاله الکلام علیه.

الذنب العظیم، فانه لایغفر ذنبی العظیم، یا عظیم یا عظیم یا عظیم یا عظیم یا عظیم یا عظیم یا عظیم (1) .

و الاحادیث فی عباده السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) کثیره، خاصه الادعیه التی کانت تناجی بها ربها، و لا ارانی بحاجه الی المزید من التحدث عن عبادتها، و کثره شوقها و رغبتها الی الصلاه، و مدی اقبال قلبها الی المناجاه مع الله تعالی، فهی بنت اول العابدین، الذی کان یقف علی قدمیه للعباده طیله ساعات طوال حتی نزل علیه قوله تعالی: «طه ما انزلنا علیم القران لتشقی».

و هی التی عرفت معنی العباده و قیمه العباده بمقدار معرفتها بعظمه الله تعالی فلا عجب اذا کانت السیده فاطمه تستلذ من العباده، و ترتاخ نفسها حین الوقوف بین یدی الله (عز و جل) و التذلیل و الخضوع لربها، و کانها لا تتعب من القیام و الرکوع و السجود.

1- 189. «جمال الاسبوغ» 132- 133.

روی عن الامام علی (صلوات الله علیه) أنه قال لرجل من بنی سعد: ألا أحدثک عنی و عن فاطمه؟ إنها کانت عندی و کانت أحب أهله إلیهِ (1) .

و أنها استقت بالقربه حتی أثَّر فی صدرها، و طحنت بالرحی حتی مجلتِ (2) .

یداها، و کسحت البیت حتی اغبرت ثیابها، و أوقدت النار تحت القدر حتی دکنتِ (3) .

ثیابها، فأصابها من ذلک ضرر شدید، فقلت لها: لو أتیتِ أباک فسألتیه خادماً یکفیک حرَّ ما أنتِ فیه من هذا العمل.

فأتت النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فوجدت عنده حُدّاثاً فاستحت فانصرفت.

قال: فعلم النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) أنها جاءت لحاجه، فغدا علینا و نحن فی لفاعنِ (4) فقال: السلام علیکم. فسکتنِا ثم قال: السلام علیکم. فخشینا إن لم نردّ علیه أن ینصرف، و قد کان یفعل ذلک یسلّم ثلاثاً فإن أُذن له وإلاَّ انصرف. فقلت: و علیک السلام یا رسول الله أُدخل.

1- 190. احب اهله ای اهل رسول الله بقرینه المقام.
2- 191. مجلت: ثحن جلدها.
3- 192. دکنت: اغبرت و اتسخت.
4- 193. لفاع: لحاف.

فلم يعد أن جلس عند رؤوسنا فقال: يا فاطمه ما كانت حاجتک أمس عند محمد؟

قال (عليه السلام): فخشيت إن لم نجبه أن يقوم فأخرجت رأسی فقلت: أنا- والله-أخبرک يا رسول الله! إنها استقت بالقربه حتی أثَّر فی صدرها و جرّت بالرحی حتی مجلت يداها، و کسحت البيت حتی اغبرت ثيابها، و أوقدت تحت القدر حتی دکنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أباک فسألتيه خادماً يکفيک حرّ ما أنت فيه من العمل.

فقال (صلی الله عليه و آله و سلم): أفلا أعلکما ما هو خير لکما من الخادم؟

إذا أخذتما منامکما فسبّحا ثلاثاً و ثلاثين، و احمدا ثلاثه و ثلاثين، و کبّرا أربعاً و ثلاثين.

قال: فِأخرجت (عليهاالسلام) رأسها فقالت: رضيت عن الله و رسوله، رضيت عن الله و رسوله رضيت عن الله و رسوله (1) و روی عن الامام علی (عليه السلام) قال: أهدی بعض ملوک الأعاجم رقيقاً (2) فقلت لفاطمه: اذهبی إلی رسول الله (صلی الله عليه و آله و سلم) فاستخدميه خادماً. فأتته فسألته ذلک.....

فقال لها رسول الله (صلی الله عليه و آله و سلم): يا فاطمه أعطيک ما هو خير من لک من خادم و من الدنيا بما فيها: تکبّرين الله بعد کل صلاه أربعاً و ثلاثين تکبيره، و تحمدين الله ثلاثاً و ثلاثين تحميده، و تسبّحين الله ثلاثاً و ثلاثين تسبيحه، ثم تختمين ذلک بلا إله إلاّ الله، و ذلک خير لک من الذی أردت و من الدنيا و ما فيها.

1- 194. بحارالانوار ج 43.
2- 195. الرقيق: ابلعبيد و الجواری يطلق علی المفرد و الجمع.

فلزمت (صلوات الله عليها) هذا التسبيح بعد كل صلاه، و نسب إليها هذا التسبيح، فيقال: تسبيح فاطمه (1) .

و روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: يا أباهارون إنا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمه (عليهاالسلام) كما نأمرهم بالصلاه فألزمه، فإنه لم يلزمه عبد فشقى (2) .

و فى مكارم الأخلاق: أن فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) كانت سُبحتها من خيط صوف مفتّل، معقود عليه عدد التكبيرات، فكانت تديرها بيدها، تكبّر و تسبّح، إلى أن قتل حمزه بن عبدالمطلب (رضى الله عنه) سيدالشهداء،فاستعملت تربته، و عملت التسابيح فاستعملها الناس، فلما قتل الحسين (صلوات الله عليه) عُدل بالأمر إليه، فاستعملوا تربته لما فيها من الفضل و المزيه.

و عن الإمام ابى عبدلله (الصادق) (عليه السلام) قال: و تكون السبحه بخيوط زرق،أربعاً و ثلاثين خرزه، و هى سبحه مولاتنا فاطمه (عليهاالسلام) لما قتل حمزه عملت من طين قبره سبحه تسبّح بها بعد كل صلاه.

عن الامام أبى عبدالله (الصادق) (عليه السلام) قال: من سبَّح تسبيح فاطمه (عليهاالسلام) فقد ذكر الله ذكراً كثيراً (3) .

1- 196. كتاب دعائم الاسلام، و فى البحار ج 43.
2- 197. كتاب قرب الاسناد و فى البحار ج 43.
3- 198. تفسير مجمع البيان ج 8 فى تفسير قوله تعالى: «يا ايها الذين آمنوا ذكروا الله ذكرا كثيرا». و ذكره العلامه المجلسى فى بحارالانوار ج 43.

هذا... و الروايات فى فضل تسبيح فاطمه (عليهاالسلام) كثيره و مختلفه فى كيفيتها، و فى بعض الروايات: التكبير ثم التسبيح، ثم التحميد، و هذا هو الأشهر و الأقوى عند فقهائنا.

و قد ذكر شيخنا المجلسى أقوال الفقهاء و آرائهم حول الترتيب و التقديم و التأخير بصوره مفصله (1) .

لقد اتضح لنا من هذه الأحاديث أن السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) مع جلاله قدرها و عظم شأنها و شرف نسبها كانت تقوم بأعمال البيت، و تدير أمور البيت بنفسها، و كان على (عليه السلام) يعينها و يتعاون معها، فقد روى عن الامام على (عليه السلام) قال: دخل علينا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و فاطمه جالسه عند القدر و أنا أنقى العدس.

قال: يا أباالحسن.

قلت: لبّيک يا رسول الله

قال: اسمع منى، و ما أقول إلاّ من أمر ربى: ما من رجل يعين امرأته فى بيتها إلاّ كان له بكل شعره على بدنه عباده سنه، صيام نهارها، و قيام ليلها..... إلى آخر الحديث (2) .

1- 199. بحارالانوار ج 85.
2- 200. جامع الاخبار، و فى البحار ج 43.

لقد عرفت- من مجموع الاحاديث الماضيه- ان السيده الزهراء (عليه السلام) كانت اقرب انسان الى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و إن اتصالها و ارتباطها بالنبى هو اتصال الجزء بالكل، و ارتباط بعض الشى ء بالبعض الآخر، فالحب و العطف و الانسجام و العلاقات الودّيه قد بلغت إلى أقصى درجه..

فلا عجب إذا كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يعلم ابنته أفضل الأعمال، و يرشدها إلى أحسن الأخلاق، و يفيض عليها أحسن المعارف و أرقاها.

و الزهراء (عليهاالسلام) تلتهم تلك العلوم الربانيه من ذلک النبع العذب الزلال، و تمتص رحيق الحقيقه من مهبط الوحى، فيمتلئ قلبها الواعى الواسع بأنواع الحكمه، و يساعدها عقلها الوقّاد، و ذكاؤها المفرط على فهم المعانى و درک المفاهيم، و حفظ المطالب على أتمّ وجه و أكمل صوره.

لقد سمعتْ من أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) الكثير الكثير من العلوم، و تعلّمت منه القسط الوافر من الأحكام و الأدعيه و الأخلاق و الحِكَم. هذا كله... بالاضافه الى ما الهمها الله تعالى من العلم و المعرفه.

و قد مر عليک بعض التفصيل عند التحدث عن اسمها: «المحدثه».

و روى جابر بن عبدالله الانصارى عن رسول الله (صلى الله عليه

و آله و سلم) انه قال: «ان الله جعل عليا و زوجته و ابناءه حجج الله على خلقه، و هم ابواب العلم فى امتى، من اهتدى بهم هدى الى صراط مستقيم (1) .

و لكن الموسف حقا انه قد روى عنها القليل، حسب ظروفها الخاصه و لما ستعرف قريباً.

و لو كانت الزهراء (عليهاالسلام) تعيش أكثر مما عاشت- مع فسح المجال أمامها لملأت الدنيا علماً و ثقافه و معرفه.

و ليس هذا إدّعاءً فارغاً، بل هو الواقع الذى لا شک فيه.

فقد وجدت السيده الزهراء المجال فى حياتها ساعتين فقط: ساعه خطبت فيها فى مسجد أبيها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ساعه خطبت فى بيتها فى جمع النساء اللاتى حضرن لعيادتها.

و ستعرف قريباً مدى مواهبها وسعه اطلاعها، و كثره معلوماتها و مقدار قدرتها على الأداء و الشرح و البيان.

ولكنها- أسفى عليها- ما عاشت إلا يسيراً، و قد عرفت تاريخ ميلادها و ستعرف تاريخ وفاتها، و ستعرف أنها ماتت و لم تبلغ العشرين من العمر!!

فما تقول لو كانت الزهراء تعيش حتى تبلغ الخمسين و الستين من العمر مع فسح المجال؟!

لكانت تترک للامه الاسلاميه اعظم ثروه فكريه و علميه فى شتى المواضيع و الفنون!!

و لكن...؟!

1- 201. شواهد التنزيل للحسكانى الحنفى ج 1 ص 58.

ایها القاری الکریم: الیک الآن بعض ما روی عنها من الاحادیث الشریفه:

1- عن تفسیر الإمام العسکری (علیه السلام) قال: حضرت امرأه عند الصدیقه فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) فقالت: إن لی والده ضعیفه و قد لبس- أی: اشتبه-علیها فی أمر صلاتها شی ء، و قد بعثتنی إلیک أسألکِ... فأجابتها فاطمه (علیهاالسلام) عن ذلک، فثنّت (1) فأجابت: (الزهراء)، ثم ثلثت إلی أن عشرت (2) فأجابت، ثم خجلت من الکثره فقالت: لا أشقّ علیکِ یا ابنه رسول الله.

قالت فاطمه: هاتی و سلی عما بدا لکِ، أرأیت من أکثُرِیَ (أی استؤجِر) یوماً یصعد إلی سطح بحمل ثقیل، و کراه (أی أجرته) مائه ألف دینار یثقل علیه؟

فقالت: لا.

فقالت: أکثُریتُ أنا لکل مسأله بأکثر من ملی ء ما بین الثری إلی العرش لؤلؤاً، فأحری أن لا یثقل علیَّ سمعت أبی (صلی الله علیه و آله و سلم) یقول: إن علماء شیعتنا یُحشرون، فیُخلع علیهم من خلع الکرامات علی قدر کثره علومهم و جِدّهم فی إرشاد عبادالله حتی یخلع علی الواحد منهم ألف ألف حلّه من نور.

ثم ینادی منادی ربنا (عز و جل): أیها الکافلون لأیتام محمد (صلی الله علیه و آله) الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذین هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتکم و الأیتام الذین کفلتموهم و نعشتموهم، فاخلعوا

1- 202. أی: جاءت مره ثانیه أو سألت مره اخری.
2- 203. أی: جاءت مره عاشره أو: سألت عشر مرات.

علیهم خلع العلوم فی الدنیا، فیخلعون علی کل واحد من أولئک الأیتام- علی قدر ما اخذو عنهم من العلوم، حتی ان فیهم- یعنی فی الایتام- کمن یُخلع علیه مائه ألف خلعه، و کذلک یخلع هؤلاء الأیتام علی من تعلّم منهم.

ثم إن الله تعالی یقول: أعیدوا علی هؤلاء العلماء الکافلین للأیتام، حتی تتموا لهم خلعهم، و تضعّفوها لهم، فیتمّ ما کان لهم قبل أن یخلعوا علیهم و یضاعف لهم، و کذلک من یلیهم ممن خلع علی من یلیهم.

ثم قالت فاطمه (علیهاالسلام): (یا أمه الله إن سلکةً من تلک الخِلَع لأفضل مما طلعت علیه الشمس ألف ألف مره» (1) .

2- و عن دعوات الراوندی عن سوید بن غفله قال: أصابت علیّاً (علیه السلام) شدّه، فأتت فاطمه (علیهاالسلام) رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فدقّت الباب،فقال: أسمع حسّ حبیبتی بالباب یا أم أیمن قومی و انظری! ففتحت لها الباب فدخلت.

فقال (صلی الله علیه و آله و سلم): لقد جئتِنا فی وقت ما کنتِ تأتینا فی مثله؟فقالت فاطمه: یا رسول الله ما طعام الملائکه عند ربنا؟

فقال: التحمید.

فقالت: ما طعامنا؟

فقال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): و الذی نفسی بیده ما اقتبس فی آل محمد شهراً ناراً (2) و أعلمک خمس کلمات علّمنیهن جبرئیل (علیه السلام)

1- 204. بحارالانوار کتاب العلم عن تفسیر الامام العسکری (علیه السلام).
2- 205. ای: ما اشتعلت نار للطبخ فی بیوت رسول الله منذ شهر

قالت: یا رسول الله ما الخمس کلمات؟

قال: «یا رب الأولین و الآخرین، یا ذا القوه المتین و یا راحم المساکین و یا أرحم الراحمین».

فرجعتْ فلما أبصرها علی (علیه السلام) قال: بأبی أنت و أمی ما وراءک یا فاطمه؟قالت: ذهبت للدنیا و جئت للآخره!

فقال علی: خیر أمامک، خیر أمامکِ.

3- و فی الکافی عن الإمام الصادق (علیه السلام) قال: جاءت فاطمه تشکو إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) بعض أمرها، فأعطاها رسول الله (صلی الله علیه و آله) کَربةً (1) و قال: تعلّمی ما فیها، و إذا فیها: من کان یؤمن بالله و الیوم الآخر فلا یؤذی جاره، و من کان یؤمن بالله و الیوم الآخر فلیکرم ضیفه و من کان یؤمن بالله و الیوم الآخر فلیقل خیراً أو لیسکت.

4- و قالت فاطمه (علیه السلام): من اصعد الی الله خالص عبادته، اهبط الله الیه افضل مصلحته (2) .

5- و عن فاطمه بنت رسول الله قالت: سمعت ابی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)- فیمرضه الذی قبض فیه یقول- و قد امتلات الحجره من اصحابه-: ایها الناس یوشک ان اقبض قبضا یسیرا، و قد قدمت الیکم القول معذره الیکم، الا انی مخلف فیکم: کتاب ربی (عز و جل)، و عترتی اهل بیتی.

1- 206. کربه: اصل السعف، و قیل: ما یبقی فی اصوله فی النخله.
2- 207. بحارالانوار ج 71 ص 184.

ثم اخذ بید علی فقال: هذا علی مع القرآن، و القرآن مع علی، لایفترقان حتی یردا علی الحوض، فاسالکم ما تخلفونی فیهما.

قال القندوزی الحنفی: روی هذاالحدیث ثلاثون صحابیا، و ان کثیرا من طرقه صحیح و حسن. (1) .

6- و قالت (علیهاالسلام): قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) «من تختم بالعقیق لم یزل یری خیرا» (2) .

7- و عن فاطمه بنت رسول الله قالت:ما یصنع الصائم بصیام اذالم یصن لسانه و سمعه و بصره و جوارحه؟! (3) .

8- و روی عن الشهید زیدبن علی بن علی بن الحسین عن آبائه (علیهم السلام) عن فاطمه بنت النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) قالت: سمعت النبی یقول:«ان فی الجمعه لساعه لا یوافقها رجل مسلم یسال الله (عز و جل) فیها خیرا الا اعطاها ایاها».

قالت فقلت:یارسول الله ای ساعه هذه؟

قال:اذا تدلی نصف عین الشمس للغروب».

قال: و کانت فاطمه (علیه السلام) تقول لخادمها:اصعدی علی السطح، فاذا رایت نصف عین الشمس قد تدلی للغروب فاعلمینی حتی ادعو (4) .

9- و روی حسن بن حسن عن امه فاطمه بنت الحسین، عن فاطمه الکبری بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قالت:قال رسول الله:

1- 208. ینابیع الموده للقندوزی الحنفی ص 40.
2- 209. امالی الطوسی ج 1 ص 318.
3- 210. مستدرک الوسائل کتاب الصوم.
4- 211. دلال الامامه للطبری ص 5، و رواه فی معانی الاخبارص 399 باختلاف یسیر.

«لایلو من الا نفسه من باب و فی یده غمر» (1) .

10- و روی عن عبدالله بن الحسن عن ابیه عن فاطمه الکبری (علیهاالسلام) قالت:قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): ما التقی جندان ظالمان الا تخلی الله عنهما، و لم یبال ایها غلب، و ما التقی جندان ظالمان الا کانت الدائره اعتاهما» (2) .

11- عن فاطمه بنت الحسین عن فاطمه الکبری (علیهاالسلام) قالت: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): «کل بنی ام ینتمون الی عصبتهم» (3) .

اقول: عصبه جمع عاصب، مثل: طلبه جمع طالب، و عصبه الرجل: بنوه و قرابته لابیه، و انما سموا عصبه لانهم عصبوا به، ای: احاطوا به.

1- 212. الغمر: الدسم و الزهومه من اللحم، و الحدیث فی کتاب کشف الغمه ج 1 ص 554.
2- 213. کشف الغمه ج 1 ص 553.
3- 214. بحارالانوار ج 43 ص 228.

12- فی الکافی بسنده عن ابی بصیر، عن ابی عبدالله (الصادق) (علیه السلام) قال: قال ابی- الجابر بن عبدالله الانصاری-: ان لی الیک حاجه، فمتی یخفف علیک ان اخلو بک فاسلک عنها؟

فقال له جابر: ای الاوقات احببته.

فخلا به فی بعض الایام، فقال له: یا جابر! اخبرنی عن اللوح الذی رایته فی ید امی فاطمه (علیهاالسلام) بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله) و ما اخبرتک به امی انه فی ذلک اللوح مکتوب؟

فقال جابر: اشهد بالله انی دخلت علی امک، فاطمه (علیهااسلام) فی حیاه رسول الله (صلی الله علیه و آله) فهنئتهابولاده الحسین، و رایت فی یدیها لوحا اخضر ظننت انه من زمرد، و رایت فیه کتابا ابیض، شبه لون الشمس؛

فقلت لها: بابی انت و امی یا بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله) ما هذا اللوح؟

فقالت: هذا اللوح اهداه الله الی رسوله (صلی الله علیه و آله) فیه اسم ابی و اسم بعلی، و اسم ابنی، و اسم الاوصیاء من ولدی، و اعطیانیه ابی لیشربنی بذالک.

قال جابر: فاعطتنیه امک فاطمه (علیها السلام)فقراته و استنسخته.

فقال له ابی (الامام الباقر) فهل لک یا جابر ان تعرضه علی؟

قال: نعم.

فمشی معه ابی الی منزل جابر، فاخرج صحیفه من رق (1) فقال: یا جابر! انظر فی کتابک لاقرا انا علیک.

فنظر جابر فی نسخه، فقراه ابی، فما خالف حرف حرفا.

فقال جابر: فاشهد بالله انی هکذا رایته فی اللوح مکتوبا:

«بسم الله الرحمن الرحیم»

هذا کتاب من الله العزیز الحکیم

لمحمد نبیه و نوره و سفیره و حجابه و دلیله، نزل به الروح الامین من عند رب العالمین:

عظم- یا محمد- اسمائی، و اشکر نعمائی، و لا تجحد آلائی؛

انی انا الله، لا اله الا انا، قاصم الجبارین، و مدیل المظلومین، و دیان یوم الدین

انی انا الله لا اله الا انا، فمن رجا غیر فضلی، او اخاف غیر عدلی عذبته عذابا لا اعذبه احدا من العالمین؛

فایای فاعبد، و علی فتوکل، انی لم ابعث نبیا فاکلمت ایامه، و انقضت مدته الا جعلت له وصیا، و انی فضلتک علی الانبیاء و فصلت وصیک علی الاوصیاء، و اکرمتک بشبلیک و سبطیک: حسن و حسین.

فجعلت حسنا معدن علمی بعد انقضاء مده ابیه.

و جعلت حسینا خازن وحیی، و اکرمته بالشهاده، و ختمت له بالسعاده، فهو افضا من استشهد، و ارفع الشهداء درجه،

1- 215. الرق: الجلد.

جعلت کلمتی التامه معه، و حجتی البالغه عنده، بعترته اثیت و اعاقب؛ اولهم: علی سید العابین، و زین اولیائی الماضین؛

و ابنه شبه جده المحمود: محمد الباقر علمی، و المعدن لحکمتی؛

سیهلک المرتابون فی جعفر، الراد علیه کالراد علی، حق القول منی لاکرمن مثوی جعفر، و لا سرنه فی اشیاعه و انصاره و اولیائه.

انتجبت بعده موسی، فتنه عمیاء حندس، لان خیط فرضی لا ینقطع و حجتی لا تخفی، و ان اولیائی یسقون بالکاس لا اوفی؛

من جحد و احدا منهم فقد جحد نعمتی، و من غیر آیه من کتابه فقد افتری علی، و یل للمفترین، الجاحدین؛

عند انقضاء مده موسی عبدی و حبیبی و خیرتی فی علی ولیی و ناصری و من اضع علیه اعباء النبوه، و امتحته بالاضطلاع بها، یقتله عفریت مستکبر یدفن فی المدینه التی بناها العبد الصالح (1) الی جنب شر خلقی؛ و اختم بالسعاده لابنه علی، ولیی وناصری، والشاهد فی خلقی، و امینی علی وحیی،

اخرج منه الداعی الی سبیلی، و الخازن لعلمی، الحسن؛

1- 216. المقصود: طوس، فقد دفن فیه الامام علی الرضا (علیه السلام) جنب قبر هارون العباسی.

واکمل ذلک بابنه: «م ح م د» رحمه العالمین، علیه کمال موسی، و بهاء عیسی، و صبر ایوب، فیذل اولیائی فی زمانه، و تتهادی رووسهم کما تتهادی رووس الترک والدیلم، فیقتلون، و یحرقون، و یکونون خائفین، مرعوبین، و جلین تصبغ الارض بدمائهم، و یفشو الویل و الرنه فی نسائهم، اولئک اولیائی حقا.

بهم ادفع کل فتنه عمیاء حندس، و بهم اکشف الزلازل، و ادفع الآصار و الاغلال،او لئک علیهم صلوات من ربهم ورحمه واولئک هم المهتدون».

قال عبدالرحمن بن سالم: قال ابوبصیر: لو لم تسمع فی دهرک الا هذا الحدیث لکفاک، فصنه الا عن اهله (1) .

ایها القاری ء الکریم:

بعدما قرات و عرفت من علم الزهراء وکثره اتصالها بالرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) هلم معی و استمع الی ما یذکره العقاد ثم اضحک او ابک:

ذکر العقاد فی کتابه: (فاطمه و الفاطمیون) احادیث سقیمه استحسنها هو، و کانه اعجب بها، و من جملتها هذه الخرفه:

«و من فطره التدین فی وریثه محمد و خدیجه انها کانت شدیده التحرج فیما اعتقدته من اوامر الدین، حتی وهمت ان اکل الطعام المطبوخ یوجب الوضوء، یظهر ذلک من حدیث الحسن بن الحسن عن فاطمه حیث قالت: «دخل علی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فاکل عرقا (2) فجاء

1- 217. الکافی ج 1 ص 527.
2- 218. العرق- بکسر العین و سکون الراء- اللحم الذی علی العظم.

بلال بالأذان فقام ليصلى، فأخذت بثوبه فقلت: يا أبه ألا تتوضأ؟ فقال: مم أتوضأ يا بنيه؟ فقلت: مما مسَّتِ النار. فقال لى: أو ليس أطيب طعامكم ما مسّت النار».

فهى فيما تجهله تتحرج و لا تترخص، و تؤثر الشده مع نفسها على الهواده معها» (1) .

لا أدرى كيف أزيف هذه الأكذوبه التى اختلقتها يد الهوى، و صاغتها ألسنه الكذب و الدجل؟!

و لا أطالب العقاد عن مصدر هذه الأسطوره، و لا عن كتاب ذكر هذه الأضحوكه، فالحديث منه عليه شواهد أنه كذب و افتراء بصرف النظر عن المصدر و الكتاب.

و لكنى اتساءل: ممن كانت الزهراء تأخذ معالم الدين؟!

و ممن كانت تتعلم أحكام الإسلام؟

أليس المصدر الأول لعلومها هو أبوها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟!و زوجها باب مدينه علم الرسول على بن أبى طالب؟!

و قبل هذين هو القرآن العظيم الذى نزل شى ء منه فى بيتها؟

فمن أين جاءها هذا التوهم؟

من القرآن؟

من أبيها؟

من زوجها؟

و كيف كانت تجهل سيده نساء العالمين هذا الحكم الذى تكثر إليه

1- 219. ص 53.

الحاجه، و يعم به الابتلاء؟

فهل كانت السيده فاطمه تأخذ الأحكام من الكذابين الدجالين فتعلمت هذا الحكم منهم؟ و لهذا أخذت بثوب أبيها لتمنعه عن الصلاه بلا وضوء؟

أنا ما أدرى، و لعل العقاد يدرى، و لعل الذين اختلقوا هذه الأسطوره يدرون!

ص: 231

ان من جمله التعاليم الإسلاميه التى كانت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) تهتم بها غايه الاهتمام- هى المحافظه على شرف المرأه و حفظ كيانها، عن طريق الحجاب و التستر، فالزهراء (عليهاالسلام) تعلم- حسب علم الاجتماع- أن ملايين الفضائح و الجرائم و المآسى تأتى عن طريق السفور و التبذّل و الخلاعه و الاختلاط، المسمىّ فى زماننا هذا بالحريه و التقدم!!. فإن كنت لا تصدق فأقرأ الجرائد و المجلات التى تصدر يومياً و أسبوعياً، فى البلاد الإسلاميه و غير الإسلاميه، كى تعرف عدد الضحايا التى تقدّمها الحضاره !.. و التقدم ! و الحريه !

و لا تنس أن معشار هذه الفجائع و المآسى ما كانت تحدث للمرأه المسلمه يوم كانت تؤمن بالحجاب و العفاف و الحياء !

يوم كانت تؤمن بالحلال والحرام !

يوم كانت تأبى و ترفض أن ينظر إليها رجل أجنبى و احد !

فكيف أن تجعل جسمها و رأسها و وجهها محلاًّ لأنظار المئات بل الألوف من الرجال الأجانب، على اختلاف أديانهم و أهوائهم.

و لما ضاعت المفاهيم و القيم سقطت المرأه المسلمه إلى حيث سقطت، و بلغ بها الأمر إلى ما بلغ!.

و إليک هذين الحديثين اللذين تضمنّا إعجاب الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) بكلام ابنته الطاهره العفيفه فاطمه الزهراء حول المرأه، و تصديقه لها، و تقديره لرأيها:

روى أبونعيم فى (حليه الأولياء) ج 2 ص 40 عن أنس بن مالک قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): ما خيرٌ للنساء؟

فلم ندرِ ما نقول، فسار علىٌّ إلى فاطمه فأخبرها بذلک، فقالت: فهلاّ قلت له: خيرَ لهن أن لا يرين الرجال و لا يرونهن، فرجع- على إلى رسول الله- فأخبره بذلک.

فقال النبى... صدقت إنها بضعه منى.

الروايه بصوره أخرى:

عن على (عليه السلام) أنه قال لفاطمه: ما خير للنساء؟

قالت: لا يرين الرجال و لا يرونهن.

فذكر ذلک للنبى فقال: إنما فاطمه بضعه منى.

و ذكر ابن المغازلى فى مناقبه عن على بن الحسين بن على (عليهم السلام) أن فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) استأذن عليها أعمى فحجبته فقال لها النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لم حجبتِه و هو لا يراک؟

فقالت: يا رسول الله إن لم يكن يرانى فأنا أراه و هو يشمّ الريح.

فقال النبى (صلى الله عليه و آله و سلم): أشهد أنکَ بضعه منى.

لاشک ان للدعاء اهمیه کبری و اثرا بالغا فی حیاه الانسان و سعادته، و قضاء حوائجه و استجابه دعائه و تحقق آماله.

و خاصه حینما تنسد الابواب فی وجه الانسان و تفشل الوسائل و الطرق المادیه، فانه یفزع الی الدعاء و المناجاه بین یدی الخالق العظیم الذی هو علی کل شی ء قدیر، کما قال سبحانه: «ادعونی استجب لکم».

بل ان الدعاء لا یختص بوقت الحاجه فقط، بل یجب ان یکون برنامجا یومیا فی حیاط الانسان، لانه یودی الی توثیق علاقته بربه سبحانه، و یمنح الانسان صفاءا معنویا و نورانیه قلبیه تحلق به الی سماء الکمال الانسانی.

من هنا... و فقد کان اولیاء الله سبحانه یستانسون بالدعاء و یرتاحون الیه و ینسجمون معه تمام الانسجام.

هذا... و قد رویت عن السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) ادعیه کثیره، کانت تدعو بها ربها سبحانه.

و فیمایلی نذکر نماذج منها، تتمیما للفائده:

فی کتاب مهج الدعوات للسیدابن طاووس:

(ذکر ما نختاره من الدعوات عن سیدتنا و امنا المعظمه: فاطمه سیده نساء العالمین، بنت سید المرسلین (صلوات الله علیهماو علی عترتهما الطاهرین):

1- فمن ذالک دعاء علمها اياه رسول الله (صلى الله عليه و آله) رويناه باسنادنا الى ابى المفضل محمد بن المطلب الشيبانى فى الجزء الثالث من اماميه،باسناد نسبه الى مولانا الحسن بن مولانا على بن ابى طالب (عليهماالسلام) عن امه فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) وجدناه باسناد صحيح:

ان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال- للزهراء (عليهاالسلام)-: يا بنيه الا اعلمک دعاء لا يدعو به احد الا استجيب له، و لايعرض لک الشيطان، و لا يعرض عنک الرحمن، و لايزيغ قلبک، و لاترد لک دعوه، و يقضى حوائجک كلها؟

قالت ياابت! لهذااحب الى من الدنيا و ما فيها.

قال: تقولين:

«يا اعز مذكور و اقدمه قدما فى العز و الجبروت، يا رحيم كل مسترحم، و مفزع كل ملهوف اليه، يا راحم كل حزين يشكو بثه و حزنه اليه، يا خير من سئل المعروف و اسرعه اعطاء، يا من يخاف الملائكه- المتوقده بالنور- منه؛

اسالک بالاسماء التى يدعوک بهاجبرئيل و ميكائيل و اسرافيل الا اجبتنى و كشفت- يا الهى- كربتى، و سترت ذنوبى؛

يا من امر بالصيحه فى خلقه فاذا هم بالساهره يحشرون، و بذالک الاسم الذى اخييت به العظام و هى رميم، احى قلبى، و اشرح صدرى،

یامن خصه نفسه بالبقاء و خلق لبریته الموت و الحیاه و الفناء یامن فعله قول،و قوله امر، و امره ماض علی مایشاء؛

اسالک بالاسم الذی دعاک به خلیلک حین القی فی النار، فدعاک به فاستجبت له، و قلت: یا نار کونی بردا و سلام علی ابراهیم؛

و بالاسم الذی دعاک به موسی من جانب الطور الایمن فاستجبت له؛ و بالاسم الذی خلقت به عیسی من روح القدس، و بالاسم الذی تبت علی داود، و بالاسم الذی وهبت لزکریا یحیی، و بالاسم الذی کشفت به عن ایوب الضر، و تبت به علی داود، و سخرت به لسلیمان الریح تجری بامره، و الشیاطین و علمته منطق الطیر؛

و بالاسم الذی خلقت به العرش و بالاسم الذی خلقت به الکرسی، و بالاسم الذی خلقت به الروحانیین و بالاسم الذی خلقت به جن و الانس، و بالاسم الذی خلقت به جمیع خلقک، و بالاسم الذی خلقت به جمیع ما اردت من شی ء و بالاسم الذی قدرت به علی کل شی ء؛

اسالک بهذه الاسماء الاما اعطیتنی سولی، و قضیت حوائجی یا کریم».

فانه یقال لک: یافاطمه ! نعم، نعم (1) .

2- و من ذالک دعاء آخر عن مولاتنا فاطمه الزهراء (صلوات الله علیها):

«اللهم قنعنی بما رزقتنی، و استرنی و عافنی ابدا ما ابقیتنی، و اغفرلی و ارحمنی اذا توفیتنی؛

اللهم لاتعینی فی طلب ما لا تقدرلی، و ما قدرته علی فاجعله میسرا سهلا؛

1- 220. مهج الدعوات: 139.

اللهم ! كاف عنى والدى- و كل من له نعمه على- خيرمكافاه؛

اللهم ! فرغنى لما خلقتنى له، و لا تشغلنى بما تكفلت لى به، و لا تعذبنى و انا استغفرک، و لا تحرمنى و انا اسالک؛

اللهم ! ذلل نفسى فى نفسى، و عضم شانک فى نفسى، و الهمنى طاعتک، و العمل بما يرضيک، و التجنب عما يسخطک، يا ارحم الراحمين» (1) .

3- و من ذالک للحمى دعاء آخر لمولاتنا فاطمه الزهرا (عليهاالسلام): دخل النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) على فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) فوجد الحسن (عليه السلام) موعوكا (2) فشق ذالک على النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فنزل جبرئيل (عليه السلام) فقال يامحمد ! الا اعلمک معاذه تدعوبها فينجلى عنه (الحسن) ما يجده؟

قال (النبى): بلى.

قال: قل:

«اللهم ! لا اله الا انت العلى العظيم، ذو السلطان القديم و المن العظيم، و الوجه الكريم، لا اله الا انت العلى العظيم، ولى الكلمات التامات و الدعوات المستجابات، حل ما اصبح بفلان».

فدعا النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، ثم وضع يده على جبهته (الحسن) فاذا هو- بعون الله- قد آفاق (3) .

1- 221. مهج الدعوات: 141.
2- 222. موعوكا: مريضا.
3- 223. مهج الدعوات: 141.

4- دعاء النور: العلاج العجيب لمكافحه الحُمّى

لقد اشتهر بين الشيعه- بكافه طبقاتهم من أهل العلم و غيرهم:- دعاء النور المروى عن سيدتنا فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) و فى خلال هذه القرون ثبت بالتجارب- على مرّ التاريخ- أن لهذا الدعاء تأثيراً خاصاً للاستشفاء من الحمّى، و قد ذكره كثير من علمائنا فى كتب الأدعيه و الأحاديث، و منهم السيد ابن طاووس فى كتابه (مهج الدعوات).

و خلاصه الحديث ان السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) علّمت سليمان الفارسى (رضوان الله عليه) هذا الدعاء و قالت له: إن سَرَّک أن لا يمسَّک أذى الحمّى ما عشت فى دار الدنيا، فواظب على هذا الكلام الذى علّمنيه أبى: محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) كنت أقوله غدوه و عشيه:

بِسمِ الله الرّحْمنِ الرَّحيمِ

بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور على نور، بسم الله الذى هو مدبّر الأمور، بسم الله الذى خلق النور من النور، الحمد لله الذى خلق النور من النور، و أنزل النور على الطُور، فى كتاب مَسطور فى رَقٍّ منشور، بَقَدر مقدور، على نبىٍّ مَحبُور، الحمد لله الذى هو بالعز مذكور، و بالفخر مشهور، و على السَّرَّاء و الضَّرَّاء مشكور، و صلى الله على سيدنا محمد و آله الطاهرين.

قال سلمان: و الله لقد علّمتُ أكثر من ألف إنسان فى مكه و المدينه كانوا مصابين بالحمّى، فبرئوا بإذن الله.

5- و فی (کشف الغمه): و عن عبدالله بن الحسن، عن امه فاطمه بنت الحسین، عن فاطمه (علیهاالسلام) قالت:

«کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) اذ دخل المسجد قال: «بسم الله، و الحمدلله، و صلی الله علی رسول الله، اللهم اغفرلی ذنوبی، و سهل لی ابواب رحمتک».

و اذا خرج قال مثل ذلک الا انه یقول: «اللهم اغفرلی ذنوبی، و سهل لی ابواب رحمتک».

و اذا خرج قال مثل ذلک، الا انه یقول: «اللهم اغفرلی لی ذنوبی، و سهل ابواب (رحمتک) و فضلک». (1) .

6- و عن زین العابدین (علیه السلام) قال: ضمنی والدی (علیه السلام) الی صدره یوم قتل، و الدماء تغلی، و هو یقول: یا بنی احفظ عنی دعاء علمتنیه فاطمه (علیه السلام) و علمها رسول الله (صلی الله علیه و آله) و علمه جبرئیل (علیه السلام) فی الحاجه و الهم و الغم و النازله اذا نزلت، و الامرالعظیم الفادح قال: ادع:

«بحق و القرآن الحکیم، و بحق طه و القرآن العظیم، یا من یقدر علی حوائج السائلین، یا من یعلم ما فی الضمیر، یا منفس عن المکروبین یا مفرج عن المغمومین یا راحم الشیخ الکبیر، یا رازق الطفل الصغیر، یا من لا یحتاج الی التفسیر صل علی محمد و آل محمد، و افعل بی...» تذکر الحاجه (2) .

7- و عن الامام الصادق (علیه السلام) قال:... ان فاطمه اتت اباها (صلی الله علیه و آله) سبابته الیمنی فوضعها علی سنها التی تضرب و قال:«بسم الله و بالله، اسالک بعزتک و جلالک و قدرتک علی کل شی ء، ان مریم

1- 224. کشف الغمه ج 1 ص 553.
2- 225. الدعوات للراوندی.

لم تلد غير عيسى روحک و کلمتک، ان تکشف ما تلقی فاطمه بنت خدیجه من الضر کله» فسکن مابها...» الی آخرحدیث (1) .

8- و روی ان فاطمه (علیهاالسلام) زارت النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فقال لها: الا ازودک؟

قالت: نعم.

قال: قولی: (اللهم ربنا و رب کل شی ء، مُنزل التوراه و الإنجیل و الفرقان، و فالق الحب و النوی، أعوذ بک من کل دابه أنت آخذ بناصیتها، أنت الأول فلیس قبلک شی ء، و أنت الآخر فلیس بعدک شی ء، و أنت الظاهر فلیس فوقک شی ء، و أنت الباطن فلیس دونک شی ء، صل علی محمد و علی أهل بیته علیه و علیهم السلام، واقض عنی الدَین و أغننی من الفقر، و یسّرلی کل أمر یا أرحم الراحمین) (2) .

9- و عن علی (علیه السلام) قال ان فاطمه شکت الی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) الارق (3) فقال لها: قولی یا بنیه: (یا مشبع البطون الجائعه، و یا کاسی الجسوم العاریه، و یا ساکن العروق الضاربه، و یا منوم العیون الساهره، سکن عروقی الضاربه، و اذن لعینی نوما عاجلا).

قال (علیه السلام): فقالته، فذهب عنها ما کانت تجده (4) .

1- 226. مکارم الاخلاق ص 406.
2- 227. مهج الدعوات ص 142، ذخائر العقبی للطبری ص 49 و فی: ان فاطمه (علیه السلام) سالت اباها خادما، فعلمها هذا الدعاء.
3- 228. الارق السهر.
4- 229. بحارالانوار ج 76 ص 213.

10- و روی هذا دعاء عن السیده فاطمه (علیهاالسلام):

«اللهم بعلمک الغیب، و قدرتک علی الخلق، احینی ما علمت الحیاه خیرا لی، و توفنی اذا کانت الوفاه خیرا لی، اللهم انی اسالک کلمه الاخلاص، و خشیتک فی الرضا و الغضب، و القصد فی الغنی و الفقیر، و اسالک نعیما لا ینفذ، و اسالک قره عین لا تنقطع، و اسالک الرضا بالقضاء، و اسالک برد العیش بعد الموت، و اسالک نظر علی وجهک (1) و الشوق الی لقائک، من غیر ضراء مضره، و لا فتنه مظلمه،اللهم زینا بزینه الایمان، و اجعلنا هداه مهدیین یا رب العالمین» (2) .

1- 230. من الثابت عقائدیا و عقلا. ان رویه الله مستحیله فی الدنیا و الاخره، لان الرویه لا تکون الا للاجسام، و الله تعالی لیس بجسم و لا مرکب و لا یشغل حیزا و لا مکانا. فقول الزهرا (علیهاالسلام): «و اسالک النظر الی وجهک» معناه: النظر الی رحمه الله سبحانه و جمیل صنعه و لطفه و احسانه.
2- 231. بحارالانوارج 94 ص 225.

من الطبيعى أن السيده فاطمه (عليهاالسلام) مع منزلتها القريبه و مكانتها الخاصه عند ابيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم)- كان النبى يخبرها عن المستقبل الخاص و العام.

ان النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) الذى كان يخبر الناس عما سوف يجرى من بعده و يخبرهم عن أشراط الساعه، و علائم آخر الزمان و مشاهد القيامه.

أتراه لا يعلم بما سوف يجرى على أهل بيته من بعده، و على ابنته العزيزه: فاطمه الزهراء؟!

أو تراه يعلم ذلک و لا يخبر هم بما يتعلق بمستقبلهم و مصيرهم؟!

نعم... كان النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) يخبراهل بيته بما سيجرى عليهم من الناس من بعد وفاته مباشره و بعد ذلک على طول خط التاريخ، فكم أخبر النبى (صلى الله عليه و آله) أصحابه و زوجاته بشهاده الحسين (عليه السلام)؟

و من اليقين أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) أخبر ابنته الحبيبه فاطمه بمصائبها و نوائبها و اضطهادها و ما يجرى عليها من المآسى.

و خاصه فى الأيام الأخيره من حياته الشريفه، و على الأخص فى الليله الأخيره و اليوم الأخير من حياته فقد ضاق المجال و حضرت الساعه الحرجه

ليكشف رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) النقاب عن الواقع لابنته و يخبرها بكل صراحه فيبشرّها أنها لا تلبث بعده إلا قليلاً ثم تلتحق بأبيها الرسول فى الدرجات العلى و الرفيق الأعلى، ثم يخبرها بتبدل الأحوال و تغيّر الأوضاع:

فقد روى عن عبدالله بن العباس قال: لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) الوفاه بكى حتى بلّت دموعه لحيته.

فقيل له: يا رسول الله ما يبكيک؟

فقال: أبكى لذريتى، و ما تصنع بهم شرار أمَّتى من بعدى، كانى بفاطمه بنتى و قد ظلمت بعدى و هى تنادى يا ابتاه فلا يعينها أحد من أمتى.

فسمعت ذلک فاطمه (عليهاالسلام) فبكت، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): لا تبكينّ يا بنيّه.

فقالت: لست أبكى لما يصنع بى من بعدک، و لكننى أبكى لفراقک يا رسول الله

فقال لها: أبشرى يا بنت محمد بسرعه اللحاق بى فإنک أول من يلحق بى من أهل بيتى. (1) و عن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنه قال:... و إنى لما رأيتها (فاطمه) ذكرت ما يصنع بها بعدى، كأنى و قد دخل الذل بيتها و انتهكت حرمتها، و غُصب حقُّها، و مُنعت إرثها، و كسر جنبها، و أسقطت جنينها، و هى تنادى: يا محمداه. فلا تجاب، و تستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدى محزونه مكروبه باكيه، تتذكر انقطاع الوحى عن بيتها مره، و تتذكر فراقى أخرى، و تستوحش إذا جنّها الليل لفقد صوتى

1- 232. بحارالانوار جلد 43 ص 156 عن الامالى للشيخ المفيد.

الذی کانت تستمع إلیه إذا تهجّدت بالقرآن ثم تری نفسها ذلیله بعد أن کانت فی أیام أبیها عزیزه.... الی آخره (1) .

هذا و الأخبار و الأحادیث الوارده عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فی إخباره أهل بیته بما یجری علیهم من بعده- کثیره جداً- و آخر مره أخبر النبی أهل بیته (و هم علیّ و الزهراء و الحسن و الحسین) فی مرض موته، و قبل وفاته (صلی الله علیه و آله و سلم) بساعات قلائل.

فقد روی عن جابر بن عبدالله الأنصاری قال: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فی مرضه الذی قبض فیه، لفاطمه (علیهاالسلام): بأبی و أمی أنتِ! أرسلی إلی بعلک فادعیه لی.

فقالت فاطمه للحسین أو الحسن: انطلق إلی أبیک فقل: یدعوک جدی.

فانطلق إلیه الحسین فدعاه. فأقبل علیّ بن أبی طالب (علیه السلام) حتی دخل علی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و فاطمه عنده و هی تقول:

و اکرباه لکربک یا أبتاه!

فقال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): لا کرب علی أبیک بعد الیوم یا فاطمه، و لکن قولی کما قال أبوک علی إبراهیم (2) : تدمع العینان و قد یوجع القلب، و لا نقول ما یسخط الرب، و إنا بک یا إبراهیم لمحزونون (3) .

و روی أن النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) دعا علیاً و فاطمه و الحسن و الحسین (علیهم السلام) و قال- لمن فی بیته-: أخرجوا عنی. و قال- لأم

1- 233. بحارالانوار ج 43 ص 172 عن امالی الصدوق/ 99.
2- 234. ابراهیم بن رسول الله،و امه ماریه القبطیه، تو فی و له من العمر سنه و نصف.
3- 235. تفسیر فرآت بن ابراهیم، رواه عنه فی البحار ج 22.

سلمه-: کونی علی الباب فلا یقربه أحد.

ثم قال لعلی-: أُدنُ منی. فدنا منه فأخذ بید فاطمه فوضعها علی صدره طویلاً و أخذ بید علیّ بیده الأخری، فلما أراد رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)الکلام غلبته عبرته، فلم یقدر علی الکلام، فبکت فاطمه بکاءً شدیداً و علیّ و الحسن و الحسین (علیهم السلام) لبکاء رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)فقالت فاطمه: یا رسول الله قد قطعت قلبی، و أحرقت کبدی لبکائک یا سید النبیین من الأولین و الآخرین، و یا أمین ربه و رسوله، و یا حبیبه و نبیّه.

مَن لولدی بعدک؟

و لذُلٍّ ینزل بی بعدک؟ مَن لعلیّ أخیک و ناصر الدین؟

من لوحی الله و أمره؟

ثم بکت و أکبَّت علی وجهه فقبلته، و أکبَّ علیه علیّ و الحسن و الحسین (علیهم السلام) فرفع رأسه (صلی الله علیه و آله و سلم) إلیهم، و ید فاطمه فی یده فوضعها فی ید علیّ و قال له: یا أباالحسن ودیعه الله و ودیعه رسوله محمد عندک، فاحفظ الله واحفظنی فیها، و إنک لفاعل هذا.

یا علیّ هذه- و الله- سیده نساء أهل الجنه من الأولین و الآخرین، هذه- و الله- مریم الکبریِ (1) .

أما- والله- ما بلغت نفسی هذا الموضع حتی سألت الله لها و لکم، فأعطانی ما سألته.

یا علیّ أنفذ ما أمرتک به فاطمه، فقد أمرتها بأشیاء أمر بها جبرئیل.

1- 236. ای منحیث الشبه او المنزله.

و اعلم یا علیّ أنی راضٍ عمّن رضیت عنه ابنتی فاطمه، و کذلک ربی و ملائکته.

یا علیّ: ویل لمن ظلمها، ویل لمن ابتزّها حقها، و ویل لمن هتک حرمتها...

ثم ضمّ (صلی الله علیه و آله و سلم) فاطمه إلیه و قبّل رأسها و قال: فداک أبوک یا فاطمه... الی آخره (1) .

و روی عن الامام الصادق (علیه السلام)- فی حدیث طویل-: ان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال- لا بنته فاطمه (علیهاالسلام):....

«اما ترضین ان تنظری الی الملائکه علی ارجاء السماء ینظرون الیک و الی ما تامرین به.

و ینظرون الی بعلک قد حضر الخلائق و هو یخاصمهم عندالله، فما ترین الله صانعا بقاتل ولدک و قاتلیک و قاتل بعلک....» الی آخر الحدیث (2) .

ان النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) یخبر ابنته- بکل صراحه- بانها سوف تقتل، کما یقتل زوجها و ولدها ایضا.

و سوف تقرا- فی فصل قادم- ما جری علی سیده النساء من المصائب و آلالام، التی ادت الی شهادتها و وفاتها.

و روی عن الامام موسی بن جعفر (علیه السلام) قال: قلت- لابی عبدالله (الصادق)(علیه السلام): الیس کان امیرالمومنین کاتب الوصیه، و رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) المملی علیه، و جبرئیل و الملائکه المقربون (علیهم السلام) شهودا؟

قال: فاطرق (الامام الصادق) طویلا (3) ثم قال (الامام) یا اباالحسن

1- 237. بحارالانوار ج 22/ 484.
2- 238. بحار الانوار ج 44 ص 256.
3- 239. و فی نسخه: ملیا.

(الکاظم) قد کان ما قلت، و لکن حین نزل برسول الله (صلی الله علیه و آله) الامر (1) نزل الوصیه من عند الله کتابا مسجلا نزل به جبرئیل مع امنا الله (تبارک و تعالی) من الملائکه.

فقال جبرئیل: یا محمد! مر باخراج من عندک. الا و صلیت، لیقبضها منا، و تشهدنا بد فعل ایاها الیه، ضامنا لها- یعنی علیها (علیه السلام).

فامر النبی (صلی الله علیه و آله) باخراج من کان فی البیت ما خلا علیا و اشهدت به علیک ملائکتی، و کفی بی- یا محمد- شهیدا؛

(قّال الامام الصادق): فارتعدت مفاصل النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فقال: یا جبرئیل؛ ربی هو السلام، و منه السلام، و الیه و یعود السلام، صدق (عزوجل) و بر، هات الکتاب.

فدفعه الیه، و امره بدفعه الی امیرالمومنین (علیه السلام) فقال له: اقراه. فقراه حرفا حرفا؛

فقال النبی: یا علی! هذا عهد ربی (تبارک و تعالی) الی، و شرطه علی، و امانته، و قد بلغت و نصحت و ادیت!

فقال علی (علیه السلام): و انا اشهد لک- بابی و امی انت- بالبلاغ و النصیحه و التصدیق علی ما قلت، و یشهد لک سمعی و بصری و لحمی و دمی!

فقال جبرئیل: و انا لکما علی ذالک من الشاهدین.

1- 240. لعل المقصود من الامر- هنا-: الموت.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): يا على! اخذت و صيتى و عرفتها، و ضمنت لله ولى الوفاء بما فيها؟

فقال على (عليه السلام): نعم بابى انت و امى، على ضمانها، و على الله عونى و توفيقى على ادائها.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): يا على! انى اريد ان اشهد عليک بموافاتى بها يوم القيامه!!

فقال على (عليه السلام): نعم، اشهد.

فقال النبى (صلى الله عليه و اله): ان جبرئيل و ميكائيل فيما بينى و بينک آلان، و هما حاضران، معهما الملائكه المقربون، لاشهد هم عليک!

فقال: نعم، ليشهدو، و انا- بابى انت و امى- اشهدهم!

فاشهدهم رسول الله (صلى الله عليه و آله).

و كان فيما اشترط عليه النبى- بامر جبرئيل (عليه السلام) فيما امر الله به (عزوجل) ان قال له:

«يا على! تفى بما فيها من مولاه من والى الله و رسوله، و البرائه و العداوه لمن عادى الله و رسوله، و بالبرائه منهم على الصبر منک (و) على كظم الغيظ، و على ذهاب حقى، و غصب خمسک (1) و انتهاک حرمتک؟

فقال: نعم، يا رسول الله.

قال اميرالمومنين (عليه السلام): و الذى فلق الحبه، و برا النسمه. لقد سمعت جبرئيل (عليه السلام) يقول للنبى:

«يا محمد! عرفه انه ينتهک الحرمه، و هى حرمه الله، و حرمه رسول الله (صلى الله عليه و آله) و على ان تخضب لحيته من راسه بدم عبيط!».

1- 241. و فى نسخه: غصبک.

قال امیرالمومنین (علیه السلام) فصعقت حین فهمت الکلمه من الامین جبرئیل حتبی تسقط علی وجهی، و قلت:

«نعم، قبلت و رضیت، و ان انتهکت الحرمه! و عطلت السنن، و مزق الکتاب (القران) و هدمت الکعبه، و خضبت لحیتی من راسی بدم عبیط، محتسباابدا، حتی اقدم علیک».

ثم دعا رسول الله (صلی الله علیه و آله): فاطمه و الحسن و الحسین و اعلمهم مثل ما اعلم امیرالمومنین فقالوا مثل قوله؛

فختمت الوصیه بخواتیم من ذهب لم تمسه النار، و دفعت ای امیرالمومنین (علیه السلام).

قال الراوی: فقلت لابی الحسن (الکاظم) (علیه السلام): بابی انت و امی! الا تذکر ما کان فی الوصیه؟

فقال: سنن الله و سنن رسوله.

فقلت: اکان فی الوصیه توثبهم (1) و خلافهم علی امیرالمومنین (علیه السلام)؟

فقال: نعم، والله، شیئا شیئا، و حرفا حرفا، اما سعت قول الله (عزوجل): «انا نحن الموتی و نکتب ما قدمنوا و آثارهم و کل شی احصیناه فی امام مبین»؟

والله لقد قال رسول الله (صلی الله علیه و اله) لامیرالمومنین و فاطمه (علیهماالسلام): الیس قد فهمتما ما تقدمت به الیکما و قبلتماه؟

فقالا: بلی، و صبرنا علی ما ساءنا و غاظنا (2) کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فی تلک الساعه الاخیره

1- 242. التوثب: الاستیلاء علی الشی ظلما.
2- 243. الکافی ج 1 ص 281.

واضعاً رأسه على صدر علىّ (عليه السلام) و قلبه لا يطاوعه إلاَّ أن يضمّ فاطمه إلى صدره مره بعد مره و دموعه تجرى كالمطر حتى ابتلت لحيته الشريفه و ابتلت الملاءه التى كانت عليه، و أقبل الحسن و الحسين يقبلان قدميه و يبكيان بأعلى أصواتهما

و أراد علىّ (عليه السلام) أن يرفعهما، فقال النبى (صلى الله عليه و آله و سلم): دَعهما يشمّانى و أشمّهما، و يتزوّدا منى و أتزوّد منهما، فسيلقيان من بعدى زلزالاً، و أمراً عضالاً، فلعن الله من يحيفهما، اللهم إنى أستودعكهما و صالح المؤمنين.

و لا تسأل عن بكاء السيده فاطمه الزهراء فى تلك اللحظات و هى ترى أباها الرسول العظيم و والدها البار العطوف الحنون على أعتاب المنيّه، فكانت تخاطب أباها بدموع جاريه: نفسى لنفسک الفداء و وجهى لوجهک الوقاء.

يا أبتاه ألا تكلمنى كلمه فإنى أنظر إليک و أراک مفارق الدنيا، و أرى عساكر الموت تغشاک شديداً.

فقال لها: بُنيه إنى مفارقک، فسلام عليک منى.

و فى كشف الغمه. ثم قال (صلى الله عليه و آله و سلم): يا بنيه أنتِ المظلومه بعدى! و أنت المستضعفه بعدى، فمن آذاک فقد آذانى، و من جفاک فقد جفانى، و من وصلک فقد وصلنى، و من قطعک فقد قطعنى، و من أنصفک فقد أنصفنى، لأنک منى و أنا منک، و أنت بضعه منى و روحى التى بين جَنبىّ.

ثم قال: إلى الله أشكو ظالميک من أمتى.

فما مضت سوى فتره قصيره إذ قام علىّ (عليه السلام) قائلاً: أعظم الله أجوركم فى نبيكم فقد قبضه الله إليه.

فارتفعت الأصوات بالضجه و البكاء، فكان أعظم يوم في تاريخ البشر، و أوجع صدمه على قلوب المسلمين، و لم ير يوم أكثر باكياً و باكيه من ذلک اليوم.

و هكذا مرّت تلک الساعه المُره العصيبه التى كانت أصعب ساعه فى حياه الزهراء. فكيف انقضت تلک الدقائق على قلب فاطمه و هى ترى أباها مسجّى لا حراک به؟!

فكانت الزهراء تقول: يا أبتاه من ربه ما أدناه!

وا أبتاه جنه الفردوس مأواه!

وا أبتاه إلى جبرئيل ننعاه!

وا أبتاه أجاب ربّاً دعاهِ (1).

و كان علىّ يقول: يا رسول الله!

و الحسنان يبكيان و يقولان: واجدّاه واجدّاهِ (2).

و قام علىّ (عليه السلام) بتغسيل الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و تحنيطه و تكفينه و حضر وقت الصلاه عليه، فكانت السيده فاطمه الزهراء من جمله المصلّين على جثمان أبيها العظيم فى الوجبه الأولىِ (3).

و إلى أن دفن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) كان بكاء الزهراء مستمراً متصلاً و رجعت إلى بيتها و اجتمعت النساء فقالت: إنا لله و إنا إليه راجعون، انقطع عنا خبر السماء.

ثم قالت فى مرثيه أبيها أبياتاً نذكرها قريباً.

1- 244. البخارى ج 5 ص 15.
2- 245. المنتقى ص 178.
3- 246. الاحتجاج،للطبرسى.

و قالت لأنس بن مالک-: أطابت نفوسکم أن تحثّوا علی رسول الله التراب؟

و فی کشف الغمه عن الإمام الباقر (علیه السلام): ما رؤیت فاطمه (علیهاالسلام)ضاحکه مستبشره منذ قُبض رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) حتی قُبضت.

و فی روایه أخری: إلاّ یوماً افترت بطرف نابها (1) .

و عن عمران بن دینار: إن فاطمه لم تضحک بعد النبی حتی قُبضت لِما لحقها من شده الحزن علی أبیها (صلی الله علیه و آله و سلم).

1- 247. ای ابتسمت ابتسامه خفیفه.

فی کل یوم من أیام الدنیا آباء یموتون، و بناتهم یُفجعن بهم، و یبکین فی مصابهم، و یحزنَّ لفقدهم إلاَّ أن نسبه الحزن و البکاء و ألم المصیبه تختلف باختلاف الآباء و البنات، و باختلاف العلاقات الودیه بین الأب و ابنته، فهناک العدد الکثیر من البنات اللاتی لا نصیب لهن من الآباء إلاّ الأبوه، فلا عطف و لا حنان و لا عطف، فکأنه لا معرفه بینهما و لا صله.

و هناک آباء یمطرون بناتهم بالعطف و الدلال و الاحترام و المحافظه علی البنت لئلا تنخدش عواطفها. و لئلا یحدث شی ء یمس بکرامتها.

و یجد الأب من ابنته نفس الشعور المتبادل و الاحترام و التقدیر.

و فی هذه الصوره تکون العلاقات الودیه بین الأب و ابنته و ثیقه جداً، و علی هذا تکون مصیبه الأب علی قلب ابنته ألیمه و عمیقه.

و قد مر علیک موقف رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) من ابنته الطاهره فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) و سوف یسهل علیک أن تدرک بان علاقه السیده فاطمه الزهراء بأبیها الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) و محبتها إیاه لم تکن بدافع الأبوه و النبوه فقط، بل کانت السیده فاطمه تعتبره أباً عطوفاً، و والداً رؤوفاً، شفیقاً رحیماً.

و فی الوقت نفسه تعتبره رسول الله، و سید الأنبیاء و المرسلین، فهی تحترم أباها کما تحترم المرأه المسلمه المومنه العارفه نبیّها، و تعظّمه أقصی

أنواع التعظيم، و أعلى درجات التفخيم و التجليل.

و السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) أعلم امرأه فى الإسلام، و أعرف أنثى بعظمه نبى الإسلام.

و بعد هذه المقدمه يتضح لنا أن مصيبه وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) سلبت عن ابنته البّاره كل قرار و استقرار، و كل هدوء و سكون.

فالزهراء تعرف عِظم المصاب، و مدى تأثير الواقعه فى الموجودات كلها.

و هنا تحدثنا فضّه خادمه الزهراء عن الحزن المسيطر على السيده فاطمه بسبب وفاه أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) قالت:

«و لما توفى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) افتجع له الصغير و الكبير و كثر عليه البكاء، و عظُم رزؤه على الأقرباء و الأصحاب و الأولياء و الأحباب، و الغرباء و الأنساب.

و لم تلق إلاّ كل باكٍ و باكيه، و نادب و نادبه، و لم يكن فى أهل الأرض و الأصحاب و الأقرباء و الأحباب أشدّ حزناً و أعظم بكاءًا و انتحاباً من السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) و كان حزنها يتجدد و يزيد، و بكاؤها يشتد، فجلست سبعه أيام لا يهدأ لها أنين، و لا يسكن منها الحنين، و كل يوم كان بكاؤها أكثر من اليوم الذى قبله.

فلما كان اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن، فلم تطق صبراً، إذ خرجت و صرخت، و ضجَّ الناس بالبكاء، فتبادرت النسوه، و أطفئت المصابيح لكيلا تتبين وجوه النساء.

كانت السيده فاطمه تنادى و تندب أباها قائله:

وا أبتاه! وا صفياه، وا محمداه! وا أباالقاسماه! وا ربيع الأرامل و اليتامى! مَن للقبله و المصلّى؟

و مَن لا بنتک الوالهه الثکلی؟

ثم أقبلت تعثر فی أذیالها، و هی لا تبصر شیئاً من عبرتها، و من تواتر دمعتها،حتی دنت من قبر أبیها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فلما نظرت إلی الحجره و وقع طرفها علی المئاذنه أغمی علیها، فتبادرت النسوه، فنضحن الماء علیها و علی صدرها، و جبینها حتی أفاقت، فقامت و هی تقول:

رُفعت قوتی، و خاننی جَلَدی، و شمت بی عدوی، و الکمد قاتلی. یا أبتاه بقیت و الهه وحیده، و حیرانه فریده.

فقد انخمد صوتی، و انقطع ظهری، و تنغَّص عیشی، و تکدَّر دهری. فما أجد- یا أبتاه- بعدک أنیساً لوحشتی، و لا راداً لدمعتی، و لا معیناً لضعفی، فقد فنی بعدک محکم التنزیل، و مهبط جبرئیل، و محل میکائیل.

انقلبت- بعدک- یا أبتاه الأسباب.

و تغلَّقت دونی الأبواب.

فأنا للدنیا بعدک قالیه، و علیک- ما تردّدت أنفاسی- باکیه.

لا ینفد شوقی إلیک، و لا حزنی علیک.

إنّ حزنی علیک حزن جدید

و فؤادی و الله صبّ عنید

کل یوم یزید فیه شجونی

و اکتیابی علیک لیس یبید

جلّ خطبی، فبان عنی عزائی

فبکائی فی کل وقت جدید

ان قلبا علیک یألف صبراً

أو عزاء فإنه لجليد

ثم نادت:

يا أبتاه، انقطعت بک الدنيا بأنوارها، و ذوتْ زهرتها.

و كانت ببهجتک زاهره.

يا أبتاه! لا زلت آسفه عليک إلى التلاق.

ص: 255

يا ابتاه ! زال غمضى منذ حقَّ الفراق.

يا أبتاه ! مَن للأرامل و المساكين ؟

و مَن للأمه إلى يوم الدين ؟

يا أبتاه ! أمسينا بعدک من المستضعفين !

يا أبتاه ! أصبحت الناس عنا معرضين !

و لقد کنَّا بک معظَّمين فى الناس غير مستضعفين !

فأى دمعه لفراقک لا تنهمل ؟

و أى حزن بعدک لا يتصل ؟

و أى جفن بعدک بالنوم يکتحل ؟

و أنت ربيع الدين، و نور النبيين

فکيف بالجبال لا تمور؟ و للبحار بعدک لا تغور؟

و الأرض کيف لم تتزلزل ؟

رُميتُ- يا أبتاه- بالخطب الجليل

و لم تکن الرزيه بالقليل

و طُرِقتُ- يا أبتاه- بالمصاب العظيم، و بالفادح المهول

بکتک- يا أبتاه- الأملاک

و وقفتِ الأفلاک

فمنبرک بعدک مستوحش

و محرابک خال من مناجاتک

و قبرک فرِحٌ بمواراتک

و الجنه مشتاقه إلیک و إلی دعائک و صلاتک

یا أبتاه ما أعظم ظلمه مجالسک!!

فوا أسفاه علیک إلی أن أقدم عاجلاً علیک

ص: 256

و أُثكل أبوالحسن المؤتمن، أبوولديک الحسن و الحسين.
و أخوک و وليک، و حبيبک، و من ربيّته صغيراً و آخيته كبيراً.
و أحلى أحبابک و أصحابک إليک
من كان منهم سابقاً و مهاجراً و ناصراً
و الثكل شاملنا ! و البكاء قاتلنا ! و الأسى لازمنا
ثم زفرت، و أنَّت أنيناً يخدش القلوب ثم قالت:
قلَّ صبرى و بان عنى عزائى
بعد فقدى لخاتم الأنبياء
عين يا عين اسكبى الدمع سحاً
و يک لا تبخلى بفيض الدماء
يا رسول الإله يا خيره الله
و كهف الأيتام و الضعفاء
قد بكتک الجبال و الوحش جمعاً
و الطير والأرض بعد بكى السماء
و بكاک الحجون و الركن و المشعر
يا سيدى، مع البطحاء
و بكاک المحراب و الدرس
للقرآن فى الصبح معلناً و المساء
و بكاک الإسلام إذ صار فى الناس

غريباً من سائر الغرباء

لو ترى المنبر الذى كنت تعلوه

علاه الظلام بعد الضياء

يا إلهى عجّل وفاتى سريعاً

(فلقد عِفْتُ الحياه يا مولائى)

و أخذت فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) شيئاً من تراب قبر أبيها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و جعلت تشمّه و هى تقول:

ماذا على من شمّ تربه أحمد

إن لا يشمّ مدى الزمان غواليا

قل للمغيّب تحت أطباق الثرى

إن كنت تسمع صرختى و ندائيا

صُبَّت علىَّ مصائب لو أنها

صُبَّت على الأيام صرن لياليا

قد كنت ذات حمى بظلّ محمد

لا أخش من ضيم و كان حمىً ليا

فاليوم أخضع للذليل و أتّقى

ضيمى، و أدفع ظالمى بردائيا

فإذا بكت قمريه فی ليلها

شجناً علی غصن بكيت صباحيا

فلأ جعلن الحزن بعدک مؤنسی

و لأ جعلن الدمع فيک وِ شاحيا (1) .

و روی زينی دحلان فی السيره النبويه هذه الأبيات لها فی رثاء أبيها بعد دفنه (صلی الله عليه و آله و سلم):

اغبرَّ آفاق السماء و كوّرت

شمس النهار و أظلم العصران

و الأرض من بعد النبی كئيبه

أسفا عليه كثيره الرجفان

فليبكه شرق البلاد و غربها

و ليبكه مضر و كل يمانی

و ليبكه الطود المعظم جوّه

و البيت ذو الأستار و الأركان

يا خاتم الرسل المبارک ضوؤه

صلّی عليک منزّل القرآن

ثم رجعت إلی منزلها، و أخذت بالبكاء و العويل.

و كانت (سلام الله عليها) معصبه الرأس، ناحله الجسم منهدّه الركن، باكيه العين،محترقه القلب، يغشی عليها ساعه بعد ساعه.

و تقول لولديها: أين أبوكما الذی كان يكرمكما و يحملكما مره بعد مره؟

أين أبوكما الذى كان أشد الناس شفقه عليكما، فلا يدعكما تمشيان على الأرض؟

لا أراه يفتح هذا الباب أبداً، و لا يحملكما على عاتقه، كما لم يزل يفعل بكما!!

و لما توفى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) امتنع بلال من الأذان قال:لا أؤذان لأحد بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

و إن فاطمه (عليهاالسلام) قالت ذات يوم: إنى أشتهى أن أسمع

1- 248. بحارالانوار ج 43.

صوت مؤذن أبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بالأذان.

فبلغ ذلک بلالاً فأخذ فى الأذان فلما قال: الله أكبر الله أكبر ذكرت أباها و أيامه، فلم تتمالک من البكاء.

فلما بلغ إلى قوله: أشهد أن محمداً رسول الله شهقت فاطمه (عليهاالسلام) و سقطت لوجهها و غشى عليها.

فقال الناس لبلال: أمسک يا بلال فقد فارقت ابنه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) الدنيا، و ظنوا أنها قد ماتت؟ فقطع أذانه، و لم يتمّه،

فأفاقت فاطمه (عليهاالسلام) و سألته أن يتمّ الأذان فلم يفعل و قال لها: يا سيده النسوان إنى أخشى عليک مما تنزلينه بنفسک إذا سمعت صوتى بالأذان. فأعفته عن ذلکِ (1) .

قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): غسلت النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فى قميصه. فكانت فاطمه تقول: أرنى القميص. فإذا شمّته غشى عليها. فلما رأيت ذلک غيّبتهِ (2) .

و روى عن الامام جعفر صادق (عليه السلام) انه قال عاشت فاطمه بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) خمسه و سبعين يوما، لم تركا شره و لا ضاحكه،تاتى قبور الشهداء فى كل جمعه مرتين: الاثنين و الخميس، فتقول: ها هنا كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) كانت فاطمه (عليهاالسلام) تاتى قبور الشهداء و تاتى قبر حمزه

1- 249. بحارالانوار جلد 43 عن من لا يحضره الفقيه.
2- 250. مقتل الحسين للخوارزمى.

و تبکی هناک.

فلما کان فی بعض الایام اتیت قبر حمزه فوجدتها تبکی هناک، فامهلتها حتی سکنت، فاتیتها و سلمت علیها و قلت: یا سیده النسوان قد-

و الله- قطعت نیاط قلبی من بکائک.

فقالت: یا اباعمرو، و یحق لی البکاء، فلقد اصبت بخیر الاباء: رسول الله.

و اشوقاه الی رسول الله.

ثم انشات تقول:

اذا مات یوما میت قل ذکره

و ذکر ابی مذمات، والله، اکثر (1) .

اقول: المستفاد من التاریخ و الاحادیث انا السیده فاطمه (علیهاالسلام) کانت تبکی- علی ابیها- فی بیتها، فلما منعوها عن البکاء، خرجت الی احد، فلما اشتد بها المرض صعب علیهاالخروج الی احد،فکانت تخرج الی البقیع و بیت الاحزان- کما ستقرا ذالک-.

1- 251. بیت الاحزان للقمی ص 141.

أيها القارئ:

لقد وصلنا- فى حديثنا هذا- إلى موضع حساس جداّ، حساس تاريخياً و دينياً و عقائدياً، و لا أعلم ما يكون صدى هذه الجملات التى سأذكرها هنا؟!

و لا أعلم ردود الفعل التى تنشأ من مطالعه هذه الكلمات؟!

و لا أعرف نوعيه الحكم الذى سيحكم به القارئ علىَّ؟!

و ما هى التهم التى سيوجّهها إلىَّ؟

الطائفيه؟ التفرقه؟ إثاره الفتنه؟ المسّ بكرامه الصحابه؟ و غيرها من الكلمات التى سأحظى بها من حضرات المطالعين!!

و لعلک- أيها القارئ- لا ترضى بهذه الحقائق، و تظنها كذباً و افتراءً ثم تحكم علىَّ حكماً غيابياً بما جاد به لسانک و قلمک.

لا يهمنى هذا بمقدار ما يهمنى أن تعلم أننى لا أذكر لک- هنا- شيئاً من المصادر الشيعيه، و لا من كتب الإماميه و إنما أذكر لک بعض القضايا من مصادر سُنيه بحته محضه فقط، معتبره عند أهل السنه و الجماعه.

فإن كانت هذه الأخبار صحيحه و صادقه فنعم المطلوب.

و إن كانت سقيمه أى غير صحيحه فليست المسؤوليه علىَّ.

و إنما المسؤوليه على تلک المصادر.

و بعباره أخرى: ليس الذنب ذنبى، بل الذنب ذنب التاريخ الذى ذكر

هذه الوقائع

و لو لا ثبوتها عند علماء السنه القدامى لما ذكروها فى صحاحهم المعتبره عندهم، المعتمده لديهم.

أيها القارئ:

أعود لأقول كلمتى الأخيره، ثم أدخل فى صميم الموضوع:

أقول: إننى أذكر لک المصادر و المدارک التاريخيه، فا لأفضل أن تراجعها کى تتأکد من صحه القول و النقل.

و بعد مطالعه هذا الفصل لک الحريه فى اختيار موقفک تجاه هذه الأحداث و تبقى أنت و ضميرک الحى، و وجدانک- و هو الذى تجده فى قراره نفسک- و ديانتک التى أنت معتنقها، و إيمانک بالله الذى أنت لاقيه، و الحق الذى هو فوق العاطفه و الميول و التقاليد.

و کم يؤسفنى أنى لا أملک حريه القلم و البيان لأسجل على هذه الصفحات الأحداث المؤلمه، و الظروف العصبيه، و العواصف الزعازع، و الساعات الحرجه التى مرت بآل الرسول و عترته الطيبه فى أقل من أسبوع من بعد وفاه (صلى الله عليه و آله و سلم).

نعم.. الحريه ممنوحه لكل أحد و لكل فئه إلا لآل رسول الله !!

و حريه الصحافه المتعارفه فى زماننا، و حريه الدفاع المسموح بها فى جميع المحاكم فى العالم، و حريه الرأى و الفكر المغترف بها فى الدول، هذه الحريات بكافه أنواعها موجوده، و لكن التحدث عن مصائب آل الرسول و تسجيل آلامهم و مآسيهم يعتبر ذنباً لا يغفر..

و الآن استمع إلى مايلى:

ذكر الأستاذ الفذ عبد الفتاح عبد المقصود فى كتابه (الإمام علىّ بن أبى طالب) ص 225:

(... و اجتمعت جموعهم- آونه فی الخفاء و آخری علی ملاء- یدعون إلی ابن أبی طالب لأنهم رأوه أولی الناس بأن یلی أمور الناس، ثم تألبوا حول داره یهتفون باسمه و یدعونه أن یخرج إلیهم لیردوا علیه تراثه المسلوب... فإذا المسلمون أمام هذا الحدث محالف أو نصیر، و إذا بالمدینه حزبان، و إذا بالوحده المرجوَّه شقان أوشکا علی انفصال، ثم لا یعرف غیر الله ما سوف تؤول إلیه فی نظر ابن الخطاب بالقتل حتی لا تکون فتنه و لا یکون انقسام؟!

کان هذا أولی بعنف عمر إلی جانب غیرته علی وحده الإسلام، و به تحدّث الناس و لهجت الألسن کاشفه عن خلجات خواطر جرت فیها الظنون مجری الیقین، فما کان لرجل أن یحزم أو یعلم سریره ابن الخطاب، و لکنهم جمیعاً ساروا وراء الخیال، و لهم سند مما عرف عن الرجل دائماً من عنف و من دفعات و لعل فیهم مّن سبق بذهنه الحوادث علی متن الاستقراء، فرأی بعین الخیال قبل رأی العیون، ثبات علیّ أمام و عید عمر لو تقدم هذا منه یطلب رضاءه و إقراره لأبی بکر بحقه فی الخلافه، و لعله تمادی قلیلاً فی تصور نتائج هذا الموقف و تخیّل عقباه فعاد بنتیجه لازمه لا معدّی عنها، هی خروج عمر عن الجاده، و أخذ هذا المخالف العنید بالعنف و الشدَّه!

و کذلک سبقت الشائعات خطوات ابن الخطاب ذلک النهار، و هو یسیر فی جمع من صحبه و معاونیه إلی دار فاطمه، و فی باله أن یحمل ابن عمّ رسول الله- إن طوعاً و إن کرهاً- علی إقرار ما أباه حتی الآن.

و تحدث أناس بأن السیف سیکون وحده متن الطاعه!... و تحدث آخرون بأن السیف سوف یلقی السیف!..

ثم تحدث غیر هؤلاء و هؤلاء بأن «النار» هی الوسیله المثلی إلی حفظ الوحده و إلی (الرضا) و الإقرار!... و هل علی ألسنه الناس عقال یمنعها أن

تروى قصه حطب أمر به ابن الخطاب فأحاط بدار فاطمه، و فيها علىّ و صحبه، ليكون عده الإقناع أو عده الإيقاع ؟....

على أن مثل الأحاديث جميعها و معها الخطط المدبره أو المرتجله كانت كمثل الزبد، أسرع إلى ذهاب و معها دفعه ابن الخطاب !...

أقبل الرجل، محنقاً مندلع الثوره على دار علىّ و قد ظاهر معاونوه و من جاء بهم فاقتحموه أو أوشكوا على فاقتحموها او او شكوا على اقتحام، فإذا وجه كوجه رسول الله يبدو بالباب حائلاً من حزن، على قسماته خطوط آلام، و فى عينيه لمعات دمع، و فوق جبينه عبسه غضب فائر و حنق ثائر...

و توقف عمر من خشيه و راحت دفعته شعاعاً. و توقف خلفه- أمام الباب- صحبه الذين جاء بهم، إذ رأوا حيالهم صوره الرسول تطالعهم من خلال وجه حبيبته الزهراء و غضوا الأبصار من خزى أو من استحياء، ثم ولت عنهم عزمات القلوب، و هم يشهدون فاطمه تتحرک كالخيال، وئيداً وئيداً بخطواتها المحزونه الثكلى، فتقترب من ناحيه قبر أبيها... و شخصت منهم الأنظار و أرهفت الأسماع إليها، و هى ترفع صوتها الرقيق الحزين النبرات، تهتف بمحمد الثاوى بقربها، تناديه باكيه مريره البكاء:

يا أبت يا رسول الله !... يا أبت يا رسول الله !...

فكأنما زلزلت الأرض تحت هذا الجمع الباغى، من رهبه النداء...

و راحت الزهراء و هى تستقبل المثوى الطاهر، تستنجد بهذا الغائب الحاضر: «يا أبت يا رسول الله !... ماذا لقينا بعدک من ابن الخطاب، و ابن أبى قحافه !؟...».فما تركت كلماتها إلاّ قلوباً صدعها الحزن، و عيوناً جرت دمعاً و رجالاً و دّوا لو استطاعوا أن يشقوا مواطئ أقدامهم ليذهبوا فى طوايا الثرى مغيّبين...) الى آخر كلامه.

ص: 264

اقتطفنا هذه الجملات من كتاب الأستاذ عبدالفتاح الكاتب المصرى المعاصر.

و أما ما ذكره المؤرخون القدامى، و المحدّثون المتقدمون فهاک بعض أقوالهم حول الموضوع:

فى العقد الفريد ج 2 ص 250 و تاريخ أبى الفداء ج 1 ص 156 و أعلام النساء ج 3 ص 1207: «و بعث إليهم أبوبكر عمر بن الخطاب و قال لهم: فإن أبوا فقاتلهم. و أقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمه فقالت: يا بن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟

قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمه».

و فى تاريخ الطبرى ج 3 ص 198 و الإمامه و السياسيه ج 1 ص 13 و شرح ابن أبى الحديد ج 1 ص 134: دعا بالحطب و قال: و الله لتحرقن عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعه-: أو: لتخرجنّ إلى البيعه أو لأ حرقنها على من فيها- فيقال للرجل: إن فيها فاطمه فيقول: و إن!!

و ذكر ابن قتيبه (1) فى (الإمامه والسياسه) ص 19: كيف كانت بيعه علىّ بن أبى طالب (كرم الله وجهه).

قال: و إن! أبابكر (رضى الله عنه) تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علىّ (كرم الله وجهه) فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم و هم فى دار علىّ، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب و قال: والذى نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها

1- 252. هو الامام الفقيه ابومحمد عبدلله بن مسلم بن قتيبه الدينورى، من علماء القرن الثالث هجرى، له كتب كثيره، و من اشهرها هو هذا الكتاب المعروف بتاريخ الخلفاء و قد طبع عده مرات فى مصر و العراق و لبنان.

فقيل له: يا أباحفص إن فيها فاطمه!

قال: و إن!

فخرجوا فبايعوا إلاّ علياً فإنه زعم أنه قال: حلفت أن لا أخرج و لا أضع ثوبى (1) على عاتقى حتى أجمع القرآن. فوقفت فاطمه (رضى الله عنها) على بابها و قالت: لا عهد لى بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) جنازه بين أيدينا و قطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا و لم تردوا (2) تروا- لنا حقاً؟!

و يقول محمد حافظ إبراهيم (شاعر النيل) فى قصيدته العمريه:

و قوله لعلىّ قالها عمر

أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرّقت دارک لا بقى عليک بها

إن لم تبايع و بنت المصطفى فيها

ما كان غير أبى حفصٍ يفوه بها

أمام فارس عدنان و حاميها

و ذكر مصطفى بک الدمياطى فى شرحه على هذه القصيده ص 38: و فى روايه لابن جرير الطبرى قال: حدثنا جرير عن مغيره عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن الخطاب منزل علىَّ و به طلحه و الزبير و رجال من المهاجرين فقال: و الله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعه فخرج عليه الزبير معلناً بالسيف فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه.... الى آخر كلامه.

و قد روى الشهرستانى (3) عن النّظام قال: إن عمر ضرب بطن فاطمه

1- 253. و فى نسخه: ردائى.
2- 254. و فى نسخه: ردائى.

3- 255. هو الامام الفقيه محمد بن عبدالكريم الشهرستانى، الشافعى، المذهب، من علماء القرن السادس الهجرى، و له كتب كثيره، و من اشهرها: كتاب الملل و النحل، و قد طبع عده مرات فى مصر و لبنان و العراق و غيرها.

یوم البیعه حتی ألقت الجنین (المحسن) من بطنها، و کان یصیح: أحرقوا دارها بمن فیها. و کان فی الدار غیر علیّ و فاطمه و الحسن و الحسین (1).

و روی مثل ذلک البلاذری فی (أنساب الأشراف) ج 1 ص 404.، و الصدفی الشافعی فی کتاب الوافی بالوفیات ج 5 ص 347.

و ذکر ابن خذابه- أو خرذابه-: قال زید بن أسلم: کنت ممن حمل الحطب مع عمر إلی باب فاطمه حین امتنع علیّ و أصحابه عن البیعه، فقال عمر لفاطمه: أخرجی من البیت أو لأ حرقنه و مَن فیه!!!

قال: فی البیت علیّ و فاطمه و الحسن و الحسین و جماعه من أصحاب النبی.

فقالت فاطمه: أفتحرق علیَّ وُلدی؟

فقال: أی والله أو لیخرجنَّ ولیبایعنَّ!!

هذا ما ظفرت به من المصادر المذکوره فی کتب أهل السنه و الجماعه، و لعل غیری یجد أکثر من هذه المصادر فی کتب التواریخ.

بعد استعراض هذه النصوص التاریخیه انکشف لنا موقف بعض المسلمین تجاه أهل بیت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و اتضح لنا أن بعض الأفراد لم یراعوا حرمه السیده فاطمه الزهراء و لا حرمه بیتها، و لا راقبوا کرامه زوجها أمیرالمؤمنین علیّ، و لا کرامه ولدیها، الحسن و الحسین (علیهماالسلام) و لم یحفظوا فیهم حرمه الرسول الأعظم.

1- 256. الملل و النخل، الباب الاول، الفرقه النظامیه ص 83.

فقد عرفنا من هذه النصوص أن العصابه جاءت لإخراج الإمام علىّ من بيته ليبايع أبابكر، و قد سمعنا منهم التهديد بإحراق البيت و كل من فيه من آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

ما كانت السيده فاطمه الزهراء تنتظر أن ترى فى حياتها يوماً كذلک اليوم، و مأساه كتلک المأساه، و إن كان أبوها الرسول قد أخبرها بذلک إجمالاً أو تفصيلاً، و لكن السماع شى ء و الرؤيه شى ء آخر، و تأثير المصيبه يختلف سماعاً و رؤيه.

إن كانت السيده فاطمه قد سمعت من أبيها الرسول أن الأمور سوف تنقلب عليها، و أن الأحقاد سوف تظهر بعد وفاه (صلى الله عليه و آله و سلم) فإنها قد شاهدت بعينها تلک الأحداث فقد هجم القوم على عرينها ليخرجوا زوجها من ذلک البيت الذى ما كان الرسول يدخله إلا بعد الاستئذان من فاطمه.

لا تستطيع الزهراء أن تسكت و تقف موقف المتفرجه.

و أيه عائله تسكت أو تهدأ إذا رأت عصابه تريد الهجوم على بيتها لإخراج رئيس العائله؟

فالخوف و الذعر و الاضطراب يبلغ أشدّه، و يسلب من العائله كلّ استقرار و هدوء،فا لأطفال يصرخون باكين من هول الموقف، و الأصوات ترتفع فى تلک اللحظات الرهيبه.

كانت السيده فاطمه- قبل هجوم القوم خلف الباب و قد عصّبت رأسها بعصابه، و لم يكن عليها خمار، فلما هجم القوم لاذت السيده فاطمه خلف الباب لتستر نفسها عن أولئک الرجال، فعصروها عصره شديده، و كانت حاملاً فى الشهر السادس من حملها.

و هنا صرخت السيده صرخه من شده الألم، لأن جنينها قُتل من

صدمه الباب، و لا تسأل عن مسمار الباب الذی نبت فی صدرها بسبب عصره الباب. و فی تلک اللحظات کان القوم قد ألقوا القبض علی الإمام علی و هم یریدون إخراجه من البیت، و هنا حالت السیده فاطمه بین القوم و بین أن یُخرجوا زوجها بالرغم من الألم الشدید و اضطراب الجنین فی أحشائها.

و هنا صدر الأمر بضرب فاطمه حبیبه رسول الله و عزیزته.

إن أولاد فاطمه الزهراء الذین شاهدوا المعرکه هکذا یقولون:

لقد قد خاطب الإمام الحسن (علیه السلام) المغیره بن شعبه فی مجلس معاویه بقوله: «و أنت ضربت فاطمه بنت رسول الله حتی أدمیتها، و ألقت ما فی بطنها، استذلالاً منک لرسول الله، و مخالفه منک لأمره، و انتهاکاً لحرمته، و قد قال لها رسول الله: «أنت سیده نساء أهل الجنه» و الله مصیّرک إلی النار... الی آخر کلامه (1) .

و فی کتاب سلیم بن قیس «... فاقبل عمر و ضرب الباب و نادی:

یابن ابی طالب افتح الباب.

فقالت فاطمه (علیهاالسلام): یا عمر مالنا و لک، لا تدعنا و ما نحن فیه؟

فقال:افتحی الباب، و الا احرقنا علیکم!

فقالت (علیهاالسلام):یاعمر اما تتقی الله (عز و جل) تدخل علی بیتی و تهجم علی داری؟!

فابی ان ینصرف، ثم دعی عمر بالنار فاضرمها فی الباب ثم دفعه عمر،فاستقبلته فاطمه (علیهاالسلام) و صاحت: یا ابتاه یا رسول الله!!

1- 257. الاحتجاج 137 والبحار ج 43.

فرفع عمرسیف- و هو فی غمده- فوجابه جنبها، فصرخت.

فرفع السوط فضرب به ذرعها، فصاحت: یا ابتاه لبئس ما خلفک ابوبکر و عمر.

فوثب علی بن ابی طالب (علیه السلام)فاخذ بتلابیب عمر (1) ثم هزه فصرعه و وجا انفه و رقبته (2) و هم بقتله، فذکر قول رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و ما اوصاه من الصبر و الطاعه فقال: «والذی کرم محمدا بالنبوه- یا بن صحاک!- لو لا کتاب من الله سبق،و عهد عهد الی رسول الله لعنمت انک لا تدخل بیتی...

فارسل عمریستغیث، فاقبل الناس حتی دخلو الدار، فکاثروه (3) و القو فی عنقه حبلا.

فحالت بینهم و بینه فاطمه (علیهاالسلام) عند باب البیت،- فضربها قنفذ بالسوط، فماتت- حین ماتت- و إن فی عضدها کمثل الدملج (4) من ضربته، فألجأها إلی عضاده بیتها و دفعها، فکسر ضلعاً من جنبها، فألقت جنیناً من بطنها.

فلم تزل صاحبه فراش، حتی ماتت من ذالک شهیده).

و فی کتاب ارشاد القلوب: عن الزهرا (علیهاالسلام) قالت: «... فجمعوا الحطب علی الباب و اتو بالنار لیحرقوه و یحرقوناه، فوقفت بعضاده الباب، و ناشدتهم الله و بابی، ان یکفوا عنا،فاخذ عمرالسوط من ید قنفذ

1- 258. تلابیب جمع تلبیب- و هو موضع الطوق و القلاده من الصدر، یقال: اخذ بتلابیبه ای: امسکه متمکنامنه.
2- 259. و جا: عصر و ضرب.
3- 260. فکاثروه ای: اجتمعوا علی الامام (علیه السلام).
4- 261. الدملج:السوار فی المعصم.

فضرب به عضدی حتی صارکالدملج، و رکل الباب برجله فرده علی و انا حامل، فسقطت لوجهی و النار تسعر، فضربنی بیده حتی انتثر قرطی من اذنی، و جاء نی المخاض، فاسقطت محسنا، بغیر جرم».

و قال الإمام الصادق (علیه السلام)... و کان سبب وفاتها أن قنفذاً مولی عمر لکزها بنعل السیف بأمره، فأسقطت محسناً، و مرضت من ذلک مرضاً شدیداً... الی آخر کلامه (علیه السلام).

و هکذا یستفاد أن أکثر من واحد ضرب بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و ان الضرب کان بالسوط تاره و بالسیف و هو فی غمده- تاره اخری، مما سبّب إجهاض الجنین.

و تری الشعراء یتألّمون من هذه المأساه المروّعه و یتحدثون عنها.

یقول أحدهم:

فأسقطت بنت الهدی و احَزَنا

جنینها ذاک المسمّی محسنا

و یقول الآخر:

و الداخلین علی البتوله بیتها

و المسقطین لها أعزَّ جنین

و یقول الآخر:

أو تدری ما صدر فاطم ما المسمار

ما حال ضلعها المکسور

ما سقوط الجنین؟ ما حمره

العین و ما بال قرطها المنثور

و یقول الآخر:

و لست أدرى خبر المسمار

سل صدرها خزانه الأسرار

استنجدت السيده فاطمه بخادمتها فضه و صاحت يا فضه! إليک فخذينى و إلى صدرک فاسنديني، و الله لقد قتلوا ما فى أحشائى!!

أسرعت فضه واحتضنت السيده فاطمه لتحملها إلى الحجره، و لكن الجنين سقط قبل وصول الزهراء إلى الحجره.

ص: 271

و المعروف أن آلام الإ جهاض أشد من آلام الولاده، فكانت حبيبه رسول الله فاطمه تئن أنيناً يوجع كل قلب، و يُبكى كل عين، فالطفل فارق الحياه و أمه تنظر إليه.

و لكن القوم لم يعيروا اهتماماً بما جرى على سيده النساء و ابنه سيد الأنبياء، بل أخذوا زوجها العظيم، بعد أن نزعوا عنه السلاح، و تركوه أعزلاً و ألقوا حبل سيفه فى رقبته يقودونه من بيته إلى المسجد بكل عنف و قسوه ليبايعِ (1) .

هنا يقف القلم عن الجرى، و يخرس اللسان عن بيان و شرح تلک اللحظات التى مرّت بذلک الرجل الغيور، صاحب الحميه و الإباء.

ذلک البطل الإسلامى المجاهد العظيم.

ذلک الإمام الذى كانت الزهراء أغلى عنده من كل غال و نفيس و أعز من كل موجود، و أشرف من كل إنسان بعد الرسول.

و ينظر سلمان إلى ذلک المنظر المذهل و يقول: أيُصنع ذا بهذا؟ و الله لو أقسم على الله لانطبقت ذه على ذهِ (2) .

1- 262. و العجب: ان معاويه يشمت با لامام على (عليه السلام) بهذا الماساه و يكتب اليه: و تقاد الى كل منهم كما يقاد الجمل المخشوش حتى تبايع كارها...الى آخره كلامه/ شرح ابن ابى الحديد ج 4. فاجابه الامام (عليه السلام)... و قلت انى كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى ابايع، و لعمر والله لقد اردت ان تذم فمدحت، و ان تفضح فافتضحت، و ما على المسلم من غضاضه فى ان يكون مضلوما، لم يكن شاكا فى دينه، و لا مرتابا بيقينه، و هذه حجتى الى غيرک قصدها، و لكنى اطلقت لک بقدر ما سنح من ذكرها... الى آخر كلامه (عليه السلام)/ نهج البلاغه باب كتبه (عليه السلام).
2- 263. اى انطبقت السماء على الارض. و الحديث فى بحارالانوار ج 43.

قف بنا لنبکی علی علی، و هو یسمع صرخات زوجته فاطمه!! و یسمع أصوات ولدیه و بنتیه الصغار و هم یولولون، ینظرون إلی أمهم تاره و إلی أبیهم أخری، لا یدرون ما یصنعون؟ هل یلتفون حول أمهم و یسمعون أنینها من صدمه الباب و سقط الجنین؟

أو یرافقون أباهم و قد ازدحم حوله الرجال یدفعونه فی ظهره و یقاومون امتناعه.

حیره و أیه حیره؟!

یرید علیّ أن یسعف زوجته ینظر إلیها و هی فی تلک الحاله، و لکن حبل السیف فی رقبته، و لکن الرجال یدافعونه، و صرخات الأطفال قد سلبته کل قرار.

ینظر یمیناً و شمالاً، ینادی: واحمزتاه، و لا حمزه لی الیوم، وا جعفراه و لا جعفر لی الیوم!!

ارتفعت أصوات النساء- الواقفات فی الطریق- بالبکاء و العویل، و ما الفائده من صیاح النساء أمام القوه؟ و هل تلین تلک القلوب من صرخات النساء و صیاحهن.فتحت السیده فاطمه عینها حینذاک، و لعلها أفاقت علی صراخ أطفالها المذعورین !و قالت: یا فضه! أین علیّ؟!!

قالت- و هی باکیه-: أخذوه للمسجد!!

نسیت فاطمه آلامها، و قامت و کلها آلام و أوجاع، و لکنها استعادت شجاعتها لهول الموقف و لذلک الظرف العصیب.

فلنترک السیده فاطمه تستعد للخروج لإنقاذ زوجها من تلک الورطه

و لتدارک ذلک الموقف، و لنذهب إلى المسجد النبوى لنرى. ما جرى على الإمام علىّ؟؟

نعود إلى ما ذكره ابن قتيبه فى (الإمامه والسياسه) ص11:

و ذكروا أن علياً أتى أبوبكر و هو يقول: أنا عبدالله و أخو رسوله.

فقيل له: بايع أبوبكر.

فقال:

أنا أحق بهذا الأمر منكم.

لا أبايعكم، و أنتم أولى بالبيعه لى.

أخذتم هذا الأمر من الأنصار و احتججتم عليهم بالقرابه من النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)

و تأخذونه من أهل البيت غصباً؟؟

ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر لمكان محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) منكم؟؟ فأعطوكم المقاده، و سلَّموا إليكم الإماره؟

و أنا أحتجُّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار:

نحن أولى برسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حياً و ميتاً.

فأنصفونا- إن كنتم تخافون- من أنفسكم.

فقال له عمر: أنت لست متروكاً حتى تبايع.

فقال له علىّ: احلب حلباً لک شطره!!

اشدد له اليوم ليرده عليک غداً.

و الله يا عمر لا أقبل قولک و لا أبايعه.

فقال له أبوبكر: فإن لم تبايعنى فلا أُكرهک.

فقال علىّ: يا معشر المهاجرين الله! الله! لا تُخرجوا سلطان محمد فى العرب من داره و قعر بيته إلى دوركم و قعور بيوتكم، و تدفعوا أهله عن

مقامه فی الناس و حقه.

فو الله یا معشر المهاجرین! لنحن أهل البیت أحقّ بهذا الأمر منکم ما کان فیه القارئ لکتاب الله، الفقیه فی دین الله، العالم بسنن رسول الله...).

هذا ما یرویه ابن قتیبه فی کتابه (الإمامه والسیاسه).

و أما ما یرویه العیاشی فی تفسیره 2/ 67:

«... أخرجوه من منزله ملبّباً، و مرّوا به علی قبر النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فقال: (یا بن أم أن القوم استضعفونی و کادوا یقتلونی) فقال له عمر: بایع.

قال علیّ: فإن أنا لم أفعل فَمَه؟

قال له عمر: إذن و الله أضرب عنقک!

قال علیّ: إذن- و الله- أکون عبدالله المقتول و أخا رسول الله.

و فی روایه: إذن و الله تقتلون عبدالله و أخا رسول الله.

فقال عمر: أما عبدالله فنعم، و أما أخو رسول الله فلا.

و فی روایه: و أما أخو رسول الله فما نقر لک بهذا.

فقال (علیه السلام): أتجحدون أن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) آخی بینی و بینه؟

قال: نعم.

و جری- هناک- حوار شدید و کلام طویل بین خلیفه رسول الله علیّ (علیه السلام) و بین تلک الزمره.

و عند ذلک وصلت فاطمه إلی المسجد، و قد أخذت بید ولدیها: الحسن و الحسین، و ما بقیت هاشمیه إلاَّ و خرجت معها، فنظرت السیده فاطمه إلی زوجها أبی الحسن و هو تحت التهدید بالقتل، فأقبلت تعدو

ص: 275

و تصیح: خلّوا عن ابن عمّی!!

خلّوا عن بعلی!! و الله لأ کشفن عن رأسی و لأضعنَّ قمیص أبی علی رأسی و لأدعونَّ الله علیکم.

و فی روایه: فوالذی بعث محمداً بالحق لئن لم تخلوا عنه لأنشرن شعری و لأضعنَّ قمیص رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) علی رأسی، و لأصرخن إلی الله تبارک و تعالی، فما ناقه صالح بأکرم علی الله منی. و لا الفصیل بأکرم علی الله من ولدیِ (1).

و فی روایه العیاشی: قالت: یا أبابکر أترید أن ترملنی من زوجی؟ والله لئن لم تکفّ عنه لأنشرنَّ شعری، و لأشقنَّ جیبی، و لآتین قبر أبی، و لأصیحنَّ إلی ربی!!فأخذت بید الحسن و الحسین و خرجت ترید قبر النبی (صلی الله علیه و آله و سلم).

و فی روایه أخری: قالت: ما لی ولک یا أبابکر؟ ترید أن تُوتم ابنیّ، و ترملنی من زوجی؟

و الله لو لا أن تکون سیئه لنشرت شعری و لصرخت الی ربی.

بهذا الفعل؟ أترید أن تنزّل العذاب علی هذه الأمه؟

فقال علیّ لسلمان: أدرک ابنه محمد....

أقبل سلمان و قال: یا بنت محمد إن الله بعث أباک رحمه فارجعی!

فقالت: یا سلمان یریدون قتل علی!! ما علیَّ صبر، فدعنی حتی آتی قبر أبی فانشر شعری، واشق حیبی و لصیح الی ربی.

1- 264. بحارالانوار ج 43/ تاریخ الیعقوبی/ الاحتجاج للطبرسی.

فقال سلام: انی اخاف ان یخسف بالمدینه، و علی بعثنی الیک یامرک ان ترجعی الی بیتک و تنصرفی.

فقالت (علیه االسلام): اذن ارجع و اصبر، و اسمع له و اطیع (1) .

و فی کتاب (احتجاج الزهراء) للرضوی النجفی ص 140: فاقبل علی مهر و لا الی السیده فاطمه، فلما وصل الیها لجعلت فاطمه تقبل اکتافه و تقول له- بدموع جاریه-:

«روحی لروحک الفداء، و نفسی لنفسک الوقاء، یا اباالحسن ان کنت فی خیر کنت معک، و انت کنت فی شر کنت معک».

و خلاصه الحدیث ان السیده فاطمه ما رجعت الی البیت الا و اخذت زوجها معها و انقذته من تلک الزمره، و خلصته من اخذه البیعه منه.

1- 265. بیت الاحزان للقمی ص 87.

مدخل خطبه فاطمه الزهراء مأساه فدک و العوالی

اشاره

أحسن کلام نفتتح به هذا البحث، و أصدق حدیث نبدأ به هذا الموضوع هو کلام الله تعالی، و مَن أصدق من الله قیلاً؟ و مَن أصدق من الله حدیثاً؟

قال تعالی: «فَآتِ ذَا الْقُرْبَی حَقَّهُ وَ الْمِسْکِینَ وَ ابْنَ السَّبِیلِ ذَلِکَ خَیْرٌ لِلَّذِینَ یُرِیدُونَ وَجْهَ اللهِ وَ أُولَئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (1) .

هذه الآیه کما تراها خطاب من الله (عز و جل) إلی حبیبه محمد (صلی الله علیه و آله و سلم) یأمره أن یؤتی ذاالقربی حقه، فمن ذو القربی؟ و ما هو حقه؟

لقد ذکرنا- فی آیه القربی أو آیه المودّه- أن المقصود من القربی هم أقرباء الرسول و هم علیّ و فاطمه و الحسن و الحسین (علیهم السلام) فیکون المعنی: و أعطِ ذوی قرباک حقوقهم.

روی عن أبی سعید الخدری و غیره أنه لما نزلت هذه الآیه علی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) أعطی فاطمه فدکاً و سلّمه إلیها، و هو المروی عن الإمام الباقر و الإمام الصادق (علیهماالسلام) و هو المشهور بین جمیع علماء الشیعه.و قد ذکر ذلک من علماء السنه عدد کثیر بطرق عدیده، فمنها:

صرَّح فی (کنز العمال) و فی مختصره المطبوع فی الهامش من کتاب

1- 266. الروم 38.

(المسند) لأحمد بن حنبل فی مسأله صله الرحم من کتاب (الأخلاق) عن أبی سعید الخدری قال: لما نزلت: (وآت ذاالقربی حقه) قال النبی (ص): یا فاطمه لک فدک. قال: رواه الحاکم فی تاریخه.

و فی ص 177 من الجزء الرابع من تفسیر (الدر المنثور) للسیوطی أنه أخرج البزار و أبویعلی وابن أبی حاتم و ابن مردویه عن أبی سعید الخدری قال: لما نزلت هذه الآیه: (فآت ذاالقربی حقه) أقطع رسول الله (ص) فاطمه فدکاً.

قال ابن أبی الحدید المعتزلی فی شرح النهج: و قد روی من طرق مختلفه غیر طریق أبی سعید الذی ذکره صاحب الکتاب: أنه لما نزل قوله تعالی: (فآت ذاالقربی حقه)دعا النبی (ص) فاطمه فأعطاها فدک.

ما هی فدک؟

التحدث عن فدک یشمل الموارد الآتیه:

ما هی فدک؟

2- هل کانت فدک لرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) خاصه أم للمسلمین عامه؟

3- هل دفع الرسول فدکاً إلی ابنته فاطمه الزهراء نحله و عطیه فی حیاته أم لا؟ 4- هل یورّث رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أم لا؟

5- هل کانت السیده فاطمه الزهراء تتصرف فی فدک فی حیاه أبیها الرسول أم لا؟ 1- أما الأبه علی السوال الاول: فقد ذکر اللغویون أقوالهم فی فدک:

فی القاموس: فدک قریه بخیبر.

و فی المصباح: فدک- بفتحتین- بلده بینها و بین مدینه النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) یومان، و بینها و بین خیبر دون مرحله، و هی مما أفاء الله علی رسوله (صلی الله علیه و آله و سلم).

و فی معجم البلدان للحموی، باب الفاء و الدال-: فدک:- بالتحریک، و آخره کاف - قریه بالحجاز، بینها و بین المدینه یومان، و قبل ثلاثه، أفاءها الله علی رسوله (صلی الله علیه و آله و سلم) فی سنه سبع صلحاً، و ذلک أن النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) لما نزل خیبر و فتح حصونها و لم یبق إلا ثلاث، و اشتد بهم الحصار أرسلوا إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) یسألونه أن ینزلهم علی الجلاء، و فعل، و بلغ ذلک أهل فدک فأرسلوا إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أن یصالحهم علی النصف من ثمارهم و أموالهم، فأجابهم إلی ذلک فهو مما لم یوجف علیه بخیل و لا رکاب فکانت خالصه لرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

2- و اما الاجابه علی السوال الثانی- و هو: هل کانت فدک خالصه لرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)؟ فقد قال تعالی: (و ما أفاء الله علی رسوله منهم فما أوجفتم علیه من خیل و لا رکاب و لکن الله یسلّط رسله علی من یشاء و الله علی کل شی ء قدیر، ما أفاء الله علی رسوله منهم فما اوجفتم علیه من خیل و لا رکاب، و لکن الله یسلط رسله علی من یشاء و الله علی کل شی قدیر،ما افاء الله علی رسوله من أهل القری فلله و للرسول و لذی القربی و الیتامی و المساکین و ابن السبیل) (1) .

قوله تعالی: «أفاء الله» أی: ردّ الله ما کان للمشرکین علی رسوله بتملیک الله إیاه، «منهم» أی من الیهود الذین أجلاهم.

«فما أو جفتم علیه من خیل و لا رکاب» أو جف خیله أی أزعجه فی

1- 267. الحشر: 6.

السير، و الركاب هنا- الإبل، و المعنى ما استوليتم على تلک الأموال بخيولكم أى ما ركبتم خيولكم و إبلكم لأجل الاستيلاء عليها.

«و لكن الله يسلّط رسله على من يشاء» أى يمكّن الله رسله من عدوهم من غير قتال، بأن يقذف الرعب فى قلوبهم، فجعل الله أموال بنى النضير لرسوله خالصه يفعل بها ما يشاء، و ليست من قبيل الغنائم التى توزّع على المقاتلين.

«ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى» أى من أموال كفار أهل القرى «فلله» «و للرسول» أى جعل تلک الأموال ملكاً لرسوله «و لذى القربى» يعنى قرابه النبى «و اليتامى و المساكين و ابن السبيل» من القربى.

روى الطبرسى عن ابن عباس قال: نزل قوله: «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى...» فى أموال كفار أهل القرى، و هم بنوقريظه و بنوالنضير و هما بالمدينه و فدک و هى من المدينه على ثلاثه أميال، و خيبر و قرى عرينه و ينبع جعلها الله لرسوله، يحكم فيها ما أراد، و أخبر أنها كلها له، فقال أناس: فهلاّ قسَّمها؟ فنزلت الآيه.

و قد مر عليک كلام الحموى فى معجم البلدان حول فدک أنها مما لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب فكانت خالصه لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

و اما الاجابه على السوال الثالث، فقد مرّ عليک ما ذكره المحدثون فى تفسير قوله تعالى: «و آت ذاالقربى حقه» إن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أعطى فاطماً فدكاً.

و هاک مزيداً من الأدله حول الموضوع تأكيداً لهذا البحث:

ذكر ابن حجر فى الصواعق المحرقه، و الشيخ السمهودى فى تاريخ المدينه أن عمر قال: إنى أحدثكم عن هذا الأمر: إن الله خصَّ نبيّه فى هذا

الفی ء بشی ء لم یعطه أحداً غیره فقال: «ما أفاء الله علی رسوله منهم فما أو جفتم علیه من خیل و لا رکاب و لکن الله یسلّط رسله علی من یشاء و الله علی کل شی ء قدیر» فکانت هذه خالصه لرسول الله... الی آخره.

اذا: فالمستفاد من مجموع الآیات و الروایات أن فدک کانت لرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) خالصه، و أن النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) أعطی فاطمه فدکاً بعنوان النحله و العطیه بأمر الله تعالی حیث أمره بقوله: «و آت ذاالقربی حقه».

والجواب علی السوال الرابع یاتیک بعد قلیل.

5- و اما الاجابه علی السوال الخامس: فیستفاد من تصریحات المؤرخین و المحدّثین أنَّ السیده فاطمه الزهراء کانت تتصرف فی فدک، و أنَّ فدک کانت فی یدها.

فمنها تصریح الإمام أمیرالمؤمنین بن أبی طالب (علیه السلام) فی الکتاب الذی أرسله إلی عثمان بن حُنیف و هو عامله علی البصره فإنه ذکر فیه «... بلی کانت فی أیدینا فدک، من کل ما أظلّته السماء، فشحّت علیها نفوس قوم و سخت عنها نفوس آخرین، و نعم الحَکَم الله... الی آخره (1) .

و ذکر ابن حجر فی (الصواعق المحرقه) فی الباب الثانی: إن أبابکر انتزع من فاطمه فدکا... الی آخر کلامه.

و معنی کلام ابن حجر أن فدک کانت فی ید الزهراء (علیهاالسلام) من عهد أبیها الرسول فانتزعها أبوبکر منها.

و قد روی العلامه المجلسی عن کتاب (الخرائج): فلما دخل رسول

1- 268. نهج البلاغه باب المختار من رسائله (علیه السلام).

الله (صلى الله عليه و آله و سلم) المدينه- بعد استيلائه على فدک- دخل على فاطمه (عليهاالسلام) فقال: يا بنيه إن الله قد أفاء أبيک على أبيک بفدک، و اختصَّه بها، فهى له خاصه دون المسلمين، أفعل بها ما أشاء، و إنه قد كان لأُمّک خديجه على أبيک مهر، و إن أباک قد جعلها لک بذلک، و أنكحها لک و لولدک بعدک.

قال: فدعا بأديم و دعا بعلى بن أبى طالب فقال: أكتب لفاطمه بفدک نِحله من رسول الله.

فشهد على ذلک على بن أبى طالب و مولىً لرسول الله و أم أيمن».

و لما توفى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و استولى أبوبكر على منصه الحكم و مضت عشره أيام. و استقام له الأمر بعث إلى فدک مَن أخرج وكيل فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

كانت فدک للسيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) من ثلاثه وجوه:

الوجه الأول: أنها كانت ذات اليد، أى كانت متصرفه فى فدک، فلا يجوز انتزاع فدک من يدها إلا بالدليل و البيّنه، كما قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) «البيّنه على المدعى، و اليمين على من أنكر» و ما كان على السيده فاطمه أن تقيم البيّنه لأنها ذات اليد.

الوجه الثانى: أنها كانت تملک فدک بالنحله و العطيّه و الهبه من أبيها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

الوجه الثالث: أنها كانت تستحق فدک بالإرث من أبيها الرسول.

و لكن القوم خالفوا هذه الوجوه الثلاثه، فقد طالبوها بالبينه، و طالبوها بالشهود على النحله، و أنكروا و راثه الأنبياء.

و بإمكان السيده فاطمه أن تطالب بحقها بكل وجه من هذه الوجوه.

و لهذا طالبت بفدک عن طریق النحله أوّلاً، ثم طالبت بها عن طریق الإرث ثانیاً کما صرّح بذلک الحلبی فی سیرته ج 3 ص 39 قال: إن فاطمه أتت أبابکر بعد وفاه رسول الله (ص) و قالت: إن فدک نحله أبی، أعطانیها حال حیاته. و أنکر علیها أبوبکر و قال: أُرید بذلک شهوداً فشهد لها علی، فطلب شاهداً آخر فشهدت لها أم أیمن فقال لها: أبِرَجُلٍ و امرأه تستحقینها؟؟

و ذکر الطبرسی فی الاحتجاج: فجاءت فاطمه (علیهاالسلام) إلی أبی بکر ثم قالت: لِمَ تمنعنی میراثی من أبی رسول الله؟ و أخرجت وکیلی من فدک و قد جعلها لی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) بأمر الله تعالی؟

فقال: هاتی علی ذلک بشهود، فجاءت أُم أیمن فقالت: لا أشهد یا أبابکر حتی أحتج علیک بما قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أنشدک بالله ألست تعلم أن رسول الله قال: أم أیمن امرأه من أهل الجنه؟

فقال: بلی.

قالت: فاشهد أن الله (عز و جل) أوحی إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) «و آت ذاالقربی حقه» فجعل فدک لها طعمه بأمر الله تعالی.

فجاء علیّ (علیه السلام) فشهد بمثل ذلک، فکتب لها کتاباً و دفعه إلیها، فدخل عمر فقال: ما هذا الکتاب؟

فقال: إن فاطمه ادَّعت فی فدک و شهدت لها أُم أیمن و علیّ، فکتبته لها. فأخذ عمر الکتاب من فاطمه، فتفل فیه فمزَّقه، فخرجت فاطمه (علیهاالسلام) تبکی.

و فی سیره الحلبی ج 3 ص 391 أن عمر أخذ الکتاب فشقّه.

و روی عن الامام الصادق (علیه السلام)ان السیده فاطمه (علیه السلام) جائت الی ابی بکر- بامر من الامام امیرالمومنین (علیه السلام)- و قالت له: ادعیت مجلس ابی و انک خلیفه، و جلست مجلسه، و لو کانت فدک لک و استوهبتها منک لوجب علیک ردها علی.

فقال صدقت.

و دعا بکتاب فکتب فیه بارجاع فدک، فخرجت و الکتاب معها، فلقیها عمر فقال: یا بنت محمد ما هذا الکتاب الذی معک؟

قالت:کتاب کتب لی ابوبکر برد فدک.

فقال:هلمیه الی.

فابت ان تدفعه الیه، فرفسها برجله.. ثم لطمها، ثم اخذ الکتاب فخرقه (1) .

فقالت: بقرت کتابی بقر الله بطنک (2) .

حوار ساخن بین الامام علی و ابی بکر

نعود إلی ما ذکره الطبرسی قال: فلما کان بعد ذلک جاء علیّ (علیه السلام) إلی أبی بکر و هو فی المسجد و حوله المهاجرون و الأنصار فقال: یا أبابکر لِمَ منعت فاطمه میراثها من رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و قد مَلَکته فی حیاه رسول الله؟

فقال أبوبکر: هذا فی ء للمسلمین، فإن أقامت شهوداً أن رسول الله جعله لها و إلا فلا حق لها فیها فیه!

1- 269. الاختصاص للشیخ المفید، الشافی للسید المرتضی ص 236/ تلخیص الشافی للطوسی ص 48، و ذکرابن حجر العسقلانی- فی لسان المیزان ج 1 ص 268، و الذهبی فی میزان الاعتدال ج 1 ص 139: ان عمر رفس فاطمه...
2- 270. وفاه الصدیقه الزهراء للمقرم ص 78.

فقال علىّ: يا أبابكر تحكم بيننا بخلاف حكم الله فى المسلمين؟

قال: لا.

قال (عليه السلام): فإن كان فى يد المسلمين شى ء يملكونه فادَّعيت أنا فيه مَن تسأل البينه؟

قال: إياک أسأل.

قال (عليه السلام): فما بال فاطمه سألتها البينه على ما فى يديها، و قد مَلَكته فى حياه رسول الله و بعده، و لم تسأل المسلمين البينه على ما ادَّعوها شهوداً كما سألتنى على ما ادَّعيت عليهم؟؟

فسكت أبوبكر فقال: يا على دعنا من كلامک، فإنّا لا نقوى على حجتک، فإن أتيت بشهود عدول، و إلاّ فهى فى ء للمسلمين، لا حقَّ لک و لا لفاطمه فيه!!

فقال علىّ (عليه السلام): يا أبابكر تقرأ كتاب الله؟

قال: نعم.

قال: أخبرنى عن قول الله (عزّ و جلّ) «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيرا». فيمن نزلت؟ فينا أو فى غيرنا؟

قال: بل فيكم!

قال: فلو أن شهوداً شهدوا على فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بفاحشه ما كنت صانعاً بها؟

قال: كنت أُقيم عليها الحد كما أُقيم على نساء المسلمين!!!

قال علىّ: كنت إذن عندالله من الكافرين!

قال: و لِمَ؟

قال: لأنک رددت شهاده الله بالطهاره و قبلت شهاده الناس عليها،

كما رددت حكم الله و حكم رسوله أن جعل لها فدک و زعمت أنها فی ء للمسلمین و قد قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): البینه علی المدعی، و الیمین علی من ادُّعی علیه.

قال: فدمدم الناس، و أنکر بعضهم بعضاً، و قالوا: صدق- و الله- علیّ.

و قد روی العلامه فی کشکوله عن المفضَّل بن عمر عن أبی عبدالله (الصادق) (علیه السلام) روایه لا تخلو من فائده نذکرها بصوره موجزه قال:

لما قام أبوبکر بن أبی قحافه بالأمر نادی منادیه: من کان له عند رسول الله دین أو عده فلیأتنی حتی أقضیه.

و جاء جابر بن عبدالله و جریر بن عبدالله البجلی، و ادَّعی کلٌّ منهما علی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فأنجز أبوبکر لهما.

فجاءت فاطمه إلی أبی بکر تطالب بفدک و الخمس و الفی ء فقال: هاتی بینه یا بنت رسول الله.

فاحتجت فاطمه (علیهاالسلام) بالآیات و قالت: قد صدّقتم جابراً بن عبدالله و جریر بن عبدالله البجلی و لم تسألوهما البیّنه و بَیّنتی فی کتاب الله. و أخیراً طالبوها بالشهود، فبعثت إلی علیّ و الحسن و الحسین و أُم أیمن و أسماء بنت عمیس و کانت تحت أبی بکر (أی زوجه أبی بکر) و شهدوا لها بجمیع ما قالت. فقالوا: أما علی فزوجها، و أما الحسن و الحسین فابناها وأما أُم أیمن فمولاتها، و أما أسماء بنت عمیس فقد کانت تحت جعفر بن أبی طالب فهی تشهد لبنی هاشم، و قد کانت تخدم فاطمه و کل هؤلاء یجرّون إلی أنفسهم.

فقال علىّ: أما فاطمه فبضعه من رسول الله و مَن آذاها فقد آذى رسول الله، و من كذَّبها فقد كذَّب رسول الله.

و أما الحسن و الحسين فابنا رسول الله و سيدا شباب أهل الجنه، من كذَّبهما فقد كذّب رسول الله، إذ كان أهل الجنه صادقين.

و أما أنا فقد قال رسول الله: أنت منى و أنا منک، و أنت أخى فى الدنيا و الآخره، و الراد عليک هو الراد علىَّ من أطاعک فقد أطاعنى، و من عصاک فقد عصانى.

و أما أُم أيمن فقد شهد لها رسول الله بالجنه، ودعى لأسماء بنت عميس و ذريتها. فقال عمر: أنتم كما و صفتم به أنفسكم، و لكن شهاده الجارّ إلى نفسه لا تقب ل ! فقال علىّ: إذا كنا نحن كما تعرفون و لا تنكرون و شهادتنا لأنفسنا لا تقبل و شهاده رسول الله لا تقبل فإنا لله و إنا إليه راجعون، إذا ادَّعينا لأنفسنا تسألنا البيّنه فما من معين يعين، و قد و ثبتم على سلطان الله و سلطان رسوله فأخرجتموه من بيته إلى بيت غيره من غير بينه و لا حجه، و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

ثم قال لفاطمه: انصرفى حتى يحكم الله و هو خير الحاكمين.

و لما رأت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) أن القوم أبطلوا شهودها الذين شهدوا لها بالنحله و لم تنجح مساعيها، جاءت تطالب حقها عن طريق الإرث،و اتخذت التدابير اللازمه لتقوم بأكبر حمله دعائيه واسعه النطاق و هى تعلم أن السلطه لا تخضع للدليل الواضح و البرهان القاطع، فقد قال الشاعر: و آيه السيف تمحو آيه القلم.

و كل قوم تحكم فيهم الدكتاتوريه فإن المنطق فاشل و لا يجدى فائده.

و كل للسيده فاطمه هدف آخر، و هو يتحقق قطعاً، و هدفها تسجيل مظلوميتها فى سجل التاريخ، و كشف الغطاء عن أعمال القوم و نواياهم، فقررت أن تذهب إلى المسجد و تخطب خطبه تتحقق بها أهدافها الحكيمه.

ص: 289

من الممکن ان یقال: ان السیده فاطمه الزهرا الزاهده عن الدنیا و الحیاه ما الذی دعاها إلی هذه النهضه و إلی هذا السعی المتواصل و الجهود المستمره فی طلب حقوقها؟

و ما سبب هذا الإصرار و المتابعه بطلب فدک و الاهتمام بتلک الأراضی و النخیل مع ما کانت تتمتع به السیده فاطمه من علوّ النفس و سمو المقام؟

و ما الداعی إلی طلب الدنیا التی کانت أزهد عندهم من عفطه عنز، و أحقر من عظم خنزیر فی فم مجذوم، و أهون من جناح بعوضه؟

و ما الدافع بسیده نساء العالمین أن تتکلّف هذا التکلیف، و تتجشّم هذه الصعوبات المجهده للمطالبه بأ راضیها و هی تعلم أن مساعیها تبوء بالفشل و أنها لا تستطیع التغلب علی الموقف، و لا تتمکن من انتزاع تلک الأراضی من المغتصبین؟؟

هذه اسئله یمکن أن تتبادر إلی الأذهان حول الموضوع.

الجواب: أولاً: إن السلطه حینما صادرت أموال السیده فاطمه الزهراء و جعلتها فی میزانیه الدوله (بالاصطلاح الحدیث) کان هدفهم تضعیف جانب أهل البیت، أرادوا أن یحاربوا علیاً محاربه اقتصادیه، أرادوا أن یکون علیّ فقیراً حتی لا یلتف الناس حوله، و لا یکون له شأن علی الصعید الاقتصادی، و هذه سیاسه أراد المنافقون تنفیذها فی حق رسول الله

(صلی الله علیه و آله و سلم) حین قالوا: لا تنفقوا علی من عند رسول الله حتی ینفضُّوا (1) .

ثانیا: لم تکن أراضی فدک قلیله الإنتاج، ضئیله الغلات بل کان لها وارد کثیر یعبأ به، بل ذکر ابن أبی الحدید أن نخیلها کانت مثل نخیل الکوفه فی زمان ابن أبی الحدید.

و ذکر الشیخ المجلسی عن کشف المحجه أن وارد فدک کان أربعه و عشرین ألف دینار فی کل سنه، و فی روایه أُخری سبعین ألف دینار و لعل هذا الاختلاف فی واردها حسب اختلاف السنین.

و علی کل تقدیر فهذه ثروه طائله واسعه، لا یصح التغاضی عنها.

ثالثاً: إنها کانت تطالب (من وراء المطالبه بفدک) بالخلافه و السلطه لزوجها علی بن أبی طالب، تلک السلطه العامه و الولایه الکبری التی کانت لأبیها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

فقد ذکر ابن أبی الحدید فی شرحه قال: سألت علیّ بن الفارقی، مدرّس المدرسه الغربیه ببغداد فقلت له: أکانت فاطمه صادقه؟

قال: نعم

قلت: فلم لم یدفع إلیها أبوبکر فدک و هی عنده صادقه؟

فتبسم، ثم قال کلاماً لطیفاً مستحسناً مع ناموسه و حرمته و قله دعابته قال: لو أعطاها الیوم فدک، بمجرد دعواها لجاءت إلیه غداً وادّعت لزوجها الخلافه و زحزحته عن مقامه، و لم یکن یمکنه الاعتذار، و الموافقه بشی ء، لأنه یکون قد سجل علی نفسه بأنها صادقه فیما تدّعی، کائناً ما کان من غیر حاجه إلی بینه و شهود.

1- 271. المنافقون: 7.

رابعاً: الحق يُطلب و لا يُعطى، فلا بد للإنسان المغصوب منه ماله أن يطالب بحقه، لأنه حقه، حتى و إن كان مستغنياً عن ذلک المال و زاهداً فيه، و ذلک لا ينافى الزهد و ترک الدنيا، و لا ينبغى السكوت عن الحق.

خامساً: إن الإنسان و إن كان زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخره فإنه مع ذلک يحتاج إلى المال ليصلح به شأنه، و يحفظ به ماء وجهه و يصل به رحمه، و يصرفه فى سبيل الله كما تقتضيه الحكمه.

أما ترى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و هو أزهد الزهاد كيف انتفع بأموال خديجه فى سبيل تقويه الإسلام؟ كما مرَّ كلامه (صلى الله عليه و آله و سلم) حول أموال خديجه.

سادساً: قد تقتضى الحكمه أن يطالب الإنسان بحقه المغصوب، فإن الأمر لا يخلو من أحد وجهين:

إما أن يفوز الإنسان و يظفر بما يريد و هو المطلوب و به يتحقق هدفه من المطالبه.

و إما أن لا يفوز فى مطالبته فلن يظفر بالمال، فهو إذ ذاک قد أبدى ظلامته، و أعلن للناس أنه مظلوم، و أن أمواله غصبت منه.

هذا و خاصه إذا كان الغاصب ممن يدّعى الصلاح و الفلاح، و يتظاهر بالديانه و التقوى، فإن المظلوم يعرّفه للأجيال أنه غير صادق فيما يدَّعى.

سابعاً: إن حمله المبادئ يتشبثون بشتى الوسائل الصحيحه لجلب القلوب إليهم، فهناک من يجلب القلوب بالمال أو بالأخلاق أو بالوعود و أشباه ذلک.

و لكن أفضل الوسائل لجلب القلوب (قلوب كافه الطبقات) هو التظلّم و إظهار المظلوميه فإن القلوب تعطف على المظلوم كائناً من كان، و تشمئز من الظالم كائناً من كان.

و هذه خطه ناجحه و ناجعه لتحقيق أهداف حمله المبادئ الذين يريدون إيجاد الوعى فى النفوس عن طريق جلب القلوب إليهم.

و هناک أسباب و دواع أُخرى لا مجال لذكرها.

لهذه الأسباب قامت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) و توجهت نحو مسجد أبيها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لأجل المطالبه بحقها.

إنها لم تذهب إلى دار أبى بكر ليقع الحوار بينها و بينه فقط، بل اختارت المكان الأنسب و هو المركز الإسلامى يومذاک، و مجمع المسلمين حينذاک، و هو مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

كما و أنها اختارت الزمان المناسب أيضاً ليكون المسجد غاصّاً بالناس على اختلاف طبقاتهم من المهاجرين و الأنصار و لم تخرج وحدها إلى المسجد، بل خرجت فى جماعه من النساء، و كأنها فى مسيره نسائيه، و قبل ذلک تقرر اختيار موضع من المسجد لجلوس بضعه رسول الله و حبيبته، و علّقوا ستراً لتجلس السيده فاطمه خلف الستر، إذ هى فخر المخدرات و سيده المحجبات.

كانت هذه النقاط مهمه جداً، و استعد أبوبكر لاستماع احتجاج سيده نساء العالمين، و ابنه أفصح من نطق بالضاد و أعلم امرأه فى العالم كله. خطبت السيده فاطمه الزهراء خطبه ارتجاليه، منظمه، منسقّه، بعيده عن الاضطراب فى الكلام، و منزّهه عن المغالطه و المراوغه، و التهريج و التشنيع.

بل و عن كل ما لا يلائم عظمتها و شخصيتها الفذَّه، و مكانتها الساميه.

و تُعتبر هذه الخطبه معجزه خالده للسيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام)

و آیه باهره تدل علی جانب عظیم من الثقافه الدینیه التی کانت تتمتع هذه الصدّیقه

و أما الفصاحه و البلاغه، و حلاوه البیان، و عذوبه المنطق، و قوه الحجه، و متانه الدلیل، و تنسیق الکلام، و إیراد أنواع الاستعاره بالکنایه، و علو المستوی، و التر کیز علی الهدف، و تنوّع البحث، فالقلم وحده لا یستطیع استیعاب الوصف، بل لا بدَّ من الاستعانه بذهن القارئ.

کانت السیده فاطمه مسلّحه بسلاح الحجه الواضحه و البرهان القاطع، و الدلیل القوی المقنع، و کان المسلمون الحاضرون فی المسجد ینتظرون کلامها، و یتلهّفون إلی نتیجه ذلک الحوار و الاحتجاج الذی لم یسبق له مثیل إلی ذلک الیوم.

جلست السیده فی المکان المعدّ لها خلف الستر، و لعل دخولها یومذاک کان لأول مره بعد وفاه أبیها الرسول الأعظم (صلی الله علیه و آله و سلم).

فلا عجب إذا هاجت بها الأحزان، و أنَّت أنَّه.

إننی أعجز عن التعبیر عن تحلیل تلک الأنَّه، و مدی تأثیرها فی النفوس.

أنَّه واحده فقط- بلا کلام- تهیّج عواطف الناس، فیجهش القوم بالبکاء.

أنا ما أدری ما کانت تحمل تلک الأنّه من المعانی؟

و لماذا أجهش الناس بالبکاء؟

و هل الأنَّه الواحده تُبکی العیون، و تُجری الدموع و تُحرق القلوب؟

هذه ألغازٌ لا أعرف حلَّها، و لعل غیری یستطیع حلّ هذه الألغاز!!!

مصادر خطبه الزهرا

قبل ان تذكر خطبه الزهرا (عليهاالسلام) لاباس ان تذكر رواه الخطبه و مصادرها من كتب الشيعه و اهل السنه، لنعلم مدى اهميه هذه الخطبه لدى اهل البيت (عليهم السلام) باعتبارها وثيقه تاريخيه تثبت مظلوميه اهل البيت (عليهم السلام) و مدى الاضطهاد و العنف و الكبت الذى قام به بعض الافراد تجاه اسره رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

و لا ندعى اننا استوعنا جميع المصادر، بل ذكرنا ما عثرنا عليه من الوثائق التاريخيه:

1- السيد المرتضى علم الهدى- المتوفى سنه 436 ه- فى كتاب الشافى، يروى هذه الخطبه باسناده عن عروه عن عائشه.

2- السيد ابن طاووس فى كتاب (الطرائف) باسناده عن الزهرى عن عائشه.

3- الشيخ الصدوق باسناده عن زينب بنت على (عليهماالسلام).

4- و يروى بطريق آخر باسناده عن زيد بن على الشهيد عن عمته زينب بنت على عن امها فاطمه الزهراء (عليهم السلام).

5- و هكذا يروى باسناده عن احمد بن محمد بن جابر عن زينب بنت على (عليهما السلام).

6- ابن ابى الحديد فى شرحه على نهج البلاغه يروى عن كتاب (السقيفه) تاليف احمد بن عبدالعزيز الجوهرى باربعه طرق:

أ- باسناده عن رجال من اهل البيت عن زينب بنت على (عليهماالسلام).

ب- باسناده عن الامام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام).

ج- باسناده عن الامام الباقر محمد بن على (عليه السلام).

د- باسناده عن عبدالله بن الحسن بن الحسن (عليه السلام).

7- على بن عيسى الاربلى فى كتابه (كشف الغمه) يروى عن كتاب (السقيفه) للجوهرى.

8- المسعودى فى (مروج الذهب) يشير الى هذه الخطبه.

9- الطبرسى فى كتاب (الاحتجاج).

10- احمد بن ابى طاهر فى كتاب (بلاغات النساء).

الى غير هولاء ممن يطول الكلام بذكرهم.

و اسناد هذه الخطبه الى السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) من الامور المسلمه عند اهل العلم من المورخين و غيرهم.

و نقل ابن ابى الحديد فى شرحه على نهج البلاغه عن السيد المرتضى انه قال: و اخبرنا ابوعبدالله المرزبانى عن على بن هرون عن عبيدالله بن احمد عن ابيه قال ذكرت لابى الحسين زيد (الشهيد) بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب (عليهم السلام) كلام فاطمه عند منع ابى بكر اياها فدک و قلت له: ان هولاء يزعمون انه مصنوع و انه من كلام ابى العيناء، لان الكلام منسوق البلاغه.

فقال لى: رايت مشائخ آل ابى طالب يروونه عن آبائهم، و يعلمونه اولادهم، و قد حدثنى ابى عن جدى يبلغ بها فاطمه على هذه الحكايه، و قد رواه مشائخ الشيعه و تدارسوه قبل ان يوجد جد ابى العيناء.

و قد حدث الحسين بن علوان عن عطيه العوفى انه سمع عبدالله بن

الحسن بن الحسن يذكر عن ابيه هذا الكلام ثم قال ابوالحسسين زيد: و كيف ينكرون هذا من كلام فاطمه و هم يروون من كلام عائشه عند موت ابيها

ما هو اعجب من كلام فاطمه و يحققونه؟ لو لا عداوتهم لنا اهل البت!!

هذا بعض ما ظفر به من المصادر لخطبه سيده النساء، و لعل غيرنا من الباحثين يجد المزيد من المصادر لهذه الخطبه.

ص: 297

رؤوس نقاط الخطبه

اختارت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) لخطبتها هذا الأُسلوب للبدايه و النهايه

إنها لم تكتف بالتركيز على مطالبه حقها فقط، بل انتهزت الفرصه لتفجر للمسلمين عيون المعارف الإلهيه، و تكشف لهم محاسن الدين الإسلامى، و تبيِّن لهم علل الشرائع و الأحكام و ضمناً تهيئ الجو لكلامها المقصود و هدفها المطلوب.

و هذه رؤوس أقلام الخطبه و مواضيعها:

الحمد و الثناء على الله.

التوحيد الاستدلالى.

النبوه.

التحدث عن العهد الجاهلى.

إنجازات الرسول.

توجيه الخطاب إلى الحاضرين.

التحدث عن القرآن.

بيان علل الشرائع و فلسفه الإسلام.

الدخول فى صميم الموضوع.

حوادث فتره الرساله.

موقف زوجها العظيم من تلک الأحداث.

بیان انقلاب الحکم ضد آل الرسول.

بیان تخاذل المسلمین تجاه أهل البیت

توجیه الخطاب إلی رئیس الدوله حول الإرث.

إقامه الأدله و البراهین.

توجیه العتاب إلی الأنصار و توبیخهم.

جواب رئیس الدوله.

تزییف کلامه و تفنید مغالطاته.

اعتذار رئیس الدوله.

توجیه الخطاب إلی الحاضرین.

شکوی إلی رسول الله.

و سوف نذکر الخطبه فی الخطبه فی حلقات یتخللها شرح موجزها.

ص: 299

روى عبدالله بن الحسن بإسناده عن آبائه، أنه لما أجمع أبوبكر على منع فاطمه فدک، و بلغها ذلک.

لاثت خمارها على رأسهاِ (1) . و اشتملت بجلبابها.

و أقبلت فى لمهٍ من حفدتها و نساء قومهاِ (2) .

تطأُ ذيولهاِ (3) .

ما تخرم مشيتها مشيه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) (4) .

حتى دخلت على أبى بكر.

و هو فى حشد من المهاجرين و الأنصار و غيرهمِ (5) فنيطت دونها ملاءهِ (6) .

فجلست ثم أنَّت أنَّهً أجهش القوم بالبكاء فارتجَّ المجلس ثم أمهلت هنيئه (7) حتى إذا سكن نشيج القوم و هدأت فورتهمِ (8) .

1- 272. لاثت: شدت و الخمار: ثوب يغطى به الراس.
2- 273. اللمه -بضم اللام و تخفيف الميم -: الجماعه، الحفده، الخدم.
3- 274. كنايه عن شده التستر.
4- 275. ما تنقص مشيتها عن مشيه ابيها من حيث الوقار و الكفيه.
5- 276. الحشد: الجماعه.
6- 277. نيطت: علقت و الملاءه: الازار و الثوب اللين الرقيق.
7- 278. و فى شرح النهج لابن أبى الحديد ج 16 ص 211: ثم أمهلت طويلاً.
8- 279. النشيج: صوت البكاء مع التوجع. و الفوره: الشده.

افتتحت الكلام بحمد الله و الثناء عليه، و الصلاه على رسوله، فعاد القوم فى بكائهم، فلما أمسكوا عادت فى كلامها.

فقالت (عليهاالسلام):

الحمد لله على ما أنعم.

و له الشكر على ما ألهمْ.

و الثناء بما قدّم.

من عموم نعمٍ ابتداها.

و سبوغ آلاءٍ أسداهِا (1) .

و تمام منٍن و الاها.

جمَّ عن الإحصاء عددُهِا (2) .

و نأى عن الجزاء أمدهِا (3) .

و تفاوت عن الإدراک أبدها.

و ندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالهِا (4) .

و استحمد إلى الخلائق بإجزالها.

و ثنّى بالندب إلى أمثالهِا (5) .

و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريک له.

كلمهٌ جعل الإخلاص تأويلها.

و ضمَّن القلوب موصولهِا (6) .

1- 280. سبوغ النعم: اتساعها.
2- 281. جم: كثر.
3- 282. نای: بعد، و هكذا تفاوت.
4- 283. ندبهم: دعاهم و الاستنراده:طلب زياده الشكر. و هكذا استحمد.
5- 284. ثنى بالندب: ای كما انه ندبهم لاستزادهم كذالک ندبهم الى امثالها من موجبات الثواب.
6- 285. جعل القلوب محتويه لمعنى كلمها التوحيد.

و أنار فى التفكير معقولها.

الممتنع من الأبصار رؤيته.

و من الألسن صفته.

ومن الأوهام كيفيته.

ابتدع الأشياء لا من شى ء كان قبلهاِ (1) .

و أنشأها بلا احتذاء أمثله امتثلهاِ (2) .

كوَّنها بقدرته، و ذرأها بمشيئتهِ (3) .

من غير حاجه منه إلى تكوينها.

و لا فائده فى تصويرها.

إلا تثبيتاً لحكمته و تنبيهاً على طاعته.

و إظهاراً لقدرته، و تعبّداً لبريته.

و إعزازاً لدعوته.

ثم جعل الثواب على طاعته.

و وضع العقاب على معصيته.

ذياده لعباده من نقمتهِ (4) .

و حياشةً لهم إلى جنتهِ (5) .

و أشهد أن أبى محمداً عبده و رسوله.

اختاره و انتجبه قبل أن اجتبلهِ (6) .

1- 286. ابتدع: احدث.
2- 287. الاحتذاء: الاقتداء.و حذو النعل بالنعل ای قطع النعل علی مثال النعل و قدرها.
3- 288. ذراها: خلقها.
4- 289. ذیاده: منعا.
5- 290. حیاشه لهم: سوقهم.
6- 291. اجتبله: فطره.

و اصطفاه قبل أن ابتعثه.

إذ الخلائق بالغيب مكنونه.

و بستر الأهاويل مصونه.

و بنهايه العدم مقرونه.

علماً من الله تعالى بمآئل الأُمورِ (1) .

و إحاطه بحوادث الدهور.

و معرفه بمواقع المقدور.

ابتعثه الله إتماماً لأمره.

و عزيمةً على إمضاء حكمه.

و إنفاذاً لمقادير حتمه.

فرأى الأُمم فِرَقاً فى أديانها.

عُكَّفاً على نيرانها.

و عابده لأوثانها.

منكره لله مع عرفانها.

فأنار الله بمحمد (صلى الله عليه و آله و سلم) ظُلَمَهاِ (2) .

و كشف عن القلوب بُهمهاِ (3) .

و جلى عن الأبصار غُمَمهاِ (4) .

و قام فى الناس بالهدايه.

و أنقذهم من الغوايه.

1- 292. المائل: جمع مآل- ای المرجع.
2- 293. ظلم: جمع ظلمه.
3- 294. البهم: جمع بهمه و هی مشکلات الامور.
4- 295. الغمم- جمع غمه- الشی ء الملتبس المستور.

و بصَّرهم من العمايه.

و هداهم إلى الدين القويم.

و دعاهم إلى الصراط المستقيم.

ثم قبضه الله إليه قبض رأفه و اختيار. و رغبهٍ و إيثار.

فمحمَّد (صلى الله عليه و آله و سلم) من تعب هذه الدار فى راحه.

قد حفَّ بالملائكه الأبرار.

و رضوان الرب الغفَّار.

و مجاوره الملک الجبَّار.

صلى الله على أبى.

نبيّه، و أمينه على الوحى و صفيّه.

و خيرته من الخلق و رضيّه.

و السلام عليه و رحمه الله و بركاته.

ص: 304

الحمد لله على ما أنعم» إن شكر المنعم واجب شرعاً و عقلاً و عرفاً، يستحق الحمد على ما أنعم الظاهريه كالحياه و الصحه و نحوها.

«و له الشكر على ما ألهم» من النعم الباطنيه، كالعلم و المعرفه، و الغرائز التى ألهم الإنسان و غير الإنسان إيّاها، فإن الإلهام إلقاء فى القلب و النفس كالتلقين، و هو تعليم على وجه لا سبيل لأحد للوقوف عليه.

«و الثناء بما قدّم» لله تعالى نعم قد أخّرها إلى الدار الآخره، و هى الجنه و نعميها و غير ذلک و لله تعالى نعم قد قدّمها فى هذه الدنيا، قدّمها على بقيه النعم، و إليک بعض التفصيل:

«من عموم نعم ابتداها» النعم العامه التى ابتداها الله تعالى كالماء و الهواء و التراب و النار، و قبلها نعمه الإيجاد و الخلق، و النعم الابتدائيه كالجاذبيه فى الأرض، و المسافه المعينه المحدوده بين الأرض و القمر، و بين الأرض و الشمس و الغطاء الجوى المحيط بالكره الأرضيه المسمى بالطبقه النتروجينيه، و غير ذلک ممّا علم به البشر و ما لم يعلمه، ابتداها الله قبل أن يستحقها البشر.

«و سبوغ آلاء أسداها» الآلاء السابغه أى النعم الشامله الكامله التامه، و أسداها: أعطاها، كنعمه الأعضاء و الجوارح و المشاعر و المدارک التى يشعر و يدرک بها الإنسان و غير الإنسان.

«و تمام منن و الاها» المنن: جمع منّه. و هى النعمه و العطيه و الإحسان،

و ليس المقصود- هنا- المنّه بمعني المنّ و هو عدّ الإحسان الذى نهى الله تعالي عنه بقوله: «وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ» و قال: «و لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الأذى» و والاها من الموالاه و هى المتابعه فى الإعطاء، أى نعمه بعد نعمه، فالنعم الإلهيه متواصله متواتره.

«جم عن الاحصاء عددها»اى كثرت نعم الله سبحانه، فعجز الناس عن احصائها و عدها،كما قالب سبحانه:«و ان تعدوا نعمه الله لا تحصوها».

«و نای عن الجزاء امدها» الامد: الغايه و منتهى الشى ء، فلعل المعنى: ان الانسان لا يستطيع ان يجارى ربه على نعمه و اياديه.

«و نای عن الجزاء امدها» الامد: الغايه و منتهى الشى ء، فلعل المعنى: ان الانسان لا يستطيع ان يجازى ربه على نعمه و اياديه.

«و تفاوت عن الادراک ابدها» كذالک لا يملكن للانسان ان يدرک النعم الالهيه. «و ندبهم لا ستزادتها بالشكر لا تصالها» ان الشكر يوجب زياده النعمه و دوامها و اتصالها، كما قال سبحانه: «لئن شكرتم لا زيدنكم».

«و استحمد الى الخلائق باجزالها» كذلک الحمد يوجب المزيد من الخيرات و البركات الالهيه.

«و ثنى بالندب الى امثالها» اى: انه تعالى ندب عباده و دعاهم الى الاستزاده من موجبات الخير والرحمه،كالانفاق فى سبيل الله و العطف

«و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريک له، كلمه جعل الإخلاص تأويلها» المقصود أن كلمه: (لا إله إلا الله) يعود معناها إلى الإخلاص، كما قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): «و كمال توحيده الإخلاص له، و كمال الإخلاص له نفى الصفات عنه» فقد قيل: إن المقصود من الإخلاص هو جعله خالصاً من النقائص كالجسم و العرض، و ما شاكلهما من النقائص، و كمال الإخلاص له نفى الصفات، أى الصفات الزائده على ذاته لأن كل موجود متصف بصفه، و صفته غير ذاته، فالإنسان غير العلم، و العلم

غير الإنسان و لكن الله تعالى علمه عين ذاته، و بقيه صفاته كلها عين ذاته، و لهذا الموضوع بحث مفصّل عند العلماء مذكور فى الكتب الكلاميه.

«و ضمّن القلوب موصولها» أى إن الله تعالى ألزم القلوب المعنى الذى تصل إليه كلمه (لا إله إلا الله) و هو معنى التوحيد الفطرى، أى جعل القلوب على هذه الفطره، قال تعالى: «فِطْرَتَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها» و الفطره: الملّه، و هى الدين الإسلام و التوحيد، و هى التى خلق الناس عليها و لها و بها، و معنى ذلك أن الله تعالى خلقهم و ركّبهم و صوّرهم على وجه يدل على أن لهم صانعاً قادراً عالماً حياً قديماً واحداً، لا يشبه شيئاً، و لا يشبهه شى ء.

«و أنا فى الفكر معقولها» أى بسبب التفكير و التعقل أوضح الله المعنى الذى يوصل إليه بعد التدبر و التعمّق، أى معنى كلمه التوحيد، و المقصود منه التوحيد النظرى، و قد مضى الكلام عن التوحيد الفطرى، و معنى التوحيد النظرى:التفكّر فى الدلائل و البيّنات، و النظر فى الآيات فى الآفاق و فى أنفسهم.

«الممتنع عن الأبصار رؤيته» حيث أن الله تعالى ليس بجسم، و لا جوهر و لا عرض، و العين لا تدرک و لا ترى إلا الأجسام و الأعراض، و هى الأمور التى تعرض الجسم، كالألوان و الطول و العرض و ما شابه ذلك، و بما أن الإدراک بالبصر إنما يتحقق بانعكاس صوره المرئى فى عدسه العين، أو اتصال أشعه العين إلى ذلك الشى ء المرئى، و حيث أن الله تعالى ليس بجسم فلا يمكن انعكاسه فى العين، و لهذا من المستحيل أن تدركه العيون و لا يمكن لأى موجود أن يرى الله تعالى و يدركه بالعين، لا فى الدنيا و لا فى الاخره، كما قال تعالى: «لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» و قال سبحانه «لن ترانى» و «لن» لنفى الابد. و ليس هذا الامتناع خاصاً بالرؤيه، بل بجميع الحواس الظاهره كالسامعه و الشامه و الذائقه و اللامسه.

و من المؤسف جداً أن بعض طوائف المسلمين يعتقدون أن الله تعالى جسم، و يصرّحون بهذا الاعتقاد الفاسد الساقط عبر الإذاعات، رافعين أصواتهم: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا و هو راكب على حمار!!

و ليس هذا ببعيد من طائفةٍ أصول دينهم و فروعه محمول على أكتاف رجل يصفونه بالكذب و التزوير و التلاعب، و اختلاق الروايات و إسنادها إلى رسول الله و غيره، و يكتبون أن عمر بن الخطاب ضربه بالدرّه و منعه عن الحديث لكثره الأ كاذيب التى كان يختلقها و يصوغها فى بوتقه الدجل و التزوير.

و سمعت أيضاً من بعض مدّعى العلم- عبر الإذاعه-: أن الرسول رأى ربه ليله المعراج رؤيه عين.

يا للكفر، يا للإلحاد، يا للزندقه، يا للجهل.

القرآن يقول: لا تدركه الأبصار، و الجهال يقولون: تدركه الأبصار، يتركون كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و يخأخذون بقول مخلوق إن لم نقل إنه كذاب فهو جاهل يخطئ و يصيب.

و إذا كان بعض المسلمين يجهلون أو ينحرفون عن التوحيد- الذى هو أصل الدين- فكيف بالنبوه و الإمامه و المعاد؟

و كيف بفروع الدين و الأحكام الفقهيه و الأمور الدينيه و القضايا الشرعيه؟

«و من الألسن صفته» أى لا يمكن وصف الله تعالى كما لا يمكن رؤيته، و كيف يستطيع الإنسان أن يصف شيئاً لم يره، و لم يحط به إحاطه؟! كما قال على (عليه السلام): «ليس لصفته حد محدود، و لا نعت

موجود» لأن صفائه عين ذاته، فكما إنه لا يمكن إدراک ذاته كذلک لا يمكن إدراک صفاته التى هى عين ذاته.

«و من الأوهام كيفيته» إن الله تعالى جعل للإنسان قوى باطنيه، و هى الحواس الخمس الباطنيه، و هى الذاكره و الحافظه و الواهمه و المفكره و الحس المشترک و الواهمه هى القوه التى تدرک بها الأشياء الجزئيه، كأن يتصوّر الإنسان امرأه جميله، أو قصراً شاهقاً أو حديقه غنّاء، أو ما شابه، و كل ما تصوّره الإنسان أو توهمه فهو مخلوق، و لا يستطيع الإنسان أن يتصوّر الخالق تصوّراً صحيحاً حقيقياً، أى لا يستطيع أن يعلم كيف هو؟ و هو تعالى لا يكيّف بكيف؟أى لا يمكن تصوّر الكيفيه فى ذاته.

«ابتدع الأشياء لا من شى ء كان قبلها» أى خلق الله الكائنات لا من ماده، أى أوجدها و ما كانت موجوده.

و يقول الماديون: لا يمكن أن يوجد شى ء إلا من ماده، و الماده أصل الأشياء.

فإذا سألتهم: و الماده من أى شى ء وجدت؟ و أين وجدت؟ و من أوجدها؟ تراهم يسكتون و لا يحيرون جواباً، لأنهما إذا قالوا: إن الماده وجدت من غير ماده. قلنا لهم: فما المانع أو توجد الموجودات الأخرى من غير ماده؟ و إذا قالوا: إن الماده وجدت من ماده أخرى نسألهم: الماده الأخرى من أى شى ء وجدت؟ و هكذا و هلمّ جراً.

فالاعتقاد بأن الله تعالى خلق الأشياء لا من شى ء أفضل و أسلم من نظريات الماديين.

«و أنشأها بلا احتذاء أمثله امتثلها» أو جد الله تعالى الأشياء لا من ماده و لا من شى ء بلا اقتداء بأحد فى تصويرها.

انظر إلى الاختراعات الحديثه إنما اقتدى مخترعوها بأشياء أخرى، صنعوا الطائره حينما نظروا إلى الطيور و كيفيه طيرانها، و كيف تلصق رجليها إلى بطنها وقت الطيران، و ترسل رجليها حين الهبوط.

و صنعوا الغواصه البحريه حينما نظروا إلى السمكه تغوص فى الماء متى شاءت، و تطفو على الماء متى أرادت.

و هكذا التطورات فى المصانع و المعامل كلها من احتذاء أمثالها، و الاقتداء بأشباهها و لكن الله تعالى أو جد الكائنات بلا احتذاء و لا اقتداء و لا اتباع بموجودات أخرى مماثله و مشابهه لتلک الكائنات.

«كوّنها بقدرته» أوجد الله تعالى الأشياء بقدرته الجامعه الكامله، بدون مشاركه من أحد، بقدرته و قوته و تمكّنه على الإيجاد و التكوين، لا باستعمال الأدوات و الآلات.

«و ذرأها بمشيئته» أى خلقها بإرادته دون قوله: و حسب إرادته فى الكيفيه و الصوره و الشكل و الهيئه و العدد، و بقيه الخصوصيات، خلقها بمشيئته بلا إجبار، و بإرادته التى إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون.

و قد جاء فى دعاء الامام زين العابدين (عليه السلام): «... و مضت على ارادتک الاشياء، فهى بمشيتک- دون قولک- موتمره، و بارادتک- دون نهيک- منزجره...». «من غير حاجه منه إلى تكوينها» أى إن الله تعالى خلق الكائنات بلا حاجه منه إلى إيجادها و تكوينها مثل أن يستأنس بهم، أو يستعين بهم فى الأمور، فله تعالى الكمال الكامل بجميع معنى الكلمه، و لا طريق للاحتياج إلى ذاته المقدسه.

«و لا فائده له فى تصويرها» أى لم تكن لله تعالى فائده فى إحداث

تلک الصور و الأشکال و الهیئات، فإذا نفینا الحاجه و الفائده فی التکوین و التصویر ینبغی أن نعلم السبب فی ذلک، لأن الفعل بلا سبب لغو، و تعالی الله عن ذلک.

«إلا تثبیتاً لحکمته» و فی نسخه (تبییناً) و علی کل تقدیر، فالمعنی أن المقصود من الإنشاء و التکوین و الإیجاد هو إظهار الحکمه الإلهیه، و هو تعالی یعلم تلک الحکمه البالغه التی اقتضت إیجاد الکائنات، و لعل من تلک الحکمه إن الله تعالی خلق الکائنات لکی یعرف.

«و تنبیهاً علی طاعته» أی خلق الخلائق. کی ینبّههم علی وجوب طاعته، و الانقیاد لأوامره، لقوله تعالی: «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاَّ لِیَعْبُدُونِ» و الإطاعه و العباده إنما تحصل بعد المعرفه و ما قیمه العباده بغیر معرفه؟ و ما قیمه المعرفه بدون إطاعه و عباده؟

«و إظهاراً لقدرته» قدره الله تعالی کانت موجوده، و إنما أراد إظهار شی ء من قدرته فخلق الجمادات و النباتات و الحیوانات و الإنسان، و أودع فی کل واحد من هذه الموجودات آیات من القدره، فخلق الکواکب و المجرّات، و الأفلاک و السماوات، و خلق الکریات الحمر و البیض فی الدم، و خلق الذره و جعل لها قوائم، إلی غیر ذلک ممّا یطول الکلام بذکره.

و ملخص القول: إن کل موجود من الموجودات تتجلی و تظهر فیه قدره الله علی الإبداع.

«و تعبداً لبریته» خلق الله الموجودات کی ینقادوا لأوامره، و ینزجروا عن نواهیه، و العباده هی الانقیاد و الطاعه.

«و إعزازاً لدعوته» أی خلق الله الأشیاء لتکون تقویه للبراهین و الحجج التی یستدلّ بها الداعون إلی الله تعالی من الأنبیاء و غیرهم.

(ثم جعل الثواب على طاعته) الإنسان لا يندفع نحو العمل إلا بدافعين: دافع الرغبه و هو الطمع لجلب الخير، و دافع الرهبه و هو الخوف من المكروه، فالتاجر يتجر طلباً للمنافع و خوفاً من الفقر، و الطالب يتعلم و يدرس طلباً للثقافه أو الوظيفه، و هرباً من الجهل الذى يحول بينه و بين الصعود إلى مدارج الكمال.

و الإنسان لا ينقاد و لا يطمع إلا طمعاً فى الأجر و الثواب، و خوفاً من العذاب و العقاب.

و انطلاقاً من هذه الحكمه جعل الله الثواب و هو الأجر مع التقدير و الاحترام جزاء للطاعه و الانقياد.

«و وضع العقاب على معصيته» أى جعل قانون العقوبه للعاصين، المخالفين لأوامره المتجاوزين لأحكامه.

لماذا؟

«ذيادةً لعباده من نقمته» وضع الله تعالى قانون العقوباه لفى الدنيا،و العذاب فى الاخره لاجل ردع العباد و منعهم عن ارتكاب الأعمال التى توجب نقمته أى عقوبته.

«و حياشةً لهم إلى جنته» أى جعل الثواب و العقاب لمنع العباد عن المعاصى، و سوقهم إلى طريق الجنه، أى الأعمال التى يستحق الإنسان بها الجنه، و قد مرّ معنى الحياشه فى شرح الكلمات.

«و أشهد أن محمداً عبده و رسوله» أقرّت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) بالشهادتين بعد أن شرحت كلامها شرحاً كافياً حول التوحيد، فانتقلت إلى ذكر النبوه و ما يدور فى هذا الفلک، فاعترفت لأبيها- أولاً- بالعبوديه الكامله أى الانقياد و الخضوع لله تعالى، و هى درجه يبلغها الإنسان باختياره مع العلم أن النبوه مرتبه تحصل للنبى بغير سعى

ثم اعترفت له بالرساله، أی إنه نبی مرسل من عندالله تعالی إلی الخلائق بشریعه سماویه.

و من المؤسف أن کلمه (الرساله) صارت تستعمل- فی زماننا- فی کل مبدأ حق أو باطل، و فی کل فکره صحیحه أو سقیمه.

«اختاره و انتجبه قبل أن أرسله» انتقاه الله من أهل العالم کما ینتقی أحدنا الفرد الکامل الممتاز من أفراد عدیده، فالفاکهه الواحده نختارها من مئات أمثالها بعد أن نری فیها المزایا المتوفره المستجمعه فیها، المفقوده فی غیرها، من حیث الحجم و اللون و النضج و الطعم و النوع و ما شابه ذلک.

و هکذا اختار الله محمدا (صلّی الله علیه و آله و سلم) قبل أن یرسله، أی إن أهلیه الرسول- و استحقاقه لهذا المنصب الخطیر و هو النبوه- کانت ثابته و معلومه عندالله تعالی قبل أن ینزل الرسول إلی ساحه العمل و الجهاد و الدعوه إلی الله، و ما کانت- هناک- حاجه للاختبار و الامتحان حتی تظهر مواهبه و استعداده و تقبّله للمسؤولیه، بل کان الله یعلم کفاءه الرسول لهذا العب ء الثقیل.

«و سمّاه قبل أن اجتبله» أی سماه الله محمداً قبل أن یخلقه أو سمّاه (کالخطیبه)یقال فی حقها: (سمّیت لفلان) أی تقرّر تزویجها من فلان، فالمعنی- و لا مناقشه فی الأمثال- أن الله تعالی قد قرّر فی سابق علمه أن یکون محمد (صلّی الله علیه و آله و سلم) رسول الله، أو سمّاه الله لأنبیائه قبل أن یخلقه.

«و اصطفاه قبل أن ابتعثه» أی اختاره الله تعالی قبل أن یرسله نبیّاً.

«إذ الخلائق بالغیب مکنونه» إن الله تعالی اصطفی محمداً و اختاره و اجتبله فی الوقت الذی کانت الخلائق و هم الناس غیر موجودین، بل کانوا فی الغیب مختفین مستورین، أی کانوا فی علم غیب الله، و ما کان

لهم وجود فی الخارج بحیث ما کان یمکن إدراکهم.

«و بستر الأهاویل مصونه» هذه الجمله تفسیر لما قبلها، و الأهاویل: جمع أهوال و هی جمع هول، و هو الخوف و الأمر الشدید و المقصود: وحشه ظلمات الغیب.

«و بنهایه العدم مقرونه» نهایه الشی ء حدوده و آخره، و المقصود أن الخلائق کانت بعیده عن الوجود أی کانت معدومه.

«علماً من الله بمآئل الأمور» من ذلک الوقت اختار الله محمداً (صلّی الله علیه و آله و سلم) بسب علمه بعواقب الأمور و ما ترجع إلیه الأمور، کان الله یعلم عواقب البشر، و عواقب حالاتهم و شؤونهم، و عواقب رساله النبی و بعثته، و مواهبه و کفاءته للرساله بسبب اتصافه بالأخلاق الحمیده و الصفات الجمیله، و لهذا اختاره للرساله من ذلک الوقت.

و قد صرحت أحادیث کثیره جداً مرویه عن رسول الله (صلّی الله علیه و آله و سلم):أن أول ما خلق الله نور محمد (صلّی الله علیه و آله و سلم) و هکذا قوله (صلّی الله علیه و آله و سلم): إن الله خلق نوری و نور علی قبل أن یخلق آدم أو قبل أن یخلق السماوات و الأرض باثنتی عشر ألف سنه أو أربعه و عشرین ألف سنه،و غیرها من الروایات الوارده فی الکتب المعتبره.

«و إحاطه بحوادث الأمور» و بسبب إدراکه تعالی جمیع ما یدرک من الوقائع التی تحدث و تتجدد علی مر الأعوام و القرون.

«و معرفه بمواقع المقدور» و بسبب معرفته بأزمنه الأمور و أمکنتها التی قضاها، و المصالح التی رآها تعالی.

«ابتعثه الله إتماماً لأمره» بعث الله محمداً (صلّى الله عليه و آله و سلم) إتماماً للحكمه التى خلق الله الأشياء لأجلها، و لعل المقصود هو ختم النبوه برسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلم).

«و عزيمه على إمضاء حكمه» و إراده قويه أكيده لإنفاذ حكمه و قضائه، و تقديره فى خلقه.

«و إنفاذاً لمقادير حتمه» و إجراء لمقدوراته الواجبه التى لا يمكن إسقاطها، و هى المقادير المحتومه التى لا تتغير و لا تتبدل.

و هنا تتحدث السيده فاطمه الزهراء عن الحياه الدينيه و التفسّخ العقائدى فى ذلک العهد:

«فرأى الأمم فرقاً فى أديانها» رأى رسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلم) أهل الأرض على أديان متفرقه، من يهود و نصارى و مجوس، و صابئه و ملاحده و زنادقه.

«عُكّفاً على نيرانها» ملازمه على عباده النار، و مواظبه عليها، و هم المجوس الذين كانوا يقدّسون النار إلى حد العباده، بل ويبنون بيوتاً للنار، و يحافظون على إبقائها كى لا تنطفئ.

«عابده لأوثانها» جمع وثن و هم الصنم المصنوع من خشب أو حجاره أو غيرها من التماثيل فى كنائسهم و بيعهم، ينحنون أمامها، و يركعون و يسجدون لها بقصد العباده.

«منكره لله مع عرفانها» جاحده لله تعالى مع معرفتهم به تعالى كما قال (عزّ و جلّ): (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها) و المقصود أنهم كانوا يعرفون الخالق و الصانع بالفطره و الوجدان و العقل، إذ أنهم كانوا يعلمون أن كل مصنوع لابدّ له من صانع، و يعلمون أن الكائنات مخلوقه و لم يدّع أحد من المخلوقين أنه خلق الشمس و القمر و السماء و الأرض، فلابدّ من

الاعتقاد بوجود صانع لها.

«فأنار الله بمحمد (صلّى الله عليه و آله و سلم) ظلمها» أزال الله تعالى- بجهود الرسول و جهاده- تلک الظلمات- ظلمات تلک الأمم، ظلمات الكفر و الشرک و الجهل، أى إن الأدله و البراهين التى احتج بها الرسول كانت كفيله للقضاء على تلک النظريات التى تأسست عليها عباده النيران و الأوثان، و ليس المقصود أن الرسول قضى على جميع الأديان الباطله و العقائد الفاسده بمعنى إزالتها عن الوجود، بل أثبت أن الإسلام هو الحق و غيره باطل.

«و كشف عن القلوب بهمها» كشف الله- بمحمد (صلّى الله عليه و آله و سلم) عن القلوب مشكلاتها، و الأمور المخفيه المستوره عنها، كالاعتقاد بالتوحيد و الحشر و النشر فى القيامه، إذ كانت تلک الأمور من المشاكل الغامضه عندهم، و لكنها انحلّت و انكشفت ببركه الرسول.

«و جلى عن الأبصار غممها» و كشف و أوضح عن العيون الظلمه المبهمه المستوليه عليها، و المقصود من الظلمه- هنا- الانحرافات العقائديه التى كانت كالظلمه على أعينهم و لهذا ما كانوا يبصرون الحقائق بسبب تلک الظلمه.

«و قام فى الناس بالهدايه» قام رسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلم) بإراءه الطريق للناس و نصب لهم العلامات الداله على الحق و الحقيقه، على التوحيد و النبوه و المعاد.

«و أنقذهم من الغوايه» أنقذهم من الضلاله التى كانوا يعيشون فيها، و يموتون عليها، الضلاله فى العقائد، فى الأخلاق، فى الآداب و السلوک، فى العادات و التقاليد فكأنهم مغرقون فى البحر، فأنقذهم الرسول من الغرق، و أسعفهم من الهلاک.

«و بصّرهم من العمايه» جعلهم أصحاب بصر و بصيره، فالأعمى- لغةً- هو الذى لا يرى شيئاً، و الأعمى- مجازاً- هو الذى لا يدرک الحقائق كما هى، فإذا تعلم صار بصيراً.

«و هداهم إلى الدين القويم» للهدايه معانى عديده، منها إراءه الطريق لمن لا يعرف الطريق، و منها الإيصال إلى المطلوب، و لقد قام رسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلم) بالهدايه بكلا المعنيين: أراهم طريق السعاده و أوصلهم إلى سعاده الدنيا والآخره.

«و دعاهم إلى الصراط المستقيم» أى الطريق الذى لا اعوجاج فيه، و هو الإسلام.«ثم قبضه الله إليه قبض رأفه و اختيار، و رغبه و إيثار» أى توفّاه الله و أخذه إلى عالم الآخره بسبب الرأفه لا الغضب و السخط، و باختيار منه لا بإجبار و إكراه أو باختيار من الله تعالى له الآخره و إراده منه تعالى، و فضّل له الآخره على الدنيا كما قال (عزّ و جلّ): (وَ لَلْآخِرَهُ خَيْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولى». «فمحمد (صلّى الله عليه و آله و سلم) من تعب هذه الدار فى راحه» من مشاكلها و نوائبها، و ما كان يرى فيها من أنواع الأذى و المخالفه، فإن الموت راحه لأولياء الله، و إن حياه الأنبياء حياه متعبه لأنها جهود و جهاد، و مشقه و عناء.

«قد حُفّ بالملائكه الأبرار» الذين حفّوا به والتفوا حوله، و رافقوا روحه الطاهره إلى الرفيق الأعلى إلى أعلى عليين.

«و رضوان الرب الغفار» الذى شمله فى ذلک العالم بصوره أوسع، لأن الدنيا تضيق عن ظهور جميع آثار رضى الله، ولكن الآخره واسعه المجال.

«و مجاوره الملک الجبار» فهو فى حفظ الله و ذماره و قريب من ثوابه و ألطافه.«صلى الله على أبى، نبيه و أمينه على الوحى و صفيّه» الأمين الذى أُؤتمن على الوحى و الرساله و صفيّه الذى اصطفاه من خلقه.

«و السلام عليه و رحمه الله و بركاته».

و فى نسخه: «فمحمد (صلّى الله عليه و آله و سلم) فى راحهٍ من تعب هذه الدار، موضوعاً عنه أعباء الأوزار، محفوفاً بالملائكه الأبرار».

ثم انتقلت الى اهل المجلس و قالت:

أنتم- عباد الله- نصب أمره و نهيهِ (1) و حَمَله دينه و وحيه.

و أُمناءُ: الله على أنفسكمِ (2) .

و بلغاؤه إلى الأُممِ (3) .

زعيم حقّ له فيكم.

و عهد قدّمه إليكم.

و بقيّه استخلفها عليكم.

كتاب الله الناطق.

و القرآن الصادق.

و النور الساطعِ (4) .

و الضياء اللامعِ (5) .

بيّنه بصائره، منكشفه سرائرهِ (6) .

1- 296. منصوبون لا وامره و نواهيه.
2- 297. امناء: جمع امين.
3- 298. البلغاء- جمع بليغ، و المقصود- هنا-: المبلغ.
4- 299. الساطع: المرتفع.
5- 300. اللامع: المضى ء.
6- 301. البصائر: جمع بصيره، و المراد- هنا-:الاسرار الخفيه و اللطائف الدقيقه.

متجلّيه ظواهرهِ (1) .

مغتبط به أشياعهِ (2) .

قائد إلى الرضوان اتّباعه.

مؤدٍّ إلى النجاه استماعه.

به تُنال حجج الله المنوّره.

و عزائمه المفسَّرهِ (3) .

و محارمه المحذَّره.

وبيّناته الجاليهِ (4) .

و براهينه الكافيه.

و فضائله المندوبهِ (5) .

و رُخَصُه الموهوبه.

وشرائعه المكتوبهِ (6) .

فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرک.

والصلاه تنزيها لكم من الكبر.

والزكاه تزكيه للنفس و نماء فى الرزق.

والصيام تثبيتا للاخلاص.

والحج تشييدا للدين.

1- 302. متجليه: منكشفه.

2- 303. الغبطه: ان تتمنى مثل حال المغبوط اذا كان بحاله حسنه.
3- 304. الغرائم- جمع عزيمه- الفريضه التى افترضها الله.
4- 305. الجاليه: الواضحه.
5- 306. المندوبه: المدعو اليها.
6- 307. المكتوبه- هنا-: الواجبه.

و العدل تنسيقاً للقلوبِ (1) .

و إطاعتنا نظاماً للملّه.

و إمامتنا أماناً للفرقه.

و الجهاد عزّاً للإسلام.

و الصبر معونه على استيجاب الأجر.

و الأمر بالمعروف مصلحه للعامّه.

و برَّ الوالدين وقايةً من السخط.

و صِلَه الأرحام منماةً للعددِ (2) .

و القصاص حقناً ِ (3) للدماء.

و الوفاء بالنذر تعريضاً ِ (4) للمغفره.

و توفيه المكاييلِ (5) و الموازين تغييراً للبخس.

و النهى عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس.

و اجتناب القذف حجاباً عن اللعنه.

و ترک السرقه إيجاباً للعفّه.

و حرّم الشرک إخلاصاً له بالربوبيه.

فاتقوا الله حق تقاته، و لا تموتن إلاّ و أنتم مسلمون.

و أطيعوا الله فيما أمركم به و نهاكم عنه.

فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء.

1- 308. التنسيق: التنظيم.
2- 309. منماه- على وزن مسحاه-: اسم آله للنمو، و لعلها مصدر ميمى للنمو.
3- 310. حقنا: حفظا.
4- 311. تعريضا: اذا جعلته فى عرضه الشى ء.
5- 312. المكاييل- جمع مكيال-: و هو ما يكال به و الموازين جمع ميزان. و البخس: النقص.

شرح انتقلت (عليهاالسلام) من ذكرالنبوه الى ذكر ما تركه الرسول الاعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) من الثقلين: الكتاب و العتره الذين يقومان مقام النبى فقالت:- و هى مخاطبه للحاضرين فى المسجدالنبوى حينذاک:

«انتم- عباداللّه- نصب امره و نهيه» كلمه: (عباد الله) جمله معترضه بين المبتدا و الخبر، و المعنى: اخص بالخطاب عباد الله أنتم نصب أمره و نهيه، أى أنتم منصوبون لأوامره الله تعالى و نواهيه، لأ نكم كنتم موجودين عند ورود الأوامر و النواهى، و الخطاب موجّه إليكم.

«وحَمله دينه و وحيه» أى الحاملون لأحكام الدين لمشاهدتكم سيره الرسول و الأحكام التى كان (صلى الله عليه و آله و سلم) يصدّرها، و أنتم الحاملون لآيات القرآن حينما كان جبرئيل ينزل بها على الرسول يعلّمكم إيّاها.

«و أُمنا الله على أنفسكم» أنتم الذين ائتمنكم الله على دينه حتى تتلقوا الأحكام من الرسول ثم تلقوها إلى الأفراد الذين لم يتعلّموا تلک الأحكام.

«و بلغاؤه إلى الأمم» لا شک أن العلوم تنتقل من جيل إلى جيل على مرّ القرون، و حيث أنكم عاصرتم الرسول و سمعتم أحاديثه و تعلّمتم سُنّته يجب عليكم أن تبلّغوا تلک الأوامر و التعاليم و الأحاديث و السنن إلى

الأجيال القادمه، فأنتم مبلّغو الدين الإسلامى إلى الأمم القادمه و عليكم اداء هذه المسؤوليه العظمى تجاه الإسلام و المسلمين، فيجب عليكم أداء الأمانه سليمه من التلاعب، و تبليغ الأحكام كما أنزلها الله بدون تحريف أو تغيير. لأنكم الوسائل بين الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و بين بقيه المسلمين فإن أحسنتم الأداء فلكم الأجر الجزيل، و إن خنتم فى الأداء و التبليغ فعليكم أوزار كل انحراف يحدث فى الدين و فى المسلمين.

«زعيم حق له فيكم، و عهد قدمه إليكم، و بقيه استخلفها عليكم» هذه الجملات ذكرها أكثر رواه الخطبه، و لكنها لا تخلو من الاضطراب و الغموض، و لعل فى الكلام سقطاً و حذفاً و قد ذكر شرّاح الخطبه وجوهاً محتمله لهذه الكلمات لا تخلو من تكلّف و تعسّف، و لكن النتيجه و المقصود أن الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) عهد إليكم بما يجب عليكم، و ترک فيكم بقيه منه جعلها خليفه له عليكم، و معنى البقيه هو ما يخلفه الإنسان فى أهله من الآثار و اللوازم، و المراد أن الرسول ترک فيكم ما يسدّ الحاجه و يكفى الأمه الإسلاميه مهامّها، و فى بعض النسخ: «و بقيه استخلَفَنا عليكم، و معنا كتاب الله» و هذه الجمله تشير إلى الحديث المشهور المعتبر عند المسلمين و هو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم»: «إنى تارک فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتى أهل بيتى، و إنهما لن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض (1) » و هنا تتحدث السيده فاطمه الزهراء عن أحد الثقلين و هو القرآن الكريم فقالت: «كتاب الله الناطق» أى المبيّن الموضّح، كالإنسان الذى يتكلم بكل وضوح.

«و النور الساطع» قد ورد فى القرآن الكريم التعبير عن القرآن بالنور

1- 313. صحيح مسلم و غيره.

كقوله تعالى: «فآمنوا بالله و رسوله و النور الذى أنزلنا و الله بما تعملون خبير» (1) .

«و الضياء اللامع» و هو النور المشرق، لا النور الضئيل الخفى.

«بيّنه بصائره» أى واضحه حججه و براهينه فأدلّه التوحيد و النبوه و الإمامه و البعث فى يوم القيامه و غير ذلک من الأدله و البراهين تجدها واضحه عند أهلها، و عند كل من يعرف منطق القرآن، و يفهم المناسبه بين الدليل و المدلول، و العله و المعلول، استمع إلى قوله تعالى:

«لو كان فيهما آلهه إلا الله لفسدتا» و قوله: «و ضرب لنا مثلاً و نسى خلقه قال من يحيى العظام و هى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مره و هو بكل خلق عليم» و قوله: «و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون» و قوله: «قل لئن اجتمعت الجن و الإنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً» و غيرها من الآيات التى هى أدله و براهين و حجج على ما ذكره الله تعالى.

«منكشفه سرائره» فى القرآن آيات واضحه الدلاله، ظاهره المعنى، و آيات تشتمل على معانى دقيقه و أسرار خفيه كأسرار الكيمياء الغيبيّه، أو الآيات المتشابهات، و هى كلها منكشفه و معلومه عند أولى الألباب، و الراسخين فى العلم.

«متجليه ظواهره» ظواهر القرآن واضحه كمال الوضوح.

«مغتبط به أشياعه» أى إن أتباع القرآن يبلغون منزله عند الله بحيث يغبطهم الناس، أى يتمنى الناس الوصول إلى تلک الدرجات التى نالها

1- 314. التغابن: 7.

الذين اتبعوا القرآن.

«قائد إلى الرضوان إتباعه» القرآن يقود إلى رضوان الله تعالى أو اتّباع القرآن يقود إلى الرضوان و النتيجه واحده.

«مؤدٍّ إلى النجاه استماعه» أى الاستماع إلى القرآن يؤدى إلى النجاه كما قال تعالى: «و إذا قُرئ القرآن فاستمعوا له و أنصتوا لعلكم ترحمون» سيّما إذا كان مع الاستماع تدبّر و تعقّل، لأن الخوف من الله يحصل باستماع القرآن، و كذلک الرجاء به، و هكذا ينجو الإنسان من عذاب الله تعالى، فكم من كافرٍ أسلم بسبب استماع القرآن؟ و كم من مذنب تاب؟ وكم من منحرف اعتدل و كم من شاكٍ استقام و تيقّن؟

«به تُنال حجج الله المنوَّره» الحجه ما يحتج به الإنسان و يمكن الاستدلال و الاحتجاج به فى القضايا العقليه و الأحكام الشرعيه، و الأمور العرفيه.

«و عزائمه المفسَّره» أى الواجبات التى فسرها القرآن نفسه، أو النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أو أئمه أهل البيت (عليهم السلام) لأن القرآن نزل فى بيوتهم، و أهل البيت أدرى بما فى البيت، فسّروا أحكام العبادات و كيفيتها و الخصوصيات المتعلقه بها من الوضوء إلى الغسل إلى الصلاه إلى الصوم و الحج و الجهاد و غير ذلک من الواجبات.

«و محارمه المحذّره» حذّرّ الله تعالى فى القرآن عباده عن ارتكاب المحرّمات، حذَّرهم بالعذاب الأليم فى الدنيا أو الآخره.

«و بيناته الجاليه» أى المحكمات الواضحه التى لا تحتاج إلى تأويل.

«و براهينه الكافيه» وفى نسخه: «و جُمَله الكافيه» أى المتشابهات المعلومه عند الراسخين فى العلم.

«وفضائله المندوبه» و هى الأمور المستحبه التى ندب الله تعالى عباده

إليها أى دعاهم إليها بدون إلزام كصلاه الليل و أمثالها.

«وَّ رُخصه الموهوبه» فى القرآن أحكام واجبه كما تقدم الكلام عنها، و مخيّره و هى المستحبات التى يتخير الإنسان فيها.

«و شرائعه المكتوبه» شرائع: جمع شريعه، و هى ما شرّع الله أى قرّره لعباده من الدين تشبيهاً بمورد الماء، و المكتوبه هى الواجبه المفروضه.

ص: 325

ثم انتقلت (علیهاالسلام) إلی ذکر الفلسفه الإسلامیه، أو علل الأحکام فی الشریعه الإسلامیه و ما هناک من فوائد و أسرار، و حکَم فی التشریع الإسلامی التی هی للوقایه أکثر مما هی للعلاج، و قد قیل: «الوقایه خیر من العلاج» و سیتضح لک ذلک، قالت (علیهاالسلام):

«فجعل الله الإیمان تطهیراً لکم من الشرک» و فی نسخه: «ففرض الله الإیمان» الآیات الوارده فی القرآن الکریم، الآمره بالإیمان بالله وحده، إنما هی لغرض التطهیر من أرجاس الشرک بالله، فالشرک بمنزله المکروبات الضاره، و الإیمان تعقیم لها، فالشرک قذاره متعلقه با لأذهان، ملتصقه بالعقول، قد تلوثت بها القلوب، و الإیمان تطهیر عام لإزاله تلک القذاره.

«والصلاه تنزیهاً لکم عن الکبر» المقصود من تشریع الصلاه هو القضاء علی رزیله الکبر، لأن الصلاه خضوع و خشوع لله و رکوع و سجود و تذلل، و أکثر المصابین بداء الکبریاء هم التارکون للصلاه.

«و الزکاه تزکیه للنفس و نماءً فی الرزق» و فی نسخه: «و الزکاه تزییداً لکم فی الرزق» إنّما سُمیت الزکاه لأنها تزکی الإنسان، استمع إلی قوله تعالی: «خُذ من أموالهم صدقه تطهرهم و تزکیهم بها» و قد جعل الله تعالی البرکه و النمو فی إعطاء الزکاه، فیأذن الله للأرض أن تجود ببرکاتها فیکثر الزرع و یمتلئ الضرع،و تتراکم الخیرات، و تتضاعف الثمار.

«و الصيام تثبيتاً للإخلاص» قد يمكن أن يصلي الإنسان قصد الرياء، و لا يمكن أن يصوم و يطوى نهاره جائعاً عطشاناً، و يتحمل المشقه- لسبب الإمساک و الامتناع عما يشتهى- بقصد الرياء، فالصوم من أظهر العبادات الخالصه لوجه الله الكريم.

«و الحج تشييداً للدين» للحج فوائد و منافع معنويه لا تتحقق بغير الحج، فالحج عباره عن عدد كبير من المسلمين من بلاد بعيده و أقطار عديده، من شرق الأرض و غربها و عن كل قطر يسكن فيه مسلم يستطيع الحج، فى أيام محدوده و أماكن معينه، على هيئات خاصه و كيفيات مخصوصه، فيلتقى بعضهم ببعض، و يتعرّف المسلم الأفريقى بالمسلم الآسيوى، و يطلّع المسلم الشرقى على أحوال المسلم الغربى و ما هناک من فوائد تحصل من تلک اللقاءات، أضف إلى ذلک الفوائد التى تعود إلى نفس الإنسان الحاج من الخضوع و التذلل لله، و التوبه و الاستغفار و غير ذلک مما يطول الكلام بذكره.

«و العدل تنسيقاً للقلوب» و فى نسخه: «و تنسيكاً للقلوب» لا أعرف لتعليل العدل تعريفاً أحسن و أكمل من هذا التعريف، لأن تنسيق القلوب تنظيمها كتنسيق خرز السبحه، و تنظيمها بالخيط، فلو انقطع الخيط تفرقت الخرز و تشتتت، و اختل التنظيم و زال التنسيق.

إن العدل فى المجتمع بمنزله الخيط فى السبحه، فالعدل الفردى و الزوجى و العائلى و الاجتماعى و العدل مع الأسره و مع الناس يكون سبباً لتنظيم القلوب و انسجامها بل و اندماجها، و إذا فقد العدل فقد الانسجام، و جاء مكانه التنافر و التباعد و التقاطع، و أخيراً التقاتل.

و ليست العداله من خصائص الحكّام و الولاه و القضاه، بل يجب على كل إنسان أن يسير و يعيش تحت ظلال العداله، و يعاشر زوجته و عائلته

و أسرته و مجتمعه بالعداله إبقاءً لمحبه القلوب.

«و إطاعتنا نظاماً للمله» و فی نسخه: «و طاعتنا» کل أمه إذا أرادت أن تعیش لا بدَّ لها من اختیار نظام حاکم سائد، و النظام کلمه واسعه النطاق، کثیره المصداق غزیره المعانی.

فالحکومات، و تشکیل الوزارات، و تنظیم الدوائر، و سنّ القوانین، و إصدار التعالیم فی شتی المجالات یقال لها: نظام. و لا بدّ- طبعاً- من تنفیذ النظام، و الخضوع و الانقیاد له، و یقال له: التنظیم.

فإذا کان النظام صالحاً انتشر الصلاح فی العباد و البلاد، و إذا کان النظام فاسداً ظهر الفساد فی البر و البحر.

و الأمه الإسلامیه التی تعتبر نفسها فی طلیعه الأمم الراقیه المتحضره لا بدّ و أن یکون لها نظام، و إن الله تعالی جعل إطاعه أهل البیت (علیهم السلام) نظاماً للمله الإسلامیه، و معنی ذلک أن الله جعل القیاده العامه المطلقه العلیا، و السلطه لأئمه أهل البیت الاثنی عشر (علیهم السلام) و هم عتره الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) فقط، لا کل من یستلم زمام الحکم، أو یجلس علی منصه القیاده تجب إطاعته و تنفیذ أوامره.

و إنما جعل الله إطاعه أئمه أهل البیت نظاماً للمسلمین لأن الله تعالی زوَّدهم بالمواهب، و منحهم الأهلیه، و أحاطوا علماً بکل ما ینفع المجتمع و یضرّه، و بکل ما یُصلح الناس و یفسدهم.

و جعلهم الرسول عدل القرآن بقوله (صلی الله علیه و آله و سلم): إنی تارک فیکم الثقلین: کتاب الله و عترتی أهل بیتی، و إنهما لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض، و إنکم لن تضلوا ما إن تمسکتم بهما.

و لقد سبق أن تحدثت السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) عن القرآن و أنه بقیه استخلفها علیکم، ثم ذکرت بعض ما یتعلق بعظمه القرآن. ثم

انتقلت إلى ذكر فلسفه الإسلام ثم انتقلت إلى ذكر الثقل الثانى، و هم العتره،و هم أهل البيت، و هم أولو الأمر الذين أوجب الله إطاعتهم على العباد بقوله تعالى: «أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم».

فو الله لو أن المسلمين فسحوا المجال- من أول يوم- لأهل البيت و أطاعوهم لكانت الدنيا روحاً و ريحاناً و جنه نعيم، و كانت السعاده شامله لجميع طبقات البشر على مرّ القرون، و ما كانت تحدث المفاسد و المجازر و المذابح على وجه الأرض، و ما كانت الأموال تسلب، و الأعراض تُهتک، و النفوس تزهق ظلماً، و ما كان الجهل و الأميه و التأخير و التفسخ منتشراً بين الأمه الإسلاميه، و ما كان فى الأرض فقر و لا حرمان، و لا اضطهاد و لا جوع.

نحن لا نزال فى شرح كلمات السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) و قد طال بنا الكلام هنا، لأن الموضوع يتطلب شيئاً من التفصيل مع العلم أننا لم نؤد حق المقام.

فالبحث عن القياده الإسلاميه أو الإمامه الصحيحه بحث واسع يحتاج إلى موسوعه كبرى، و تحليل و تحقيق شاملين كاملين.

«و إمامتنا أماناً للفرقه» و فى نسخه: «لمّاً للفرقه» إمام على وزن كتاب هو المقتدى، انظر إلى إمام الجماعه كيف يقتدى به المأمومون فى أفعال الصلاه من قيام إلى ركوع و سجود و هكذا، فهو مقتدى فى أفعال محدوده، و لهذا يقال له: إمام صلاه الجماعه، أو إمام الجماعه فى الصلاه.

و الإمامه الكبرى التى هى الخلافه العظمى، منصب سماوى، و منزله تتعيّن من عند الله تعالى، لأنها تاليه للنبوه من حيث العظمه و الأهميه، انظر إلى أولياء الله كيف يسألون الله تعالى أن يبلغهم تلک المنزله الرفيعه و الدرجه الساميه.

فهذا إبراهيم الخليل (عليه السلام) يأتيه النداء من عند الله تعالى: «إنى جاعلک للناس إماماً» أى المقتدى به فى أفعاله و أقواله، و أنه الذى يقوم بتدبير الأمه و سياستها و القيام بأمورها، و تأديب جناتها، و توليه و لاتها،و إقامه الحدود على مستحقيها و محاربه من يكيدها و يعاديها، و ليس المقصود من الإمامه- هنا- النبوه، لأن إبراهيم كان نبياً حينذاک و إنما أضاف الله له الإمامه إلى النبوه.

و أنت إذا أمعنت النظر فى قوله تعالى: «إنى جاعلک» يتضح لک أن تعيين الإمام يجب أن يكون من عند الله، و لا يحق للناس أن يعينوا لأنفسهم إماماً حسب آرائهم الشخصيه و هو اياتهم الفرديه.

و إذا تدبرت بقيه الآيه تنكشف لک حقائق أخرى و هى قوله: «و من ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين» أى لما أخبر الله إبراهيم بالإمامه قال إبراهيم: «و من ذريتى» أى و اجعل من ذريتى من يوشّح بالإمامه و بهذه الكرامه. قال تعالى: «لا ينال عهدى الظالمين» قال مجاهد: العهد الإمامه، و قد روى ذلک عن الإمامين: الباقر و الصادق (عليهماالسلام) أى لا يكون الظالم إماماً للناس، و هذا يدل على عصمه الأئمه، لأن الله سبحانه نفى أن ينال عهده (الذى هو الإمامه) ظالم، و من ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه و إما لغيره.

و إذا تأملت فى هذه الآيات البينات يتضح لک أن المناصب السماويه و الوظائف الإلهيه ينبغى أن تكون من عند الله تعالى و تعيينه و جعله، تدبّر فى قوله تعالى:

يا داود إنا جعلناک خليفه فى الأرض (1) .

1- 315. الانعام: 26.

و جعلنا فی ذریته النبوه و الکتاب﴾.

و لقد آتینا موسی الکتاب و جعلنا معه أخاه هارون وزیراً﴾.

و جعلناهم أئمه یهدون بأمرنا﴾ (1) .

إنی جاعلک للناس إماماً﴾ (2) .

«و اجعلنا للمتقین إماماً﴾ (3) .

«و اجعل لی وزیراً من أهلی هارون أخی﴾ (4) .

و غیرها من الآیات التی تتجلی فیها کلمه: (جعلنا) و (اجعلنا) و (جعلناهم) و ما أشبه ذلک.

و هنا تقول الزهراء (علیهاالسلام): «و إمامتنا» إنها تقصد إمامه الأئمه الاثنی عشر، و شخص زوجها العظیم أباالأئمه علیاً (علیه السلام).

«و الجهاد عزاً للإسلام» العزه لا تحصل إلا بالقوه، و تظهر القوه باستعمال السلاح و استعراض الجیش، و إظهار المعدات الحربیه، و تجلّی البطولات و غیر ذلک.

و أحسن استعراض للقوه و إثبات الشخصیه هو الجهاد فی سبیل الله، فالقوه و القدره و الإمکانیه و التضحیه، و مدی تعلق المسلمین بالمبدأ، و المواهب التی تظهر فی جبهات القتال، و تظهر النتیجه بالانتصار و الظفر و الغلبه علی أعداء الدین، و استیلاء الخوف علی کل مناوئ للإسلام، و القوی لا یخضع إلا للقوه، لا للإنسانیه فقط، و لا للثروه فقط، بل للقوه، و هکذا تجتمع العزه للأمه القویه، و للمبدأ الذی یعتنقه الأقویاء.

«و الصبر معونه علی استیجاب الأجر» الصبر علی المکاره من فقر

1- 316. الانبیاء73.
2- 317. البقره.
3- 318. الفرقان.

4- 319. طه: 29.

إلى مرض إلى دَين إلى سجن إلى مصيبه، يدل على التسليم لإراده الله تعالى، و التسليم فضيله ساميه و منزله عاليه يستعين بها الإنسان الصابر على تحصيل الاجر الجزيل، و الثواب الأوفى، و بالصبر يتم فعل الطاعات و ترک السيئات.

«و الأمر بالمعروف مصلحه للعامه» فرض الله الأمر بالمعروف على كل مكلف في حدود القدره و الإمكانيه بشروط معينه مذكوره فى محلها، و يعتبر نوعاً من الجهاد، و معنى ذلک أن كل فرد من أفراد المسلمين يعتبر نفسه مسؤولاً عن الدين مرتبطاً به، غير منفصل عنه، و هو تفسير عملى لقوله (صلى الله عليه و آله و سلم): «كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته» لأن الإسلام لا يؤمن باللامبالاه و بالانعزال عن المجتمع الدينى، لأن الإسلام يعتبر المسلمين أسره واحده مترابطه، و أمه واحده يربطها رباط الدين و العقيده.

«و بر الوالدين وقايه من السخط» و فى نسخه: «و البر بالوالدين و قايه من السخطه» و معنى ذلک أن عقوق الوالدين يُسبب سخط الله و غضبه على العاق لوالديه، إذن يكون الإحسان إليهما سبباً للوقايه من غضب الله تعالى، و بعد إلقاء نظره على الآيات التى توصى برعايه حقوق الوالدين تتضح لنا أهميه هذا الجانب الأخلاقى:

«و وصينا الإنسان بوالديه حسناً...» (1) .

«و يسئلونک ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين....» (2) .

«و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئاً و بالوالدين إحساناً...» (3) .

«قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئاً و بالوالدين

1- 320. العنكبوت.
2- 321. البقره 215.
3- 322. النساء.

إحساناً... (1) .

«و قضی ربک ألاّ تعبدوا إلاّ إیاه و بالوالدین إحساناً إما یبلغن عندک الکبر أحدهما أو کلاهما فلا تقل لهما أفٍّ و لا تنهر هما و قل لهما قولاً کریماً و اخفض لهما جناح الذل من الرحمه و قل ربِّ ارحمهما کما ربیانی صغیراً» (2) .

«و وصینا الإنسان بوالدیه حملته أُمه و هناً علی و هن و فصاله فی عامین أن أشکر لی و لوالدیک إلیَّ المصیر. و إن جاهداک علی أن تشرک بی ما لیس لک به علم فلا تطعهما و صاحبهما فی الدنیا معروفاً... (3) .«و وصینا الإنسان بوالدیه إحساناً حملته أُمه کرهاً و وضعته کرهاً و حمله و فصاله ثلاثون شهراً حتی إذا بلغ أشده و بلغ أربعین سنه قال ربِ أوزعنی أن أشکر نعمتک التی أنعمت علیَّ و علی والدی و أن أعمل صالحاً ترضیه و أصلح لی فی ذریتی إنی تبت إلیک و إنی من المسلمین أُولئک الذین نتقبل عنهم أحسن ما عملوا و نتجاوز عن سیئاتهم فی أصحاب الجنه وعد الصدق الذی کانوا یوعدون (4) .

بعد الانتباه إلی هذه الآیات ینکشف لنا معنی کلامها (علیهاالسلام): و برّ الوالدین و قایه من السخط، و هذا البحث یتطلب مزیداً من الشرح و التفصیل، و لکننا اکتفینا بما تیسر.

«و صله الأرحام منماه للعدد» و فی نسخه: «و صله الأرحام منسأه للعمر، و منماه للعدد» إن للأعمال آثار طبیعیه و لا یمکن التخلف عنها- فالذی یصل رحمه- أی أقربائه الذین تجمعه و إیاهم رحم من أرحام

1- 323. الانعام: 151.
2- 324. الاسراء: 23 و 24.
3- 325. لقمان: 14- 15
4- 326. الاحقاف: 15- 16.

الأمهات- باللسان أو باليد أو بالمال لا بد و أن يكون طويل العمر، كثير النسل و العدد، كثير المال، و لقد وردت أحاديث كثيره متواتره جداً حول صله الرحم، و إنها تزيد فى الثروه و تؤخر الأجل (أجل الموت).

و كذلک قطع الرحم يسبب قصر العمر و زوال المال.

و لقد شاهدنا فى عصرنا الكثير من الناس الذين و صلوا أرحامهم فدرّت عليهم الأيام خيرها و بركاتها، و كثير عددهم و نسلهم مع العلم أن مؤهلات التكاثر لم تكن متوفره فيهم.

و قد رأينا الكثيرين من أبناء زماننا الذين قطعوا أرحامهم- أى قطعوا العلاقات الوديه (بجميع أنواعها) مع أقربائهم- فكأنهم قطعوا جذور أعمارهم، و هدموا أسس حياتهم و بقائهم- بأيديهم فانقرضوا بعد أن افتقروا.

«و القصاص حقناً للدماء» لا يوجد فى سجلات القوانين فى العالم كله قانون المحافظه على حياه الناس كقانون القصاص، و لهذا قال تعالى: «و لكم فى القصاص حياه يا أولى الألباب لعلكم تتقون» (1) .

و العجب أن القضاء على حياه القاتل يعتبر إبقاءً و حفظاً لحياه الآخرين، إذ أن الإنسان- إذا يعزم على قتل أحد ظلماً- إذا علم أنه سوف يُقتص منه، و يُقتل، فإنه بالقطع و اليقين سيمتنع من الإقدام على الجريمه، و لكنه إذا علم أن جزاءه السجن، و فى السجن الراحه و الأكل و الشرب، و رجاء شمول العفو، و التخفيف، أو دفع العوض و ما شابه ذلک من الرشوه و شفاعه الشافعين لدى السلطه الحاكمه، فعند ذلک تهون عنده الجريمه، و يستسهل الجنايه، و يقدم على إراقه الدماء البريئه ظلماً و عدواناً.

1- 327. البقره 179.

إن قانون الكفار السائد فى البلاد الإسلاميه لا يؤمن بالقصاص من القاتل، و يزعم القانون أن القصاص لا يحيى المقتول فلا فائده فى تكرار القتل، فوضعوا السجون و الأعمال الشاقه عقوبه للقاتل، و مع ذلک تجد السجون فى العالم مليئه بالمجرمين المرتكبين لجريمه القتل، و تجد جرائم القتل فى التزايد و التكاثر فى كل زمان و كل مكان.

و العجب أن الله تعالى يخاطب العقلاء بقوله: «يا أُولى الألباب» و يعقبه بجمله: «لعلكم تتقون» يخاطب الله تعالى العقلاء الذين يفهمون و يعقلون أن القصاص أحسن رادع و أقوى مانع عن القتل، و القصاص أفضل و أحسن من السجن و التعذيب و ما شابه ذلک.

و لكن القانون الإلهى أصبح مهجوراً متروكاً، و القانون الغربى هو القانون المفضل على أحكام الله تعالى، و بذلک فلتقر عيون المسلمين!!

و كيف يرجو المسلمون لأنفسهم السياده و العزه و الاستقلال و هم أذناب و أتباع لليهود و النصارى فى أحكامهم و قوانينهم بل و حتى فى تاريخهم فالتاريخ الهجرى الإسلامى صار نسياً منسياً، و التاريخ الميلادى هو المعروف المتبع فى البلاد الإسلاميه حكومات و شعوباً؟!

هذا و الكلام طويل يحتاج إلى مجال أوسع و تفصيل أكثر و بعد ذلک ما الفائده فى بث هذه الآلام و المآسى؟

فهل يحصل تغيير فى الأنظمه الحكوميه و القوانين المستورده عندهم؟

لا أظن ذلک!!

«و الوفاء بالنذر تعريضاً للمغفره» و فى نسخه: «بالنذور» النذر هو المعاهده مع الله تعالى على فعل من الأفعال، فالوفاء بالنذر يعتبر وفاء بالمعاهده كما قال تعالى: «و من أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً

عظیماً» و الإنسان یجعل نفسه فی معرض المغفره عن طریق النذر و الوفاء بالنذر.«و توفیه المکاییل و الموازین تغییراً للبخس» أوجب الله تعالی علی البائع و المشتری أن یراعیا حقوق الناس، و أن لا یبخسا الناس أشیاءهم، و أن یعاملا الناس بالأمانه و العداله، لا بالظلم و الخیانه، و ذلک بعدم التلاعب فی المکیال الذی یکال به الشی ء من طعام و غیره أو المیزان الذی یوزن به الشی ء. «والنهی عن شرب الخمر تنزیهاً عن الرجس» وفی نسخه: «والانتهاء عن شرب الخمور»لقد ذکرنا حول آیه التطهیر معانی عدیده للرجس، و الخمر تعتبر من أفراد الرجس و مصادیقه کما قال تعالی: «إنما الخمر و المیسر و الأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشیطان فاجتنبوه لعلکم تفلحون» و قد کتب الکثیر من المسلمین و غیرهم کتباً و مقالات حول أضرار الخمر، و الجرائم المتولده منها، و الویلات التی تتکون منها، و نکتفی- هنا- أن نقول: بعد مراجعه معانی الرجس یتضح لک جانب کبیر من مضار الخمره من الناحیه الصحیه و العقلیه و الاجتماعیه و غیر ذلک.

«و اجتناب القذف حجاباً عن اللعنه» و فی نسخه: «و اجتناب قذف المحصنات» إن الإسلام هو الدین الذی یحافظ علی کرامات الناس، و یعتبر الإسلام المس بالکرامه نوعاً من أنواع الجریمه، و قد جعل لهذه الجریمه عقوبه دنیویه، و عذاباً فی الآخره.

إن إسناد الفجور إلی أهل العفه و الشرف من رجال أو نساء لیس بالشی ء الهین و لا یسمح الإسلام أن یطلق الإنسان لسانه لهدر کرامه الناس، و هتک أعراضهم و نوامیسهم.

و إذا نسب الإنسان نوعاً من أنواع الفجور إلی ما لیس معروفاً

بالفجور فلا بد من إثبات ذلک بإقامه البينه و الشهود، فإن عجز عن ذلک فسوف ينفذ فی حقه قانون العقوبات.

قال الله تعالی: «و الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعه شهداء فاجلدوهم ثمانين جلده و لا تقبلوا لهم شهاده أبداً و أولئک هم الفاسقون، إلاّ الذين تابوا من بعد ذلک و أصلحوا فإن الله غفور رحيم» (1) .

و قال أيضاً: «إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لُعنوا فی الدنيا و الآخره و لهم عذاب عظيم» (2) .

و هنا يتضح معنی كلامها (عليهاالسلام): «و اجتناب القذف حجاباً عن اللعنه» أی انا لذی يجتنب قذف الناس أی إسناد الفجور إليهم فهو محجوب عن اللعنه و معنی اللعنه: البعد عن رحمه الله تعالی.

«و ترک السرقه إيجاباً للعفه» و فی نسخه: «و مجانبه السرقه» إن اليد تعتبر ثمينه غاليه ما دامت أمينه عفيفه، فإذا سرقت فقد خانت فصارت رخيصه لا كرامه لها، لأنها تجاوزت الحدود.

سأل أبوالعلاء المعری من السيد المرتضی علم الهدی (رضوان الله عليه):

يدٌ بخمس مئينٍ عسجد أوديت

ما بالها قطعت فی ربع دينار؟

أی أن اليد التی ديتُها خمسمائه دينار ذهب، لماذا تقطع إذا سرقت شيئاً قيمته ربع دينار؟

فأجابه السيد المرتضی قائلاً:

عز الأمانه أغلاها، و أرخصها

ذل الخيانه، فافهم حكمه الباری

إذن فالسرقه تسلب العفه من اليد، أی صاحب اليد، و ترک السرقه

1- 328. النور:4- 5.
2- 329. النور:23.

يوجب بقاء العفه و الأمانه.

و فى كتاب (كشف الغمه) بعد قوله: «و مجانبه السرقه إيجاباً للعفه» هكذا: «و التنزّه عن أكل أموال الأيتام و الاستيثار بفيئهم إجازه من الظلم. و العدل فى الأحكام إيناساً للرعيه» اليتيم هو الذى فقد أحد أبويه أو كليهما و هو صغير، و يرثهما التركه، و نظراً لصغر سنه لا يستطيع المحافظه على أمواله و تدبير أموره، و هنا يطمع فى أمواله ذوو الأطماع لأنهم استضعفوه، و لم يجدوا فيه القوه و القدره على المقاومه، فهناک الظلم الواضح و الاعتداء البغيض، و لكن الله تعالى قد قدّر مصير هؤلاء الظالمين و جزاءهم فى الآخره، فقال تعالى: «الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً و سيصلون سعيراً» فجعل الله الاجتناب عن أكل أموال اليتامى حفظاً من الوقوع فى الظلم الذى هذا جزاؤه و عقابه.

و أما جمله: «و الاستئثار بفيئهم» فالمقصود من الفى ء- هنا-: الغنيمه، أى خمس الغنائم أو ما أفاء الله على رسوله، و قد تقدم الكلام حول ذلک فى مدخل الخطبه و الآيات الوارده حول فدک.

«و عدل الحكام إيناساً للرعيه» لقد تقدم فى كلامها (عليهاالسلام) شى ء حول العدل بصوره عامه كالعدل بين الزوجات و بين الأولاد و بين الناس، و هنا تشير فى كلامها إلى عدل الحكام، و المقصود من الحكام- هنا- السلطه الحاكمه من الملک إلى الوزراء إلى الأمراء إلى رؤساء الدوائر و المحافظين و القضاه و الحاكمين، و أمثالهم من ذوى السلطه و القدره.

و من الطبيعى: أن أصحاب المناصب الخطيره يشعرون أو يتصورون بهالهٍ من الكبرياء تحيط بهم، و على هذا الأساس يرون أنفسهم أجل قدراً و أعظم شأناً و أرفع مستوى من غيرهم.

و أفراد الرعيه يشعرون بشى ء من البعد الواسع و البون الشاسع بينهم و بين الطبقه الحاكمه، فلا يسمح لكل أحد أن يلتقى برئيس الدوله، أو يقابل موظفاً كبيراً، و خاصه إذا كان صاحب حاجه. و على الأخص إذا اعتدى عليه بعض الموظفين،و هذا يسبب التنافر بين الحكومه و بين الشعب. و بين جهاز الحكومه و المواطنين.

و لكن إذا سار الحكام على طريقه العداله و المحافظه على حقوق الضعفاء تجد أن روح الأمل قد تولدت فى نفس المظلوم، بل فى نفوس أفراد الرعيه، و ينظر الإنسان من أفراد الشعب إلى جهاز الحكم كما ينظر الولد إلى أبيه، و كما ينظر الطالب إلى المعلم، و كما ينظر المريض إلى الطبيب و الممرض، من حيث المحبه و التقدير. و بهذا يحصل الاستئناس بين أفراد الشعب و بين الطبقه الحاكمه، و يحصل التعاون و الإخاء و الألفه و المحبه و هكذا و هلم جرّاً.

و لو لا رعايه أسلوب الكتاب لطال بنا الكلام حول هذا الموضوع الذى يشعر به أكثر الناس، و تتلهف إليه النفوس.

«و حرّم الشرک إخلاصاً له بالربوبيه» لأن الشرک نوع من الكفر، و الواجب على العباد أن يعبدوا الله مخلصين له الدين.

ثم أنها ختمت هذا الفصل من كلامها بآيات مناسبه للموضوع، و هى قوله تعالى: «فاتقوا الله حق تقاته و لا تموتن إلاّ و أنتم مسلمون».

«و أطيعوا الله فيما أمركم به و نهاكم عنه فإنه «إنما يخشى الله من عباده العلماء».

ثم قالت: أيّها الناس!

اعلموا أنى فاطمةّ!

و أبى محمد.

أقول عَوداً و بدءاً (1).

و لا أقول ما أقول غلطاً، و لا أفعل ما أفعل شططاً (2).

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنّتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم (3).

فإن تعزوه و تعرفوه تجدوه أبى دون نسائكمِ (4).

و أخا ابن عمّى دون رجالكم.

و لنعمِ المعزِىُّ إليهِ (5) (صلى الله عليه و آله و سلم). فبلّغ بالرساله، صادعاً بالنذارهِ (6).

مائلاً عن مدرجه المشركينِ (7).

1- 330. عودا و بدءا: آخرا و اولا.
2- 331. شططا: ظلما و جورا.
3- 332. التوبه: 129.
4- 333. تعروه: تنسبوه.
5- 334. المعزى اليه.
6- 335. صادعا: مظهره: النذاره: الانذار و التخويف.
7- 336. مدرجه المشركين: طريقهم و مسلكهم.

ضارباً ثَبجهمِ (1) ، آخذاً بأكظامهمِ (2) .

داعياً إلى سبيل ربه بالحكمه و الموعظه الحسنه.

يكسر الأصنام.

و ينكت الهامِ (3) .

حتى انهزم الجمع و ولّوا الدبر.

حتى تفرّى الليل عن صبحهِ (4) .

و أسفر الحق عن محضهِ (5) .

و نطق زعيم الدين.

و خرست شقاشق الشياطينِ (6) .

و طاح و شيظ النفاقِ (7) .

و انحلت عُقد الكفر و الشقاقِ (8) .

و فُهتم بكلمه الإخلاصِ (9) .

و نفرٌ من البيض الخِماصِ (10) .

1- 337. الثبج- بفتح الثاء- و الباء-: الكاهل، و وسط الشى ء.
2- 338. الكظم- بفتح الكاف و الظاء-: الفم او الحق او مخرج النفس.
3- 339. نكته على هامته: اذا القاه على راسه.
4- 340. تفرى: انشق.
5- 341. اسفر: اذا انكشف و اضاء. و المحض: الخالص.
6- 342. شقاشق- جمع شقشقه- و هى شى ء يشبه الرئه يخرج من فم البعير اذا هاج يكون بمعنى القديد و هو اللحم المجفف فى الشمس.
7- 343. الوشيظ: الاتباع و الخدم.

8- 344. الشقاق: الخلاف.
9- 345. فهتم: تلفظتم.
10- 346. البيض- جمع ابيض- و الخماص- جمع خميص- و هو الجائع. و فى نسخه: «فى نفر».

و كنتم على شفا حفره من النارِ (1) .

مذقه الشاربِ (2) ، و نهزه الطامعِ (3) .

و قبسه العجلانِ (4) .

و موطئ الأقدام.

تشربون الطرقِ، و تقتاتون القِدَّ و الورقِ (5) .

أذلّةً خاسئين.

تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم.

فأنقذ كم الله تعالى بمحمد (صلى الله عليه و آله و سلم).

بعد اللتيّا و التى.

و بعد أن مُنى بِبُهم الرجالِ. (6) و ذُؤبان العرب.

و مَرَدَه أهل الكتابِ (7) .

1- 347. شفا حفره: جانبها المشرف عليها.
2- 348. المذقه- بضم الميم- شربه من اللبن الممزوج بالماء.
3- 349. النهزه- بضم النون-: الفرصه.
4- 350. قبسه العجلان: الشعله من النار التى ياخذها الرجل العاجل.
5- 351. تقتاتون: تجعلون قوتكم.القد- بكسر القاف-: قطعه-: جلد غير مدبوغ، و يحتمل ان يكون بمعنى القديد و هو اللحم المجفف فى الشمس.
6- 352. منى- فعل ماضى مجهول-: ابتلى. و البهم- على وزن الغرف- جمع بهمه، و هو الشجاع الذى لا يهتدى من اين يوتى.
7- 353. مرده بفتح الميم و الراء و الدال-: جمع مارد و هو العاتى.

كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله.

أو نَجَمِ (1) قرن للشيطان.

أو فَغرثٍ (2) فاغره من المشركين.

قَذف أخاه فی لهواتهِ (3) .

فلا ینکفئ حتی یطأ صِماخها بأخمصهِ (4) .

و یخمد لهبها بسیفهِ (5) .

مکدوداً فی ذات اللهِ (6) .

مجتهداً فی أمر الله.

قریباً من رسول الله.

سیداً فی أولیاء الله.

مُشمّراً ناصحاً، مجدّاً کادحاً (7) .

و أنتم فی رفاهیه من العیشِ (8) .

و ادعون فاکهون آمنونِ (9) .

1- 354. نجم فعل ماضی: طلع. و قرن الشیطان: اتباعه.
2- 355. فغر: فتح. فاغره فاها: ای فاتحه فمها.
3- 356. اللهوات جمع لهاه-: لحمه مشرفه علی الحلق فی اقصی الفم.
4- 357. ینکفی ء: یرجع. یطا: یدوس.صماخها: اذنها. باخمصه: بباطن قدمه.
5- 358. یخمد: یطفی ء. لهبها: اشتعالها.
6- 359. المکدود: المتعب.
7- 360. شمر ثوبه: رفعه. مجد- بضم المیم و کسرالجیم-: مجتهد و الکادح: الساعی.

8- 361. رفاهيه: سعه.
9- 362. مرتاحون. فاكهون: ناعمون.

تتربصون بنا الدوائرِ (1) .

و تتوكفون الأخبارِ (2) .

و تنكصون عند النزالِ (3) .

و تفرّون من القتال.

1- 363. الدوائر: العواقب: العواقب المذمومه و حوادث الايام.
2- 364. تتوكفون: تتوقعون بلوغ الاخبار.
3- 365. تنكصون: ترجعون و تتاخرون. و النزال: القتال.

الى هنا أنهت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) حديثها عن فلسفه الإسلام، و عن علل الشريعه الإسلاميه، ثم عرّجت على كلامها المقصود و هدفها المنشود، و هو المطالبه بحقها و التظلم من السلطه الحاكمه.

و قبل كل شى ء و جّهت الخطاب إلى الشعب الحاضر فى المسجد، فى المؤتمر الإسلامى لأنهم بايعوا رئيس الدوله، و لم توجّه الخطاب إلى رئيس الدوله لأنه هو أحد طرفى المحاكمه، و هو المقصود بالمخاصمه و الإدانه، و لهذا عرّفت نفسها للحاضرين كما هى الأصول المتبعه فى المحاكمات و لأنها الطرف الآخر للمحاكمه، و لأنها تمثّل آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و عترته الطيبين بل هى ملكه الإسلام، و المحاكمه وقعت بمحضر من المهاجرين و الأنصار و غيرهم، و هم يومذاک من الشخصيات الإسلاميه البارزه المرموقه و من الوزن الثقيل.

و موضوع المحاكمه هى الأراضى و المقاطعات التى كانت تحت تصرّف السيده فاطمه الزهراء منذ سنوات، ثم استولى عليها ابوبكر و صادرها بدون مبرر شرعى، و لهذا و جّهت السيده فاطمه الزهراء كلامها إلى الحاضرين فى ذلک المؤتمر، فقالت:

«ايها الناس اعلموانى فاطمه» ذكرت اسمها للمستمعين، ذالک الاسم الذى لايجهله احد، ذلک الاسم الذى سمعه الناس مرارا و تكرارا من فم الرسول الاعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) مشفوعا بالعواطف النبويه،

مقرونا بكل تجليل و تعظيم و تقدير.

و هذه الكلمه: «اعلمو انى فاطمه» تشتمل و تحتوى على عشرات الصفحات من الشرح.«و أبى: محمد (صلى الله عليه و آله و سلم)» هذا النسب الشريف الأرفع، النسب الذى ليس فوقه نسب، النسب الذى هو مفخره الكون، و درّه تاج الوجود، و أشهر من الشمس.

نعم، إن فاطمه هى بنت محمد، سيد الأنبياء، أشرف الخلائق، أطهر الكائنات، أفضل المخلوقين.

نعم، بنت هذا العظيم تتكلم و تخطب. و تحتج و تتظلم.

لقد عرّفت نفسها لئلا يقول قائل: ما عرفناها، و لماذا ما صرّحت باسمها؟ و لماذا لم تعرّف شخصها؟ و لماذا لم تذكر نسبها؟

و بهذا أتمّت الحجه، و لم تُبق لذى مقال مقالاً، ذكرت اسمها الصريح و نسبها الواضح تعريضاً و توبيخاً لهم.

نعم، إن فاطمه بنت محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) جاءت تطالب بحقوقها و أموالها التى صودرت و غصبت منها.

«أقول عوداً و بدءاً» أى أتكلم آخراً و أولاً، و أولاً و آخراً، و أنا على يقين بما أقول.

و فى نسخه: «عَوداً على بدء» و المعنى واحد.

«و لا أقول ما أقول غلطاً» و هو الخطأ فى الكلام من كذب و خديعه و مغالطه.

«و لا أفعل ما أفعل شططاً» لا أتكلم جوراً و ظلماً و تجاوزاً عن الحد.

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم

بالمؤمنين رؤوف رحيم» افتتحت هذا البحث بذكر أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله) و أدمجت كلامها بكلام الله تعالى، و معنى الآيه: إن الرسول من العرب،يشق و يعزّ عليه و قوعكم فى الشدّه لأجله، حريص على توفير وسائل السعاده لكم، بالمؤمنين من هذه الأمه رؤوف رحيم، كلمتان مترادفتان، معناهما العطف و اللطف و الحنان.

«فإن تعزوه و تعرفوه» أى تنسبوه، و تقولوا فيه إنه أبومَن؟ و أخو مَن؟ و فى نسخه: «فإن تعزروه و توقروه» أى تعظموه.

«تجدوه أبى دون نسائكم» نعم، أنا ابنته الوحيده، و هو أبى، و لا تشاركنى نساؤكم فى هذا النسب الطاهر الأعلى.

«و أخا ابن عمى دون رجالكم» نعم، إنه أخو زوجى، و لم يشارک أحد من رجالكم أبى فى الأخوه و ليس المقصود- هنا- أخوّه النسب، بل الأخوّه التى حصلت يوم المؤاخاه حينما آخى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بين أصحابه، آخى بينه و بين علىّ و كان الرسول ينوّه بهذه الأخوه فى شتى المناسبات و مختلف المجالات، و يركّز على كلمه: (أخى) كقوله (صلى الله عليه و آله و سلم): ادعوا لى أخى، و أين أخى؟ و أنت أخى، و إنه أخى فى الدنيا و الآخره.

و كان علىّ (عليه السلام) يعتزّ بهذه الأخوه و المؤاخاه، و يذكرها نظماً و نثراً، و منه قوله (عليه السلام):

أنا أخو المصطفى لا شک فى نسبى

معه ربيت، و سبطاه هما ولدى

و قوله:

محمد النبى أخى و صنوى

و حمزه سيد الشهداء عمى

و قوله:

و مَن حين آخى بين من كان حاضراً

دعانی و آخانی و بیّن من فضلی

ص: 347

و قوله: أنا عبدالله و أخو رسول الله، و أنا الصدّيق الأكبر و الفاروق الأعظم لا يقوله غيرى إلاّ كذابِ (1) .

«و لنعم المعزّى إليه (صلى الله عليه و آله و سلم)» نِعم المنسوب إليه و المنتمى إليه، أنه أشرف من ينتسب إليه، و أطهر من ينتمى إليه، لأنه عله الإيجاد، و بيُمنه رُزق الورى.

«فبلّغ الرساله صادعاً بالنذاره» بلّغ الرسول كل ما أُمر بتبليغه مظهراً بالإنذار و التخويف بعذاب الآخره.

«مائلاً عن مدرجه المشركين» و فى نسخه: «ناكباً عن سنن مدرجه المشركين» أى عدل عن طريقه المشركين و مسلكهم.

«ضارباً ثبجهم» أى كان الرسول ضارباً كواهل المشركين و ظهورهم، و المقصود جهاد الكفار و المشركين.

«آخذاً بأكظامهم» أى ممسكاً على أفواههم، أو مخارج أنفاسهم، و هى كنايه عن إيقافهم عند حدّهم، و إحباط مؤامراتهم، و تفنيد أباطيلهم.

«داعياً إلى سبيل ربه بالحكمه و الموعظه الحسنه» كان يدعو إلى الله، لا إلى الدنيا، إلى سبيل ربه، لا سبيل غيره، و يراعى فى دعوته مستويات الناس، فيدعو بالحكمه و هى المقاله الموضحه للحق و المزيحه للشبهه، هذا بالنسبه للطبقه الواعيه المثقفه، و يدعو بالموعظه الحسنه و هى الخطابات المقنعه للنفوس، و العبر النافعه للحياه، و هذا بالنسبه للطبقه العامه.

و يجادلهم بالتى هى أحسن، و هى أحسن طرق المجادله و التفاهم، و إقامه الأدله و البراهين بالنسبه للمعاندين.

«و يكسر الأصنام» التى كان المشركون يعبدونها و يعتبرونها آلهه من دون الله.

1- 366. راجع كتابنا (على من المهد الى اللحد) للمزيد من المعلومات حول البحث.

«و ينكت الهام» و فى نسخه: «ينكس الهام» إشاره إلى قتال رؤساء الكفر، و أقطاب الشرک و قمعهم و إذلالهم، و هم الذين كانوا يؤججون نيران الحروب، و يثيرون الفتن أمثال: شيبه و عتبه و أبى جهل و نظرائهم، أو إذلال المفسدين و المشاغبين، و فى نسخه: «ينكث الهام» أى يلقى الرجل على رأسه.

«حتى انهزم الجمع و ولّوا الدبر» أى استمر الكفاح و الجهاد سنوات عديده، تتكون خلالها الحروب و الغزوات و الاضطرابات حتى قضى الرسول على أصول الفتن و جراثيم الفساد فانكسرت شوكه الكفار، و ضعفت معنوياتهم، و أخيراً حتى انهزم الجمع، أى جماعه الكفار و أدبروا فارّين.

«حتى تفرّى الليل عن صبحه» حتى انجلت ظلمات الكفر السوداء، و تجلى صبح الإسلام الأبيض الناصع.

«و أسفر الحق عن محضه» أى ارتفعت الحواجز الباطله التى حجبت الحق عن الظهور فأضاء الحق الخالص الذى لا يشوبه شى ء من الباطل، و كلها كنايات عن تجمّع القوى الدينيه.

«و نطق زعيم الدين» تكلم رئيس الدين فيما يتعلق بأمور الدين و أمور المسلمين بكل حريه و صراحه.

«و خرست شقاشق الشياطين» قد ذكرنا فى شرح ألفاظ الخطبه أن الشقاشق- جمع شقشقه- شى ء يشبه الرئه يخرج من فم البعير عند هيجانه، و المقصود من (خرست شقاشق الشياطين) هو تبخّر نشاطات المفسدين، و اختناق أصواتهم.

«و طاح و شيظ النفاق» المقصود سقوط المنافقين عن الاعتبار، و فشل مساعيهم.

«و انحلت عُقَد الكفر و الشقاق» أى فشلت المحاولات و المحالفات و الاتفاقيات التى قام بها الكفار و المخالفون ضد الإسلام و المسلمين كما فى غزوه الأحزاب.

«و فُهتم بكلمه الإخلاص» و تلفظتم بكلمه: (لا إله إلا الله) بألسنتكم.

«فى نفر من البيض الخماص» أى بيض الوجوه من النور، الضامرى البطون من التجوع بسبب الصوم. أو الزهد.

و يمكن أن يكون المقصود من هذين الوصفين أُناساً معيّنين، و هم الصفوه من أصحاب النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أو أهل البيت (عليهم السلام).

«و كنتم على شفا حفره من النار» بسبب الكفر و الشرک بالله العظيم.

ثم أشارت (عليهاالسلام) إلى الحياه الاجتماعيه التى كان الناس يعيشونها فى ذلک الوقت و هى الفوضويه و اختلال النظام، و الهرج الذى كان مستولياً على كافه جوانب الحياه، فقالت: «مذقه الشارب» إذا مرّ الإنسان الضمآن من مكان، و وجد ماءً ليس له مالک، أو له مالک و لكنه لا يستطيع الدفاع و المقاومه فانه فيطمع ذلک الإنسان أن يشرب من ذلک الماء و يبرّد غليله.

«و نهزه الطامع» و هكذا إذا مر الإنسان من مكان و وجد هناک طعاماً لا مالک له، أو مالكه ضعيف فترى الجائع يطمع فى ذلک الطعام. فينتهز الفرصه و يستو فى نصيبه من ذلک الطعام.

«و قبسه العجلان» هى الشعله أو الجذوه من النار يأخذها الرجل المسرع إذا احتاج إليها.

«و موطئ الأقدام» و كنتم أذلاّء، مستضعفين تدوسكم الأقوياء بأقدامها.

«تشربون الطرق» الماء الذى كنتم تشربونه هو الماء المتجمع فى

المستنقعات و الحفائر تدخلها الحيوانات، و تبول فيها الإبل، مع العلم أن النفوس الشريفه تستقذر هذا الماء و تمجّه، و لا ترضى به، و لكنه الجهل، و لكنه الإحساس بالنقص، و الخضوع للمذله و الهوان، كأنهم لم يعرفوا حفر الآبار، أو تفجير العيون، أو إيجاد القنوات تحت الأرض و لا تسأل عن مضاعفات هذه المياه و تلوثها بأنواع الجراثيم و الميكروبات.

هذا و لا تزال الحياه بهذه الصفه موجوده فى بعض البلاد الإسلاميه المتأخره عن ركب الحضاره، كما نقرأ ذلک فى بعض الصحف و المجلات.

«و تقتاتون القدّ و الورق» أى كان قوتكم و طعامكم من القد و هو اللحم أو الجلد اليابس و أوراق الأشجار، فالأراضى الواسعه الشاسعه قاحله جرداء، لا ضرع فيها و لا زرع و مفهوم الزراعه غير موجود عندكم.

«أذّله خاسئين» الخاسئ هو المنبوذ المطرود الذى لا يُترک أن يدنو من الناس لحقارته.

«تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم» إن التفسخ و الانحلال يؤدى إلى اختلال الحياه الاجتماعيه و إلى الفوضويه و فقدان الأمن و الأمان، و سلب القرار و الاستقرار و الطمأنينه فى النفوس، فالقوى يطمع فى الضعيف، و الكثير يأكل القليل، و الغنى يستعبد الفقير، فلا يخاف أحد من القانون، و لا يهاب العقاب،و لا يخشى السلطه.

و نحن نرى أن حوادث الاختطاف و الاغتصاب و الاعتداء إنما تكثر فى البلاد التى لا يطبق فيها القانون على الجميع. و لا ينفذ إلا فى حق الفقير الضعيف فالدماء تراق و الأعراض تهتک، و الأموال تسلب، و الكرامات تُهدر، و هكذا و هلم جرّاً.

و قد اقتبست السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) هذه الآيه من

القرآن و أدمجتها فی حدیثها عن العهد الجاهلی.

«فأنقذکم الله بأبی (محمد) (صلی الله علیه و آله و سلم)» إنه المنقذ الأعظم و المصلح الأکبر الذی أنقذ العباد من تلک الحیاه التی کانت تشبه الجحیم، و أصلح البلاد من تلک المفاسد و الویلات و المصائب و أحدث انقلاباً فی العقائد و النفوس و الأخلاق و العادات.

و لم تتحقق أهدافه إلا:

«بعد اللتیّا و التی» هذه الکلمه صارت مثلاً فی هذه المناسبه، أی استطاع الرسول الأعظم (صلی الله علیه و آله و سلم) أن یطهر المجتمع، و ینقذ الناس من مصائب الجاهلیه بعد شق الأنفس، بعد أن تحمّل المشاکل و أنواع الأذی، بعد الضغط و الکبت و الاضطهاد.

«و بعد أن مُنی بِبُهم الرجال» استطاع الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) إنقاذ الناس بعد أن ابتلی بالرجال الأقویاء، و الأبطال الشجعان الذین أججوا نیران الحروب، و حاربوا رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) بکل ما یملکون من حول و قوه و هم أکثر عدداً من المسلمین، و أکثر عدّه و عتاداً.

«و ذُؤبان العرب» إن الإنسان إذا تجرّد عن الإنسانیه و الأخلاق و الفضیله فانه ینزل إلی مرتبه الحیوانات، فإذا فقد الفهم و العلم فإنه یُشبَّه بالحمار، و إذا فقد العاطفه و الرأفه فإنه یُشبَّه بالسباع و الحیوانات المفترسه، فیصح أن یقال فی حقه: إنه ذئب.

و هکذا أولئک السفاکون الذین کانوا یستأنسون بالمذابح و المجازر التی کانوا هم السبب فی تکوینها، أولئک الذین کانت هو ایاتهم إثاره الفتن

و إيجاد الاضطرابات، أمثال أبى جهل و أبى سفيان و من يدور فى فلكهما،

و قيل: المقصود من الذؤبان- هنا- اللصوص و الصعاليک، أى السفله من الناس الساقطين.

ابتلى الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) بهؤلاء المفسدين، ابدءً من غزوه بدر إلى غزوه أحد إلى الخندق إلى حنين و غيرها، تجد هؤلاء المفسدين كانوا فى طليعه أسباب الفتنه و الاضطرابات و المشاغبات، و حتى الحروب التى خاضها المسلمون مع اليهود كان هؤلاء هم السبب فى إثارتها.

«و مرده أهل الكتاب» إشاره إلى الحروب التى شبّ اليهود و النصارى نيرانها، أمثال: بنى النضير، و بنى قريظه و بنى قينقاع، و بنى الأصفر فى مؤته؛

إن أهل الكتاب- و هم اليهود و النصارى- لو كانوا يتبعون الكتاب السماوى الذى أنزل عليهم لما حاربوا الرسول؛ بل كانوا يسلمون على يديه فى المرحله الأولى، لأن أوصاف الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) مذكوره فى كتبهم، و كان من السهل عليهم المقارنه بين تلک الصفات و العلائم و بين الرسول، و عند ذلک كانوا يجدون تلک الصفات تنطبق على الرسول مائه بالمائه، و لكن مرده أهل الكتاب و هم العتاه المتجبرون الذين منعهم الكبرياء من الخضوع للحق استمروا على عتّوهم و عنادهم و جحودهم.

«كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله» كانوا يحيكون المؤامرات ضد الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و يجمعون الجيوش و العساكر و يحضّون القبائل و العشائر على محاربه الرسول، فكانت المساعى فاشله، و كان الانتصار و الغلبه و الظفر حليفاً للرسول.

و لو استعرضنا تاريخ حياه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) منذ

البعثه حتى الوفاه لظهر لنا جانب كبير من إحباط المؤامرات و الفشل الذريع الذى أحاط بأعداء الرسول.

«أو نَجَم قرن للشيطان» لو انكسر قرن الحيوان نبت له قرن آخر، و تقول السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام): إذا نهض أحد المفسدين للقيام بالأعمال الشيطانيه، و هى المعاكسات و المقاومات التى كانت المشركون يقومون بها ضد رسول الله

هذه الجمله على جمله: «كلما أوقدوا» أى كلما نجم قرن للشيطان أو «فغرت فاغره» أو فتحت حيه الكفر فمها لتلسع و تلدغ المجتمع الإسلامى.

«قذف أخاه فى لهواتها» أى كان الرسول يقضى على تلك النشاطات الجهنميه، و النعرات الشيطانيه، يقضى عليها بأخيه علىّ بن أبى طالب (عليه السلام).

كان الرسول يأمر عليهاً أن يردّ عنه كتائب المشركين و عصابات المنافقين فكان علىّ (عليه السلام) يخاطر بحياته، و يغامر بنفسه، و يستقبل أولئک الذئاب المفترسه، كان يقاتلهم وحده، و يخوض غمار الحرب، فيصح التعبير بقولها: «قذف أخاه فى لهواتها» فى فم الموت بين أنياب السباع تحت سيوف الأعداء، و الرماح الشارعه و السهام الجارحه.

«فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه» لا يرجع علىّ (عليه السلام) من جبهه القتال حتى يسحق رؤوس الأعداء، و يدوس هامات الرؤساء بباطن قدمه، كالمصارع الذى ينزل إلى ساحه المصارعه فإذا تغلّب على خصمه و صرعه فلا بدّ من أن يلصق المصارع ظهر خصمه أو رأسه على الأرض ليثبت أنه أنهى المصارعه بأوفى صوره.

كذلک علىّ (عليه السلام) كان يهرول نحو الأعداء لا يعرف معنى

الخوف، و كأنه مستميت، و كأنّ غريزه الحياه قد سُلبت عنه، و بيده صحيفه يقطر منها الموت، تراها راكعه ساجده، على الرؤوس، و الخواصر و كان يقدّ الأبدان نصفين طولاً أو عرضاً، و يفرى و يكسر و يهشم فى طرفه عين، و قبل أن تنفجر الدماء من العروق كانت العمليه قد انتهت.

«و يخمد لهبها بسيفه» كان يقضى على جراثيم الفساد، و يقلع الأشواک عن طريق المجتمع البشرى، و يطفئ لهيب الحروب بسيفه السماوى، و يمهّد الطريق لكلمه: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

«مكدوداً فى ذات الله» قد أخذ التعب و العناء منه كل مأخذ، كل ذلک لله و فى الله و لوجه الله و فى سبيل الله.

«مجتهداً فى أمر الله» المجتهد- فى اللغه- الذى يجهد نفسه أى يتعبها، كان علىّ (عليه السلام) يبذل ما فى وسعه و طاقته و جميع إمكانياته لتحقيق أهدافه الساميه، و تحصيل أمنياته، و هى إعلاء كلمه الله.

«قريباً من رسول الله» ليس المقصود القرب المكانى، بل القرب المعنوى، من حيث قرابه النسب، و انسجام الروح، و اندماج النفس و اتحاد الاتجاه، و وحده النفس، فعلىّ (عليه السلام) نفس الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) بنص القرآن الكريم بقوله تعالى: «و أنفسنا و أنفسكم» و هل هناک قرابه أو نسب أقوى من هذا؟

«سيداً فى أولياء الله» و فى نسخه: «سيد أولياء الله» فيكون المقصود هو رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

«مشمّراً ناصحاً، مجدّاً كادحاً» هكذا تصف السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) زوجها العظيم، كأنه يشمّر عن ثيابه نشاطاً و استعداداً للعمل للإسلام و لصالح الإسلام، فى سبيل إسعاد المسلمين. و بذل النصح، و هو حب الخير لهم، كان مجداً فى العمل، ساعياً فيه، لا يمنعه التعب عن

استمرار العمل.

نعم، كانت حياه الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) كلها جهوداً و جهاداً، و نشاطاً و إنتاجاً و إنجازاً و خدمه للإسلام و المسلمين، فمواقفه فى جبهات القتال مشهوره، و أعماله الفدائيه فى سبيل الإسلام مذكوره، و تفانيه و تضحياته فى سبيل الله معروفه.

«و أنتم فى رفاهيه من العيش و ادعون فاكهون آمنون» كان علىّ (عليه السلام) يستقبل الأخطار و الأهوال فى الوقت الذى كان المسلمون بعيدين عن تلک الأخطار، مشغولين بأنفسهم يتمتعون بالراحه، و يتفكرون فى تحصيل الملذات، و إشباع الرغبات، لا يعرفون معنى الخوف.

أين كان المسلمون ليله المبيت؟ تلک الليله التى طوّق المشركون دار رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و هم يريدون الهجوم عليه ليقتلوه؟ أما بات علىّ (عليه السلام) على فراش رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يفديه بنفسه و حياته و شبابه.

أين كان المسلمون يوم أحد حين انهزموا و تركوا الرسول فى جبهه القتال، تحمل عليه عصابات الكفار و المشركين؟ و بقى علىّ (عليه السلام) يقاوم الأعداء حتى ضرب الرقم القياسى فى المواساه و التضحيه، حتى هتف جبرئيل بفُتَّوته و بسالته يوم هتف بين الأرض و السماء: لا فتى إلا علىّ و لا سيف إلا ذو الفقار.

و هكذا يوم حُنين، و هكذا يوم الخندق، و هكذا يوم خيبر. و هكذا هلم جراً.

قال علىّ (عليه السلام): «و لقد واسيته بنفسى فى المواطن التى تنكص فيها الابطال، و تتاخر فيها الأقدام، نجده أكرمنى الله بها...».

«تتربصون بنا الدوائر» كان بعض أولئک الأفراد مندسين فى صفوف

المسلمين يتوقعون هلاک الرسول، و ينتظرون نزول المکاره و حلول الکوارث، برسول الله، و الدوائر و صروف الزمان، و العواقب السيئه، و تحوّل النعمه و زوالها و نزول البلاء.

«و تتوکفون الأخبار» تتوقعون وصول الأخبار داله على هلاکنا.

«و تنکصون عند النزال، و تفرون من القتال» ففى يوم أُحد کانت المأساه من فرار المسلمين، و يوم حُنين کانت الفضيحه و يوم خيبر کان العار منطبعاً على جبهات المنهزمين،

و لا تسأل عن يوم الخندق حين استولى الرعب على القلوب، و الفزع على النفوس حينما برز عمرو بن عبد ودّ، فکفى الله المؤمنين القتال بعلى (عليه السلام).

هذا و لو أردنا استعراض الأحداث التاريخيه بهذا الشأن لطال بنا الکلام و خرج الکتاب عن أسلوبه.

و خلاصه القول هذا موقف علىّ (عليه السلام) تجاه الإسلام و الرسول، و هذه مواقف غيره من أولئک الشخصيات التى ظهرت شجاعتهم بعد وفاه الرسول! و برزت مواهبهم حين خلا لهم الجو، و ساعدتهم الظروف على ما يحبون!.

فلّما اختار الله لنبيّه (صلى الله عليه و آله و سلم) دار أنبيائه.

و مأوى أصفيائه.

ظهر فيكم حسكه النفاقِ (1) .

و سمل جلباب الدينِ (2) .

و نطق كاظم الغاوينِ (3) .

و نَبَغَ خامل الأقلِّينِ (4) .

و هدَرَ فنيق المبطلينِ (5) .

فخطر فى عرصاتكمِ (6) .

و أطلع الشيطان رأسه من مغرزهِ (7) هاتفاً بكم.

فألفا كم لدعوته مستجيبين.

و للغرّه فيه ملاحظينِ (8) .

1- 367. الحسكه و الحسكيه: الشوكه.
2- 368. سمل الثوب: صارخلقا. و الجباب. ثوب واسع.
3- 369. كاظم الغاوين:الساكت الضال الجاهل.
4- 370. ظهر من خفى صوته و اسمه من الاذلاء.
5- 371. هدر البعير: ردد صوته فى حنجرته. الفهل من الابل.
6- 372. خطر: اذا حرک ذنبه.
7- 373. المغرز- بكسر الراء-: ما يختفى فيه.
8- 374. الغره- بكسرالغين- الانخداع. و ملاحظين:ناظرين و مراعين.

ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً.

و أحمشكم فألفا كم غضابا (1) .

فوسمتم غير إبلكمِ (2) .

و أوردتم غير شربكمِ (3) .

هذا و العهد قريب.

و الكلم رحيبِ (4) .

و الجرح لمّا يندملِ (5) .

و الرسول لمّا يُقبَرِ (6) .

ابتداراً زعمتم خوف الفتنهِ (7) .

ألا فى الفتنه سقطوا و إن جهنَّم لمحيطه بالكافرين.

فهيهات منكم !

و كيف بكم ؟

و أنَّى تؤفكونِ (8) .

و كتاب الله بين أظهركم.

أُموره ظاهره.

1- 375. احمشكم: اغضبكم.
2- 376. الوسم: الكى، وسمه: كواه.
3- 377. الشرب- بكسر الشين-: النصيب من الماء.
4- 378. الكلم: الجرح. و رحيب: واسع.
5- 379. اندمل: تراجع الى البرء.

6- 380. یقبر: یدفن.
7- 381. ابتدارا: معاجله.
8- 382. توفکون: ای تصرفون.

و أحكامه زاهره.

و أعلامه باهره.

و زواجره لائحه.

و أوامره واضحه.

و قد خلَّفتموه وراء ظهوركم.

أرَغبةً عنه تريدون؟

أم بغيره تحكمون؟

بئس للظالمين بدلاً.

و مَن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو فى الآخره من الخاسرين.

ثم لم تلبثوا إلاّ ريث أن تسكن نفرتها (1) .

و يسلس قيادها (2) .

ثم أخذتم تورون و قدتها، و تُهيّجون جمرتها (3) .

و تستجيبون لهتاف الشيطان الغوىّ.

و إطفاء أنوار الدين الجلى.

و إخماد سنن النبى الصفى.

تسرّون حسواً فى ارتغاء (4) .

و تمشون لأهله و وُلده فى الخَمَر و الضرَّاءِ (5) .

1- 383. ريث: قدر.

2- 384. یسلس: یسهل.
3- 385. تورون: تخرجون نارها.تهیجون: تثیرون.
4- 386. یاتی المعنی فی شرح الخطبه.
5- 387. الخمر- بفتح الخاء و المیم-: ما یسترک من الشجر و غیره.

و نصبر منكم على مثل حزّ المدىِ (1) .

و وخز السنان فى الحشىِ (2) .

و أنتم- الآن- تزعمون أن لا إرث لنا.

أفحكم الجاهليه يبغون؟

و مَن أحسنُ من الله حكماً لقوم يوقنون؟

أفلا تعلمون؟ بلى تجلّى لكم كالشمس الضاحيه أنى ابنته.

أيها المسلمون! أأُغلب على إرثيه.

1- 388. المدى- بضم الميم- جمع مديه و هى الشفره.
2- 389. الوخز: الطعن. و السنان: راس الرمح.

ثم انتلقت الى التحدث عن فتره الانقلاب الذى قام به الافراد بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) فقالت:

«فلما اختار الله لنبيه (صلى الله عليه و آله و سلم) دار أنبيائه».

ما أروع هذه الكلمه!

و ما أحسن هذا التعبير الراقى!

إذ أنها ما قالت: فلما مات النبى. بل قالت: «فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه» و هى الدرجات العلا فى الجنه، فهناک الأنبياء، و هناک «مأوى أصفيائه».

«ظهرت فيكم حسيكه النفاق» و فى نسخه: «حسكيه» و هى الشوكه، و يراد بها العداوه و هى عداوه النفاق، أى العداوه الحاصله بسبب النفاق.

«و سمل جلباب الدين» و فى نسخه: «أسمل» و فى بعض النسخ: «جلباب الإسلام» أى ظهرت آثار الاندراس على ثياب الإسلام، بعد أن كانت فى غايه الحسن و الجمال و الطراوه.

«و نطق كاظم الغاوين» و فى نسخه: «فنطق كاظم، و نبغ خامل» أى تكلم الذى ما كان يتجرأ أن يتكلم من جهه الخوف.

«و نبغ خامل الأقلّين» و فى نسخه: «الآفلين» و المقصود بروز الأفراد الساقطين غير النابهين.

«و هدر فنيق المبطلين» و فى نسخه: «فنيق الكفر» أى رفع البعير- الفحل الذى لا يركب- صوته.

«فخطر فى عرصاتكم» أى مشى ذلک البعير مشيه المعجب بنفسه، مشيه الكبرياء و الغرور و كلها كنايات عن ظهور النفاق الكامن فى الصدور، و بروز النزعات و الاتجاهات التى كانت مختفيه فى عصر الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و انقلاب الضعفاء العجزه أقوياء.

«و أطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم» تعتبر السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام). تلک الأحداث نوعاً من التجاوب مع الشيطان الرجيم الذى حلف بقوله: «لأغوينهم أجمعين إلاّ عبادک منهم المخلصين» فالشيطان الذى كان فاشلاً فى عهد الرسول يوم كان الإسلام فى التقدم والقوه، الشيطان أخرج رأسه بعد أن كان مختفياً، أخرج رأسه كالقنفذ الذى يخرج رأسه عند زوال الخوف، وهتف بكم و دعاكم إلى نقض البيعه التى تمت يوم الغدير، و سلب الحقوق عن أهلها و أصحابها الشرعيين.

«فألفاكم لدعوته مستجيبين» و فى نسخه: «فوجدكم لدعوته التى دعا إليها مجيبين»أى حينما هتف بكم الشيطان وجدكم كما يجب، و صدق عليكم ظنه.

«و للغرّه فيه ملاحظين» أى وجد الشيطان فيكم تجاوباً شديداً، و قبولاً للانخداع كالإنسان الذى يقبل كل شى ء يقال له، و يعمل كل شى ء يؤمر به، بلا تفكر و لا تعقّل فى الأمور.

«ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً» أمركم بالقيام به فوجدكم مسرعين دون تثاقل.

و أحمشكم فألفاكم غضاباً» و فى نسخه: «فوجدكم غضاباً» أى

حملكم على الغضب، و حرّضكم عليه فوجدكم تغضبون لغضبه، أو تندفعون نحو الغضب على حسابه و لمصلحته، و المقصود: وجدكم الشيطان منقادين لأوامره، مطيعين له فى كل الأحوال.

«فوسمتم غير إبلكم» فكانت النتيجه أنكم عملتم ما لا يجوز لكم أن تفعلوه، و انتخبتم من ليس بأهل الانتخاب، و أعطيتم مقاليد الأمور غير أهلها، و خوّلتم القياده إلى غير أكفائها.

«و أوردتم غير شربكم» و فى نسخه: «و أوردتموها شرباً ليس لكم» كالراعى الذى ينزل إبله فى عين ماء ليست له، و المقصود إنكم أخذتم ما ليس لكم بحق من الخلافه، و المراد التصرفات الشاذه التى قام بها الناس فى تعيين الخليفه، و صرف الخلافه عن أهلها و أصحابها الشرعيين، لأن هذه التصرفات ليست من حق الناس، بل هى حق خاص لله سبحانه.

«هذا و العهد قريب» حَدَث كل هذا التغيير و الحال أن العهد قريب، أى لم يمضِ زمن بعيد عن أيام الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) إذ من الممكن أن الدين يتغير، أو المسلمين ينسون الأوامر و التعاليم بسبب مرور الزمان، و لكن- هنا- ليس الأمر كذلک فإنه لم يمضِ على وفاه الرسول أسبوعان.

«و الكلم رحيب» و جراحه القلب بسبب وفاه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لا يزال فمها واسعاً، و هذا تعبير عن سعه الجراحه، و المقصود عِظَم المصيبه، و فظاعه الخطب.

«و الجرح لما يندمل» أى لم يلتئم جرح مصاب وفاه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم).

«و الرسول لما يقبر» أى ظهرت بوادر الانقلاب قبل دفن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، بل فى تلک الساعات التى كان على (عليه السلام)

يغسّل الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و يكفنه، فاجتمعتم و صنعتم ما صنعتم.«ابتداراً زعمتم خوف الفتنه» و فى نسخه: «بداراً» أى أسرعتم إلى تلک الأعمال بكل استعجال، و تزعمون أنكم إنما فعلتم ما فعلتم وقايه عن وقوع الفتنه، و معنى زعم: ادّعى شيئاً و هو يعلم كذبه، و معنى- زعمتم- هنا-: ادّعيتم أنكم فعلتم تلک الأفعال لئلا تقع الفتنه، و كنتم تعلمون أنكم كاذبون فى هذا الإ دعاء.

«ألا فى الفتنه سقطوا و أن جهنم لمحيطه بالكافرين» الفتنه أنتم، و أنتم الفتنه، و عملكم هو الفتنه المفسده، غصبتم الحقوق عن أهلها لأجل الوقايه من الفتنه حسب ادعائكم، و أىّ محنه أعظم من تغيير مجرى الإسلام، و تبديل أحكامه، و غصب حقوق أهل البيت، و معاملتهم بتلک القسوه و الخشونه؟؟

و كان من المناسب أن تقول السيده فاطمه: إلا فى الفتنه سقطتم. و لكنها ذكرت الآيه الشريفه كما هى.

«فهيهات منكم» كلمه: «هيهات» معناها البُعد، و كأنّها تستبعد تلک الأعمال منهم استبعاداً ممزوجاً بالتعجب من أنهم كيف أقدموا على تلک الأعمال، و مَن الذى يصدّق أن تلک الحثاله من الناس يقومون بتلک الجرائم العظيمه بالرغم من تصريح القرآن، و تصريحات الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) و توصياته فى حق عترته و أهل بيته؟

«و كيف بكم؟!» تتعجب السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) من ذلک التبدل فى العقائد و السلوک أى كيف فعلتم هذه الأعمال؟ و كيف تليق بكم تلک الجنايات؟!

«و أنّى تؤفكون» أى إلى أين صَرَفكم الشيطان عن طريقتكم المثلى، وحدا بكم إلى هذه الأعمال.

«و كتاب الله بين أظهركم» أى و الحال أن القرآن لا يزال موجوداً فيما بينكم، محفوفاً بكم، و فى نسخه: «و كتاب الله- عز و جل- بين أظهركم، قائمه فرائضه، واضحه دلائله، نيّره شرائعه».

«أُموره ظاهره» أى لا يوجد فى القرآن ما يوجب الشک و الارتياب، لأن أموره ظاهره. «و أحكامه زاهره» متلألئه مشرقه.

«و أعلامه باهره» أى العلامات التى يستدل بها على القرآن غالبه النور و الضياء.

«و زواجره لائحه» أى نواهيه التى تزجركم عن اتباع الهوى واضحه.

«و أوامره واضحه» الأوامر التى تأمركم بإطاعتنا، و تعلّم الأحكام منا، و الانقياد لنا ظاهره.

«و قد خلّفتموه وراء ظهوركم» يا للأسف! إن القرآن الموصوف بهذه الأوصاف صار اليوم منبوذاً وراء ظهوركم، لا تعملون به و لا تأخذون بقوله.

«أرَغبه عنه تريدون؟» هذا استفهام توبيخى، لأن الإنسان إذا ألقى الشى ء وراءه فمعناه أنه لا يرغب إليه لهذا يدبر عنه.

تقول (عليهاالسلام) كأنكم رفضتم العمل بالقرآن، أو لا يعجبكم القرآن أى أحكامه التى تزاحم هو اياتكم و أهدافكم.

«أم بغيره تحكمون؟» أى تحكمون بغير القرآن من القوانين؟ إذ القرآن لا يصلح للعمل عندكم؟

«بئس للظالمين بدلاً» بئس ذلک البدل الذى أخذتم به بدل القرآن،

و هو الحكم الباطل.

«ثم لم تلبثوا إلاّ ريث أن تسكن نفرتها و يسلس قيادها» و هنا شبهت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) الفتنه بالناقه أو الدابه الشارده التى يصعب قيادها، أى الاستيلاء عليها بالركوب تقول (عليهاالسلام) بعد استيلائكم على المقام الأسمى الأرفع الأعلى و هو مقام الخلافه لم تلبثوا حتى استتمت لكم الأمور، وهدأ الاضطراب ثم شرعتم بالأعمال التخريبيه.

«ثم أخذتم تورون و قدتها، و تهيجون جمرتها» أى شرعتم بإثاره الفتن كالذى ينفخ فى الجمره حتى تلتهب، أو يحرک الجمره حتى تشتعل و تظهر نارها، و تحرق الرطب و اليابس، و المقصود من ذلک تلک المآسى التى قام بها أولئک الأفراد من سلب الإمكانيات من أميرالمؤمنين (عليه السلام) و هجومهم على الدار، و ما جرى على السيده فاطمه و زوجها و ولديها، ثم مصادره أملاكها و منعها عن الخمس و الفى ء، و غير ذلک مما ذكره المؤرخون و ما لم يذكروه...

و خلاصه القول: أنكم قمتم بجرائم متسلسله و متعدده، بعضها أفجع و أفظع من بعض.

«و تستجيبون لهتاف الشيطان الغوى» لأن الشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، و يحدثنا القرآن الكريم عن كلام الشيطان الغوى: «و ما كان لى عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لى» (1) نعم إن الأعمال التى قامت بها رجال السلطه ضد آل الرسول لم تكن إجابه و استجابه لله و لرسوله، بل كانت استجابه للشيطان الغوى، و قد تقدم كلام

1- 390. ابراهيم: 22.

شبیه بهذا فیما سبق.

«و إطفاء أنوار الدین الجلی» للدین الإسلامی أنوار یهتدی بها الناس، و هی محاسن الأحکام و القوانین الروحانیه التی یتمتع بها الدین، و یسعون لإطفاء تلک الأنوار.

«و إخماد سنن النبی الصفی» و فی نسخه: «إهماد» أی القضاء علی طریقه الرسول و هنا تشبیه السنه النبویه بالنور، و تشبیه القضاء علیه بالإخماد.

«تسرّون حسواً فی ارتغاء» هذه الجمله تشیر إلی قضیه معروفه و هی إن اللبن- حینما یُحلب تعلوه رغوه فیأتی الرجل فیُظهر أنه یرید شرب الرغوه فقط، و لکنه یشرب الماء سراً، و بهذا یضرب المثل لمن یدّعی شیئاً و یرید غیره.

فهو یشرب اللبن سراً و لکنه یدعی أنه یحسو الرغوه، فیقال: فلان یسرّ حسواً فی ارتغاء. و الارتغاء شرب الرغوه.

هکذا تخبر السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) عن الهدف الحقیقی لهؤلاء، أنهم یدّعون شیئاً و لکنهم یریدون شیئاً آخر، یدّعون الوقایه من وقوع الفتنه و لکنهم یریدون غلق بیت آل محمد، و القضاء علی کیان أهل البیت.

«و تمشون لأهله و وُلده فی السراء و الضراء» و فی نسخه: «فی الخَمَر و الضراء» و الخَمَر- بفتح الخاء و المیم- هو ما یسترک من الشجر و غیره، و الضراء- بفتح الضاد و تخفیف الراء-: الشجر الملتف، أو الأرض المنخفضه، و المقصود: أنکم تؤذون أهل رسول الله و أولاده بالمکر و الخدیعه و بصوره سریه غیر مکشوفه، و لهذه الغایه قطعتم عنهم موارد الرزق لیکونوا فقراء ضعفاء مسلوبی الإمکانیات کی لا یمیل إلیهم أحد.

«و نصبر منكم على مثل حزّ المدى» نحن نصبر منكم على الأذى و المكاره التى تصلنا منكم كمن يصبر على تقطع أعضائه بالسكين.

«و وخز السنان فى الحشى» و مثل مَن طعنوه بسنان الرمح فى أحشائه، أى ليست القضيه سهله حتى يمكن التغاضى عنها و التناسى، بل هى مأساه كبيره، و جريمه عظيمه.

«و أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا» و بعد هذا كله لتبرير موقفكم العدائى، و تغطيه أعمالكم تزعمون أى تدّعون كذباً: أن لا إرث لنا من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) تنكرون أهم الأمور و أوضح الأشياء فى الدين الإسلامى، و هو قانون الوراثه فى القرآن و السنه.

«أفحكم الجاهليه يبغون» و فى نسخه: «تبغون» أدمجت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) هذه الآيه فى حديثها كما هى عادتها بسبب استئناسها بتلاوه القرآن، تقول: إن إنكار الوراثه ليس فى الحكم الإسلامى، فهل أعجبكم أن تحكموا بأحكام الجاهليه التى كانت تبعاً للأهواء الفرديه، منبعثه عن أغراض شخصيه، و هى حرمان البنات من الإرث، و تخصيص الإرث للذكور فقط.

«و من أحسن من الله حكما لقوم يوقنون» آيه أخرى أدمجتها فى حديثها، و هل يوجد حكم أو قانون أحسن من الحكم الصادر من الله تعالى عند الذين يوقنون بالله الحكيم؟ و يعتقدون بالإسلام؟

أليس القانون الإسلامى قد قضى على قوانين الجاهليه؟ فجعل الإرث للبنات و البنين؟

«بلى، تجلّى لكم كالشمس الضاحيه إنى ابنته» بلى.. الأمر واضح عندكم كالشمس التى تظهر فى ضحوه النهار، فى سماء صافيه لا سحاب فيها و لا ضباب، هكذا اتضح عندكم أنى ابنته قطعاً و بلا شک.

«أفلا تعلمون؟» هذه الأمور و هذه الحقائق؟ أو أفلا تعلمون أنى ابنته.

«أيها المسلمون» الحاضرون المستمعون إلى خطابى، يا من رشحتم أبابكر للخلافه !يا أمه محمد أنا بنت محمد، أنا ابنه رسول الإسلام.

«ءأُغلب على إرثيه» يغلبوننى على أخذ إرثى و حقى؟ و فى نسخه: «أأُبتزّ إرث أبيه» أيسلبوننى إرث أبى؟ و الهاء- هنا- للوقف و السكون.

ص: 370

يا ابن أبى قحافه!

أفى كتاب الله أن ترث أباک و لا أرث أبى؟؟

لقد جئت شيئاً فرّياً!! (1) .

أفعلى عمد تركتم كتاب الله و نبذتموه وراء ظهوركم؟

إذ يقول:

«و ورث سليمان داود» (2) .

و قال- فيما اقتص من خبر زكريا- إذ قال:

«فهب لى من لدنک وليّاً يرثنى و يرث من آل يعقوب» (3) .

و قال:

«و أُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله» (4) . و قال:

«ان ترک خيرا الوصيه للوالدين و الاقربين بالمعروف حقا على المتقين». (5) .

1- 391. فريا: امرا عظيما او منكرا قبيها.
2- 392. النمل: 16.
3- 393. مريم: 19.
4- 394. الانفال 75.
5- 395. البقره 180.

و زعمتم أن لا حظوه لی؟ (1) .

و لا إرث من أبی!

أفخصّکم الله بآیه أخرج أبی منها؟

أم تقولون: إن أهل ملتین لا یتوارثان؟

أوَلست أنا و أبی من أهل ملَّه واحده؟

أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه من أبی و ابن عمی؟

فدونکها مخطومه مرحولهِ (2) .

تلقاک یوم حشرک.

فَنِعم الحَکَم الله.

و الزعیم محمد.

و الموعد القیامه.

و عند الساعه یخسر المبطلون.

و لا ینفعکم إذ تندمون.

و لکل نبأ مستقر، فسوف تعلمون من یأتیه عذاب یُخزیه، و یحلّ علیه عذاب مقیم. ثم رَمَتْ بِطَرفها نحو الأنصار فقالت:

یا معشر النقیبه.

و أعضاد الملَّه.

و حَضَنَه الإسلامِ (3) .

1- 396. الحظوه: النصيب.
2- 397. ناقه مخطومه و مرحوله، الخطام- بكسر الخلاء- الزمام و مرحوله من الرحل و هو للناقه كالسرج للفرس.
3- 398. حضنه: جمع حاضن بمعنى الحافظ.

ما هذه الغَميزه فی حقی؟ (1) .

و السِّنَه عن ظلامتی؟

أما کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أبی یقول:

«المرء یُحفظ فی وُلده»؟

سرعان ما أحدثتم.

و عجلان ذا إهاله.

ولکم طاقه بما أُحاول.

و قوه علی ما أطلب و أُزاولِ (2) .

أتقولون: مات محمد (صلی الله علیه و آله و سلم).

فخطب جلیل.

استوسع و هنهِ (3) .

واستنهر فتقهِ (4) .

و انفتق رتقه.

و أظلمت الأرض لغیبته.

و کسفت النجوم لمصیبته.

و أکدت الآمالِ (5) .

و خشعت الجبال.

و أُضیع الحریمِ (6) .

1- 399. الغميزه الضعف او الغفله.
2- 400. ازوال: اقصد.
3- 401. استوسع و هنه: اتسع غايه الاتساع و هنه و فی نسخه:و هيه ای شقه و خرفه.
4- 402. كالمعنی المتقدم.
5- 403. اكدت: انقطعت.
6- 404. الحريم: ما يحميه الرجل و يقاتل عنه.

و أُزيلت الحرمه عند مماته.

فتلک- و الله- النازله الکبریِ (1) .

و المصیبه العظمی.

لا مثلها نازله.

و لا بائقه عاجلهِ (2) .

أعلن بها کتاب الله- جلّ ثناؤُه- فی أفنیتکمِ (3) .

فی ممساکم و مصبحکم.

هتافاً و صراخاً.

و تلاوه و ألحاناً.

و لَقبلَه ما حلَّ بأنبیائه و رُسله.

حکم فصل، و قضاء حتم.

«و ما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن ماتٍ أو قتل انقلبتم علی أعقابکم و من ینقلب علی عقبیه فلن یضرّ الله شیئاً و سیجزی الله الشاکرین» (4) .

1- 405. النازله: الشدیده.
2- 406. البائقه: الداهیه.
3- 407. افنیتکم: جمع فناء-بکسر الفاء- جوانب الدار من الخارج او العرصه المتسعه امام الدار.
4- 408. آل عمران: 144.

«يا بن أبى قحافه» هنا وجّهت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) خطابها إلى رئيس الدوله، و لم تقل له: يا خليفه رسول الله لأن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يستخلفه، و لم تخاطبه بالكنيه «يا أبابكر» لأنه تعظيم له، و إنما قالت له: يا بن أبى قحافه. و سيتضح لک وجه هذا النسب، فى المستقبل فى شرح كلماتها مع زوجها أميرالمؤمنين (عليه السلام).

«أفى كتاب الله أن ترث أباک و لا أرث أبى؟» بأى قانون ترث أباک إذا مات و لا أرث أبى إذا مات؟؟ هل تعتمد على كتاب الله فى منعى عن إرث أبى؟

«لقد جئت شيئاً فرياً» لقد جئتَ بافتراء عظيم، و كذب مختلق على القرآن.

لقد ذكرنا- فيما مضى- أن السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) كانت تستحق فدكاً عن طريق النحله و عن طريق الإرث، فلما طالبت بفدک عن طريق النحله و أقامت الشهود على ذلک صنعوا ما صنعوا و الآن جاءت تطالب بفدک عن طريق الميراث.

«أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله و نبذتموه وراء ظهوركم» أليس هذا القرآن موجوداً عندكم؟ فلماذا تركتم العمل به و طرحتموه وراءكم؟

«إذ يقول: و ورث سليمان داود» أليس هذا تصريحاً بقانون التوارث و الوراثه بين الأنبياء؟ أما كان سليمان و ابنه داود من الأنبياء؟

إن السيده فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فهمت من الآيه أن معنى: «و ورث سليمان داود» هو إرث المال، و هكذا فهم أبوبكر و هكذا جميع المسلمين الحاضرين يومذاک و هم يستمعون إلى كلام السيده فاطمه، هؤلاء كلهم قد فهموا أن المقصود من الإرث فى هذه الآيه هو إرث المال، و معنى ذلک أن سليمان ورث أموال أبيه داود، و لم يفهموا غير هذا.

و هكذا الكلام فى قوله تعالى- فيما اقتص من خبر زكريا-: «فهب لى من لدنک ولیّاً يرثنى و يرث من آل يعقوب» إن زكريا (عليه السلام) سأل الله تعالى أن يرزقه ولداً يرثه المال.

و لكن بعد قرون عديده جاء المدافعون عن السلطه، فقالوا: فى تفسير الآيتين: ورث سليمان داود العلم لا المال، و هكذا: ولياً يرثنى العلم لا المال، و هم يقصدون بهذا التفسير تأييد الذين حرموا السيده فاطمه من ميراث أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم).

و لا بأس أن نتحدث- بما تيسر- حول الآيتين لعلنا نصل إلى نتيجه مطلوبه:

أولاً: لفظ الإرث و الميراث يستعمل شرعاً و عرفاً و لغه فى المال، فإذا قلنا: فلان وارث فلان. فالظاهر أنه وارثه فى المال. لا أنه وارثه فى العلم أو المعرفه، إلا إذا كانت هناک قرينه أى دليل يدل على إرث العلم و المعرفه كقوله تعالى: «و أورثنا بنى إسرائيل الكتاب» و قوله: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا».

فأما قوله: «و ورث سليمان داود» فالمقصود إرث المال لا إرث العلم و الملک و ما شابه، لأن سليمان كان نبياً فى حياه أبيه داود، كما قال تعالى- فى قصه الزرع الذى نفشت فيه غنم القوم- «ففهَّمناها سليمان و كلاّ آتينا

حکماً و علماً...» (1) و قد ذکر الزمخشری فی الکشاف ج 23 فی تفسیر قوله تعالی: «إذْ عُرض علیه بالعشی الصافنات الجیاد» روی أن سلیمان غزا أهل دمشق و نصیبین فأصاب ألف فرس، و قیل: ورثها من أبیه، و أصابها أبوه من العمالقه، و قال البیضاوی: و قیل أصابها أبوه من العمالقه فورثها منه فاستعرضها... الی آخر.

فإنک تجد أن سلیمان ورث أباه داود تلک الخیول والأفراس، و ورثه غیرها من الترکه و الأموال التی ترکها داود، و بهذین القولین ثبت أن سلیمان لم یرث العلم و النبوه من أبیه داود لأن سلیمان کان نبیاً فی زمان أبیه داود کما کان هارون نبیاً فی زمان أخیه موسی بن عمران (علیهماالسلام) و ثبت أیضاً أن سلیمان ورث أباه داود المال.

و أما ما یتعلق بدعاء زکریا (علیه السلام) ربه: «فهب لی من لدنک ولیّاً یرثنی» فقد قال بعض الشواذ: یرثنی نبوتی، فهو یرید نفی الوراثه عن الأنبیاء، و لکن الآیه الکریمه بنفسها تکشف الحقیقه عن مراد زکریا. فقوله: «و اجعله رب رضیاً» یدل علی أنه لیس المقصود إرث النبوه لأنه یکون المعنی أن زکریا سأل ربه أن یهب له ولیاً یرثه النبوه و یکون ذلک الولی مرضیاً عند الله، و هذا کقول القائل: اللهم ابعث لنا نبیاً واجعله عاقلاً مرضیاً فی أخلاقه، و هذا لغو و عبث، و لا یستحسن من زکریا أن یسأل ربه أن یجعل ذلک النبی رضیاً أی مرضیاً فی أخلاقه، لأن النبوه أعظم من هذه الصفات، و جمیع هذه الصفات تندرج تحت النبوه، و قد قال فخر الدین الرازی: إن المراد بالمیراث فی الموضعین «الآیتین» هو وراثه المال.

و للمفسرین کلام حول دعاء زکریا (علیه السلام) لا بأس بذکره ملخصاً:

1- 409. الانبیاء: 79.

قال الطبرسي فى «مجمع البيان» فى تفسير الآيه: و يقوّى ما قلنا أن زكريا صرّح بأنه يخاف بنى عمه بعده بقوله: «و إنى خفت الموالى من ورائى» و إنما يطلب وارثاً لأجل خوفه، و لا يليق خوفه منهم إلاّ بالمال دون النبوه و العلم، لأنه (عليه السلام) كان أعلم بالله تعالى من أن يخاف أن يبعث نبياً من ليس بأهل للنبوه، و أن يورث علمه و حكمته من ليس لهما بأهل، و لأنه إنما بُعث لإ ذاعه العلم و نشره فى الناس فكيف يخاف من الأمر الذى هو الغرض فى بعثته؟

فإن قيل: إن هذا يرجع فى وراثه المال، لأن فى ذلک إضافه الضن و البخل إليه، قلنا: معاذ الله أن يستوى الأمران، فإن المال قد يُرزق به المؤمن و الكافر و الصالح و الطالح، و لا يمتنع أن يأسى على بنى عمه إذا كانوا من أهل الفساد أن يظفروا بماله فيصرفوه فيما لا ينبغى، بل فى ذلک غايه الحكمه، فإن تقويه الفسّاق و إعانتهم على أفعالهم المذمومه محظوره فى الدين، فمن عدّ ذلک بخلاً و ضناً فهو غير منصف و قوله: «خفت الموالى من ورائى» يفهم منه أن خوفه إنما كان من أخلاقهم و أفعالهم و معانى فيهم لا من أعيانهم..) انتهى كلامه.

لقد تلخص من مجموع الأقوال أن المقصود من الوراثه فى آيه سليمان بن داود و آيه زكريا هو وراثه المال، و النتيجه أن الوراثه كانت بين الأنبياء.

«و قال: و أُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله» أى و ذووا الأرحام و القرابه بعضهم أحق بميراث بعضهم من غيرهم، و هذه الآيه عامه فى التوارث بين الأرحام و الأقارب.

«و قال: يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأُنثيين» أى

يأمركم الله و يفرض عليكم فى توريث أولادكم إذا متّم للابن مثل نصيب البنتين و هذه الآيه أيضاً عامه فى جميع المسلمين بلا تخصيص للأنبياء إنهم لا يورّثون أولادهم.

«و قال: إن ترک خيراً الوصيه للوالدين و الأقربين بالمعروف حقاً على المتقين» إن الآيه هكذا: «كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترک خيراً...» أى إن ترک مالاً، و هذه آيه ثالثه عامه فى الوراثه و ليس فيها تخصيص للأنبياء أو نفى الوراثه بين الأنبياء.

«و زعمتم أن لا حظوه لى» أى ادَّعيتم، و فى نفس الوقت تعلمون انكم كاذبون،ادعيتم أن لا نصيب و لا منزله لى «و لا إرث من أبى» رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) «و لا رحم بيننا» و لا قرابه و لا صله، لأنكم أنكرتم الوراثه الثابته بينى و بين أبى، فقد أنكرتم كل صله و علاقه و قرابه بينى و بين أبى.

«أفخصَّكم الله بآيه أخرج منها أبى؟» و فى نسخه: «أَفَحَكَم الله بآيه» إن آيات الإرث عامه و شامله لجميع المسلمين، فهل استثنى الله أبى من آيات الإرث فلا وراثه بين النبى و أهله؟

«أم تقولون: إن أهل ملَّتين لا يتوارثان» فالكافر لا يرث المسلم؟

«أو لست أنا و أبى من أهل ملَّه واحده؟» هل تشكون فى إسلامى و كونى مسلمه، و على شريعه الإسلام؟

يا للمصيبه!

لقد بلغ الأمر ببضعه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ابنته الوحيده و سيده نساء العالمين أن تتكلم هكذا، و تحتج بهذا المنطق؟ فإنا لله و إنا إليه راجعون.

«أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه من أبى و ابن عمى؟» إنّ آيات الإرث عامه فإن كانت مخصَّصه للرسول كان الرسول يعلم ذلک،

و یخبر ابنته مع العلم أنه (صلی الله علیه و آله و سلم) لم یخبر ابنته و لا غیرها من الناس بهذا الحکم الخاص، و هل من المعقول أن یُخفی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم). هذا الحکم من ابنته مع شده اتصالها به و کثره تعلقه بها، و شده الحاجه إلی بیان الحکم لها لئلا تطالب بالإرث بعد وفاه أبیها الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم).

تقول السیده فاطمه: أم تقولون: أنکم أنتم أعلم بالقرآن و آیاته الخاصه و العامه من أبی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) الذی نزل القرآن علی قلبه؟

أم أنتم أعلم من ابن عمی علی بن أبی طالب باب مدینه علم الرسول؟ إذا لو کان الأمر هکذا لکان زوجی یخبرنی، و ما کان یأمرنی أن أحضر فی المسجد و أطالب بحقوقی و إرث أبی.

هذه جمیع الصُور التی یمکن أن یتصورها الإنسان فی هذه المسأله، و کلها منتفیه، و إذن فالقضیه سیاسیه، و لیست دینیه، بل هی مؤامره ضد آل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و محاربه اقتصادیه لتضعیف جانبهم الاقتصادی.

«فدونکها مخطومه مرحوله» إلی هنا کان الخطاب عاماً لجمیع المسلمین الحاضرین فی المسجد و هنا وجهت خطابها إلی رئیس الدوله وحده، و قالت: «فدونکها» أی خذها، خذ فدک و شبّهت فدک بالناقه التی علیها رحلها و خطامها، و الرحل للناقه کالسرج للفرس، و الخطام: الزمام، و المقصود: خذ فدک جاهزه مهیأه، و فی هذا الکلام تهدید، و هذا کما یقال للمعتدی: افعل ما شئت، و انهب ما شئت هنیئاً مریئاً.

و لهذا أردفت کلامها بقولها: «تلقاک یوم حشرک» إشاره إلی أن الإنسان یری أعماله یوم القیامه قال تعالی: «و وجدوا ما عملوا حاضراً».

«فنِعم الحَكم الله» فى ذلک اليوم الحكم لله الواحد القهار، لا لک، الذى لا يجور، الذى لا يخفى عليه شى ء من مظالم العباد.

«و الزعيم محمد» المحامى الذى يخاصمک هو سيد الأنبياء، و هو أبى، يطالبک بحق ابنته فاطمه.

«و الموعد القيامه» و هو يوم الفصل الذى كان ميقاتاً، و عند الله تجتمع الخصوم.

«و عند الساعه يخسر المبطلون» يخسر الذين ادّعوا الباطل، و ادّعوا ما ليس لهم.«و لا ينفعكم إذ تندمون» لا ينفع الندم فى ذلک اليوم، إذ الإنسان قد يندم فى الدنيا على عمله فينفعه الندم إذ إنه لا يعود إلى ذلک العمل، و لكن فى القيامه لا ينفع الندم إذ لا عمل هناک و إنما هو الحساب.

«و لكل نبأ مستقر، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و يحلّ عليه عذاب مقيم» و هذا تهديد بعذاب الآخره، الدائم المستمر.

ثم رَمَتْ بطرفها نحو الأنصار و هم أهل المدينه الذين نصروا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لما هاجر من مكه إلى المدينه، و استنصرتهم بعد أن ذكّرتهم بسوابقهم المشرقه فى عهد الرسول.

و قالت: «يا معشر النقيبه» أيتها الطائفه النجيبه، و فى نسخه: «يا معاشر الفتيه» نسبت إليهم الفتوه و الشهامه كى تهيّج عزائمهم و عواطفهم.

«و أعضاد المله» أعوان الدين.

«و حضَنَه الإسلام» أيها المحافظون على الإسلام، احتضنتم الإسلام كما تحتضن المرأه ولدها أو كما يحتضن الطائر بيضه.

«ما هذه الغميزه فى حقى؟» ما هذا التغافل و السكوت عن حقى؟

«و السِنه عن ظلامتى؟» السنه- بكسر السين- الفتور فى أول النوم.

و الظلامه: ما أخذه الظالم منک فتطلبه عنده، و تصف فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) سکوتهم عن إسعافها بالسنه التی هی مقدمه للنوم الذی یفقد النائم فیه الشعور.

نعم، إنه موت الضمیر، و تعطیل الإحساس، و رکود العاطفه، و فقد الإنسانیه.

«أما کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أبی یقول: «المرء یُحفَظ فی ولده؟» أی تحفظ کرامه الإنسان بحفظ کرامه أولاده و رعایه حقوقهم، کما قیل: «لأجل عین ألف عین تُکرم» أ‌لیس رسول الله أبی؟ ألستُ ابنته؟ أما ینبغی لکم أن تحترموا مکانتی لأجل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

و فی نسخه: «أما کان لرسول الله أن یحفَظ فی وُلده؟» أما کان یستحق رسول الله أن تحفظ الامته کرامته فی أولاده و ذریته؟

«سرعان ما أحدثتم» تتعجب السیده فاطمه الزهراء من إسراعهم فی إحداث الأمور، و الاعتداء علی آل الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم).

«و عجلان ذا إهاله» هذه الکلمه تشیر إلی قضیه و یضرب بها المَثَل، و هی أن رجلاً کان له نعجه عجفاء هزیله، یسیل مخاطها من منخریها، فقیل له: ما هذا؟ قال: سرعان ذا إهاله. و الإهاله: الشحم، أو الشحم المذاب، و تستعمل هذه الکلمه لمن یخبر بالشی ء قبل وقته، و المقصود: إنکم دبَّرتم الأمور ضدّنا بکل استعجال و بکل سرعه.

«و لکم طاقه بما أُحاول» عندکم قدره و إمکانیه لإسعافی و مساعدتی و نُصرتی فی استرجاع حقوقی المغصوبه التی أقصد استردادها.

«و قوه علی ما أطلب و أُزاول» لستم ضعفاء عاجزین عن حمایتی و الدفاع عنی، فما عذرکم، ما سبب سکوتکم؟ ما هذا التخاذل؟

«أتقولون: مات محمد» و مات دينه، و ماتت كرامته و حرمته، و ماتت المفاهيم المثلى، و خلى الجو؟

أهذا جرّأكم علينا أهل البيت؟

«فخطب جليل» فأمر عظيم شديد، لأن موت العظماء عظيم، و فى نسخه: «أتزعمون مات رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أيتم دينه، ها أن موته لعمرى خطب جليل».

ثم جعلت (عليهاالسلام) تصف فظاعه المصيبه و مدى عظمتها، و تأثيرها فى النفوس، فقالت:

استوسع و هنه» و فى نسخه: «استوسع وهيه» كالحصن الذى اتّسع شقه «و استنهر فتقه» كالطعنه التى توسع الشق فى البدن.

«و انفتق رتقه» انشق المكان الملتئم منه، و الضمائر الثلاثه- فى وهنه و فتقه و رتقه تعود إلى الخطب.

«و أظلمت الأرض لغيبته» من الطبيعى أنه كان نوراً تستضى ء به الأرض و من عليها و بوفاته أظلمت الأرض، و تجد فى القرآن آيات كثيره تعبّر عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بالنور كقوله تعالى: (قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين) (1) .

«و كسفت النجوم لمصيبته» إن الضوء الذى تراه على وجه القمر و على بقيه النجوم ما هو إلا انعكاس لنور الشمس على القمر و النجوم، فإذا زال نور الشمس انكسفت النجوم و زال عنها الضوء.

«و أكدت الآمال» أى انقطعت الآمال التى كانت منوطه برسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بسبب وفاته، و ذلک كما يقال: خابت الظنون

1- 410. المائده: 15.

و انقطعت الآمال.

«و خشعت الجبال» من هول الفاجعه، و عظم الواقعه حتى الجمادات تتأثّر بالحوادث العظيمه، كما قال تعالى: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشيه اللهِ (1) .

«و أضيع الحريم» الحريم: ما يحميه الرجل و يقاتل عنه، و المقصود- هنا- حريم آل الرسول و هم عترته الطيبه.

نعم، ضاع حريمه أىّ ضياع! و انتهكت حرمته أى انتهاک!

«و أُزيلت الحرمه عند مماته» و فى نسخه: «أُديلت الحرمه عند مماته» أى غُلبت (بضم الغين و كسر اللام).

«فتلک- و الله- النازله الكبرى، و المصيبه العظمى» إن مصيبه وفاه العظماء تكون عظيمه، فكلما كانت عظمه المتوفى أكثر كانت مصيبه وفاته أعظم و أفجع، و لقد كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أشرف مخلوق و أعظم إنسان، و أطهر كائن فبالطبع تكون وفاته نازله كبرى و مصيبه عظمى.

«لا مثلها نازله» لا توجد فى العالم مصيبه كبيره كمصيبه وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) لأنه لا يوجد فى العالم موجود كرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

«و لا بائقه عاجله» أى لا مثلها داهيه فى القريب العاجل، إذ من الممكن أن تحدث فى العالم حادثه أعظم وقعاً من وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم)و هى حادثه قيام الساعه و قيام القيامه.

و لقد وصف الإمام علىّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) مصيبه وفاه

1- 411. الحشر: 21.

الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) بقوله: «فنزل بى من وفاه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ما لم أكن أظن الجبال لو حملته عنوه كانت تنهض به، فرأيت الناس من أهل بيتى ما بين جازع لا يملک جزعه، و لا يضبط نفسه، و لا يقوى على حمل فادح ما نزل به، قد أذهب الجزع صبره، و أذهل عقله، و حال بينه و بين الفهم و الإفهام، و القول و الاستماع».

«أعلن بها كتاب الله- جل ثناؤه- فى أفنيتكم» أعلن القرآن الكريم بوفاه الرسول فى جوانبكم و نواحيكم، أى القرآن يُتلى آناء الليل و أطراف النهار، و أصوات التلاوه مرتفعه من المسجد و من البيوت و المساكن، و فى نسخه: «فى قبلتكم» و المقصود المسجد أو المصلىّ الذى يتلى فيه القرآن.

«فى ممساكم و مصبحكم» مساءً و صباحاً كنتم تسمعون الآيات التى تخبر عن وفاه الرسول «هتافاً و صراخاً» كان الإعلان بوفاه الرسول بأنواع مختلفه: بالهتاف و هو القراءه مع الصوت و الصراخ و هو القراءه بالصوت الشديد.

«و تلاوه و ألحاناً» بالتلاوه إذا كانت القراءه سريعه و بالألحان إذا كانت بتأمل و تأنّى «و لقبله ما حلّ بأنبيائه و رسله حكم فصل، و قضاء حتم» إن الموت الذى حلّ بالأنبياء الذين كانوا قبل الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) كان من الأحكام المقطوع بها، التى لا شک فيها، و القضاء الذى لا يقبل التغيير، و المقصود: أن الموت هو سُنّه الله فى عباده من أنبياء و غيرهم.ثم استدلت على كلامها بقول الله تعالى: «و ما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً و سيجزى الله الشاكرين» و وجه

الاستدلال بالآيه أن محمداً رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و قد مضت من قبله الأنبياء، و مات قبله المرسلون، إذا: فالموت ليس بشى ء عجيب بالنسبه للرسول، بل على هذا جرت سنه الله فى أنبيائه، إنهم يذوقون الموت كبقيه الخلائق، و هذا لا يعنى أنه إذا مات ماتت شريعته و مات دينه، و ذهبت كرامته و حرمته.

«افان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» أى فإن أماته الله أو قتله الكفار ارتددتم بعد إيمانكم، فسمّى الارتداد انقلاباً على العقب، و الرجوع القهقرى. «و من ينقلب على عقبيه» يرتدَّ عن دينه «فلن يضر الله شيئاً» بل المضره عائده على المرتد «و سيجزى الله الشاكرين» المطيعين.

ص: 386

إيهاً بنى قيله إ (1) .

أأُهضم تراث أبيه؟

و أنتم بمرأى منّى و مسمع.

و منتدى و مجمعِ (2) .

تلبسكم الدعوه.

و تشملكم الخبرهِ (3) .

و أنتم ذوو العدد و العُدّه.

و الأداء و القوه.

و عندكم السلاح و الجُنّه.

توافيكم الدعوه فلا تجيبون؟

و تأتيكم الصرخه فلا تعينون؟

و أنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير و الصلاح و النخبه التى انتخبت، و الخيره التى اختيرتِ (4) .

قاتلتم العرب، و تحمَّلتم الكدَّ و التعبِ (5) .

1- 412. ايها: بمعنى هيهات او مزيدا من الكلام.
2- 413. منتدى: مجلس القوم.
3- 414. الخبره: العلم بالشى ء.
4- 415. الخيره- بكسر الخاء و سكون الياء- المفضل من القوم.
5- 416. الكد: الشده.

و ناطحتم الأُمم.

و كافحتم البُهَمِ (1) .

لا نبرح أو تبرحون.

نأمركم فتأْتمرون.

حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام.

و دَرَّ حلب الأيامِ (2) .

و خضعت ثغره الشركِ.

و سكنت فوره الإفک (3) .

و خمدت نيران الكفرِ (4) .

و هدأت دعوه الهرج.

و استوسق نظام الدين.

فأنّى حِرتم بعد البيان؟ (5) .

و أسررتم بعد الإعلان؟

و نكصتم بعد الإقدام؟ (6) .

و أشركتم بعد الإيمان؟

«ألا تقاتلون قوماً نكثوا إيمانهم و همّوا بإخراج الرسول و هم بدأوكم أوّل مره أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين» (7) .

1- 417. البهم- جمع بهمه: الشجاع.
2- 418. و فی نسخه: حلب البلاد.

3- 419. و فی نسخه: فوره الشرک.
4- 420. و فی نسخه: خبث نیران الحرب.
5- 421. و فی نسخه: افتاخرتم بعد الاقدام.
6- 422. و فی نسخه: و ناکصتم بعد الشده، و جبنتم بعد الشجاعه عن قوم نکثوا ایمانهم.
7- 423. التوبه: 13.

ألا: قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفضِ (1) .

و أبعدتم مَن هو أحقُّ بالبسط و القبض.

و خلوتم إلى الدعهِ (2) .

و نجوتم من الضيق بالسعهِ (3) .

فمججتم ما وعيتمِ (4) .

و دسعتم الذى تسوّغتمِ (5) .

فان تكفروا أنتم و مَن فى الأرض جميعاً فإن الله لغنى حميد ألا: قد قلتُ ما قلت على معرفه منى بالخذله التى خامرتكمِ (6) و الغدره التى استشعرتها قلوبكمِ (7) .

و لكنها فيضه النفسِ (8) .

و نفثه الغيظِ (9) و خَوَر القنا (10) .

و بثَّه الصدر.

و تقدمه الحجه.

1- 424. الخفض: الراحه.
2- 425. الدعه: حفض العيش.
3- 426. و فى نسخه: الى السعه.
4- 427. مججتم: رميتم و وعيتم:حفظتم.
5- 428. دسعتم: تقياتم و تسوغتم:شربتم بسهوله.
6- 429. خامرتكم: خالطتكم.
7- 430. استشعرتها: لبستها.
8- 431. فاض صدره بالسر: باح به.
9- 432. كالدم الذى يرمى به من الفم و يدل على القرحه.
10- 433. ضعف النفس عن التحمل.

فدونکموها، فاحتقبوها دَبِرَه الظَّهرِ (1) .

نقبه الخُفِ (2) .

باقیه العار.

موسومه بغضب الله.

و شنار الأبدِ (3) .

موصوله بنار الله الموقده التی تطّلع علی الأفئده.

فبعین الله ما تفعلون.

و سیعلم الذین ظلموا أیَّ منقلب ینقلبون.

و أنا ابنه نذیر لکم بین یدی عذاب شدید.

فاعملوا إنا عاملون، و انتظروا إنا منتظرون.

1- 434. دونکموها: خذوها: دبره: مقروحه.
2- 435. نقبه الحف: رقیقه.
3- 436. شنار: العیب و العار.

«إيهاً! بنى قيله» إيهاً بمعنى هيهات، و بمعنى الأمر بالسكوت، أو بمعنى طلب الزياده من التحدث. يا أولاد قيله، و هم الأوس و الخزرج، و قد تقدم الكلام عن شرحها.

«أأُهضم تراث أبى؟» و فى نسخه: «أبيه» و قد تقدم أن الهاء- هنا- للوقوف و السكون و المعنى: هل يظلموننى فى إرث أبى؟

«و أنتم بمرأى منى و مسمع» و الحال أنتم فى مجلس و مكان يجمع بينى و بينكم، و المقصود: أنتم حاضرون و تسمعون كلامى و شكايتى، و ترون حالى و مظلوميتى.

«تلبسكم الدعوه» تحيط بكم دعوتى و ندائى.

«و تشملكم الخبره» و يشملكم العلم و تعلمون الخبر، و فى نسخه: «الحيره» أى متحيرون أمام هذه المخاصمه.

«و أنتم ذوو العدد و العده» و أنتم أصحاب العدد الكثير و التأهب و الاستعداد، أى لستم قليلين حتى تعتذروا بقلّه العدد، بل أنتم ذو العدد الكامل.

«و الأداه و القوه» عندكم الوسائل و القدره و الإمكانيه لإسعا فى و نصرتى.

«و عندكم السلاح و الجُنه» و عندكم الأسلحه التى حاربتم بها و جاهدتم فى سبيل الله، و عندكم وسائل الدفاع.

«توافيكم الدعوه فلا تجيبون» تبلغكم دعوتى و استغاثتى فلا تجيبونى؟ «و تأتيكم الصرخه فلا تعينون» تأتيكم صرختى، صرخه المظلوميه و الاضطهاد فلا تعينونى؟

«و أنتم موصوفون بالكفاح» الجهاد فى سبيل الله، و استقبال العدو و مباشره الحرب.

«معروفون بالخير و الصلاح» و الأعمال الحسنه.

«و النخبه التى انتخبت» إن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) انتخب المدينه و انتخبكم لهذه الغايات و الصفات.

«و الخيره التى اختيرت» و اختاركم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لنصرته، و لهذا هاجر إليكم.

«قاتلتم العرب» لأجل نصره النبى، و إعلاء كلمه الإسلام.

«و تحملتم الكد و التعب» فى الحروب و الغزوات، و مضاعفاتها من الحر و البرد،و التضحيه و تحمّل الجراح.

«و ناطحتم الأمم» قاتلتم الملل المختلفه من يهود و نصارى و غيرهم، كل ذلک دافعاً عن الرسول.

«و كافحتم البُهم» قاتلتم الشجعان بدون ضعف و توانى.

«لا نبرح أو تبرحون» أى لا نبرح و لا تبرحون «نأمركم فتأتمرون» أى كنّا لم نزل آمرين و كنتم لأوامرنا مطيعين.

«حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام» أى قاتلتم و تحملتم و ناطحتم و كافحتم بصوره مستمره حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام حتى إذا انتظم أمر الإسلام بمساعينا و سببنا، و دارت رحى الإسلام دوراناً صحيحاً منتظماً.

«و درَّ حلب الأيام» و كثرت الخيرات و الغنائم بسبب الفتوحات كاللبن الذى يدرّ أى يسيل بكثره من الثدى.

«و خضعت ثغره الشرک» ذلّت رقاب المشرکین و خیاشیمهم للإسلام و سقطوا عن الاعتبار.

«و سکنت فوره الإفک» و هی غلیان الکذب و هیجانه.

«و خمدت نیران الکفر» أی نیران الحرب التی کان الکفار یؤججونها.

«و هدأت دعوه الهرج» سکنت دعوه الفتنه و الباطل، و هدأت الإضطرابات.

«و استوسق نظام الدین» أی اجتمع و انتظم أمر الدین بعدما کان متشتتاً.

«فأنَّی حرتم بعد البیان؟» و الآن و بعد هذه المقدمات کیف تحیرتم بعد بیان الحاله و وضوحها عندکم، و کیف و قعتم فی وادی الحیره؟

«و أسررتم بعد الإعلان؟» و کیف أخفیتم أشیاء کانت معلنه، أو کنتم تتجاهرون بها.

«و نکصتم بعد الإقدام» و کیف رجعتم القهقری بعد إقدامکم علی الإسلام.

«و أشرکتم بعد الإیمان؟» أشرکتم بالله بمخالفتکم للرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) فی أمر عترته.

«ألا تقاتلون قوماً نکثوا إیمانهم و همّوا بإخراج الرسول و هم بدأوکم أول مره أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن کنتم مؤمنین». أدمجت السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) هذه الآیه فی حدیثها، و إن کانت الآیه نزلت فی مشرکی مکه الذین أرادوا إخراج رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) من مکه أو نزلت فی الیهود و النصاری الدین نقضوا عهدهم و همّوا بإخراج الرسول من المدینه و علی کل تقدیر فإن السیده

فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) تستنفرهم و تستنهضهم لنصرتها، و لا تقصد بكلامها هذا إثاره الفتنه، و لا إراقه الدماء، و لا تريد أن تقود جيشاً، أو تتزعم حزباً، بل هى عارفه بأحوال الناس و اتجاهاتهم، عالمه بأن الأمر دبّر بليل، و لهذا قالت:

«ألا: قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض» أى أعلم أنكم قد أقمتم على الراحه و سعه العيش.

«و أبعدتم مَن هو أحق بالبسط و القبض» أبعدتم الإمام علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) الذى هو أحق و أولى بولايه الأمور، و التصرف فى قضايا الإسلام من غيره.

«و خلوتم بالدعه» أى انفردتم بالراحه و السكون.

«و نجوتم من الضيق بالسعه» لأن الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) لا يهادن، و لا يصانع، و لا يفضّل أحداً على أحد بالعطاء، و هذا ضيق بالنسبه لكم، و لهذا نجوتم من هذا الضيق، و انتقلتم إلى مَن هو طوع أمركم، سلس القياده، يفعل ما تشاءون، و يحكم بما تريدون.

«فمججتم ما وعيتم» أى رميتم من أفواهكم ما حفظتم.

«و دسعتم الذى تسوّغتم» أى تقيأتم الشى ء الذى شربتموه بسهوله و لذه، و المقصود الانسحاب عن الدين، و رفض الإيمان و لهذا أردفت كلامها هذا بهذه الآيه.

«فان تكفروا أنتم و مَن فى الأرض جميعاً فإن الله لغنى حميد» و لا تضرون إلاَّ أنفسكم، و لا تخسرون إلاَّ دينكم.

«ألا: قد قلت ما قلت على معرفه منى بالخذله التى خامرتكم» تقول: (عليها السلام) أنا أعلم اتجاهاتكم، و أعرف نفسياتكم، و حينما خطبت فيكم و استنهضتكم كنت أعلم بأنكم لا تنصروننى و لا تسعفوننى.

«و الغدره التی استشعرتها قلوبکم» استشعر الثوب إذا جعله شعاراً أی جعله متصلاً لجسده، ملاصقاً لبدنه، تقول (علیهاالسلام) أنا أعرف الغدر الملاصق بقلوبکم، الغدر الذی جعلتها قلوبکم شعاراً لها، و الغدر ضد الوفاء، أی لا أنتظر منکم الوفاء لمعرفتی بالغدره الموجوده فی قلوبکم.

«و لکنها فیضه النفس» أی تعبیر عن الآلام فی النفس، فکما أن الإناء یفیض إذا امتلأ بالماء کذلک النفس تفیض من کثره الحزن و استیلاء الهم.

«و نفثه الغیظ» ظهور آثار الغضب الموجود کالنزیف الذی یدل علی القرحه فی الباطن «و خور القنا» أی ضعف الرمح، و المقصود عدم تحمّل لأکثر من هذه.

«و بثه الصدر» قال یعقوب (علیه السلام): «إنما اشکو بثّی» أی همّی، و هو الهم الذی لا یقدر صاحبه علی کتمانه فیظهره.

«و تقدمه الحجه» إنی خطبتُ فیکم، و قلتُ ما قلت لا طمعاً فی نصرتکم، و لا رجاءً فی حمایتکم، و إنما کان ذلک لأسباب نفسیه و دینیه، أما الأسباب النفسیه فقد ذکرتها، و أما الأسباب الدینیه فهی تقدمه الحجه، أی إعلامکم بکل ما یلزم، و ذکر کل دلیل و برهان و حجه علی ما أقول، لئلا تعتذروا یوم القیامه، إنا کنا عن هذا غافلین أو ناسین، أو جاهلین، ما أبقیتُ لذی عذر عذراً، و لا لذی مقال مقالاً، عرَّفت نفسی و نسبی لکم، و ذکرت ما یتعلق بالإمامه، و ذکرت حقی فی فدک، و استشهدت بالآیات البینات الثابته عندکم حول المیراث بصوره عامه و حول میراث الأنبیاء بصوره خاصه، و استنهضتکم لنصرتی و الطلب بحقی، فلم أجد فیکم مجیباً و لا مُعیناً.

«فدونکموها فاحتقبوها دبره الظهر» خذوا الخلافه و شدّوا علیها حقائبکم، و کأنها ناقه مجروحه الظهر، «نقبه الخف» رقیقه الخف.

«باقیه العار» دائمه الخزی فی الدنیا علی مرّ التاریخ، و فی الآخره و إلی الأبد.

«موسومه بغضب الله و شنار الأبد» علی تلک الناقه علامه غضب الله و سخطه، و علیها علامه العار الأبدی الذی ینتهی بکم إلی:

«موصوله بنار الله الموقده التی تطلع علی الأفئده» التی تتوقد و تؤجج نارها بصوره دائمه، النار التی تحرق الظاهر و الباطن، و تصل إلی الأفئده و القلوب.«فبعین الله ما تفعلون» إن الله تعالی یری أعمالکم و أفعالکم و لا یغیب عنه و لا یخفی علیه شی ء فکأنَّ أفعالکم هذه بمحضر من الله تعالی.

«و سیعلم الذین ظلموا أی منقلب ینقلبون» و أی جزاء سیجازون و أی جحیم و عذاب سیصیرون إلیه. !!

«و أنا ابنه نذیر لکم بین یدی عذاب شدید» إشاره إلی قوله تعالی: «یا أیها النبی إنا أرسلناک شاهداً و مبشراً و نذیراً» أنا ابنه محمد (صلی الله علیه و آله و سلم) الذی أنذرتکم بعذاب الله الذی أعدّه للظالمین.

«فاعملوا إنا عاملون» اعملوا ما شئتم من ظلمنا فإنا عاملون ما یجب علینا من الصبر و التحمل «و انتظروا إنا منتظرون» انتظروا عواقب أفعالکم و نحن ننتظر عواقب الصبر علی المحن.

جواب ابی بکر

فاجابهاابوبکر (عبدالله بن عثمان) و قال:

یا ابنه رسول الله!

لقد کان أبوکِ بالمؤمنین عطوفاً کریماً، رؤوفاً رحیماً.

و علی الکافرین عذاباً ألیماً و عقاباً عظیماً.

إن عزوناه وجدناه أباکِ دون النساءِ (1) .

و أخا إلفِکِ دون الأخلاَّءِ (2) .

آثره علی کل حمیمِ (3) .

و ساعده فی کل أمر جسیم.

لا یحبّکم إلاّ کل سعید.

و لا یبغضکم إلاّ کل شقی.

فأنتم عتره رسول الله الطیبون.

و الخیَره المنتجبون.

علی الخیر أدِلّتنا.

و إلی الجنه مسالکنا.

و أنت یا خیره النساء.

و ابنه خیر الأنبیاء.

1- 437. عزوناه: نسبناه.
2- 438. و فی نسخه: و اخا بعلک. و المعنی واحد.

3- 439. حميم: قريب.

صادقه فی قولک.

سابقه فی وفور عقلکِ.

غیر مردوده عن حقکِ.

و لا مصدوده عن صدقکِ (1) .

و الله ما عدوتُ رأی رسول الله !!! (2) .

و لا عملت إلاَّ بإذنه.

و إن الرائد لا یکذب أهلهِ (3) .

و إنی أُشهد الله و کفی به شهیداً.

أنی سمعت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) یقول:

«نحن معاشر الأنبیاء لا نورِّث ذهباً و لا فضه و لا داراً و لا عقاراً و إنما نورّث الکتاب و الحکمه، و العلم و النبوه، و ما کان لنا من طعمه فلو الی الأمر بعدنا، أن یحکم فیه بحکمه».

و قد جعلنا ما حاولتِه فی الکراع و السلاحِ (4) .

یقاتل بها المسلمون.

و یجاهدون الکفار.

و یجالدون المرده الفجارِ (5) .

و ذلک بإجماع من المسلمین !!

لم أنفرد به وحدی.

1- 440. مصدوده: ممنوعه.

2- 441. عدوت: جاوزت.
3- 442. الرائد: الذى يتقدم القوم، يبصرلهم الكلا و مساقط الثمار.
4- 443. الكراع- بضم الكاف-:جماعه الخيل.
5- 444. يجالدون: يضاربون.

و لم أستبد بما كان الرأى فيه عندي [(1)] .

و هذا حالى و مالى.

هى لكِ، و بين يديک.

لا تزوى عنكِ [(2)] .

و لا تدَّخر دونكِ.

و أنت سيده أُمّه أبيكِ.

و الشجره الطيبه لبنيک.

لا يُدفع مالَكِ من فضلكِ.

و لا يوضع فى فرعک و أصلكِ.

حكمک نافذ فيما ملكت يداى.

فهل ترينّ أن أُخالف فى ذلک أباكِ (صلى الله عليه و آله و سلم)؟

1- 445. استبد: انفرد بالامر من غير مشارک فيه.
2- 446. تزوى عنک: تقبض عنک.

الى هنا ذكرت السيده فاطمه الزهرا (عليه السلام) ما كان ينبغى لها ان تذكر،وادت ما يجب على اتم و اكمل ما يمكن، و هنا تصدى رئيس الدوله ليجيبها:

فاجابها أبوبكر «عبدالله بن عثمان»: «يا ابنه رسول الله» سبحان الله! يعرفها و مع ذلک يكون موقفه ذلک الموقف.

«لقد كان أبوک بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤوفاً رحيماً، على الكافرين عذاباً أليماً و عقاباً عظيماً» هذا كله واضح، و ما المقصود من هذا الكلام؟

«إن عزوناه وجدناه أباک دون النساء، و أخا إلفكِ دون الإخلاّء» هذا تصديق لكلامها فى أول الخطبه حيث قالت: «فإن تعزوه و تعرفوه تجدوه أبى دون نسائكم و أخا ابن عمى دون رجالكم».

«آثره على كل حميم» أى فضّل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) علياً على كل قريب.

«و ساعده فى كل أمر جسيم» إن علياساعد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)فى كل امر عظيم.

«لا يحبكم الا كل سعيد، و لا يبغضكم الا كل شقى» اعتراف عجيب من قائله، ان صح اسناد هذا الكلام اليه.

«فانتم عتره رسول الله الطيبون، و الخيره المنتجبون» العتره التى لا يقبل كلامها و لا تمضى شهادتها فى قطعه من الارض، و الخيره التى تحملت اشد

أنواع الأذى من الناس!!

«على الخير أدلَّتنا» جمع دليل و هو الهادى أى أنتم الهداه المرشدون إلى الخير.

«و إلى الجنه مسالكنا» أنتم طرق النجاه و الفوز بالجنه.

«و أنت- يا خيره النساء، وابنه خير الأنبياء- صادقه فى قولک» لو كنتَ تعتبرها صادقه فى قولها فلماذا لم ترد إليها حقها؟ لماذا سلبتها أموالها التى جعلها الله و رسوله لها؟

«سابقه فى وفور عقلک، غير مردوده عن حقک و لا مصدوده عن صدقک» فلماذا رددتها عن حقها أيها الرجل؟ و لماذا صددتها عن صدقها؟ ما هذا التناقض بين القول و الفعل.

«و الله ما عدوتُ رأى رسول الله» نعم، و الله لقد عدوتَ رأى رسول الله.

«و لا عملتُ إلا بإذنه» لا و الله ما عملتَ بإذنه، لم يأذن لک رسول الله أن تغضب النحله التى أنحلها رسول الله ابنته فاطمه، أو تمنعها إرثها من أبيها.

«و إن الرائد لا يكذب أهله» هذا المثل فى غير مورده.

«و إنى أُشهد الله و كفى به شهيداً» عجباً لحلم الله!!

هكذا يستشهد به فى الباطل؟

هكذا يتجرّأ عليه؟

«إنى سمعت رسول الله يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ذهباً و لا فضه و لا داراً و لا عقاراً، و إنما نورّث الكتاب و الحكمه و العلم و النبوه، و ما كان من طعمه فلِوالى الأمر بعدنا أن يحكم فيه ما يحكمه».

الله يقول: الأنبياء يورثون. و رسول الله يقول: الأنبياء لا يورثون؟

أيهما الصحيح؟

و بعد هذا: أنت المدعى و أنت الشاهد و أنت الحاكم؟

و هل يوجد فى العالم حكم هكذا؟ أو قانون كهذا القانون؟!

أنت سمعت رسولَ الله يقول هكذا و ابنته لم تسمع ذلک منه؟!

الرسول أخبرک و ما أخبر ابنته التى كانت أراضى فدک بيدها و تحت تصرّفها؟

و أى كتاب ورَّثه الرسول؟

القرآن؟ القرآن كان ملكاً للرسول حتى يورِّثه؟ و هل النبوه تورث؟!

و هل كان نبى إذا مات تنتقل النبوه إلى أولاده و ورثته؟

و من الذى ورث النبوه من رسول الله؟!

و هل أنت ولى الأمر أم الذى ولىّ الله بقوله: «إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاه و يؤتون الزكاه و هم راكعون» من ولى الأمر بعد الرسول؟!

أنت ولى الأمر أم الذى بايعته أنت يوم غدير خم بأمر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و سلّمت عليه بإمره المؤمنين؟ و هو علىّ بن أبى طالب.

أترى أن تعلم هذا الحديث و علىّ بن أبى طالب لا يعلم؟ و هو أكثر التصاقاً و أشد اتصالاً و التزاماً بالرسول، حسب اعترافاتک، و هو باب مدينه علم الرسول.

و إن كان النبى لا يورّث فلماذا بقيتْ حجراته تحت تصرّف زوجاته؟ و لماذا لم تصادر تلک الحجرات؟

مع العلم أن تلک الحجرات كانت ملكاً لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بصريح قوله تعالى: «لا تدخلوا بيوت النبى» فيتبين أن البيوت كانت للرسول، فبأى قانون شرعى و بأى مبرر دينى سكنت زوجات

الرسول فی تلک الحجرات إلی آخر حیاتهن؟

و لماذا شمل التأمیم السیده فاطمه عزیزه رسول الله و بضعته و لم تشمل زوجاته؟؟

«و قد جعلنا ما حاولتهِ فی الکراع و السلاح یقاتل بها المسلمون، و یجاهدون الکفار، و یجالدون المرده الفجّار» و هل یجوز صرف الأموال المغصوبه، فی سبیل الله لتقویه المسلمین،

و هل کانت جیوش المسلمین بحاجه إلی هذه الأموال التی أُخذت ظلماً؟

«و ذلک بإجماع من المسلمین» ما قیمه هذا الإجماع المناقض لکتاب الله؟

و أی إجماع هذا و آل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و عترته لا یعترفون بهذا الأمر و لا یوافقون بهذه التصرفات؟

و هل ینفع الإجماع علی الظلم و علی مخالفه کتاب الله و سنه النبی؟

و کأن أبابکر أراد بکلامه هذا استماله قلوب المسلمین کی لا یخالفه أحد، و إلا فقد ثبت أن أبابکر هو المدّعی الوحید لحدیث: «نحن معاشر الأنبیاء لا نورّث» و لم یجمع المسلمون علی صحه هذا الحدیث المخالف لصریح کلام الله تعالی.

نعم فی کتاب (کشف الغمه): إنه لما ولّی عثمان قالت عائشه: أعطنی ما کان یعطینی أبی و عمر.

فقال عثمان: لا أجد لها موضعاً فی الکتاب و لا فی السنه، و لکن کان أبوبکر و عمر یعطیانک من حصه أنفسهما، و أنا لا أفعل.

فقالت: فاعطنی میراثی من النبی (ص).

قال: أ لیس جئتِ و شهدتِ أنتِ و مالک بن أوس النضری أن رسول

الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: لا يورّث؟ فأبطلتِ حق فاطمه، و جئتِ تطلبينه؟.- الى آخره (1) .

أقول: العجب أن شهاده عائشه بنت أبى بكر تقبل و شهاده فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لا تقبل؟

و شهاده مالک بن أوس النضرى البوّال على عقبيه تقبل و شهاده أميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب نفس رسول الله و أعز الخلق إليه لا تقبل!

اقرأ ثم احكم.

و بهذا اتضح لنا كلامه: «لم انفرد به وحدى، و لم أستبد بما كان الرأى فيه عندى» نعم، لم ينفرد به وحده، بل ساندته و شهدت له ابنته عائشه صاحبه المواقف المشهوره اتجاه فاطمه و زوجها علىّ.

«هذه حالى و مالى، هى لک و بين يديک، لا تزوى عنک و لا تدَّخر دونک» مجاملات فارغه لا حقيقه لها أصلاً، و ما أكثر هذه المجاملات عند رجال السياسه.

«أنت سيده أُمّه أبيک، و الشجره الطيبه لبنيک، لا يُدفع مالک من فضلک، و لا يوضع فى فرعک و أصلک، حكمک نافذ فيما ملكت يداى» هذه الكلمات و إن كانت حقائق، إلاّ أنها استعملت للخداع، و التلوّن فى الكلام، و سيأتيک- فى المستقبل- كلام حول آراء السياسيين، و الأساليب التى يستعملونها حسب الظروف.«فهل ترين أن أُخالف فى ذلک أباک (صلى الله عليه و آله و سلم)؟».

أيها الناس! إن أبابكر يجتنب مخالفه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و لكن سيده نساء العالمين و بضعه رسول الله التى أذهب الله عنها

1- 447. كشف الغمه ج 1/ 478.

الرجس و طهّرها تطهيراً تخالف رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟

هل يقبل عقلک؟

هل يرضى وجدانک بهذا؟

و أيه مخالفه لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) إذا خضع المسلم للقرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه؟

هل العمل بآيات المواريث بين الأنبياء يعتبر مخالفه لرسول الله؟

و هل تصديق كلام بنت رسول الله- المعصومه بصريح القرآن- و تصديق كلام زوجها علىّ الذى كان نفس رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يكون مخالفه لرسول الله؟

ماذا أقول إذا انقلبت المفاهيم، و انعكست الحقائق، و تبدّلت المقاييس و تغيّرت الموازين، و صار المنكر معروفاً و المعروف منكراً؟

الرجل يدّعى على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) كلاماً مخالفاً للقرآن، مناقضاً للشريعه الإسلاميه، و آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و عترته الطيبه لا يعترفون بهذا الكلام، بل يكذّبونه على ضوء القرآن، ثم يتورّع الرجل «على زعمه» من مخالفه ذلک الكلام المفترى على الرسول.

و الآن استمع إلى ردّ السيده فاطمه الزهراء لهذه المفتريات و الأ كاذيب:

قالت (علیهاالسلام):

سبحان الله.

ما کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) عن کتاب الله صادفاً (1) .

و لا لأحکامه مخالفاً.

بل کان یتَّبع أثره.

و یقفو سُوَرهِ (2) .

أفتجمعون إلی الغدر اعتلالاً علیه بالزور.

و هذا بعد وفاته شبیهٌ بما بُغی له من الغوائل فی حیاتهِ الغوائل- جمع غائله:الحادثه المهلکه.

هذا کتاب الله حَکَماً عدلاً.

و ناطقاً فصلاً.

یقول:

«یرثنی ویرث من آل یعقوب».

«و ورث سلیمان داود».

فبیَّن (عز و جل) فیما وزَّع علیه من الأقساط.

1- 448. صادفا: معرضا یقال: صدف عن الحق اذا عرض عنه.
2- 449. یقفو: یتبع.

و شرع من الفرائض و الميراث.

و أباح من حظ الذكران و الإناث.

ما أزاح علَّه المبطلين.

و أزال التظنى و الشبهات فى الغابرينِ (1) .

كلاَّ، «بل سوَّلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون».

ص: 407

1- 450. التظنى: اعمال الظن.الغابرين: الباقين.

قالت: «سبحان الله» فی مقام التعجّب، استعظاماً لهذا الافتراء علی رسول الله الصادق المصدق الذی ما ینطق عن الهوی إن هو إلا و حی یوحی (صلی الله علیه و آله و سلم).

«ما کان رسول لله (صلی الله علیه و آله و سلم) عن کتاب الله صادفاً» ما کان الرسول معرضاً عن کتاب الله المجید.

«و لا لأحکامه مخالفاً» بأن یقول شیئاً یخالف القرآن، و حدیث: «نحن معاشر الأنبیاء لا نورِّث» مخالف للآیات التی تصرّح بوراثه الأنبیاء، و إنهم یرثون و یورثون.

حاشا نبی الله أن یخالف کلام الله «بل کان یتبع أثره» یسیر مع القرآن و علی ضوء القرآن و تحت ظلاله.

«و یقفو سوره» أی سور القرآن، و یتبعها سوره بعد سوره فکیف یقول شیئاً یخالف کلام الله، و یناقض أحکام الله؟

«افتجمعون إلی الغدر اعتلالاً علیه بالزور» تقول السیده فاطمه (علیهاالسلام) قد جمعتم بین جریمتین: جریمه الغدر و هی غصب فدک، و جریمه الکذب علی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أی هل تضیفون إلی الغدر اعتذارکم علی العذر بالکذب، و هذا کمن یقتل إنساناً ظلماً ثم یعتذر من عمله بأن المقتول کان سارقاً، فهو قد جمع بین جریمه القتل و جریمه الکذب و الافتراء.

«و هذا بعد وفاته شبیه بما بُغی له من الغوائل فی حیاته» تقول (علیهاالسلام) لیس هذا بشی ء جدید، فإن القیام ضد آل الرسول بعد وفاته یشبه المؤامرات و النشاطات المسعوره التی کانت ضده فی حیاته، فلقد أراد المنافقون أن یقتلوا رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) لیله العقبه، و یُنفروا ناقته علی شفیر الوادی لتسقط ناقه النبی فی الوادی فیهلک رسول الله و التفصیل مذکور فی محله، راجع تفسیر قوله تعالی: «یحلفون بالله ما قالوا و لقد قالوا کلمه الکفر، و کفروا بعد إسلامهم و هموا بما لم ینالوا...الایه» (1) .

«هذا کتاب الله حکماً عدلاً و ناطقاً فصلاً» هذا القرآن حال کونه حاکماً عادلاً، ناطقاً قاطعاً للخصومات، نجعله مرجعاً نتحاکم إلیه، هذا القرآن یقول: «یرثنی و یرث من آل یعقوب» فی قصه زکریا و قد مر الکلام حول الآیه.

«و ورث سلیمان داود» قد ذکرنا ما تیسر أیضاً حول وراثه سلیمان من داود (علیهماالسلام).

و أنتم تقولون: إن رسول الله قال: «نحن معاشر الأنبیاء لا نورِّث» کیف یخالف رسول الله القرآن؟ و کیف یعرض عن حُکم وراثه الأنبیاء.

«فبیَّن (عز و جل) فیما وزّع علیه من الأقساط».

«لقد بین الله تعالی فیما قسّم من نصیب کل من الورثه.

«و شرع من الفرائض و المیراث» الفرائض: هی الحصص المفروضه المقدّره للورثه کالنصف و الثُلث و الرُبع و السُدس و الثُمن کما هو مذکور فی الکتب الفقهیه.

1- 451. التوبه: 73.

«و أباح من حظ الذكران و الإناث» فى شتى مراتب الورثه من الزوج و الزوجه و الأب و الأم و الأولاد و البنات و المراتب المتأخره عنهم.

«ما أزاح علَه المبطلين» لقد بيَّن الله فى القرآن و شرع و أباح ما فيه الكفايه لإزاله أمراض أهل الباطل، و كل من جاء بالباطل.

«و أزال التظنى و الشبهات فى الغابرين» لم يبق مجال للشک و الشبهه لأحدٍ من الأجيال الموجوده أو الآتيه.

«كلاَّ» ليس الأمر كما تقولون، أو كما تدَّعون، و ليس الأمر ملتبساً عليكم.

«بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً» بل زيّنت لكم أنفسكم حُبُّ الرئاسه و كرسى الحكم، و منصه القدره، فنسبتم إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) هذا الحديث حتى يتحقق هدفكم، و تنالوا غايتكم.

«فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون» نصبر و نستعين الله تعالى على تحمّل هذه المآسى و المصائب.

و الآن استمع إلى دفاع أبى بكر عن نفسه، و انتبه إلى تبدّل الكلام، و تذبذب المنطق، و تغيّر الأسلوب، و عدم الاهتمام بالتناقض فى الكلام.

جواب أبی بکر

فقال ابوبکر:

صدق الله و صدق رسوله

و صدقت ابنته

أنتِ معدن الحکمه

و موطن الهدی و الرحمه

و رکن الدین

و عین الحجه

لا أُبعدُ صوابکِ

ولا أنکر خطابکِ

هؤلاء المسلمون بینی و بینک

قلَّدونی ما تقلّدت

و باتفاق منهم أخذتُ ما أخذت

غیر مکابر و لا مستبد

و لا مستأثر

و هم بذلک شهود

ص: 411

لما زيّفت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) الحديث الذى اختلقه أبوبكر و نسبه إلى الرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و أبطلت ذلک الادّعاء بالأدله القاطعه و الحجج الساطعه، عجز أبوبكر عن تفنيد الحجج و البراهين التى استدلت بها السيده فاطمه. و لهذا دخل من باب آخر، كى لا يتحمل المسؤوليه هو وحده، بل تكون المسؤوليه على المسلمين الذين وافقوا على تصرفاته، فقال «صدق الله و صدق رسوله و صدقت ابنته» تصديق لآيات المواريث بين الأنبياء، و تصديق للرسول الذى لا يخالف القرآن و كأنه ينسحب عن الحديث الذى نسبه إلى النبى «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» و تصديق لكلام بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)

«أنت معدن الحكمه، و موطن الهدى و الرحمه، و ركن الدين و عين الحجه»اعترافات عجيبه تدل على التنازل و الانسحاب «لا أُبعدُ صوابک و لا أُنكر خطابکِ» إقرار بصواب قولها، و اعتراف بصدق خطابها و كلامها، و لكن كله صوريّ أى باللسان لا بالعمل فالزهراء صادقه القول فى ادّعائها فدک، لا يشک أحد فى ذلک و لكن السلطه المعترفه بصدق كلامها لا تردّ إليها حقوقها، لماذا؟ و كيف؟ «هؤلاء المسلمون الحاضرون بينى و بينک هم قلدونى ما تقلدت» و هذا اعتراف صريح منه أنه لم يصل إلى الخلافه بالنص و التعيين من رسول الله (صلى الله عليه

و آله و سلم) و إن رسول الله لم يستخلفه، بل المسلمون قلّدوه الخلافه.

«و باتفاق منهم أخذت ما أخذت» أنظر إلى تبدّل المنطق فقد قال أولاً: إنه استولى على فدک عملاً بقول الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم): «نحن معاشر الأنبياء... الى آخره»، و بعد أن أبطلت السيده فاطمه هذا الكلام تشبث بوسيله أخرى، و هى اتفاق المسلمين على غصب فدک. مَن هم المسلمون الذين اتفقوا على أخذ أبى بكر فدک؟

بنوهاشم؟ أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟ رؤساء الصحابه أمثال: سلمان و المقداد و عمار و أبى ذر و نظرائهم؟

إن كلمه: «و باتفاق منهم أخذت ما أخذت» هى عباره اخرى عن كلمته السابقه: «و ذلک بإجماع المسلمين» و قد ذكرنا قيمه ذلک الإجماع وقس عليها قيمه هذا الاتفاق منهم على أخذ فدک فاطمه.

«غير مكابر و لا مستبد و لا مستأثر و هم بذلک شهود» حينما استشهد أبوبكر بالمسلمين كان لزاماً على السيده فاطمه أن توجّه عتاباً لاذعاً إليهم:

فاطمه الزهراء توجه الخطاب إلى الحاضرين

معاشر الناس.

المُسرعه إلى قيل الباطل.

المُغضيه على الفعل القبيح الخاسرِ (1) أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟

كلا، بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم.

فأخذ بسمعكم و أبصاركم.

ولبئس ما تأوّلتم.

وساء ما به أشرتم.

وشر منه اعتضتُّمِ.

لتجدنَّ- والله- محمله ثقيلاً.

وغبَّه وبيلاً (2) .

إذا كشف لكم الغطاء و بان ما وراءه الضرّاء.

و بدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، و خسر هنالک المبطلون.

1- 452. المغضيه: الساكته الراضيه.
2- 453. الغب- بكسر الغين-: العاقبه.. الوبيل: الشديد الثقيل.

و جهت السيده فاطمه عتابها الاخير الى تلک الجماهيرالمتجمهره التى كانت تستمع الى ذلک الحوار الحاد و قالت:

«معاشر الناس المسرعه إلى قيل الباطل» أى القول الباطل، أى أسرعتم إلى قول باطل إذ أنكم قلّدتم هذا الرجل ما قلّدتم، و اتفقتم معه- حسب ادعائه- على غصب حقوقى.

«المغضيه على الفعل القبيح الخاسر» الإغضاء هو إدناءِ الجفون على العين، كالذى ينظر إلى الأرض أو ينظر فى حِجره، كنايه عن السكوت و الرضا بالفعل القبيح الخاسر الذى هو سبب خسران صاحبه.

«أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟» هل نسيتم الآيات النازله فينا؟ أو لم تفهموا الآيات التى تلوتها فى وراثه الأنبياء؟ أم قلوبكم مقفله مغلقه فلا تنفتح لكلام الله و أحكامه فى القرآن؟

«كلاَّ» ليس السبب عدم التدبر فى القرآن «بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم» أى غلب على قلوبكم و غطّاها سوء أعمالكم كالحجاب الكثيف، كما تغطّى الخمره عقل شاربها فلا يفهم و لا يشعر، و تختل عنده الأمور.

«فأخذ بسمعكم و أبصاركم» كالغفله المستوليه على القلب، المؤثّره على السمع و البصر، فلا يسمع الغافل الصوت و لا يبصر الشى ء بسبب انشغال قلبه و غفلته.

«و لبئس ما تأوَّلتم» فی آیات القرآن و أحکام الإسلام و تغییرها عن مجراها الحقیقی «و ساء ما به أشرتم» تقصد التعاون و الاتفاق علی غصب حقوق آل محمد (علیهم السلام).

«و شرّ ما منه اعتضتم» أی ساء ما أخذتم به عوضاً عما ترکتم أی بئس الباطل الذی أخذتموه عوضاً عن الحق، و کلها کنایات و إشارات یفهمها الأذکیاء.

«لتجدَّن- و الله- محمله ثقیلاً و غبّه و بیلاً» إشاره إلی المسؤولیه الکبری یوم القیامه، و الحمل الثقیل و الأمر الشدید الذی یعاقبون علیه أشد العقاب، و یعذّبون علیه أشد العذاب.

«إذا کشف لکم الغطاء» إذ متّم و انتقلتم إلی عالم الجزاء.

«و بان ما وراءه الضرّاء» و ظهر لکم الشی ء الذی وراءه الشدّه.

«و بدا لکم من ربکم ما لم تکونوا تحتسبون، و خسر هنالک المبطلون» و هکذا أدمجت السیده فاطمه حدیثها و خطابها مع الآیات المناسبه للمقام.

لقد أتمت السیده فاطمه الحجه علی الجمیع، و أدّت ما علیها من الواجبات، و سجلت آلامها فی سجل التاریخ و الآن:

ثم عطفت علی قبر أبیها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و قالت:

و قالت

قد کان بعدک أنباء و هنبثهِ (1)

لو کنت شاهدها لم تکثر الخطبُ (2) .

ص: 416

1- 454. الهنبثه: الامر الشدید المختلف.
2- 455. الخطب- بضم الخاء و الطاء- جمع خطب- بفتح الخاء- و هی المصائب الشدیده.

إنا فقدناک فقدَ الأرض و ابلهاِ (1)

و اختل قومک فاشهدهم و قد نکبواِ (2) .

و کل أهل له قُربی و منزله

عند الإله علی الأدنین مقتربُ

أبدَتْ رجال لنا نجوی صدورهمِ (3)

لما مضیتَ و حالت دونک التُّربُ

تجهّمتنا رجال و استُخفّ بنا

لما فُقدتَ، و کل الإرث مغتصَبُ (4) .

و کنتَ بدراً و نوراً یُستضاء به

علیک تنزل من ذی العزّه الکتبُ

و کان جبریل بالآیات یؤنسنا

فقد فُقدتَ، فکلّ الخیر مُحتجبُ

فلیتَ قبلکَ کان الموت صادَفَنا

لمّا مضیت و حالت دونک الکُثُبُ (5) .

إنا رُزینا بما لم یُرزَ ذو شَجَنِ (6)

مِن البریه لا عجم و لا عربُ

و فی ناسخ التواریخ زیاده هذه الأبیات:

سیعلم المتولی ظلم حامتنا

یوم القیامه أنّی سوف ینقلبُ

و سوف نبکیک ما عشنا و ما بقیت

له العیون بتهمال له سکبُ

و قد رزُینا به محضاً خلیقته

صافی الضرائب و الأعراق و النسبُ

فأنت خیر عباد الله کلهم

و أصدق الناس حین الصدق و الکذبُ

و کان جبریل روح القدس زائرنا

فغاب عنا فکل الخیر محتجبُ

ضاقت علیَّ بلادٌ بعد ما رحبتْ

وسیم سبطاک خسفاً فیه لی نَصَبُ

و فی کشف الغمه: و غیره: ثم عطفت علی قبر رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فتمثّلت بقول هند بنت أثاثه: قد کان بعدک.. الی آخره.

1- 456. الوابل: المطر العزیز الکثیر.
2- 457. نکبوا: عدلو عن الطریق.
3- 458. نجوی- هنا-: الاحقاد.
4- 459. مغتصب: مغضوب.
5- 460. الکثب- بضم الکاف و الثاء- جمع کثیب و هو الرمل.
6- 461. رزینا: من الرزیه و هی المصیبه. و الشجن: الحزن.

و قیل: هذه الأبیات لهند بنت أبان بن عبدالمطلب تمثلت بها السیده فاطمه، و علی کلٍ فقد ألقت السیده فاطمه نفسها علی قبر أبیها و هی تنشد هذه الأبیات. و فی کشف الغمه: فما رأینا أکثر باک و لا باکیه من ذلک الیوم.

و لما ایست السیده الزهراء (علیهاالسلام) من ابی بکر و استعاده حقوقها المغتصبه منه رجعت الی دارها و هی تقول: «اللهم انهما ظلما بنت نبیک حقها، فاشدد و طاتک علیهما» (1) .

و فی صحیح البخاری- کتاب الخمس-:... فغضبت فاطمه بنت رسول الله، فهجرت ابابکر، فلم تزل مهاجرته حتی توفیت.

و روی مثله مسلم فی صحیحه- کتاب الجهاد و السیر فی باب قول النبی: لا نورث-و رواه البیهقی فی السنن ج 6 ص 300، و احمد بن حنبل فی مسنده ج 1 ص 6، و ابن سعد فی طبقات الصحابه ج 18، و غیرهم.

1- 462. وفاه الصدیقه الزهراء للمقرم ص 78.

التجاسر على أهل بيت الرسول

اشاره

قال ابن أبى الحديد فى شرحه على نهج البلاغه: لما سمع أبوبكر خطبتها المذكوره و ما وقع بين الناس من الاختلاف و الهمهمه فى سوء تلک المقدمه و خاف أن تنعكس القضيه شق عليه ذلک فصعد المبر فقال:

أيها الناس! ما هذه الرعه إلى كل قاله؟ أين كانت هذه الأمانى فى عهد رسول الله؟ ألا! من سمع فليقل، و من شهد فليتكلم، إنما هو ثعاله، شهيده ذَنَبه، مربّ لكل فتنه هو الذى يقول: كرّوها جذعه بعد ما هرمت. يستعينون بالضعفه و يستنصرون بالنساء، كأم طحال أحبّ أهلها إليها البغى ألا: إنى لو أشاء لقلت:و لو قلت لَبُحت، إنى ساكت ما تُركت.

ثم التفت إلى الأنصار فقال: يا معشر الأنصار قد بلغنى مقاله سفهائكم و أحق من لزم عهد رسول الله أنتم، فقد جاءكم فآويتم و نصرتم، ألا: إنى لست باسطاً يداً و لساناً على من لم يستحق ذلک منا. ثم نزل.

ثم قال ابن أبى الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب أبى يحيى جعفر بن يحيى بن أبى زيد البصرى و قلت له: بمن يعترض؟

فقال: بل يصرّح.

قلت: لو صرّح لم أسئلک.

فضحک فقال: لعلى بن أبى طالب!!

قلت: هذا الكلام كله لعلى يقوله؟

قال: نعم إنه المُلک يا بنى.

ص: 419

قلت: فما مقاله الأنصار؟

قال: هتفوا بقول علىّ، فخاف من اضطراب الأمر عليهم، فنهاهم. فسألته عن غريبه (أى شرح الكلمات) فقال:

أما الرعه- بالتخفيف- أى الاستماع و الإصغاء. و القاله: القول. و ثعاله: اسم الثعلب، مثل ذؤاله للذئب. و شهيده ذَنَبه: أى لا شاهد له على ما يدّعيه إلاّ بعضه و جزء منه، وأصله مَثَل: قالوا: إن الثعلب أراد أن يُغرى الأسد بالذئب فقال له: إنه قد أكل الشاه التى كنت أعددتها لنفسک، و كنت حاضراً، قال: فمن يشهد لک بذلک؟ فرفع ذَنَبه و عليه دم. و كان الأسد قد افتقد الشاه، فقبل شهادته، و قتل الذئب. و «مربّ»: ملازم، من أربّ بالمكان و (كروها جذعه): أعيدوها إلى الحال الأولى يعنى الفتنه و الهرج و «أم طحال» امرأه بغى فى الجاهليه يضرب بها المثل، فيقال: أزنى من أم طحال.

اقول: نحن لا نقول شيئاً على هذه الكلمات التى استعملها أبوبكر فى آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و عترته الطاهره الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرّهم تطهيراً، و لا نعاتبه على أدبه فى المنطق و تعبيره فى الكلام!.

و لكن نقول: قرّت عينک- يا رسول الله- فهكذا يقال فى حق ابنتک و عزيزتک و حبيبتک فاطمه الزهراء!! و هكذا يقال فى حق أخيک و خليفتک و وزيرک و حامل لوائک: أميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب!!

و كل هذا على منبرک و فى مسجدک و فى جوار مرقدک.

قرّت عيناک يا أبافاطمه الزهراء و بشراک بل بشريان!! فهذه كرامه أهل بيتک، و عترتک عند أبى بكر و أشباهه!

و فی الدر النظیم للشیخ جمال الدین الشامی قال- بعد خطبه فاطمه (علیها السلام) فی المسجد و کلام أبی بکر-: فقالت أم سلمه «رضی الله عنها» حین سمعت ما جری لفاطمه (علیهاالسلام):

أِلمثل فاطمه بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) یقال هذا القول؟!!

هی و الله الحوراء بین الإنس، و النَفَس للنفس، رُبّیت فی حجور الأتقیاء، و تناولتها أیدی الملائکه، و نمت فی حجور الطاهرات، و نشأت خیر نشأه، و ربیت خیر مربی، أتزعمون أن رسول الله حرّم علیها میراثه و لم یُعلمها؟ و قد قال الله تعالی: «و أنذر عشیرتک الأقربین» أفأنذرها و خالفت متطلبه؟!!

و هی خیرَه النسوان و أمّ ساده الشبّان، و عدیله مریم، تمّت بأبیها رسالات ربه، فوالله لقد کان یشفق علیها من الحرّ و القرّ، و یوسدها یمینه و یلحفها بشماله.رویداً و رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) بمرأی منکم، و علی الله تردون واهاً لکم، فسوف تعلمون).

قال: فَخُرمت عطاءها تلک السنه!

رجوعها إلى الدار و كلامها مع زوجها

ثم انكفأت (عليهاالسلام) (1) .

و أميرالمؤمنين (عليه السلام) يتوقع رجوعها إليهِ (2) .

و يتطلع طلوعها عليه.

فلما استقرت بها الدار قالت لأميرالمؤمنين (عليه السلام):

يا بن أبى طالب.

اشتملتَ شَملَه الجنينِ (3) .

وقعدتَ حجره الظنينِ (4) .

نقضتَ قادمةَ الأجدلِ (5) .

فخانک ريش الأعزلِ (6) .

هذا ابن قحافه يبتزّنى نحله أبيِ (7) .

1- 463. انكفات: رجعت.
2- 464. يتوقع: ينتظر.
3- 465. اشتمل الثوب: اذا اداره على الجسد. و الشمله-بكسرالشين-: ما يشتمل به، و المقصود هنا: مشيمه الجنين، و هى محل الولد فى الرحم.
4- 466. الحجره- بضم الحاء-: البيت. و بضم الحاء و سكون الجيم ثم الزاء: هو المكان الذى يحتجز فيه. و الظنين: لبمتهم.
5- 467. نقضت: ضد ابرمت. و القادمه- واحده القوادم- و هى مقاديم ريش الطائر. و الاجدل: الصقر.
6- 468. خانک من الخيانه. و فى نسخه: خاتک: اى انقض عليک.
7- 469. يبتزنى: يسلبنى بالقهر و الغلبه.و النحله- بكسر النون-: العطيه، و النحليه تصغيرها.

و بُلغهَ ابنىَّ (1) .

لقد أجهر فى خصامىِ (2) .

و ألفيته الألدّ فى كلامىِ (3) .

حتى حبستنى قيلهُ نصرهاِ (4) .

و المهاجره و صلهاِ (5) .

و غضَّت الجماعه دونى طرفها.

خرجت كاظمه، و عدت راغمهِ (6) .

أضرعتَ خدَّک يوم أضعت حدَّكِ (7) .

افترستَ الذئاب و افترشت التراب.

ما كففتَ قائلاً و لا أغنيتَ باطلاً (8) .

و لا خيار لىِ (9) .

ليتنى متُّ قبل هينتىِ (10) .

1- 470. البلغه: ما يتبلغ به من العيش و يكتفى به.
2- 471. اجهر: اعلن بكل وضوح. و فى نسخه: اجهد: اى جد و بالغ.
3- 472. الفيته: وجدته. والالد: شديد الخصومه،و فى نسخه: اجهد فى ظلامى والد فى خصامتى.
4- 473. حبستنى: منعتنى. و قيله: اسم ام الاوس و الخزرج. و هما قبيلتان من الانصار.
5- 474. المهاجره: المهاجرون. و صلها: عونها. اى حبسنى.
6- 475. كاظمه: متجرعه الغيظمع الصبر.
7- 476. اذللت، واضعت حدک: اهملت قدرک و فى نسخه: جدک و هو الحظ.

8- 477. ما كففت: ما منعت.
9- 478. لاخيار لى: لا اختيار لى.
10- 479. هينتى- بكسر الهاء- مهانتى.

و دون ذلّتی.

عذیری الله منک عادیاً و منک حامیاً.

ویلای فی کل شارق.

مات العَمَد و وهن العَضُد.

شکوای إلی أبی.

و عدوای إلی ربی.

اللهم أنت أشدُّ قوه و حولاً.

و أحدُّ بأساً و تنکیلاً.

فقال أمیرالمؤمنین (علیه السلام):

لا ویل علیکِ.

بل الویل لشانئکِ.

نهنهی عن وَجدکِ یا بنه الصفوهِ (1) .

و بقیّه النبّوه.

فما وَنیتُ عن دینیِ (2) .

و لا أخطأت مقدوری.

فإن کنتِ تریدین البُلغه فرزقک مضمونِ (3) .

و کفیلک مأمون.

و ما أُعدَّ لکِ خیرٌ مما قُطع عنکِ.

فاحتسبی الله.

فقالت: حسبی الله. و أمسکت.

ص: 424

1- 480. نهنهی: کفی، وجدک: حزنک.
2- 481. ونیت: عجزت.
3- 482. البلغه- بضم الباء-: الکفایه.

الإمام على فى انتظار فاطمه الزهراء

اشاره

كان الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) ينتظر السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) زميلته فى الجهاد، و شريكته فى الآلام و الآمال.

ينتظر رجوعها من ساحه الجهاد، من مسجد أبيها.

من المؤتمر الإسلامى الذى انعقد فى أكبر مركز إسلامى يومذاک.

رجعت و هى مرهقه بأتعاب الجهاد المتواصل. و حياتها كلها جهاد.

رجعت و هى منتصره، و إن كانت- فى الوقت نفسه- مغلوبه على أمرها مظلومه مهضومه، منكسره القلب، متعبه الأعصاب، حزينه.

انتصرت لأنها أعلنت للجماهير، للأجيال، للتاريخ أنها مظلومه، مغصوب حقها أنها أدانت السلطه بالخطأ المكشوف، بالاعتداء المقصود.

انتصرت لأنها عرّفت الإسلام كما ينبغى.

تحدثت عن النقاط الرئيسيه فى الإسلام، عن التوحيد عن النبوه و الإمامه، و علل الأحكام، و فلسفه الشريعه الإسلاميه، و بكل ما يدور فى هذا الفلک الواسع الشاسع.

و وصلت إلى بيتها، و قد بقى الشوط الأخير من أشواط الجهاد.

رجعت لتكشف حقيقه أخرى لأهل العالم. للتاريخ.

و اختارت- لكشف الحقيقه- هذه الطريقه و هذا الأسلوب أسلوب الحوار مع زوجها. الحوار الذى يشبه العتاب.

و فی الوقت نفسه تتحدث عن الأحداث، عن موقف السلطه یومذاک. عن موقف المسلمین الذین استولت علیهم الحیره و الدهشه و الذهول. الضمائر تؤنّبهم، و الإحساس بالألم یُجری دموعهم، الخوف من السلطه یخرسهم، فهم فی ذهول.

یرون شیئاً، و یسمعون أشیاء:

یرون رئیس الدوله، و هو یدَّعی أنه یمثّل صاحب الشریعه الإسلامیه.

و یسمعون من ابنه صاحب الشریعه (فاطمه) الآهات، و کلمات التظلّم و السخط علی الحکام.

شکوی من فاطمه الی علی

رجعت إلی الدار لتکشف موقف زوجها العظیم تجاه تلک الأحداث، فقالت: «یا بن أبی طالب».

ربما یتصور بعض أهل العلم- من الخطباء و غیرهم- أن الزهراء تحدّث زوجها العظیم بهذا التحدی الصریح اللاذع.

إذ إنها تخاطبه بکلمه: «یا بن العم» أو «یا أباالحسن» أو «یا علیّ» أو ما أشبه ذلک من الکلمات التی تناسب للزوجه أن تخاطب بها زوجها.

فیحملون هذا التحدی علی مدی تأثرها من الأحداث، و تألّمها مما جری.

أقول: سبحان الله! و أی منقصه فی هذا الخطاب؟!

و أی عارٍ فی هذا النسب؟!

أبوطالب:

شیخ الأباطح، سید أهل مکه، حامی الرسول، مفخره التاریخ، عظیم

قريش، كبير بنى هاشم فى عصره.

أبوطالب:

الشجاع الذى هابه المشركون، البطل الذى ظلَّ الرسول يدعو إلى الله، تحت حمايه ذلک البطل.

أبوطالب:

رجل الحميّه، مثال الفتوه و الشهامه، بطل الغيره و العاطفه.

فما المانع أن يقال لشبله البار و نجله العظيم: يا بن أبى طالب؟!!

أليس معنى: «يا بن أبى طالب» يا بن العظمه و السياده؟

يا بن الشرف و المجد؟

يا بن البطوله و البساله؟

يا بن الحميّه و الحفاظ؟

يا بن الفضيله، بل الفضائل كلها؟

أليس معناه هذا؟؟؟

نعم، إنها قالت: «يا بن أبى طالب» و كأنها تهيّج عزائمه.

و كأنها تستنهضه للنجده، و تذكره بنسبه الشريف الأرفع.

تذكره أنه ابن أبيه.

كأنها تقول له: إن أباک أسعف أبى، و وقف له وقفه المدافع المستميت فلماذا لا تدافع عنى؟ لا تسعفنى؟

ثم ذكّرته بسوابقه البطوليه، و مواقفه العظيمه، و إقدامه فى جبهات القتال، و تحطيمه الأُسُود، و طحنه الأبطال طحن الرحى. ثم قارنت بين ماضيه و حاضره، و قالت:

«اشتملت شمله الجنين» الجنين المحبوس فى غشاء المشيمه، لا يستطيع أن يعمل شيئاً.

ص: 427

«و قعدت حجره الظنين» المتّهم، الذى يجلس فى بيته فراراً من الناس، و خوفاً أن يلتقى به أحد،و فى نسخه: «حجزه الظنين».

«نقضت قادمه الأجدل» كنت- فيما مضى- تكسّر أجنحه الصقور، و هى بمنزله العمود الفقرى فى الطائر.

«و خانک ريش الأعزل» صرت- فى الحال- أعزلاً، لا سلاح لک، ضعيفاً حتى اعتدى عليک أفراد ليسوا فى العير و لا فى النفير، و كأنها تتعجب من سكوته فى أول الأمر و عدم قيامه بطلب الحق، و فى نسخه: «خاتک» أى انقضَّ عليک.

ثم وضعت النقاط على الحروف، و شرحت الموضوع بالتفصيل، فقالت:

«هذا ابن أبى قحافه».

كلمه «ابن أبى قحافه» معاكسه و مغايره تماماً لكلمه «ابن أبى طالب» من حيث المغزى و المفهوم.

أما كان عبدالله بن جذعان صاحب المضيف فى الطائف؟

أما كان أبوقحافه يحمل أوانى الطعام من المطبخ إلى المضيف؟

أما كان يدعو الناس للطعام بأمر عبدالله بن جذعان؟

ابن أبى قحافه «يبزّنى نحله أبى» يسلبنى عطيه والدى.

«و بُلغه ابنىَّ» و هى ما يكتفى به ولداى: الحسن و الحسين لمعيشتهما من غلاّت فدک و العوالى، أو من الخمس و الفى ء.

«لقد أجهر فى خصامى» أعلن فى مخاصمتى، و تجاوز الكلام حدّ التفاهم و الاستدلال، و بلغّ حدّ العناد و الخصومه، فالحجه و الدليل فى المنطق غير مقبول، و التفاهم غير ممكن، لأنه أنكر قانون الميراث، و التوارث بين الأب و ابنته.

«و ألفيته الألدَّ فی کلامی» لأنه افتری علی الرسول بحدیث ینافی القرآن و هو المدّعی، و هو الشاهد، و هو الحاکم، و جعل ذلک الحدیث حجه له و دلیلاً علی ما یدّعی.

«حتی حبستنی قیله نصرها» إن الأنصار و هم الأوس و الخزرج ابنا قیله، و هی أمهما قد ترکوا نصرتی بعد مواقفهم فی نصره المسلمین, ترکوا نصرتی لأن الناس علی دین ملوکهم.

«و المهاجره و صلها» أی امتنع المهاجرون (و هم أهل مکه) عن و صلی و إسعا فی و هنا نکته لطیفه: فی استعمال الوصل فی مقابل الهجر.

«و غضَّت الجماعه دونی طرفها» یا للرزیه، یا للهضمیه! إن بقیه الناس الحاضرین فی المسجد أیضاً أعرضوا عنی و اتّبعوا غیرهم فی التخاذل و کأنهم لا یعرفوننی. «فلا دافع و لا مانع» کی یدافع عنی، و یضمُّ صوته إلی صوتی، أو یدفع عنی اعتداء المعتدین، و یمنعهم عن ذلک، و فی نسخه: «و لا شافع».

«خرجت کاظمه، و عدت راغمه» خرجت من البیت إلی المسجد کاظمه للغیظ متجرعه للألم، و رجعت إلی الدار و قد عجزت عن الانتصار.

«أضرعت خدَّک یوم أضعت حدک» کأنها تعتبر سکوت علیّ (علیه السلام) أمام تلک الأحداث نوعاً من التذلل بسبب کبت النفس، و عدم استعمال القوه، و عدم إظهار القدره.

«افترست الذئاب و افترشت التراب» هذه الجمله تفسیر و تفصیل للجمله السابقه، لأن الرجل البطل المقدام الذی یفترس الذئاب أی یجدّل الأبطال و یقتل الشجعان کیف یبلغ به الأمر إلی درجه أنه یفترش التراب للجلوس أو النوم، أی لیس له فراش یجلس علیه سوی التراب، و هو منتهی الفاقه و البؤس، و فی بعض النسخ: «افترست الذئاب و افترستک الذباب» أی

صرت فريسه للضعفاء.

«ما كففت قائلاً و لا أغنيت باطلاً» يمكن أن يكون قولها: «ما كففت و لا أغنيت»بصيغه المتكلم أى ما كففت أنا، و يمكن أن يكون بصيغه الخطاب أى ما كففت أنت.و على الوجه الأول فالمعنى: لم أستطع أن أمنع قائلاً عن قوله، و أن أصرف باطلاً، و فى بعض النسخ: «و لا أغنيت طائلاً» أى ما فعلت شيئاً نافعاً، أى ما ينفعک السكوت و القعود.

و على الوجه الثانى: «إنک لم تدفع عنى قائلاً، و لم تصرف عنى باطلاً».

«و لا خيار لى» أى لا قدره لى على الدفاع و استرجاع الحق، أو لا اختيار لى فى المقاومه و المكافحه أكثر من هذا، لأننى امرأه، و المرأه محدوده فى تصرفاتها و إمكانياتها.

«ليتنى متُّ قبل هينتى و دون ذلّتى» حقّ لها أن تتمنى الموت قبل أن ترى ذلک الجفاء من أمه أبيها، من تلک الأفراد الذين كوَّنهم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و منحهم العز و السياده، و أنقذهم من شفا جرف الهلكات.

قبل أن تشاهد الذل و الهوان من ذلک المجتمع الجاف الذى لا يؤمن بالقيم و لا بالكرامه.

«عذيرى الله منک عادياً و منک محامياً» لهذه الجمله احتمالات:

الأول: الله يعتذر منک بسبب إسائتى إليک أو إيذائک بهذا النوع من الكلام. الثانى: عذرى أنک قصرت فى إعانتى و حمايتى. و هناک احتمالات أخرى بعيده جداً.

«ویلای فی کل شارق» ویلای: کلمه تقال عند الشده و المصیبه فهی إذن تدل علی شده حال قائلها من حیث التألّم و التوجّع، تقول (علیهاالسلام): ویلای فی کل صباح تشرق فیه الشمس.

و فی نسخه: «ویلای فی کل شارق ویلای فی کل غارب» أی فی کل صباح و مساء و عند کل شروق و کل غروب، بسبب المصیبه، و هی:

«مات العمد و وهن العضد» أی مات الذی کان یسند به و یعتمد علیه فی الأمور و بموت العماد ضعف العضد، ای: بموت الرسول ضعف الامام امیرالمومنین» (علیهماالسلام) «و فی نسخه: «و ذل العضد».

«شکوای الی ابی» ای: لیس لی احد اشکو الیه ماجری علی سوی ابی (ص).

«و عدوای الی ربی» ای: من الله اطلب النصره و الانتقام

«اللهم انت اشدقوه و حولا» فی الدفع و المنع، و لا حول و لا قوه الا بالله. «واحد باسا و تنکیلا» ای: اشد عذابا و عقوبه.

انتهی کلام الصدیقه فاطمه الزهرا (علیهاالسلام) حول الاحداث و موقف السلطه و الناس منها.

و کان الامام یستمع الی شکواها... الی آلامها... الی کلماتها المنبعثه من قلب ملتهب و نفس متالمه !..

الامام علی یخفف عنها الآلام

و الان: آن للامام ان یجیبها علی کلامها، و یذکر موقفه تجاه تلک القضایا و البوقائع التی المت بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)،

فقال لها:

«لا ویل علیکِ» هذا جواب من الإمام علی کلامها حیث قالت: «ویلای» فیقول الإمام لها: «لا ویل علیک» أی لا ینبغی أن تقولی «ویلای».

«بل الویل لشانئک» لمبغضک الذی خسر الدنیا و الآخره، الویل لعدوک الذی ظلمک،و کسر قلبک و آذاک.

«نهنهی عن نفسک یا بنه الصفوه» أی: کُفّی و امنعی نفسک عن الحزن و الغضب یا ابنه الذی اصطفاه الله و اختاره علی العالمین.

«و بقیه النبوه» أنت بضعه النبی، و قد أُوذی النبی من أمته، کما قال (صلی الله علیه و آله و سلم): ما أوذی نبی بمثل ما أُوذیت.

أنت- یا فاطمه- بعض من ذلک الکل، و جزء من سید الرسل. فاصبری علی ما أصابکِ. ثم أنه (علیه السلام) ذکر موقفه، و بیّن تکلیفه الشرعی اتجاه تلک الأحداث فقال: «فما و نیتُ عن دینی» أی: ما عجزت عن القیام بما یجب، و ما ضعف دینی و اعتقادی، أی لم أصنع شیئاً استحق علیه اللوم و العتاب، لأننی مأمور بالصبر و السکوت، لأن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قد أمرنی بالصبر إن لم أجد أعواناً، و لیس غصب فدک و العوالی بأعظم من غصب الخلافه و الاستیلاء علی منصه الحکم، و الجلوس علی مسند السلطه.

«و لا أخطأْت مقدوری» أی: ما ترکت ما دخل تحت قدرتی و إمکانیتی، کأنه (علیه السلام) یعتذر عن سبب تقاعده عن نصرتها.

و المقدور- هنا- لیس المقدور العقلی بل المقدور الشرعی، و لنضرب لذلک مثلاً: المریض الذی یضره استعمال الماء للاغتسال و الوضوء قادر علی استعمال الماء عقلاً و عاجزاً شرعاً، و أمیرالمؤمنین (علیه السلام) کان یستطیع

أن ينهض و يحمل سيفه و يهاجم المغتصبين، و يقتل منهم أفراداً لا يتجاوزون العشره و يستولى على فدک و العوالى، و على الحكم.

أما قتل علىّ (عليه السلام) يوم بدر حوالى خمسه و ثلاثين رجلاً من الشجعان؟ مع العلم أن رجال السلطه يومذاک لم يكونوا بأشجع من الذين حضروا يوم بدر لمحاربه رسول الله.

هذه القدره العقليه المتوفره للإمام (عليه السلام).

و أما القدره الشرعيه: فإن علياً إذا نهض لأجل القضاء على اولئک الأفراد فمعنى ذلک وقوع الفتن و المصائب و الاضطرابات الداخليه و اتساع نطاق الفتنه و خاصه و أن هناک أفراداً يتربصون بالإسلام و ينتهزون الفرصه للإطاحه بذلک الدين الذى كان غضاً جديداً لم تستقر أركانه بعد، و لم يضرب بجرانه الأرض.

أضف إلى ذلک وصيه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لعلى (عليه السلام) بالصبر و السكوت.

إذن: فالأفضل التضحيه بفدک و العوالى، و السكوت عن المغتصبين رعايه للإسلام و حفظاً للدين من الضياع و الانهيار.

«فإن كنتِ تريدين البلغه» أى: إن كان هدفک من مطالبه الأراضى هو البُلغه و هى ما يتبلغ به من العيش بمقدار الكفاف لک و لأولادک.

«فرزقک مضمون» و الضامن هو الله الذى تكفّل رزق كل ذى روح.

«و كفيلک مأمون» و هو الله تعالى لا يخلف و عده فيما تكفّله و ضمنه.

«و ما أُعدَّ لكِ» من الأجر. و تهيأ لک من الثواب فى الآخره و العظمه يوم القيامه و الدرجات العاليه التى أحرزتيها فى مقابل هذه المصائب

و الاضطهاد و المظلوميه.

«أفضل مما قطع عنكِ» من الأراضى، و أفضل مما منعوكِ من حقوقكِ.

«فاحتسبى الله» اصبرى طلباً لرضاه.

«فقالت: حسبى الله. و أمسكتْ» امتثلت أمر إمامها، و أطاعت زوجها، و قالت: حسبى الله. أى: الله كافئى، و عليه أعتمد فى أمورى. و سكتت و رضيت «سلام الله عليها).

ص: 434

قال سوید بن غفله:

لما مرضت فاطمه (علیهاالسلام) المرضه التی توفّیت فیها

اجتمع إلیها نساء المهاجرین و الأنصار یَعُدْنَها

فقلن لها: کیف أصبحتِ من علَّتک یا ابنه رسول الله؟

فحمدت الله، و صلّت علی أبیها، ثم قالت:

أصبحتُ- و الله- عائفهً لدنیا کنَّ (1) .

قالیهً لرجالکنِ (2) .

لفظتُهم بعد أن عجمتهمِ (3) و شنئتهم بعد أن سَبَرتهمِ (4) .

فقبحاً لفلول الحدِ (5) .

و اللعب بعد الجدّ (6) .

و قرع الصفاه، و صدع القناهِ (7) .

1- 483. عائقه: کارهه.
2- 484. قلیه: مبغضه.
3- 485. لفظتهم: رمیت بهم. عجمتم: مضغتهم.
4- 486. شنئتهم: ابغضتهم. سبرتهم: عرفت عمقهم، ای تاملتهم.
5- 487. فلول الحد: ثلمه حد السیف.
6- 488. الجد- بکسر الجیم- ضد الهزل و اللعب.
7- 489. قرع الصفاه: ضرب الصخره الملساء، و صدع القناه: استرخاء الرمح. و قیل الصدع: الشق.

و خطل الآراء، و زلل الأهواءِ (1) .

و بئس ما قدَّمت لهم أنفسهم.

أن سخط الله عليهم و فى العذاب هم خالدونِ (2) .

لا جرَمَ لقد قلّدتهم ربقتهاِ (3) .

و حمّلتهم أوقتهاِ (4) .

و شننت عليهم عارهاِ (5) .

فجدعاً و عَقراً و سُحقاً للقوم الظالمينِ (6) .

و يحهم !

أنّى زحزحوها عن رواسى الرسالهِ (7) .

و قواعد النبوه و الدلالهِ (8) .

و مَهبط الروح الأمينِ (9) .

و الطبين بأُمور الدنيا و الدينِ (10) إلا: ذلک هو الخسران المبين

1- 490. خطل الاراء: فسادها. و زلل الاهواء:انحراف الميول و الرغبات.
2- 491. المائده: 80.
3- 492. قلدتهم: جعلت فى اعناقهم، ربقتها:حبلها.
4- 493. حملتهم اوقتها: حملتهم الثقل و المسئوليه.
5- 494. شننت ارسلت. و العار: السبه و العيب.
6- 495. الجدع- بفتح الجيم-: قطع العنف. و العقر- بفتح العين-: الجرح. و السحق: البعد و كلها فى مقام الدعاء عليهم.
7- 496. زحزهوها: نحوها. و الرواسى:الثوابت.
8- 497. قواعد البيت: اسسه.
9- 498. مهبط الروح الامين: محل نزول جبرئيل.

10- 499. الطبين: الحاذق الفطن العارف.

و ما الذى نقموا من أبى الحسنِ؟ (1) .

نقموا منه- و الله- نكير سيفهِ (2) .

و قلَّه مبالاته بحتفهِ (3) .

و شدّه و طأته و نكال وقعتهِ (4) .

و تنمّره فى ذات الله (عز و جلِ) (5) .

و الله لو تكافّوا عن زمام نَبَذَه رسول الله إليه لاعتلقهِ (6) .

و لَسارَ بهم سيراً سُجُحاًلا (7) .

يكلم خشاشُهِ (8) .

و لا يتعتع راكبهِ (9) .

و لأوردهم منهلاً نميراً، صافياً روّياً، فضفاضاً تطفح ضفّتاه، و لا يترنق جانباهِ (10) .

و لأصدرهم بِطاناً (11) .

1- 500. نقموا منه: عابو و كرهو.
2- 501. نكيرسيفه: لا يعرف سيفه: لا يعرف و لا يفرق بين الشجاع و غيره.
3- 502. الحتف: الهلاک.
4- 503. و طاته: اخذته. و نكال و قعته: اصابه صدمته.
5- 504. التنمر: الغضب، و المقصود من ذات الله اى لوجه الله.
6- 505. تكافو: صرف بعضهم بعضا. و الزمام: مقود البعير. او الخليط الذى يشد فى ثقب انف البعير.
7- 506. السير السجح: السهل اللين.
8- 507. لايكلم: لا يجرح. و الخشاش- بكسر الخاء- الخيط الذى يدخل فى عظم انف البعير.
9- 508. يتبع راكبه: يقلق و يتحرک حركه عنيفه.

10- 509. المنهل: محل ورود الماء العذب السائغ النامى للجسد، و الروى:الكثير. و الفضفاض: الواسع. تطفح: تمتلى ء حتى تفيض. ضفتاه: جانباه. يترنق:يتكدر.
11- 510. بطانا: عظام البطون من كثره الشرب.

و نصح لهم سرّاً و إعلاناً

و لم يكن يحلى من الغنى بطائلِ (1) .

و لا يحظى من الدنيا بنائلِ (2) .

غير ريِّ الناهلِ (3) .

و شبعه الكافلِ (4) .

و لَبَانَ لهم الزاهد من الراغب

و الصادق من الكاذب

«و لو أنَّ أهل القرى آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض و لكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون» (5) .

«و الذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا و ما هم بمعجزين (6) .

إلا: هلمَّ و استمع

و ما عشتَ أراک الدهر عجباً!

و إن تعجب فعجبٌ قولهم!!

ليت شعری إلى أىّ سِناد استندوا؟ (7) .

و على أى عماد اعتمدوا؟

1- 511. يحلى: يصيب و يستفيد. و الطائل:كثير الفائده.
2- 512. يحظى: يظفر. و النائل: العطاء.
3- 513. الناهل: العطشان.
4- 514. الكافل هنا: المحتاج الى الطعام.
5- 515. سوره الاعراف: 94.

6- 516. سوره الزمر: 52.
7- 517. لیت شعری: لیتنی علمت. و السناد- بکسرالسین-: ما استندت الیه من حائطا او غیره.

و بأيَّه عروه تمسَّكوا؟

و على أيَّه ذريَّه أقدموا و احتنكوا؟ (1) .

لبئس المولى و لبئس العشير

و بئس للظالمين بَدَلاً

استبدلوا- و الله- الذُّنابا بالقوادمِ (2) .

و العَجُز بالكاهلِ (3) .

فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صُنعاً (4) .

ألا: إنهم هم المفسدون و لكن لا يشعرون».

ويحهم !!

«أفمن يهدى إلى الحق أحقُّ أن يُتَّبَع أم من لا يَهدى إلاّ أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون»؟ (5) .

أما: لعمرى ! لقد لقحتْ (6) .

فَنَظِره ريثما تُنتجِ (7) .

ثم احتبلوا مل ء القعب دماً عبيطاً (8) .

و ذعافاً مبيداً (9) .

1- 518. احتنكو: استولو.
2- 519. الذناب: ذنب الطائر. القوادم: ريشات فى مقدم الجناح.
3- 520. العجز- بفتح العين و ضم الجيم- الموخر من كل شى ء، و الكاهل: ما بين الكتفين.
4- 521. رغما: كنايه عن الذل.و المعاطس: جمع معاطس (مكان العطسه) و هو الانف.

5- 522. سوره یونس: 35.
6- 523. لقحت: حملت.
7- 524. فمهله. ریثما: مقدار ما. و تنتج: تلد.
8- 525. القعب: اناء ضخم. و الدم العبیط:الطری.
9- 526. الذعاف: السم السریع الفناء. و المبید: المهلک.

هنالک یخسر المبطلون

و یعرف التالون غبّ ما أسَّسه الأولونِ (1) .

ثم طیبوا عن دنیاکم أنفساً (2) .

و اطمئنوا للفتنه جاشاِ (3) .

و أبشروا بسیف صارم

و سطوهِ معتد غاشمِ (4) .

و هرج شاملِ (5) .

و استبداد من الظالمینِ (6) یَدَع فیئکم زهیداً (7) .

و جمعکم حصیداً (8) .

فیا حسرهً لکمِ (9) .

و أنّی بکم؟ (10) .

و قد عمیت علیکمِ (11) .

1- 527. التالون: التابعون. و الغب:العاقبه.
2- 528. طابت نفسه عن کذا: رضیت به من غیر کراهه.
3- 529. الجاش: القلب.
4- 530. المعتدی: الجائر. و الغاشم: الظالم.
5- 531. الهرج: الفوضی، و القتل، و اختلاط الامور.
6- 532. الاستبداد: التفرد بالشی ء من غیرمنازع.
7- 533. الفی ء: الخراج و الغنیمه. و زهیدا: قلیلا.
8- 534. جمعکم: زرعکم.
9- 535. الحسره: التهلف علی الشی ء الفائت.
10- 536. کیف یصنع بکم.

11- 537. عميت: التبست.

أنُلزِمكموها و أنتم لها كارهون؟؟

قال سويد بن غفله: فأعادت النساء قولها على رجالهن

فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين و الأنصار معتذرين، و قالوا:

يا سيده النساء.

لو كان أبوالحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهدِ (1) .

و نُحْكِم العقد لما عَدَلنا إلى غيره!!!

فقالت:

إليكم عنى!

فلا عذر بعد تعذيركم (2) .

1- 538. نبرم العهد: نبايع لابى بكر.
2- 539. التعذير هو التفصير ثم الاعتذار. و التفصير:التوانى عن الشى ء.

لا نعلم- بالضبط- السبب الحقیقی و الدافع الأصلی الذی دعا بنساء المهاجرین و الأنصار لعیاده السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام)، فهل کان هذا بإیعاز من رجالهن فما الذی دعا أولئک الرجال لإرسال نسائهن إلی دار السیده فاطمه؟ أو هل حصل الوعی عند النساء و شعرن بالتقصیر بل الخذلان لبنت رسول الله، فانتشر هذا الشعور بین النساء فأنتج ذلک حضور هن للعیاده للمجامله أو إرضاء لضمائر هن المتألمه لما حدث و جری علی سیده النساء؟؟

أو کانت هناک أسباب سیاسیه فرضت علیهن ذلک فحضرن لتلطیف الجو و تخفیف توتر العلاقات بین السیده فاطمه بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و بین السلطه الحاکمه فی ذلک الیوم؟

خاصه و أن الموقف الاعتزالی الذی اختارته السیده فاطمه لنفسها، و انسحابها عن ذلک المجتمع لم یکن خالیاً عن التأثیر، بل کان جالباً لانتباه الناس، و بالأخص حین خرج الإمام أمیرالمؤمنین السیده فاطمه یطوف بها علی بیوت المهاجرین و الأنصار تستنجد بهم و تستنهضهم فلم تجد منهم الإسعاف بل وجدت منهم التخاذل، و قد مرّت علیک نتیجه الحوار الذی جری بین السیده فاطمه الزهراء و بین معاذ بن جبل، و عرفت موقف ابنه من ذلک الرد السئ.

و علی کل تقدیر فلا یعلم- أیضاً- عدد النساء اللاتی حضرن عند السیده فاطمه الزهراء و هی طریحه الفراش، و لکن المستفاد أن العدد لم یکن قلیلاً

بل كان العدد كثيراً يعبأ به.

فانتهزت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) الفرصه، و استغلّت اجتماع النساء عندها لأن تضع النقاط على الحروف، و تكتب فى سجل التاريخ الأعمال البشعه التى قام بها بعض المسلمين تجاه عتره نبيهم و ذريته الطاهره. و النساء يشكلّن نصف المجتمع أو أكثر من النصف، و كل امرأه مرتبطه برجلٍ من زوج أو أب أو أخ أو ابن، فهى بإمكانها أن تقوم بدورٍ فعّال فى المجتمع و خاصه فى حقل الدعايه و الإعلام و النشر.

فلماذا تسكت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) فى هذا الاجتماع و لماذا لا تذكر استياءها من أولئک المتطرفين؟

«قلن لها: كيف أصبحتِ من علتّكِ يا ابنه رسول الله؟».

هكذا جرت العاده و الآداب أن العائد يسأل المريض عن صحته و عّلته، فيجيبه المريض عما يشعر به من المرض و الألم.

و لكن السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) لم تجبهن عن مرضها و تدهور صحتها،بل أجابتهن عن آلامها النفسيه، و مصائبها الشخصيه فالتحدث عن هذه الأمور أولى و أوجب من التحدث عن أحوالها الصحيه لأن لتلک المصائب هى التى جرَّت العلّه و المرض إلى السيده فاطمه و سلبتها العافيه و الصحه، فالتحدث عن السبب أولى من التحدث عن المسبب و الإخبار عن العله أفضل من الإخبار عن المعلول.

و هنا أجابت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) على أسئله النسوه كما تقتضى الحال.

و لا تتعجب إن كانت السيده فاطمه ما نسيت أصول الفصاحه و البلاغه و الأدب الرفيع و المستوى الأعلى بسبب انحراف صحتها بل قالت:

فاطمه الزهراء تضع النقاط على الحروف

اشاره

«أصبحتُ- و الله- عائفه لدنيا كن» نعم، إنها تبدى تنفرّها عن حياه الدنيا و كراهتها لذلک المجتمع الذى لا يؤمن بالقيم.

«قاليه لرجالكن» و يحقّ لها أن تبدى اشمئزازها و غضبها على رجال المدينه، الذين كان موقفهم تجاه السيده فاطمه الزهراء موقفاً سلبيا للغايه، فلقد مرَّ عليک أنهم أبدوا انزعاجهم من بكاء السيده فاطمه الزهراء على فقد أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و لم يتجاوبوا معها. فى إسعافها و الوقوف معها.

«لفظتهم بعد أن عجمتهم» أى رميتهم من فمى بعد أن عضضتهم، كما يرمى أحدنا اللقمه من فمه و يشمئز منها.

«و شنئتهم بعد أن سبرتهم» أى أبغضتهم و مللتهم بعد أن اختبرتهم، و كرهتهم بقلبى بسبب سوء تصرفاتهم.

«فقبحاً لفلول الحد» شبّهت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) رجال أهل المدينه بالسيف الذى انثلم حدّه فلا يقطع، إشاره إلى قعودهم عن نصرتها، و خذلانهم إياها، فكأنها (عليهاالسلام) تستقبح فيهم سكوتهم عما جرى على بنت نبيهم من الظلم و الاضطهاد.

«و اللعب بعد الجد» و المقصود: عدم المبالاه بالحق بعد اهتمامهم بذلک، فإنهم كانوا جادّين فى نصره الإسلام، و لكن الآن صاروا و كأنهم يلعبون ألعاباً سياسيه.

و قرع الصفاه» و المراد: التذلل و الانقياد لكل مَن قادهم:

«و صدع القناه» و فى نسخه: «خور القناه» إشاره إلى استرخاء الرمح بسبب انشقاقه، و ينبغى أن يكون الرمح صلباً حتى يمكن الطعن به. و إذا كان الرمح رخواً لا يمكن أن يُطعن به.

«و خطل الآراء» و فى نسخه: «أفون الرأى» و فى نسخه أخرى: «خطل القول» و على كل تقدير فهو إشاره إلى انحراف آرائهم و فسادها، و شذوذ مواقفهم السلبيه، و الإيجابيه.

أما مواقفهم السلبيه فهى تجاه أهل بيت نبيهم (عليهم السلام) و عدولهم عن أهل البيت إلى غيرهم، و أما الإيجابيه فاعترافهم بالسلطه المناوئه لآل الرسول.«و زلل الأهواء» ما أقبح تلك الرغبات المنحرفه التى لعبت بمقدرات المسلمين على مرّ التاريخ و على مرّ القرون، و تلك العثرات المنبعثه عن اتباع الأهواء الضاله المضله، و من مشتهيات الأنفس.

«و بئْسَ ما قدَّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم و فى العذاب هم خالدون» هذه الآيه من سوره المائده آيه (80) و قبلها: «لُعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود و عيسى ابن مريم ذلک بما عصوا و كانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم و فى العذاب هم خالدون».

إنها (عليهاالسلام) أدمجت هذه الآيه فى حديثها للمناسبه بين الموردين، و يظهر وجه المناسبه بالمقارنه بين الآيات و بين موقف أولئک المتخاذلين. «لا جرم لقد قلّدتهم ربقتها» أنها (عليهاالسلام) تلقى المسؤوليه-

مسؤوليه الأجيال كلها- على أعناق أولئک الأفراد، إذ أنها لما حضرت فى المسجد و خطبت، و أتمت الحجه على الحاضرين و استنجدت بالمهاجرين و الأنصار فثبت التكليف الشرعى فى حقهم، و حيث أنهم لم ينصروها فهم مسؤولون عن مضاعفات ذلک الخذلان أمام الله و أمام التاريخ.

«و حمَّلتهم أوقتها» أى حمّلتهم ثقل المسؤوليه و شومها.

«و شننت عليهم عارها» شننت الماء على التراب: أرسلته و صببته بصوره متفرقه، و فى نسخه: «سننت» أى صببت بصوره متصله غير متفرقه، و على كل تقدير فالمعنى:أن عليهم سبّه التاريخ و عار الأبد بسبب ذلک الجفاء الذى أبدوه تجاه أهل البيت.

«فجدعاً و عقراً و سحقاً للقوم الظالمين» و فى نسخه أخرى: «فجدعاً و عقراً و بُعداً» هذه كلمات دعاء عليهم بسبب ظلمهم لآل الرسول، و الظلم: وضع الشى ء فى غير ما وضُع له، و الظلم على درجات و مراتب، فهناک الظلم بالنمله، و هناک الظلم بالأمه الإسلاميه عبر التاريخ، و الظلم بأولياء الله الذين يرضى الله لرضاهم، و يغضب لغضبهم.

و يستحق الظالمون أن يدعى عليهم بالجدع و العقر و البُعد، فيقال: جدعهم الله جدعاً و عقرهم الله عقراً، و معناهما: قطع الله أيديهم و آذانهم و شفاهم و جرح الله أبدانهم.

«ويحهم» ويح: كلمه تستعمل فى مقام التعجب، و قد يكون معناها الويل.

«أنَّى زحزحوها عن رواسى الرساله؟» و فى نسخه: «زعزعوها» تتعجب (عليهاالسلام) من سوء اختيارهم، أى كيف نحوّا خلافه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) عن مواضعها الثابته التى هى بمنزله الجبال

لحركه الأرض و سيرها بصوره منظمه و حفظها من الاضطراب؟!

«و قواعد النبوه» القواعد: جمع قاعده و هى- هنا- الأساس للبناء، فكما أن البناء إذا بنى على غير أساس ينهدم فكذلک الخلافه إذا وُضعت فى غير موضعها اللائق بها تنهار معنوياً، و يختل نظامها، و تضطرب أركانها.

«و مهبط الروح الأمين» كان جبرئيل يهبط فى بيت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و بيوت أهل بيته، و بيت فاطمه مهبط الروح الأمين.

«و الطبين بأمر الدنيا و الدين» الفطن الحاذق بأمور الدنيا المتعلقه بالحياه، و كذلک القضايا المتعلقه بالدين فى جميع المجالات و شتى الأحكام، و تقصد بذلک أهل بيت الرسول (عليهم السلام) و تخص زوجها الحكيم العظيم الإِمام أميرالمؤمنين (عليه السلام).

«ألا: ذلک هو الخسران المبين» أى و الله، خسران واضح خسرته الأمه الإِسلاميه فى جميع مجالات حياتها من الحياه الفرديه و الزوجيه و العائليه و الاَجتماعيه و الاقتصاديه و الصحيه و السياسيه و العمرانيه و الدينيه و الدنيويه و الأخرويه.

كل ذلک حين سلبت الأمهُ السلطهَ و القدرهَ من أهل بيت الرسول، و تصرّف فى القياده الإِسلاميه أفراد كانوا هم و الإِسلام على طرفى نقيض، إذ كان الإِسلام شيئاً، و هم كانو شيئا آخر.

فكانت إراقه الدماء البريئه أسهل و أهون عندهم من إراقه الماء.

و التلاعب بالأحكام الإِلهيّه و القوانين الإِسلاميه كالتلاعب بالكره و غيرها من الألاعيب.

إن المآسى التى شملت الأمه الإِسلاميه (عبر التاريخ) مما تقشعرّ منها

الجلود، و تضطرب منها القلوب، كل ذلک من جرّاء القياده غير الرشيده التى تسلّمها أفراد من هذه الأمه.

و ليس فى هذا الكتاب مجال لاستعراض تلک المجازر الجماعيه، و المذابح المؤلمه التى قام بها بعض حكام المسلمين على مر التاريخ الإِسلامى.

فقد ستروا الكره الأرضيه بقشره من المقابر التى ضمّت الآلاف المؤلفه من النفوس البريئه التى كانت ضحايا لأهواءِ أفراد، و فداءً لكراسيهم و مناصبهم و ملذاتهم و أما الكبت و الاضطهاد و الحرمان و الجوع و البؤس الذى ساد العباد و البلاد فحدّث و لا حرج.

نعم، هذا هو الخسران المبين، و لا يزال الحبل ممدوداً حتى اليوم و بعد اليوم.«و ما الذى نقموا من أبى الحسن؟ أى: أىَ شى ء عابوه من الإمام أميرالمؤمنين على بن أبى طالب حتى نحوّه عن السلطه، و قدّموا غيره عليه؟

نقصاً فى العلم؟

أو جهلاً فى الفتيا؟

أو سوءاً فى الخلق؟

أو عاراً فى الحسب؟

أو ضعفاً فى الدين؟

أو عدم كفاءه فى الأمور؟

أو جبناً فى النفس؟

أو خِسّةً فى النسب؟

أو قلّه فى الشرف؟

أو بخلاً بالمال؟

أو أى عيب فى مؤهلاته و كفاءاته؟

كل ذلک لم یکن، بل کان علی (علیه السَّلاَم) أعلم هذه الأمه جمعاء، و هو باب مدینه علم الرسول و أقضاهم فی الفتوی.

و أشبه الناس خلقاً بالرسول الذی کان علی خلق عظیم.

و ابن شیخ الأَباطح: أبی طالب، مؤمن قریش

و أعبد الناس فی هذه الأمه

و أشجعهم نفساً، و أقواهم قلباً، و أکثرهم جهاداً

و کتله من الفضائل

و فی أوج الشرف و العظمه

و أسخاهم کفاً، و أبذلهم للمال

إذن: فما هو السبب فی صرف الخلافه عنه إلی غیره؟

إن السیده فاطمه (علیهاالسلام) تجیب علی هذا السؤال، و تقول:

«نقموا منه- و الله- نکیر سیفه» أی عابوا شدّه سیفه، و المقصود أن علیاً کان قد قتل فی الحروب و الغزوات رجالات هؤلاء و أسلافهم، و حطّم شخصیاتهم، فکانوا یکرهونه بسبب سیفه الخاطف للأرواح.

«و قله مبالاته بحتفه» أی عدم اهتمامه و اکتراثه بالموت، فالمجاهد الذی ینزل إلی جبهه القتال ینبغی أن یکون قلیل المبالات بالموت، فکما أنه یَقتل کذلک یُقتل، و کان علی (علیه السلام) یقول: و اللّه لا یبالی ابن أبی طالب أوقَع علی الموت أو وقع الموت علیه.

«و شدِّه و طأتهُ و نکال وقعته» یقال: فلان شدید الوطأه أی شدید الأخذ و شدید القبض، و المقصود قوه العضلات و معرفه القتال.

و نکال الوقعه أی کان یصنع صنیعاً یحذَّر غیره و یجعله عبره له، فکانت ضربته و صدمته للأعداء نکالاً أی یورث الحذر و العبره للآخرین.

«و تنمّره فی ذات اللّه (عز و جل)» النمر شدید الغضب، إذا غضب

لنفسه لم يبال: قلّ الناس أم كثروا، و لا يردّه شى ء، و لا يحول دون هدفه حائل و لا يمنعه مانع، و الرجل الشجاع الذى يجاهد بلا مبالاه و لا خوف، بل بكل غضب و شجاعه يقال فى حقه: تنمّر، أى صار شبيهاً بالنمر فى الاقتحام.

لقد تخلص من كلامها (عليهاالسلام) أن سبب انحراف الناس عن على (عليه السلام) كان لأغراض شخصيه، و أمراض نفسيه متأصله فى قلوبهم.

فلقد قتل على (عليه السلام) يوم بدر و أُحد و حنين و الخندق و غيرها عدداً كبيراً لا يستهان به من أقطاب الشرک، و رجالات الكفر، و شخصيات الجاهليه، أمثال: عتبه و شيبه و الوليد و عمرو بن عبدودّ و عقبه بن الوليد و غيرهم، و أكثر قبائل العرب كانت موتوره بسيف على (عليه السلام).

و حتى، و بعد أن أسلمت تلک القبائل كانت رواسب الحقد و العداء كامنه فى نفوسهم.

و النجاح الكبير الذى أحرزه على (عليه السلام) فى جميع المجالات من الطبيعى أن يهيّج الحسد فى القلوب، و التقدم الباهر الذى كان من نصيب على (عليه السلام) فى شتى الميادين كان فى قمّه فضائله.

فالآيات القرآنيه التى نزلت فى حقه

و الأحاديث النبويه التى شملته دون غيره

و الموفّقيه التى حازها على (عليه السلام) وحده

و خصائصه التى امتاز بها عن غيره من العالمين

كان لها أسوأ الأثر، فى النفوس المريضه

و كانت تلک الرواسب و الآثار كامنه فى الصدور، كأنها نار تحت رماد حتى تو فى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و خلا الجو،

و ارتفع المانع فعند ذلک زال الرماد، و ظهرت النار، و جعلت تلتهب و تشتعل. بالله علیک انظر:

لقد مرّ علیک أن جماعه من الصحابه خطبوا السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) من أبیها الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) فرفضهم النبی، و حینما خطبها علی من الرسول و إذا به جد الترحیب و التجاوب علی أحسن ما یمکن.

ألیس هذا مما یهیج الحسد فی النفوس؟

و یأمر الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) أبابکر أن یذهب إلی مکه بسوره البراءه لیقرأها علی أهل مکه، و یخرج أبوبکر بالسوره متوجهاً نحو مکه، فینزل جبرئیل علی الرسول قائلاً: إن ربک یأمرک أن تبلّغ هذه السوره بنفسک، أو یُبلّغها رجل منک. فیأمر النبی علیاً أن یتوجه نحو مکه، و یتولی قراءه السوره علی أهل مکه، و یأمر أبابکر بالرجوع.

ألیس هذا الأمر یهیج الحسد فی القلوب؟

و هکذا و هلم جرّاً، سِر مع علی (علیه السلام) عبر تاریخ حیاته، تجده المقدَّم علی غیره فی کافه المجالات.

و یمطره جبرئیل بآیات من الذکر الحکیم تقدیراً لبطولاته، و تنویهاً لإنجازاته،و تقبّلاً لصدقاته، و مدحاً لخدماته.

و المسلمون یقرأون تلک الآیات آناء اللیل و أطراف النهار راضین أو مرغمین. و من العجیب: أن علیاً کان یخوض غمار الحروب بأمر الرسول، و لأجل التحفظ علی حیاه الرسول، الرسول الذی کان الإسلام متمثلاً و متجسدّاً فیه و قائماً به، فکیف کان الناس یکرهون علیاً و هو الجندی و لا یکرهون الرسول و هو القائد للجیش؟!

فی البحار عن أبی زید النحوی قال: سألت الخلیل بن أحمد العروضی فقلت: لِمَ هجر الناس علیاً (علیه السلام) و قُرباه من رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قرباه، و موضعه من المسلمین موضعه، و عناؤه فی الإسلام عناؤه؟؟

فقال: بَهَر- و الله- نورُه أنوارهم، و غلبهم علی صفو کل منهل، و الناس إلی أشکالهم أمیَل، أما سمعت الأول یقول:

و کل شکلٍ لشکله ألفُ

أما تری الفیل یألف الفیلا

و أنشدنا الریاشی عن العباس بن الأحنف:

و قائل کیف تهاجرتما؟

فقلت قولاً فیه إنصاف:

لم یک من شکلی فهاجرته

و الناس أشکال و أُلاّف

و قال ابن عمر لعلی (علیه السلام): کیف تحبک قریش و قد قتلت فی یوم بدر و أُحد من ساداتهم سبعین سیداً، تشرب أنوفهم الماء قبل شفاههم؟

فقال أمیرالمؤمنین (علیه السلام):

ماترکت بدر لنت مذیقاً

و لا لنا من خلقنا طریقاً

و من الواضح أن الأمور لیست عیوباً و نقائص حتی یکره الناس علیاً بسببها.

و معنی کلام الزهراء (علیهاالسلام): «نقموا منه و الله نکیر سیفه» من باب قول الشاعر:

و لا عیب فیهم غیر أنَّ سیوفهم

بهنَّ فلول من قراع الكتائب

و المقصود: أنهم عابوا علياً على فضائله و مناقبه، و على انجازاته و خدماته و على شجاعته و تضحياته، و جهاده و بطولاته، و ليست هذه عيوباً حتى يُعاب على عليها.

هذا و من المؤسف أن الموضوع يناسب الشرح و التفصيل أكثر من

هذا ولكن رعايه لأسلوب الكتاب نرجئ البحث إلى فرصه أخرى أو كتاب آخر.

«و الله لو تكافوّا عن ذمام نبذه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) إليه لا عتلقه».

شبهت السيده فاطمه (عليهاالسلام) المجتمع الإسلامى أو الأمه الإسلاميه بالقافله، و شبّهت الخلافه و القياده الإسلاميه بالزمام و هو المقود، أى الحبل الذى يقاد به البعير، و شبّهت علياً (عليه السلام) بالدليل الذى يتقدم القافله، و يأخذ بزمام البعير ليقود المسيره.

و لم تنس السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) أن تقول: «نبذه رسول الله إليه»أى إن القياده الإسلاميه إنما صارت لعلى (عليه السلام) بأمر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حين قام فى الناس رافعاً صوته: «من كنت مولاه فعلى مولاه». و بعد هذا تقسم بالله قائله: «و الله» فالمسأله مهمه و عظيمه جدّاً جدّاً و تستحق أن يقسم الإنسان بالله لأجلها.

«لو تكافّوا» أى كفّوا أيديهم، أى منع بعضهم بعضاً، بحيث لو أراد أحدهم تناوله منعه الآخرون «لا عتلقه» أى اعتلق على (عليه السلام) الزمام، أى قام بالواجب كما ينبغى و قاد المسيره على أحسن ما يتصور، و أفضل ما يرام.

ثم و صفت (عليهاالسلام) نتائج تلک القياده الرشيده لو كان يفسح لها المجال، و ذكرت الفوائد و المنافع و الخيرات و البركات التى كانت تعمّ الأمه الإسلاميه على مرّ القرون و الأجيال فقالت:

«ثم لسارَ بهم سيراً سجحاً» أى سار القائد بالمسيره سيراً ليناً سهلاً، بكل هدوء و طمأنينه، فإن البعير إذا سار بالراكب سيراً عنيفاً فلا بدَّ و أن

الراكب يتأذى من الحركه العنيفه، و تتحطم أعصابه لما فى ذلک من الإزعاج و القلق.

ثم البعير نفسه يتألم حينما يجاذبه الراكب الحبل الذى قد دخل فى ثقب أنفه و ربما يجرح أنفه أيضاً، فيتأذى الراكب و المركوب، و لكن السيده فاطمه تقول: «لا يكلم خشاشه، و لا يتعتع راكبه» و فى نسخه: «و لا يكل سائره و لا يمل راكبه» أى الحبل أو الخشب الذى جعل فى أنف البعير و يقال له «الخشاش» لا يجرح أنف البعير، و لا ينزعج راكب البعير، و المقصود: سلامه الراكب عن كل مشقه حال السير.

«و لأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً» و فى نسخه: «منهلاً روياً» إن الدليل الذى يتقدم القافله لا بد و أن ينزل بهم منزلاً حسناً، و مكاناً لائقاً للراحه، على شاطئ نهرٍ أو عين ماء، ليأخذوا حاجتهم من الماء، و يسقوا دوابهم و غير ذلک.

تقول السيده فاطمه (عليهاالسلام): كان على (عليه السلام) يقود المسيره إلى منهل نمير و المنهل: المورد أى محل ورود الإبل. و النمير: العذب، النابع من عين لا ينقطع ماؤها. و الفضفاض: الواسع.

«تطفح ضفتاه، و لا يترنق جانباه» النهر إذا كان ممتلئ يفيض جانباه و إذا كان عذباً لا يتكدر جانباه بالطين كما هو المشاهد من تكدر الماء بالطين على جوانب النهر، بل و حتى البحر.

فالكثره والسعه فى المجرى و العذوبه و النظافه و عدم التلوث بالطين و غيره من صفات ذلک الماء.

و كلها إشارات و كنايات إلى الحياه السعيده التى كان الناس يعيشونها لو كان الأمر بيد الإمام أميرالمؤمنين، فالخيرات كانت تشمل أهل الأرض،

و العدل يسود المجتمع، و السلامه كانت تعمّ الجميع، و الرفاهيه و الاستقرار و الطمأنينه و الأمان و الحريه- بمعناها المعقول- و السعاده فى الدنيا، و النعيم فى الآخره كان من نصيب الجميع.

«و لأ صدرهم بطاناً» و كانت نتيجه ذلک الورود هو الصدور من المنهل، و الخروج من ذلک المورد بالبشع و الإرتواء، فلا جوع و لا حرمان، و لا فقر و لا مسكنه.«و نصح لهم سراً و إعلاناً» النصح: حُب الخير، و عدم الغش، و المعنى: أن علياً كان يسعى فى إسعادهم و جلب الخير لهم بصوره سريه و علنيه، أى ما كان يطلب من وراء تلک القياده إلاَّ الخير للناس لا لنفسه.

«و لم يكن يحلَّى من الغنى بطائل، و لا يحظى من الدنيا بنائل، غير ريّ الناهل و شبعه الكافل» و هنا تذكر السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) موقف زوجها من تلک القياده و الزعامه العامه.

قبل كل شى ء: ينبغى أن لا ننسى أن فى العالم أفراداً يحبون القياده و الرئاسه لأنفسهم، أى يحبون ليحكموا على الناس، و يتصرفوا كما يشاءون و كما يريدون، و يحبون الرئاسه لأنها وسيله تحقيق أهدافهم و أُمنياتهم الشخصيه فهم يتنعمون من وراء تلک الرئاسه بشتى أنواع النعم، و يختارون لأنفسهم أفضل حياه.

و هناک أفراد «و قليل ما هم» يحبون الرئاسه و القياده ليخدموا الناس، و يصلحوا المجتمع، و يجلبوا الخير و السعاده للشعوب، ليعيش الناس آمنين مطمئنين، و لتكون لهم حياه مشفوعه بالراحه و الخير و النعيم.

إن هذه الطائفه من أولياء الله لا يشعرون بالنقص فى أنفسهم كى يكملوا أو يستروا ذلک النقص بالفخفخه و الجبروت بل إنهم يشعرون بالكمال فى أنفسهم، فهم فى غنى عن الناس، و الناس بحاجه إليهم، إن

هؤلاء لو حكموا لنفعوا الناس و أصلحوهم، و أمنّوا حياتهم من جميع نواحيها.

و فى الوقت نفسه لا يستفيدون و لا ينتفعون من حطام الدنيا، و لا تطيب نفوسهم أن يتنعموا بأموال الفقراء، و يبنوا قصورهم على عظام الضعفاء، إنهم يحملون نفوساً أبيّه و أنوفاً حميّه، و أرواحاً طيبه تستنكف التنازل إلى هذا المستوى السافل.

بعد هذا يتضح لنا كلام السيده فاطمه (عليهاالسلام) حول موقف زوجها تجاه القياده لو كان يفسح له المجال، و لا يغلق عليه الطريق.

تقول: «و لم لم يكن يحلى من الغنى بطائل» أى لو كان على (عليه السلام) يتسلم زمام الحكم ما كان يستفيد من اموال الناس لنفسه فائده كثيره، و ما كان يصيب من بيوت الاموال و كنوز الثروه لنفسه خيراً.

«و لا يحظى من الدنيا بنائل» ما كان ينال من ثروات الدنيا بالعطاء سوى مقدار إرواء نفسه من العطش، و إشباع عائلته من الجوع.

احفظ هذه الجمله و انظر إلى حياه الحكام و السلاطين فى العالم، تجدهم يسكنون أفخم المساكن، و يلبسون أفخر الملابس، و يأكلون ألذَّ المآكل، و يركبون أحسن المراكب و يؤثثون بيوتهم بأغلى الأثاث، و يعيشون أفضل المعيشه. و لا تسأل عن الذخائر التى يدّخرونها ليوم ما!؟؟

كل ذلک من بيت المال، و كل ذلک من أموال الدوله و أموال الشعب!!

نعم، إن السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) هكذا تعرّف زوجها، و التاريخ الصحيح يصدّق كلامها و الواقع يؤيد ادعائها.

فلقد حكم الإِمام أميرالمؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) أربع

سنوات و شهوراً، فكانت حياته هكذا مائه بالمائه.

فلقد كتب (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف كتاباً يقول فيه: «ألا: و إن إمامكم قد اكتفى من دنيا بطمريه، و من طعمه بقُرصيه... فو الله ما كنزت من دنياكم تبراً، و لا ادّخرت من غنائمها و فراً، و لا أعددت لبالى ثوبى طمراً، و لا حزت من أرضكم شبراً بلى، كانت فى أيدينا فدک من كل ما أظلّتها الخضراء، فشحّت عليها نفوس قوم و سختْ عنها نفوس قوم آخرين... الى آخر كلامه (عليه السلام).

و هنا سوال لابد من الاجابه عليه و هو: اذ كان الامام على (عليه السلام) بهذه الا و صاف التى ذكرتها الزهراء (عليهاالسلام) و وصفته بها.. فْلماذا- حينما حكم على الناس، و تسلّم القياده و جلس على منصه الخلافه- حدثت الاضطرابات الداخليه، و الحروب الأهليه الداميه، و المشاكل و المصائب و المذابح التى شملت الأمه الإِسلاميه فى عهده؟؟

نجيب على هذا بما يلى:

لا شک أن المجتمع الإسلامى فى عهد الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) كان مجتمعاً صالحاً من جميع النواحى، و لكن الذين حكموا المجتمع بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) خلال ربع قرن قد غيّروا و بدّلوا و تصرّفوا تصرفات غير مرضيه.

و لو ألقيت نظره إمعان على تاريخ الحكام الذين تسلّموا السلطه بعد الرسول مباشره خلال خمسه و عشرين عاماً لرأيت كميه وافره من الأوامر و الفتاوى و الأحكام المضادّه للشريعه الإِسلاميه من الكتاب و السنه، من تغيير الوضوء و الأذان و كيفيه الصلاه و عدد ركعاتها إلى الحج إلى الجهاد إلى النكاح و إلى الطلاق و هكذا و هلّم جرَّا.

و لو أردنا أن نذكر الشواهد و الأمثله لهذه المواضيع لطال بنا الكلام،

و لكننا نكتفى- هنا- بمثال واحد كنموذج، و لک ان تقبس من هذا المثال بقيه الامثله:

مجزره خالد بن الوليد

خرج خالد بن والوليد بجيشه الى قبيله من قبائل المسلمين تسمى: بنى جذيمه. و كان فى تلک القبيله رجل من المسلمين اسمه: مالک بن نويره، قد اسلم على يد النبى و شهد له رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بالجنه و شهد عمر بن الخطاب بإسلامه فقتله خالد بن الوليد بغير ذنب، سوى ذنب واحد، و هو أن زوجته كانت من أجمل نساء قومها و قد رآها خالد بن الوليد و طمع فيها، و لم يجد طريقه للاستيلاء عليها سوى قتل زوجها البريى ء فقتله خالد، و فى نفس الليله زنى بزوجته.

و حينما رجع خالد إلى المدينه لم يجد أى عقاب أو عتاب من رئيس الدوله يومذاک.

هذا هو المتفق عليه بين المؤرخين بلا استثناء، مع العلم أن الإِسلام لم يسمح بنكاح المعتده ما دامت فى العده، و الرجل لم يتزوج بها.

هذه المأساه التى تجدها فى أكثر التواريخ، ترى كم تشتمل هذه الفاجعه من إهدار الدماء البريئه و هتک الأعراض، و ارتكاب الجرائم، و التلاعب بكرامات الناس و مقدراتهم؟

و كم تتبدل نظره الناس إلى الدين و إلى الدوله الإِسلاميه؟

و قد مرَّ عليک موقف هؤلاء تجاه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) الوحيده العزيزه و اتجاه زوجها العظيم، و ولديها الحسن و الحسين (عليهم السلام)؟

إن الإسلام و القياده الإسلاميه و صلت إلى يد على (عليه السلام) و هى مفككه العرى، محطمه الجوانب، مشوهه السمعه.

و أراد الإمام على (عليه السلام) أن يصلح تلك المفاسد، و أن يعيد الإسلام إلى طريقه السوى و يلبسه حلّه القداسه و الجمال، و إذا به يجد أصحاب المطامع يقومون ضدّه، و يشهرون سيوفهم فى وجهه، فتكوّنت الحروب الداخليه و قامت المجازر على قدم و ساق.

و اعلم ان الذين اقاموا الحروب الداخليه و وضعو نواتها الاساسيه هم اربعه فقط: طلحه و الزبير و عائشه و معاويه.

و كان زبير و طلحه يهدفان الوصول الى الحكم من خلال اثاره الاضطراب فى حكومه خليفه رسول الله، و قد اتخذا عائشه ذريعه لذلک.

اما معاويه فكان يهدف المحافظه على كرسيه فى الشام، كما صرخ هو بذالک فيما بعد.

و قد ذكرنا الشى ء اليسير من تلک المآسى فى الجزء الأول و الثانى و الثالث من شرح نهج البلاغه.

و أنت إذا راجعت و قارنت فسوف تنكشف لک أمور، و تتضح لک أسرار.

نحن لا زلنا فى شرح الخطبه:

«و لبان لهم الزاهد من الراغب» إن السيده فاطمه (عليهاالسلام) لا تزال توالى حديثها عن زوجها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وإنه لو كان يستلم القياده كان يقنع من الدنيا بالشى ء اليسير اليسير، و ذلک بمقدار

إرواء عطشه و إشباع عائلته، و عند ذلک کان یظهر للناس الزاهد الحقیقی الذی لا یطمع فی أموال الناس، یظهر الراغب الطامع الذی کان یخضم مال الله خضم الإِبل نبته الربیع و أمثاله.

«و الصادق من الکاذب» و ظهر لهم الصادق الذی یصدق فی أقواله و أفعاله من الکاذب الذی یکذب فی ادعاءاته و تصرفاته،وتکذب افعاله اقواله و شعارته.

ثم إنها (علیهاالسلام) ختمت هذه المقطوعه من حدیثها بالآیه الکریمه، و طبّقتها علی هذه الأمه، فقالت: «و لو أن أهل القری آمنوا و اتقوا لفتحنا علیهم برکات من السماء و الأرض و لکن کذَّبوا فأخذناهم بما کانوا یکسبون» (1) .

ما أنسب هذه الآیه بهذا المقام و ما أجمل هذا التشبیه فی هذا الکلام؟ و تقصد السیده فاطمه أن الناس لو کانوا یقبلون کلام الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) فی تعیین علی بالخلافه و کانوا ینقادون له، لکانت الدنیا لهم روحاً و ریحاناً و جنه نعیم، و لکنهم خالفوه و اختاروا غیره، و بعملهم هذا کذَّبوا رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) تکذیباً عملیاً، فسوف یشاهدون الویلات تنصبُّ علیهم.

و أردفت هذه الآیه بمثلها، فقالت: «و الذین ظلموا من هؤلاء سیصیبهم سیئات ما کسبوا و ما هم بمعجزین» (2) .

و سیأتیک القول بالتفصیل عن الویلات و المآسی التی انصبَّت علی الأمه الإِسلامیه من جرّاء تلک القیاده الشاذه و مضاعفاتها.

«ألا هلم و استمع» و فی نسخه: «هلممن و استمعن» فعلی النسخه

1- 540. الاعراف: 96.
2- 541. الزمر: 51.

الأولى يكون الخطاب عاماً للجميع، و على النسخه الثانيه يكون الخطاب خاصاً بالنساء اللاتى حضرن عيادتها.

«و ما عشت أراک الدهر عجباً» أى كلما عشتَ أو مده عيشک فى الدنيا رأيت العجائب التى لا بالبال و لا بالخاطر.

«و إن تعجب فعجب قولهم» هذه الجمله من آيه فى سوره الرعد و هى: «و إن تعجب فعجب قولهم أاذا كنا تراباً أإنا لفى خلق جديد» اقتبست السيده فاطمه (عليها السلام) هذه الجمله من الآيه و أدمجتها فى حديثها، و المقصود أن الناس يتعجبون من بعض الأمور و ليست بعجيبه، و لا تستحق التعجب، و هناک أمور و قضايا عجيبه ينبغى أن يتعجب منها، لأنها أمور لا تنسجم مع الشرع و لا مع العقل و لا الوجدان و لا الضمير، و لا تدخل تحت أى مقياس من المقاييس الصحيحه.

و الأمر العجيب هو ما يلى:

«ليت شعرى إلى أى سناد استندوا؟

و على أى عماد اعتمدوا؟

و بأيه عروه تمسكوا؟

و على أيه ذريّه أقدموا و احتنكوا؟

إن الناس كانوا يستندون على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ينقادون له، و يعتمدون على أقواله، و يطيعون أوامره، لأنه مرسل من عند الله،و متصل بالعالم الأعلى، قد توفرت فيه الأهليه بجميع معنى الكلمه، فلا عجب فى ذلک إذا خضع له الناس، و قدَّموه على كل شى ء، و لكن العجب كل العجب أن بعض الناس بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) تنازلوا إلى مستوى نازل جداً فسلّموا القياده إلى أفراد لا توجد فيهم المؤهلات.

فالذى كان يستند و يعتمد على الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و يتمسک به كيف تطيب نفسه أو يرضى ضميره أن يعترف بالقياده الإسلاميه لأفراد ليسوا فى تلک المرتبه و تلک الدرجه؟!

تتعجب السيده فاطمه (عليهاالسلام) و يتعجب معها عقلاء العالم و أصحاب الضمائر الحيه و النفوس المعتدله و القلوب السلميه من تلک الانتخابات المخالفه لجميع المقاييس و النواميس و الموازين.

«و بأيه عروه تمسكوا» لقد ثبت عند المسلمين كلام رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) «إنى تارک فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتى أهل بيتى، و إنكم لن تضلوا ما أن تمسكتم بهما» و معنى الحديث: أن الرسول أمر المسلمين أن يتمسكوا بالقرآن و العتره معاً، و لكن هؤلاء بأيه عروه تمسكوا و تعلقوا و اعتصموا؟!

«و على أيه ذريه أقدموا و احتنكوا؟» أيعلم هؤلاء مَن هى فاطمه الزهراء؟!

أيعلم هؤلاء ما منزله هذه الذريه الطاهره الشريفه التى هم أشرف أسره على وجه الأرض؟!

أيعلم هؤلاء ما صنعوا اتجاه أهل البيت:

الذين أمرهم الله بمودتهم بقوله: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ الموده فى القربى»؟!

الذين فرض الله طاعتهم على كل مسلم بقوله: «أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أُولى الأمر منكم»؟!

الذين مَثَلهم كمثل سفينه نوح، من ركبها نجى، و من تخلّف عنها هوى و غوى و هلک؟! الذين مَن أحبّهم فقد أحب الله، و من آذاهم فقد آذى الله و من

أبغضهم فقد أبغض الله؟!

فوالله الذى لا إله إلا هو إنهم آذوا ذريه رسول الله و عترته و أهل بيته، و ظلموهم و أغضبوهم و اعتدوا عليهم، و هتكوا حرمتهم، و جرّئوا الناس على إيذائهم.

بأى دين؟!

و بأيه شريعه؟!

و بأى مجوّز شرعى صنعوا ذلک الصنيع تجاه آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟!

أنا لا أدرى، و لعل القوم ينحتون الأعذار التى تبيح لهم هتک تلک الحرمات، و إهدار تلک الكرامات.

«و لبئس المولى و لبئس العشير».

اقتبست السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) هذه الجمله من قوله تعالى «يدعو لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولى و لبئس العشير» (1) أى أن الذى اختاروه للولايه بئس المولى و بئس العشير، و العشير هو الصديق الذى ينتخب للمعاشره.

«و بئس للظالمين بدلاً» هذه الجمله من قوله تعالى «و إذ قلنا للملائكه اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربّه أفتتخذونه و ذريته أولياء من دونى و هم لكم عدو، بئس للظالمين بدلاً» (2) .

«استبدلوا- و الله- الذنابا بالقوادم و العجز بالكاهل».

من جمله العلوم التى لها الصداره على بقيه العلوم هو علم الاجتماع، و هو علم يبحث عن تقدم الأمم أو تأخرها، أسباب ضعفها أو

1- 542. الحج: 13.

2- 543. الكهف:50.

قوتها، و صلاحها و فسادها، و نتائج الصلاح و مضاعفات الفساد.

و من الوسائل التی کان لها التأثیر فی توعیه المجتمع نحو الخیر و الشر، و نحو الصلاح أو الفساد، و تقریر مصیر الشعوب: هو جهاز الدوله و جهاز الدین،و قد قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): «طائفتان من أُمتی إذا صلحتا صلح الناس، و إذا فسدتا فسد الناس: العلماء و الأمراء».

و فی ذلک الیوم کان جهاز الدوله و جهاز الدین جهازا واحداً، فالخلیفه یُعتبر رئیس الدوله و رئیس الدین، و یدیر دفه الحکم علی الصعیدین: الدولی و الدینی.و إننا نجد الشعوب المتحضره، المثقفه المتقدمه إنما و صلوا إلی القمه و حازوا التقدم فی کافه المجالات بسبب الأسره الحاکمه التی مهّدت لهم السبل، و هیأت لهم الوسائل و زوّدتهم بالتعلیمات، و شجعتهم علی العمل.

و هکذا نجد الشعوب المتأخره و المتفسخه- التی استولی علیهم الجهل و الفقر و المرض و الذل و الهوان و الخلاعه و المجون- هم ضحایا إهمال الحکام و أصحاب القیاده، و قد قیل: «الناس علی دین ملوکهم».

و هنا تنتقل السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) إلی حدیثها عن علم الاجتماع، فتقول:

«استبدلوا- و الله- الذنابا بالقوادم».

إن التشبیه فی الکلام له تأثیر عجیب فی النفس، و تقریب المعنی إلی الذهن بصوره واضحه.

لقد شبّهت السیده فاطمه (علیهاالسلام) الأمه الإسلامیه بالطائر، و شبهت القائد أو القیاده بأجنحه الطائر، لأن الطائر لا یستطیع أن یطیر إلاّ بجناحیه، و الجناح مرکب من عشر ریشات کبار، و یقال لها «القوادم» و تحت تلک الریشات الکبار عشر ریشات صغار یقال لها «الخوافی» و علی موضع

ذنب الطائر ريشات يقال لها: «الذنابا».

فالقوادم هى قوام الطيران، و لا يمكن الطيران بغير القوادم، لأنها بمنزله المحركات القويه فى جناح الطائره التى تقلع الطائره و ترتفع بها عن الأرض و تحلق فى الفضاء.

فالطائر إذا قطعت قوادمه لا يستطيع الطيران بالخوافى و هى الريشات الصغار، و لا بالذنابا، لأن الذنابا لا تستطيع حمل جسد الطائر و إقلاعه عن الأرض لعجز الذنابا و ضعفها.

«و العجز بالكاهل» العجز- بفتح العين و ضم الجيم-: من كل شى ء مؤخره، و من الإنسان ما بين الوركين، و الكاهل ما بين الكتفين، و الكاهل أقوى موضع فى البدن لحمل الأثقال.

و المقصود من هذين المثالين أو التشبيهين هو: أن القوم سلّموا الأمور العظيمه، و المناصب الخطيره- و هى القياده- إلى من لا يليق بها، و لا يستطيع القيام بأمورها، لعدم توفر الإمكانيات فيه، و عجزه عما يتطلبه الأمر من العلم و العقل و التدبير، و ذلک بعد أن سلبوا تلک الإمكانيات من أصحابها الأكفاء ذوى اللياقه و الخبره و البصيره.

«إنهم باعوا علياً (عليه السلام) يوم الغدير بأمر من الله تعالى و رسوله (صلى الله عليه و آله و سلم) و باختيار منهما، و لكنهم نكثوا عهدهم، و نقضوا ببيعتهم، و بايعوا غيره الذى لا يقاس بعلىّ (عليه السلام) علماً و شرفاً و فضلاً و سابقه و غير ذلک من المرجِّحات.

«فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون انهم يحسنون صنعا».

ان الزهرا (عليه السلام) تدعو على هولاء بالذل و الهوان، و هو

إرغام أنوفهم، و هم الذين يظنون أنهم مهتدون فى أعمالهم، و مصلحون فى تصرفاتهم.

و الحال: «ألا إنهم هم المفسدون و لكن لا يشعرون» و هل يشعر المنحرف أنه منحرف شاذ؟

بل بالعكس، يتصور أنه هو المهتدى المعتدل المستقيم، و أنه على الحق و أن غيره على الباطل، و لا يؤثر فيه المنطق و لا ينفع فيه الدليل و البرهان. و هاتان الجملتان مقتبستان من قوله تعالى:

«قل هل نُنبِّئُكُمْ بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياه الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً» (1) و من قوله تعالى: «و إذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون و لكن لا يشعرون» (2) .

ثم أدمجت آيه أخرى فى كلامها بالمناسبه فقالت:

«ويحهم! «أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يُتَّبع أم لا يهدّى إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون» (3) .

هذه الآيه الشريفه تشير إلى بحث الهدايه، و المقارنه بين الذى يهدى إلى الحق، و يرشد الناس إلى الطريق و بين الذى لا يهتدى و لا يعرف الطريق إلاّ أن يُهدى، أى يهديه غيره، أيهما أحق بالإتّباع؟ و أيّهما يستحق أن يكون قائداً للأمه؟

و هنا تقصد السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) من هذه المقارنه أن علياً هو الرجل الكامل علماً و فضلاً و عقلاً، و مواهب، فهو أولى بالقياده، و أحرى بالاتباع من أفراد ليسوا فى المستوى المطلوب فى

1- 544. الكهف 104.
2- 545. البقره: 11، 12.
3- 546. يونس: 35.

العلم و العقل و التدبير و ما شابه ذلک من لوازم القياده.

و التاريخ يثبت کلا الجانبين: جانب الکمال فی الامام علیّ (علیه السلام)، و جانب النقص فی غيره.

«أما: لعمری! لقد لقحتْ» إن الميکروبات- التی تتکون فی البدن، و تنتج أمراضاً صعبه العلاج- إنما تبدأ من الجرثومه التی تدخل فی الدم، و هناک تتلاقح، و بمرور الزمان تنتشر الميکروبات فی الدم، و تؤثر علی الکريات البيض و الحمر، و هناک الويلات، و هناک، الملاريا و الکوليرا، و هناک السرطان، و هناک المرض الذی يعمّ البدن و يشمل الجسد کله.

تقول السيده فاطمه الزهراء: «أما لعمری! لقد لقحت» لقحت جرثومه الفتنه فی الأمه الإسلاميه، و الفتنه فی طريقها إلی التوسع و الانتشار.

«فنظره ريثما تنتج» أی انتظروا حتی تنتشر الميکروبات فی هيکل المجتمع الإسلامی، فبعد أن کانت القياده الصالحه اللائقه تقود المسلمين و إذا بقياده معاکسه و مغايره لها تماماً تزاحمها و تحل محلها.

و بعد أن کانت الأحکام الإسلاميه الطريه المعتدله تسود المجتمع الإسلامی إذ بأحکام منبعثه عن الهوی و عن آراء شخصيه متطرفه تقوم مقام تلک الأحکام.

و هکذا تتبدل المفاهيم، و تتغير المقاييس.

«ثم احتبلوا مل ء القعب دماً عبيطاً».

ان الناقه إذا ولدت يُحلب منها اللبن، و لکن الفتنه إذا لقحت و أنتجت يحلب منها الدم لا اللبن، أی تتکون المجازر و المذابح، فبعد أن کان الدين الإسلامی دين الأمن و الحياه و السلام فی الواقع و إذا به ينقلب مفهومه لدی هؤلاء فيصبح دين الإباده و الهلاک، و الدمار و الفناء.

انظر إلی التاريخ الإسلامی الذی شوّهه هؤلاء.

تجد أنهاراً من الدماء التى جرت من أجساد المسلمين!

و تجد التلال التى تكونت من جثثهم!

فمثلاُ: ذكر المؤرخون أن عثمان بن عفان قام بأعمال منافيه للقرآن و السنه، فعاتبه المسلمون على ذلک، و لكنه لم يرتدع بل استعمل العنف و القوه معهم ضرباً و سباً و تبعيداً و تهديداً.

و أخيراً اثارت أعماله فى المسلمين هياجاً عاماً، و كانت عائشه تهيّج الناس ضدّه و هكذا طلحه و ابن العاص.

و أخيراً اثارت قتلوا عثمان.

و إذا بالذين كانوا يحرّضون الناس ضده خرجوا يطلبون بدمه!! و قد قُتل عثمان فى المدينه، و ذهب هؤلاء إلى البصره يطلبون بدمه، و بين المدينه و البصره أكثر من ألف كيلومتر، فأجّجوا نيران الحرب هناک، فقتل فى حرب البصره خمسه و عشرون ألف إنسان!

ثم نهض معاويه زاعماً أنه يطلب بدم عثمان، فقامت الحرب فى منطقه سوريه بالقرب من مدينه حلب يقال لها «صفين» و هدأ القتال و على الأرض تسعون ألف قتيل!

ثم صارت واقعه النهروان فقتل فيها أربعه آلاف إنسان.

ثم خرج بسر بن أرطاه- من الشام و قصد المدينه و مكه و اليمن و فى طريقه كان يقتل الناس، حتى قتل من شيعه علىّ (عليه السلام) فى اليمن و غيره ثلاثين ألف انسان!.

خذ القلم بيدک و احسب مجموع القتلى:

000/ 25 000/ 90 000/ 4 000/ 30 = 000/ 149.

هؤلاء القتلى، و لا تسأل عن الجرحى، و لا تسأل عن أرامل هؤلاء،

و أيتامهم، و مضاعفات تلک المآسی، و لا تسأل عن الدموع الجاريه، و العيون الباکيه، والقلوب الملتهبه، و الآهات و الأحزان التی جعلت تلک الحياه جحيماً علی ذلک المجتمع بکافه جوانبه و نواحيه، کل ذلک فی خلال أربع سنوات!! و هل انتهت المأساه هنا؟

لا، بل هناک مآسی و مجازر و مذابح تقشعر منها الجلود، و سوف نذکر بعضها فی هذا الکتاب.

نعم، لا تزال السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) تخبر عن الفجائع و الفظائع التی هی فی طريق الأمه الإسلاميه، و کامنه لها بالمرصاد.

ليس هذا التنبؤ إخباراً عن الغيب، بل إخبار عن نتائج الأعمال و مضاعفاتها، فالطبيب الحاذق إذا نظر إلی إنسان لا يراعی أصول الصحه فی مأکله و مشربه و تنفسّه و يستعمل الأشياء الضاره فإن الطبيب يخبره بمصيره المظلم، و الأمراض الفتاکه التی تقضی علی حياته من جرّاء تلک الأعمال المنافيه لأصول الصحه العامه.

و کذلک السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) تنظر إلی ذلک المجتمع و سوء اختيار الأمه للقياده غير الصالحه، فتنکشف لها العواقب السيئه التی يؤول إليها أمر الأمه الإسلاميه ببرکات تلک القياده!!

تقول: «ثم احتلبوا مل ء القعب دماً عبيطاً» و فی نسخه: «طلاع القعب» أی القدح الکبير الضخم الذی يتفايض بالدم حتی يسيل منه، و المقصود کثره الدماء التی تُراق.

«و ذعافاً ممقراً مبيداً» أی احتلبوا الدم، و احتلبوا السمّ المرّ المهلک، و المقصود منها: النتائج السيئه التی عمَّ شؤمها الإسلام و المسلمين من الويلات و المصائب التی انصبّت علی المسلمين.

«هنالک یخسر المبطلون» أی عند ذلک یظهر خسران المبطلین.

«و یعرف التالون غبَّ ما أسَّسه الأولون» یعرف الآخرون عاقبه الأعمال التی أسّسها الأوّلون.

«ثم طیبوا عن دنیاکم أنفساً» یقال: طب نفساً: أی أسکن و اهدأ عن القلق و هذا کما یقال للظالم: قرَّت عینک، أو بشراک و أمثالها من الکلمات التی یراد بها العکس فی الکلام لا الحقیقه.

«و اطمأنوا للفتنه جاشاً» أی فلتسکن للفتنه قلوبکم، و هذا أیضاً یراد به العکس، فإن القلب لا یسکن للفتنه و إنما یسکن للأمان و السلامه.

«و ابشروا بسیف صارم و سطوه معتد غاشم» هذه الکلمه علی غرار قوله تعالی: «فبشّرهم بعذاب ألیم» و هذه الکلمه أو الجمله أیضاً علی العکس.

«و هرج شامل» و فی نسخه: «و هرج دائم شامل» الهرج: الفتنه و الفوضی و اختلال الأمور.

«و استبداد من الظالمین» الاستبداد: الدکتاتوریه، و العمل علی خلاف المقاییس و الموازین، لا تحت أی نظام أو قانون أو شریعه أو دین.

«یَدَع فیئکم زهیداً و جمعکم حصیداً» أی ذلک الاستبداد أو المقصود من ذلک جمیع ما تقدم من قولها: سیف صارم و سطوه معتد غاشم و هرج و استبداد و مجموع هذه الأشیاء یدع فیئکم زهیداً أی یجعل الغنائم و الخراج حقوقکم المالیه زهیداً ای قلیلاً «و جمعکم حصیداً» و فی نسخه: «و زرعکم حصیداً» أی محصوداً، و المقصود أن السلطه التی تحکم علیکم یتصرفون فی غنائمکم حسب مشتهیاتهم و یجرّونها إلی أنفسهم فلا ترون منها إلاّ القلیل، و یحصدون جمعکم أی جماعتکم بسیوفهم.

و كلها إخبارات بالمستقبل المظلم الذى كان بالمرصاد للمسلمين، و المآسى و الكوارث التى تنزل بهم، و الويلات التى تنصبّ عليهم!

و لقد تحقّق كل هذا: و هذا كله، لقد ابتلى المسلمون بفجائع و مذابح و مآسى لا يستطيع أحد أن يتصوّرها، فوالله أنّهم سوّدوا تاريخ الإسلام، و شوّهوا سمعه هذا الدين، و إليک بعض تلک الحوادث شاهداً على ما نقول:

لقد ذكرنا- فيما مضى- بعض المجازر التى قام بها أصحاب الجمل و معاويه و الخوارج و بعض عملاء معاويه، و الآن استمع إلى غيرها:

لو أردنا أن نذكر- هنا ما جرى على الأمه الإسلاميه من الظلم و الجور و الضغط و الكبت و العنف و القسوه، و الاستبداد بالأموال و إراقه الدماء البريئه على أيدى حكام الجور لطال بنا الكلام جداً جداً، فإن التحدّث عن هذه المصائب و الفجائع يحتاج إلى موسوعه و موسوعه.

و لكننا رعايه لأسلوب الكتاب و بمناسبه التحدث عما أخبرت به السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) من الويلات التى كانت بالمرصاد على طريق المسلمين الذين اختاروا تلک القياده التى ما أنزل الله بها من سلطان، و نبذوا وراءهم ولايه آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و سلبوهم القدره و الإمكانيه-.

نختار من بين المئات من الفجائع التى انصبت على أهل المدينه فجيعه واحده تقشعرّ منها الجلود، و تشمئز منها النفوس.

و قبل أن أذكر الواقعه لا بأس بذكر مقدمه تمهيديه كى تظهر نتائج تغيير القياده الإسلاميه عن مجراها و أُسُسها:

من الصحيح أن نقول: إن حكام الجور الذين جلسوا على كراسى الحكم، و قبضوا بأيديهم أزمّه الأمور و استولوا على رقاب البشر عن طريق السيف قد رفضوا العمل بالإسلام الذى جاء به محمد (صلى الله عليه و آله و سلم)

فكانت تصرّفاتهم لا تتفق مع القرآن الكريم و لا السّنّه النبويه و لا منطق العقل و لا قانون الإنسانيه و لا نظام العدل و لا تعاليم الإسلام.

بل كانوا يحكمون على أموال الناس و دمائهم حسب رغباتهم الشخصيه و شهواتهم النفسيه، و إجابه للحرص و الجشع، و إطاعه لأهوائهم.

فالناس لا كرامه لهم و لا قيمه لحياتهم عند هؤلاء، و ليس المهم عند أولئک الحكام أن يعيش الناس برخاء و رفاه أو يموتوا جوعاً و فقراً و إنما المهم المحافظه على عرش الحاكم و إبقاء جبروته و إشباع شهواته و رغباته و ترفه و بذخه و لو كان مستلزماً لإراقه دماء الشعب المسلم البرى ء المسكين، و ما قيمه المسلم و ما حرمه الإسلام أمام أهواء الحاكم الدكتاتورى الظالم السفّاک الذى لو كان يؤمن بالله و اليوم الآخر لكان سلوكه على خلاف تلک الأعمال المناقضه للدين الإسلامى.

و لعلک- أيها القارئ- تتصور و تظن أنّ فى كلامى هذا شيئاً من المبالغه و الإسراف، و لكنک لو اطلعت على تاريخ الأمويين و العباسيين و المجازر و المذابح الجماعيه التى قاموا بها لصدّقت كلامى بل و اعتبرت كلامى هذا أقل من القليل عن الواقع الذى مرّت به الأمه الإسلاميه عبر القرون!

إنهم جعلوا الحياه جحيماً و عذاباً أليماً على المجتمع الإسلامى الذى كان يعيش تحت سياطهم و سيوفهم!

و هاک مثالاً واحداً على بعض ما نقول:

واقعه الحره

بعث يزيد بن معاويه مسلم بن عقبه و كان أحد جبابره العرب

و شياطينهم- بعثه إلى المدينه و معه ثلاثون ألف رجلٍ (1) ، و أوصى يزيدُ بن معاويه مسلم بن عقبه فقال: إذا ظهرتَ على أهل المدينه فأبحْها ثلاثاً، و كل ما فيها من مال أو دابه أو سلاح أو طعام فهو للجند.

خرج الجيش نحو مدينه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و تصدى خرج أهل المدينه لمقابله الجيش خارج المدينه، و التقى العسكران خارج البلده فى منطقه يقال لها: «الحَرّه» و هناک وقعت الحرب، و قُتل من أهل المدينه المئات من أبناء المهاجرين و الأنصار و غيرهم من أهل المدينه، وانهزم الباقون متجهين نحو المدينه، الا ان جيش الشام يطاردهم حتى و صلوا المدينه و لاذ المسلمون بالحرم النبوى فجعل جيش الشام يقتل أهل المدينه عند قبر الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) حتى ساوى الدم قبر رسول الله !!

و بعد ذلک نادى المنادى فى جيش الشام بأمر قائدهم مسلم بن عقبه: هذه المدينه قد أبحتُها لكم !!!

فما تظن بالجيش الفاتح الذى يُعطى له الحريه الكامله، و يرفع عنه كل مسؤوليه؟؟ لقد عمد الجيش إلى نهب الأموال و هتک الأعراض، و افتضوّا أكثر من ثلاثمائه عذراء، و وُلد فى تلک السنه ألف مولود لم يُعرف لهم أب.

و أستأذن القارئ لأقول له: حتى أن الرجل منهم كان يزنى بالمرأه المسلمه فى مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) (2) .

و كان أفراد الجيش يدخلون بيوت أهل المدينه و ينهبون كل ما وجدوا فيها، و هجم أفراد منهم على دار أبى سعيد الخدرى- الذى كان من مشاهير أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و كان شيخاً كبيراً

1- 547. الامامه و السياسه ج 2 ص 7.
2- 548. كتاب تتمه المنتهى للقمى.

قد كفّ بصره- فوجدوه جالساً على التراب، لأن طائفه من الجيش كانت قد نهبت داره قبل ذاک، و لما فتش الأفراد داره و لم يجدوا شيئاً ما أحبّوا أن يخرجوا من داره بلا فائده فعمدوا إلى الشيخ الأعمى المسكين و نتفوا لحيته و شعر حاجبيه و هو يصرح و يقول لهم: أنا أبوسعيد الخدرى!! أنا صاحب رسول الله.

و لكنهم لم يعبأوا بهذه الأسماء، و وجدوا فى بيته عدداً من الحمام فذبحوها و طرحوها فى البئر و خرجوا من داره.

و دخل أحدهم دار امرأه قد نُهب كلّ ما فيها، فوجد الرجل تلک المرأه جالسه على الأرض و فى حجرها طفلها يرتضع، فمدّ الرجل يده و أخذ برجل الطفل و جذبه من حجر أمه و الثدى فى فمه و ضرب برأس الطفل الجدار فسال دماغه على الأرض و أمه تنظر إليه.

ثم جمع مسلم بن عقبه أهل المدينه و أخذ منهم الإقرار و الاعتراف بأنهم عبيد مملوكون ليزيد بن معاويه.

و بعد ذلک خرج الجيش من المدينه تاركاً وراءه الجثث و آلاف اليتامى و الأرامل، طعامهم البكاء و شرابهم الدموع، و فراشهم التراب، و متاعهم الآلام و الآهات و الذعر و العويل.

و توجه الجيش نحو مكه ليحرقوا الكعبه و يقتلوا الناس فى المسجد الحرام لأجل القضاء على عبدالله بن الزبير المتحصن فى المسجد الحرام الذى من دخله كان آمناً.

و لا تسأل عن الفجائع التى انصبت على أهل المدينه، فجيعه بعد فجيعه و مصيبه تلو الأخرى.

و أما ما قام به الحجاج بن يوسف الثقفى فى العراق فإنه يشيّب الطفل و هو فى المهد، و يورث الدهشه و الذعر فى القارئ الذى يقرأ تلک

الإضباره السوداء الشوهاء، و تستولى عليه حاله التهوّع و التقيّؤ.

حتى قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمه بخبيثها و جئنا بالحجاج لغلبناهم.

و قال عاصم: ما بقيتْ لله (عز و جل) حُرمه إلاّ و قد ارتكبها الحجاج!

تَطبيق الخبر مع الواقع

هذه نماذج قليله و ضئيله بالنسبه لما جرى و حدث، و بعد استعراض تلک الفجائع التى يملّ الإنسان الحياه حين قراءتها- تتضح لنا صحه ما أنذرت به السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) الجماعه التى استبدلت تلک القياده بقياده آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

و يظهر لنا صدق كلامها حين المطابقه و المقارنه بين كلامها: «و ابشروا بسيف صارم، و سطوه معتد غاشم، و هرج شامل، و استبداد من الظالمين يَدَع فيئكم زهيداً، و جمعكم حصيداً» و بين الحوادث و المآسى التى مرّت بها الأمه الإسلاميه.

و أخيراً ختمت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) خطابها للنساء بهذه الجملات: «فيا حسره لكم» هذه الكلمه مأخوذه من قوله تعالى: «يا حسره على العباد ما يأتيهم من رسول إلاّ كانوا به يستهزئون» فالمعنى: يا لكم من حسره و ندامه على ما فاتكم من الخير و الهدايه، و الأمن و الأمان و الأجر و الثواب فى الدنيا و فى الآخره.

«و أنّى بكم؟» أى ما أدرى إلى ما يصير أمركم و قد انحرتم عن طريق الهدايه، و وقعتم فى موارد الهلكه و الخسران.

«و قد عميت عليكم» خفيت عليكم الحقائق بسبب قلّه تدبّركم فيها

«أنلزمكموها و أنتم لها كارهون» هذه الجمله من قوله تعالى: «قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنه من ربّى و آتانى رحمه من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها و أنتم لها كارهون» أى أتريدون منى أن أكرهكم على المعرفه و ألجأكم إليها على كره منكم؟

هذا غير مقدور لى و إنّما الواجب علىّ أن أدلّكم بالبيّنه و الطريق و ليس علىّ أن أضطركم على معرفتها.

قطعت السيده فاطمه شريط كلامها مع النساء- هنا- و قامت النساء و خرجن.

قال سويد بن غفله: «فأعادت النساء قولها على رجالهن، فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين و الأنصار معتذرين».

من المؤسف أن القضيه مجمله مبهمه، فليس هنا تصريح بأسماء النساء و لا بأسماء الرجال الذين هم من وجوه المهاجرين و الأنصار.

و إنما المستفاد من مجموع الأحداث أن النساء ما كنّ يعرفن الألعاب السياسيه و ما كنّ يعرفن اتجاه رجالهن فى تلك الفتره العاصفه، فحضرن عند السيده فاطمه الزهراء لعيادتها، فخطبت فيهن السيده الزهراء الخطبه التى مرت عليك، و صبّت جام غضبها على رجالهن، و بعد انتهاء الخطبه قامت كل امرأه و كأنها نائمه فاستيقظت، أو كانت غافله فانتبهت و حصل عندهن شى ء من الوعى و الانتباه. و يعلم الله ما جرى بين تلك النساء و رجالهن من الصياح و النزاع بعد رجوعهن من عياده السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) بحيث جاء رجالهن إلى دار فاطمه معتذرين.

معتذرين عن أى شى ء؟!

معتذرين عن تخاذلهم وتقاعدهم عن نصره آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟!

كأنهم لا يعلمون شيئاً، كأنهم لا يعرفون عن الأحداث شيئاً.

كأنهم لم يبايعوا علياً (عليه السلام) يوم الغدير، و ذلک قبل وفاه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بسبعين يوماً.

كأنهم لم يسمعوا خطبه الزهراء فى المسجد و احتجاجها مع رئيس الدوله و مع المهاجرين و الأنصار!!

كأنهم لم يسمعوا صرختها عند باب البيت.

و كأنهم ما كانوا بالمدينه و لم يعلموا شيئاً أبداً.

و كأنهم الآن عرفوا الحق فجاءوا معتذرين بأعذار تافهه تائهه بارده:

«و قالوا: يا سيده النساء لو كان أبوالحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نُبرم العهد و نُحكم العقد لما عدلنا عنه إلى غيره».

استمع إلى هذا الاعتذار البعيد عن المنطق البعيد عن كل مقياس.

ما أدرى أى شى ء كان مفروضاً على أبى الحسن أن يذكره لهؤلاء؟

أما ذكر لهم الله تعالى قوله: «إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاه و يؤتون الزكاه و هم راكعون»؟

أما سمعوا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) رافعاً صوته يوم الغدير: «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم و ال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر مَن نصره، و اخذلْ من خذله؟

إلى غيرهما من الآيات نزلت فى حق علىّ (عليه السلام) و كلمات الثناء و النصوص الصريحه التى سمعوها من فم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) الداله على خلافه علىّ بعده (صلى الله عليه و آله و سلم).

أی شی ء یذکره علیّ لهم؟

فهل کان هناک شی ء مستور أو غیر معلوم عند أولئک الشخصیات فیحتاجوا إلی مَنْ یذکر لهم ذلک؟ أو یخبرهم به؟

و بعد هذا کله، أما احتج الإمام أمیرالمؤمنین علیهم- بأنواع الاحتجاج- یوم أخذوه من بیته إلی المسجد لیبایع أبابکر؟

أما سمعوا؟!

أما علموا؟!

أما فهموا؟!

ثم انظر إلی کیفیه الاعتذار و سخافه القول: «لو کان أبوالحسن ذکر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد و نحکم العقد لما عدلنا عنه إلی غیره».

سبحان الله! أما أبرمتم العهد؟!

أما أحکمتم العقد یوم الغدیر؟ و بایعتم علیاً بالخلافه بأمر الله و أمر رسوله؟

فهل کنتم تلعبون یومذاک او تستهزئون بالله و رسوله؟

فالعجب أنه جاز لکم أن تنقضوا ذلک العهد و تنکثوا ذلک العقد و لکن الیوم لا یجوز لکم النکث و النقض لتلک البیعه التی کانت هی نقضاً و نکثاً للبیعه السابقه التی بایعتم علیاً یوم الغدیر!!

نعم، هکذا اعتذروا، اعتذروا بهذه الأعذار المزیفه، و لهذا طردتم السیده فاطمه من بیتها، و قالت لهم:

«إلیکم عنی» تباعدوا عنی، أمسکوا کلامکم عنی.

«فلا عذر بعد تعذیرکم» التعذیر: التقصیر فی الاعتذار، و المعذّر: المقصّر الذی یریک إنه معذور و لا عذر له، قال تعالی: «و جاء المعذرون

من الأعراب ليؤذن لهم» (1) .

لعل المقصود ليس لكم عذر صحيح بعد تعذيركم و تقصيركم.

«و لا أمر بعد تقصيركم» أى ليس لنا أمر معكم بعد هذه المواقف التى كانت لكم.و هكذا طردتهم السيده فاطمه من بيتها بعد أن زيّفت أعذارهم.

1- 549. سوره التوبه: 90.

أيها القارئ الكريمّ! لقد قضينا معک برهه من الزمان فى رحاب كلمات السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) التى خطبت بها فى المسجد و فى بيتها و فى فراش العله و المرض، و قد تبين لک الكثير الكثير من الحقائق التى اشتملت عليها خُطب السيده الزهراء.

و قد ذكرنا لک بعض المصادر لخطبتها التى خطبت بها فى المسجد، و لا بأس أن نذكر- هنا- بعض مصادر خطبتها التى خطبت بها للنساء:

1- معانى الأخبار للشيخ ابن بابويه المتوقى سنه (381) ينتهى سند الخطبه إلى فاطمه بنت الحسين (عليهماالسلام).

2- و يروى أيضاً بإسناده عن عمر بن على بن أبى طالب (عليه السلام) يروى عن أبيه أميرالمؤمنين على بن أبى طالب (عليهماالسلام).

3- الطبرسى فى الاحتجاج عن سويد بن غفله كما تقدم الكلام فى أول الخطبه.

4- أمالى الشيخ الطوسى يروى بإسناده عن ابن عباس.

5- دلائل الإمامه للطبرى يروى بإسناده عن الإمام علىّ بن الحسين زين العابدين (عليهماالسلام).

6- بلاغات النساء لأبى الفضل بن أبى طاهر يروى بإسناده عن عطيه العوفى.

7- كشف الغمه للاربلى ص 147 يروى عن كتاب السقيفه لأحمد بن عبد العزيز الجوهرى.

8- ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه يروى أيضاً عن الجوهرى.

9- أعلام النساء تأليف عمر رضا كحّاله ج 4 ص 123.

10- الشيخ المجلسى فى العاشر من كتابه بحارالأنوار ج 43.

كان الانسب ان يكون هذاالبحث قبل خطبها التى خطبت بها للنساء، و لكن رعايه لتوالى خطبها ذكرنا كما سلف.

كان الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) يسير على خطه حكيمه تتفقْ مع العقل و المنطق و الدين، و ينتهز الفرص لإحقاق حقه و إثبات مظلوميته و إتمام الحجه على ذلک المجتمع، بل و تسجيلها فى سجل التاريخ، كى يعلم ذلک الشعوب التى جاءت بعد ذلک اليوم و إلى يومنا هذا و إلى ما شاءالله.

من الصحيح أن نقول: إن الإمام علياً (عليه السلام) كان يرى لزاماً عليه أن يتم الحجه على الناس، و يبيّن لهم أن الخلافه من حقه الذى جعله الله و رسوله له، حتى إذا كان عالماً أن الناس لا يتجاوبون معه، و هكذا يبين لهم أن فدک من حق السيده فاطمه الزهراء.

فهو- شرعاً خليفه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) سواءً أذعن له الناس أو لم يذعنوا، و سواء خضع له المجتمع أو لم يخضع و هكذا إن فدک مِلکٌ للسيده فاطمه الزهراء سواءً أعطوها حقها أو لا.

و السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) لها المكانه المرموقه و الشخصيه المشهوره فى ذلک المجتمع، فلا بأس لو أن السيده الزهراء تتكلف و تتجشم تأييد زوجها فى إثبات الحق و الحقيقه و المطالبه بحقها، فلا عجب إذا كانت ترافق زوجها العظيم، و ولديها سيدى شباب أهل الجنه، و تستنجد بالصحابه لئلا يكون للناس على الله حجه، لئلا يقولوا: كنا غافلين ناسين أو

جاهلين. و لماذا ما جاءنا علىٌّ ليذكِّرنا، ليخبرنا، ليعرّفنا الحق و الحقيقه؟ و لهذا كان علىّ (عليه السلام) يحمل السيده فاطمه الزهراء على أتانِ، فيدور بها أربعين صباحاً على بيوت المهاجرين و الأنصار، و الحسن و الحسين معها، و هى تقول:

يا معشر المهاجرين و الأنصار، انصروا الله و ابنه نبيكم، و قد بايعتم رسول الله يوم بايعتموه أن تمنعوه و ذريته مما تمنعون منه أنفسكم و ذراريكم.فَفوا لرسول الله ببيعتكم»!

فما أعانها أحد، و لا أجابها و لا نصرها.

فانتهت إلى معاذ بن جبل فقالت: يا معاذ بن جبل! إنى قد جئتک مستنصره، و قد بايعتَ رسولَ الله على أن تنصره و ذريته، و تمنعه مما تمنع منه نفسک و ذريتک، وإن أبابكر قد غصبنى على فدک و أخرج وكيلى منها.

قال: فَمعى غيرى؟

قالت: لا، ما أجابنى أحد.

قال: فأين أبلغ أنا من نصرک؟

خرجت السيده من دار معاذ و هى تقول له: و الله لا أُناز عنّک الفصيح من رأسى حتى أرِدَ على الرسول الله.

و دخل ابن معاذ فقال لأبيه: ما جاء بابنه محمد إليک؟

قال: جاءت تطلب نصرتى على أبى بكر، فإنه أخذ منها فدكاً.

قال: فما أجبتها؟

قال: قلت: و ما يبلغ نصرتى أنا وحدى؟

قال: فأبيت أن تنصرها؟

قال: نعم!!

قال: فأی شی ء قالت لک؟

قال: قالت لی: و الله لا أُنازعنّک الفصیح من رأسی حتی أرِدَ علی رسول الله.

فقال: أنا و الله لا أُنازعنّک الفصیح من رأسی حتی أرد علی رسول الله.

و ذکر ابن قتیبه الدینوری فی (الإمامه و السیاسه) ص 19: قال: و خرج علی (کرم الله وجهه) یحمل فاطمه بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) علی دابه لیلاً فی مجالس الأنصار تسألهم النصره، فکانوا یقولون یا بنت رسول الله قد مضت بیعتنا لهذا الرجل، و لو أن زوجک و ابن عمک سبق إلینا قبل أبی بکر ما عدلنا به.

فیقول علیّ (کرم الله وجهه) أفکنت أدَع رسولَ الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فی بیته لم أدفنه، و أخرج أُنازع الناس سلطانه؟

فقالت فاطمه: ما صنع أبوالحسن إلاّ ما کان ینبغی له، و لقد صنعوا ما الله حسیبهم و طالبهم.

ص: 483

لا أعلم ماذا کان تأثیر بکاء السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) فی النفوس المریضه حتی شعروا بالانزعاج؟!

و هل بکاء امرأه جالسه فی بیتها یسلب الراحه من تلک الشخصیات الفذه!!؟

لقد اجتمع شیوخ أهل المدینه و أقبلوا إلی أمیرالمؤمنین (علیه السلام) و و قالوا له: یا أباالحسن إن فاطمه تبکی اللیل و النهار فلا أحد منا یتهنأ بالنوم فی اللیل علی فُرشنا، و لا بالنهار لنا قرار علی أشغالنا و طلب معایشنا، و إنا نخبرک أن تسألها إما أن تبکی لیلاً أو نهاراً.

فاقبل امام علی حتی دخل علی فاطمه الزهرا و هی لاتفیق من البکاء، و لا ینفع فیها العزاء فلما راته سکنت هنیه فقال لها: یا بنت رسول الله ان شیوخ المدینه یسالوننی ان اسالک اما ان تبکی لیلا او نهارا.

فقالت: یا أباالحسن ما أقلّ مکثی بینهم! و ما أقرب مغیبی من بین أظهرهم فوالله لا أسکت لیلاً و لا نهاراً أو ألحق بأبی رسول الله (و صلی الله علیه و آله و سلم).

فقال (علیه السلام): افعلی یا بنت رسول الله ما بدا لکِ! (1).

نعم، إن شیوخ المدینه لا یعرفون حق رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و قدره و منزلته، فلو کانوا یعرفون ذلک لکانوا یشارکون ابنته

1- 550. بحارالانوار ج 43.

الوحيده فى البكاء و يساعدونها فى ذرف الدموع على أشرف ميت و أعز فقيد.

و يا ليتهم- حين لم يشاركوها و لم يساعدوها- كانوا يسكتون و لا يمنعونها عن البكاء على مصائبها العظيمه.

و لكنهم معذورون، لأن السياسه فرضت عليهم أن يمنعوا حبيبه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) عن البكاء على سيد الأنبياء.

يحق للسيده فاطمه أن تواصل البكاء على تلك الفاجعه العظمى و الكارثه الكبرى لأجل أُناس لهم غايات و أهداف يعلمها الله تعالى.

فبنى لها الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) بيتاً نازحاً عن المدينه سُمّى «بيت الأحزان» (1) و كانت إذا أصبحت قدّمت الحسن و الحسين أمامها، و خرجت إلى البقيع باكيه فلا تزال بين القبور باكيه، فإذا جاء الليل أقبل أميرالمؤمنين إليها و ساقها بين يديه إلى منزلها.

فليهنأ أُولئک المنزعجون عن بكاء فاطمه!! و لترتاح ضمائرهم، و لينامواعلى فُرشهم ليلاً نومه عميقه هنيئه بدون أن يشعروا بالأذى من بكاء فاطمه العزيزه. و نرى- هنا- الشعراء يشيرون إلى هذه المأساه التى يظهر فيها الجفاء بأسوأ منظر.

يقول أحدهم:

منعوا البتول عن النياحه إذ غدت

تبكى أباها ليلها و نهارها

قالوا لها: قَرّى فقد آذيتنا

أنّى؟ و قد سلب المصاب قرارها

1- 551. قل السمهودى فى تاريخ المدينه ج 2 ص 95: ان الغزالى ذكر استحباب الصلاه فى مسجد فاطمه (عليه السلام) بالبقيع، و قال غيره: انه

المعروف «بيت الاحزان» لان فاطمه (عليه السلام) اقامت فيه ايام حزنها على ابيها.

و يقول الآخر:

و القائلين لفاطم: آذيتنا

من طول نَوح دائم و حنين

و قد رأى أحد علمائنا- و هو السيد باقر الهندى- فى المنام الإمام المهدى المنتظر (عليه السلام) فقال له الإمام مشيراً إلى هذه المأساه:

أترانى اتخذتُ لا و علاها

بعد بيت الأحزان سرور؟

ص: 486

أسفى عليها.

أسفى على شبابها.

أسفى على آلامها.

أسفى على قلبها المتوقد الملتهب.

أسفى على خاطرها المنكسر.

صارت طريحه الفراش، أخذ المرض و الهزال منها كل مأْخذ.

و استولى الذبول على تلک الزهره الزهراء.

إنها لا ترجو العلاج و الدواء، و لا تأمل فى البقاء.

إنها تنتظر الموت، تنتظر التخلص من هذه الحياه.

تتمنى أن تلتحق بأبيها الرسول.

لقد اقتربت شمسها نحو الغروب.

لقد كادت شمعه الرسول أن تنطفئ ء.

لقد ضاقت الدنيا و ضيقت عليها.

تنظر إلى زوجها العظيم، جليس الدار، مسلوب الإمكانيات، مغصوباً حقه.

تنظر إلى أملاكها قد صودرت، و إلى أموالها قد غصبت.

استغاثت فلم يغثها أحد، و استنصرت فلم ينصرها أحد.

منعوها عن البكاء على أبيها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أشرف الآباء.

و عن الامام الباقر (علیه السلام) انه کان من دعائها فی شکواها: «یا حی یا قیوم برحمتک أستغیث فأغثنی، اللهم زحزحنی عن النار و أدخلنی الجنه و ألحقنی بأبی محمد.

فإذا قال لها أمیرالمؤمنین: عافاکِ الله و أبقاکِ. تقول: یا أباالحسن ما أسرع اللحاق برسول اللهِ (1) .

و عن الإمام زین العابدین عن أبیه الحسین (علیهماالسلام) قال: لما مرضت فاطمه بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) وصَّت إلی علیّ بن أبی طالب (علیه السلام) أن یکتم أمرها و یخفی خبرها، و لا یؤذن أحداً بمرضها، ففعل ذلک، و کان یمرّضها بنفسه و تعینه علی ذلک أسماء بنت عمیس علی استسرار بذلک.... الی آخرالحدیث (2) .

یستفاد من هذا الحدیث مدی تألُّم السیده فاطمه الزهراء من ذلک المجتمع الذی عرفت موقفه اتجاه بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فقد یکون الاستیاء عمیقاً، فی النفس کالجرح الغائر فی البدن الذی یطول بُرؤُه أو لا یبرأ علی مرّ الزمان.

و هکذا یزهد الإنسان المتألِّم فی المجتمع، و یختار الاعتزال عنهم، و بعد أن کان یستأنس بهم صار لا یحب الالتقاء بهم و التحدث معهم.

و إنما یدرک هذه الحاله کل من رأی الجفاء و القساوه من أقاربه أو أصدقائه أو مجتمعه، فإنه ینزعج حتی من رؤیتهم فکیف بالتحدث و المجالسه معهم، و قد یبلغ الأمر بالإنسان أن یملّ الحیاه و یفضّل الموت کی یستریح من الحیاه التی یعیشها مع أهل الجفاء و القسوه.

1- 552. دلائل الامامه لابن جریر ص 43 ص 217.
2- 553. بحارالانوار ج 43 عن مجالس المفید.

اختارت السيده فاطمه زوجها العظيم ليقوم بتمريضها، و لا أعلم كيفيه تمريض الإمام إياها، فهل كان الإمام يصنع لها طعاماً يليق بالمرضى، أو يتولى هو أمور بيته بنفسه؟

و على كل تقدير، فقد كانت أسماء بنت عميس شرف التعاون في تمريض السيده فاطمه، و لعل السبب فى انتخابها لهذه المهمه هو أنّه كانت العلاقات بين السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) و بين أسماء بنت عميس وُديّه و طيبه للغايه، إلى درجه أنها كانت تعتبر نفسها من أسره بنى هاشم، و خاصه و أن جعفر بن أبى طالب.

و كانت هى بالذات امرأه عاطفيه، تؤمن بالوفاء و الإنسانيه، و تقدر الحقوق لأهلها. و تلتزم بالقيم و المفاهيم العليا.

و يستفاد من مطاوى التاريخ أنها كانت- بالإضافه إلى ذكائها الوافر و عقلها الوقاد- حسنه الأخلاق، طيبه المعاشره، و كانت السيده فاطمه الزهراء تبادلها الحب و الموده و الشعور.

و لما قُتل جعفر بن أبى طالب فى غزوه مؤته و بلغ رسول الله الخبر بكى (صلى الله عليه و آله و سلم) و بكت الصحابه، و وصل الخبر إلى حجرات الرسول فبكت الهاشميات، و أقبل الرسول و دخل على أسماء فدعى بأولاد جعفر و جعل يمسح على رؤُوسهم، و يشمهم و يضمهم إلى صدره، فأحست أسماء بالشر و قالت: يا رسول الله هل بلغک شى ء عن جعفر؟

فبكى الرسول و قال لها: احتسبى جعفر فقد قُتل. فبكت و صاحت. و أقبل الرسول إلى دار ابنته فاطمه و قال لها: اصنعى طعاماً لآل جعفر فإنهم مشغولون بالعزاء.

فعمدت السيده فاطمه إلى الدقيق و عجنته و خبزت خبزاً كثيراً، و عمدت

إلى مقدار من التمر و أرسلت بالخبز و التمر إلى دار آل جعفر.

و الجدير بالذكر أن الرسول لم يأمر إحدى زوجاته و لا سائر الهاشميات بذلک فلعل السبب فى ذلک أن الرسول أراد أن يكون هذا الثواب الجزيل من نصيب ابنته فاطمه.

أو أن الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) اختار لها هذا العمل نظراً للعلاقات الطيبه و السوابق الحسنه و الخدمات الجمه التى أسدتها أسماء بنت عميس إلى أهل بيت الرسول.

فلقد مرّ عليک أن أسماء حضرت عند السيده خديجه ساعه وفاتها، و أنها ساهمت فى التدابير التى اتخذت فى زواج السيده فاطمه الزهراء، بل و حضرت أسماء عند السيده فاطمه ساعه ولادة الإمام الحسين، و قامت بدور القابله المولِّده و ساعدْنها بعض النساء أيضاً.

و بالرغم من أنها تزوجت بأبى بكر بعد مقتل زوجها جعفر فإنها استمرّت على و لائها، و لم تتغير قيد شعره، و حتى بعد وفاه الرسول، و موقف أبى بكر اتجاه أهل البيت كان موقفاً معروفاً.

و بالرغم من الحرب البارده بين أهل البيت و بين السلطه المتمثله فى أبى بكر فإن أسماء بنت عميس لم تتأثر بعواطف زوجها، و تحدّت السلطه تحدّياً لا تنقضى عجائبه.

فكيف كان أبوبكر يسمح لها بالذهاب إلى دار علىّ (عليه السلام) لخدمه الزهراء و خدمه أولادها؟

و كيف لم يأمرها بقطع علاقاتها مع أهل البيت فى تلک الظروف الخاصه؟

و على كل حال، فقد كانت السيده فاطمه الزهراء تستأنس بأسماء و تنسجم معها و تسكن إليها، و تبثُّ إليها آلامها، و كأنها أختها، و كأنها

أحب الناس إليها، و أقربهن إلى قلبها.

قالت لها السيده فاطمه فى أواخر أيام حياتها: كيف أصنع و قد صرت عظماً و قد يبس الجلد على العظم؟

و فى روايه التهذيب عن أبى عبدالله الصادق (عليه السلام) قال..... و قالت فاطمه لأسماء: إنى نحلت و ذهب لحمى، ألا تجعلين لى شيئاً يسترنى؟

قالت أسماء: إنى كنت بأرض الحبشه رأيتهم يصنعون شيئاً أفلا أصنع لكِ، فإن أعجبک أصنع لكِ؟

قالت: نعم.

فدعت (أسماء) بِسرير فأكبته لوجهه، ثم دعت بجرائد فشددته على قوائمه ثم جلَّلته ثوباً فقالت: هكذا رأيتهم يصنعون.

فقالت: اصنعى لى مثله، استرينى سترک الله من النار.

و فى روايه الاستيعاب: فقالت فاطمه: ما أحسن هذا و أجمله لا تعرف به المرأه من الرجل.

و روى انها (عليهاالسلام)- لمارات ما صورته اسماء- تبسمت، و ما رويت مبتسمه-بعد ابيها- الا يومئذ.

اسباب انحراف صحتها

انتشر خبر مرض السيده فاطمه الزهراء فى المدينه، و سمع الناس بانحراف صحتها،و لم تكن تشكو السيده فاطمه الزهراء من داء عضال، بل الهموم و المصائب و الآلام هى التى ادت الى استيلاء الهزال و الذبول عليها.

و كثره البكاء على أبيها و على حياتها ساعدت على زوال الطراوه و النضاره عن وجهها.

و الجفاء و الخشونه و المواقف غير المشرفه التى شاهدتها من بعض المسلمين، و انقلاب الأمور، و تبدّل الأحوال و تغيّر الأوضاع السياسه و الاجتماعيه لان لها اكبر الاثر عليها.

و لقد حدث لها بين حائط دارها و الباب حوادث أدّت إلى سقوط جنينها.

و السياط التى أدمت جسمها الطاهر، و تركت فى بدنها آثاراً عميقه. و الضرب المبرّح الذى ألّم جسمها و نفسها و روحها.

كل هذه الأمور ساهمت فى انحراف صحتها، و قعودها عن ممارسه أعمالها المنزليه.

اشاره

انتشر خبر استياء السيده فاطمه (عليه السلام) من السلطه، و نقمتها على الذين آزروا تلک السلطه، و نبذوا وراءهم جميع المفاهيم و القيم، و تناسوا كل آيه من القرآن نزلت فى آل الرسول.

و أعرضوا عن كل حديث سمعوه من شفتى الرسول فى حق السيده فاطمه الزهراء و زوجها و ولديها.

و أخيراً تولَّد شى ء من الوعى عند الناس، و عرفوا أنهم مخطئون فى تدعيم السلطه الحاكمه التى لا تعترف بها أسره رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

تلک السلطه التى كان موقفها تجاه بنت الرسول موقفاً غير حسن.

و أخيراً انتبه أفراد السلطه للاستياء العام المستولى على القلوب من سوء تصرفاتهم.

فأرادو تغطيه أعمالهم و استدراک ما فات، لذلک قرروا أن يعودوا السيده فاطمه الزهراء لاسترضائها، و عند ذلک ينتهى كل شى ء، و تكون المأساه نسياً منسياً. هكذا تفكروا و تدبروا.

و قد رأينا فى زماننا هذا الكثير من المجرمين الذين يعتدون على الأبرياء بالإهانه و التحقير و الاستخفاف و أنواع الظلم و التعذيب، ثم يأتون إلى المظلوم و يعتذرون منه سرّاً، و هم يحسبون أنهم يغسلون أعمالهم بالاعتذار.

و لكن السيده الزهراء كانت تعرف هذه الأساليب و تعلم كل هذه الأمور.

و إليک الواقعه- كما ذكرها ابن قتيبه فى (الإمامه و السياسه ج 1 (ص 4) و عمر كحاله فى (أعلام النساء) 3 ص 314:

إن عمر قال لأبى بكر (رضى الله عنه): انطلق بنا إلى فاطمه فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمه فلم تأذن لهما، فأتيا عليّاً فكلّماه فأدخلهما عليها فلما قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها، فلم ترد عليهما- السلام.

فتكلم أبوبكر فقال: يا حبيبه رسول الله! و الله إن قرابه رسول الله أحبُّ إلىَّ من قرابتى و إنک لأحبّ إلى من عائشه ابنتى، و لوَددت يوم مات أبوكِ أنى متُّ و لا أبقى بعده، أترانى أعرفكِ و أعرف فضلک و شرفک، و أمنعک حقک و ميراثک من رسول الله؟

إلاّ أنى سمعت أباک رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول: لا نورّث، ما تركناه فهو صدقه.

فقالت: أرأيتكما أن حدّثكتما حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) تعرفانه و تفعلان به؟

فقالا: نعم.

فقالت: نشدتكما الله: ألم تسمعاً رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول:رضا فاطمه من رضاى، و سخط فاطمه من سخطى، فمن أحب فاطمه ابنتى فقد أحبنى، و من أرضى فاطمه فقد أرضانى، و من أسخط فاطمه فقد أسخطنى؟

قالا: نعم، سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

قالت: فإنى أُشهد الله و ملائكته أنكما أسخطتمانى و ما أرضيتمانى،

و لئن لقيت النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لأشكونكما إليه.

فقال أبوبكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه و من سخطک يا فاطمه. ثم انتحب أبوبكر يبكى، حتى كادت نفسه أن تزهق، و هى (فاطمه) تقول: و الله لأدعونَّ عليک فى كل صلاه أصليها.

ثم خرج باكياً، فاجتمع الناس إليه فقال لهم: يبيت كل رجل معانقاً حليلته، مسروراً بأهله و تركتمونى و ما أنا فيه، لا حاجه لى فى بيعتكم، أقيلونى بيعتى».

العياده بصوره أخرى

فى علل الشرائع: لما مرضت فاطمه (عليهاالسلام) مرضها الذى ماتت فيه أتاها أبوبكر و عمر عائدين، و استأذنا عليها فأبت أن تأذن لهما، فلما رأى ذلک أبوبكر أعطى الله عهداً أن لا يظلّه سقف بيت حتى يدخل على فاطمه و يترضّاها، فبات فى الصقيع، ما أظلّه شى ء، ثم إن عمر أتى عليّاً (عليه السلام) فقال له: قد أتيناها (فاطمه) غير هذه المره مراراً نريد الإذن عليها و هى تأبى أن تأذن لنا حتى ندخل عليها فنترضّى، فإن رأيت أن تستأذن لنا عليها فافعل.

قال: نعم، فدخل على (عليه السلام) على فاطمه فقال: يا بنت رسول الله قد كان من هذين الرجلين ما قد رأيت، و قد تردّدا مراراً كثيره و رددتهما و لم تأذنى لهما، و قد سألانى أن أستأذن لهما عليک.

فقالت: و الله لا آذن لهما، و لا أُكلمهما كلمه من رأسى حتى ألقى أبى فأشكوهما إليه بما صنعاه و ارتكباه منى؛

قال على: فإنى ضمنت لهما ذلک.

قالت: إن كنت ضمنت لهما شيئاً فالبيت بيتک، و النساء تتبع

الرجال، لا أُخالف عليک بشی ءٍ، فأْذن لمن أحببت.

فخرج علیّ فأذن لهما، فلما وقع بصرهما علی فاطمه سلّما علیها، فلم تردّ علیهما،و حوَّلت وجهها عنهما، فتحوّلا و استقبلا وجهها حتی فعلت مراراً و قالت: یا علیّ جافِ الثوب و قالت- لنسوه حولها-: حّوّلن وجهی!! فلما حوّلن وجهها حوّلا إلیها فقال أبوبکر: یا بنت رسول الله إنما آتیناک ابتغاء مرضاتک و اجتناب سخطک، نسألک أن تغفری لنا و تصفحی عما کان منا إلیک.

قالت: لا أُکلّمکما من رأسی کلمه واحده حتی ألقی أبی و أشکو کما إلیه، و أشکو صنیعکما و فعالکما و ما ارتکبتما منی.

ثم التفتت إلی علیّ و قالت: إنی لا أُکلمهما من رأسی حتی أسألهما عن شی ء سمعاه من رسول الله، فإن صدقا رأیت رأیی.

قالا: اللهم ذلک لها، و إنا لا نقول إلاَّ حقاً و لا نشهد إلاَّ صدقاً.

فقالت: أنشدکما بالله: أتذکران أن رسول الله استخرجکما فی جوف اللیل بشی ء کان حدث من أمر علیّ؟

قالا: اللهم نعم.

فقالت: أُنشدکما بالله هل سمعتما النبی یقول: فاطمه بضعه منی و أنا منها، من آذاها فقد آذانی، و من آذانی فقد آذی الله، و من آذاها بعد موتی کان کمن آذاها فی حیاتی، و من آذاها فی حیاتی کان کمن آذاها بعد موتی؟

قالا: اللهم نعم.

فقالت: الْحمد لله. ثم قالت:

اللهم إنی أُشهدک فاشهدوا یا من حضرنی: أنهما قد آذیانی فی حیاتی و عند موتی.و الله لا أُکلِّمکما من رأسی کلمه حتی ألقی ربی فأشکو کما

إليه بما صنعتما به و بى، و ارتكبتما منى.

فدعا أبوبكر بالويل و الثبور و قال: ليت أمى لم تلدنى!!

فقال: عمر: عجباً للناس كيف ولّوک أُمورهم و أنت شيخ قد خرفت!! تجزع لغضب امرأه و تفرح برضاها؟ و ما لمن أغضب امرأه؟ و قاما و خرجا.

قال: نعم.

قالت: فهل انت صانع ماآمرک؟

قال: نعم.

قالت: فانى انشدک الله ان لا يصليها على و لا يقوماعلى قبرى (1) .

أقول: لا حاجه إلى هذا البكاء المرّ الذى أو شک على إزهاق الروح- على حد تعبير روايه ابن قتيبه- و لا داعى بأن ينادى أبوبكر بالويل و الثبور و بإمكانه أن يُرضى السيده فاطمه بأن يردّ إليها حقوقها، و يرفع يده عن أراضيها،و يعتذر عن أعماله.

و لكن الخليفه يريد أن يبقى على اعتدائه و على موقفه- الذى عرفته- بدون أى تنازل، و فى نفس الوقت يريد أن ترضى عنه فاطمه الزهراء!؟.

لا أظن أن أيَّ إنسان أو مسلم أو قانون أو شعب يرضى بهذا، و لا أظن أن شريعه أو ديناً أو ضميراً أو وجداناً أو منطقاً يقول بهذا، سوى منطق العنف و الضغط، و منطق القوه و القدره.

و لكن السيده فاطمه أقوى نفساً و روحاً من أن تخضع لهذا المنطق أو بالأحرى: أن تنخدع بهذه المظاهر!؟

1- 554. بيت الاحزان ص 145.

و هنا سئوال قد يتبادر إلى ذهن القارئ و هو: ما الذى دعا أبابكر أن يلين و يخضع هكذا؟

و ما دعا الزهراء أن تثبت على رأيها، و لا تتضعضع عن موقفها؟ لقد أجاب الجاحظ على هذا السؤال، و كفانا مؤونه الجواب قال فى رسائله ص 300 «... فإن قالوا: كيف تظن به ظلمها و التعدى عليها، و كلما ازدادت عليه غلظه ازداد لها ليناً و رقّه حيث تقول له: و الله لا أكلمک أبداً، فيقول: و الله لا أهجرک أبداً، ثم يتحمل منها هذا الكلام الغليظ و القول الشديد فى دار الخلافه و بحضره قريش و الصحابه مع حاجه الخلافه إلى البهاء و التنزيه، و ما يجب لها من الرفعه و الهيبه، ثم لم يمنعه ذلک عن أن قال معتذراً متقرباً كلام المعظَّم لحقها، المكبِّر لمقامها، الصائن لوجهها، المتحنِّن عليها: «ما أحد أعز علىَّ منک فقراً و لا أحب إلىّ منک غنى، و لكن سمعت رسول الله يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورِّث ما تركناه صدقه»؟؟

قيل لهم: ليس ذلک بدليل على البراءه من الظلم، و السلامه من الجور. و قد يبلغ من مكر الظالم و دهاء الماكر إذا كان أريباً و للخصومه معتاداً أن يظهر كلام المظلوم و ذلّه المنتصف، و حدب الوامق و مقت المحقّ... الى آخر كلامه».

تعتبر السیده ام سلمه من خیره زوجات رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فی حیاته و بعد مماته.. فلم توذ النبی بکلامها او تصرفاتها، و لم تتامر علیه مع ضراتها- کما حدث من بعضهن فی قصه المغافیر و نزول قوله تعالی: «یا ایها النبی لم تحرم ما احل الله لک تبتغی مرضات ازواجک»-.

بل احسنت صحبته و معاشرته فی حیاته.

و بعد وفاته (صلی الله علیه و آله و سلم) کانت لها مواقف مشرفه و مشکوره تجاه آل رسول الله، و لم تنحرف عنهم فی خضم الاحداث التی عصفت بهذه الذریه الطاهره، بل وقفت موقف المدافع و المحامی و الناصر، و شارکتهم فی الآلام و الاحزان.

و لما مرضت السیده فاطمه (علیهاالسلام) دخلت علیها ام سلمه عائده لها فقالت: کیف اصبحت عن لیتک (1) یا بنت رسول الله؟

قالت (علیهاالسلام): اصبحت بین کمد و کرب، فقد النبی و ظلم الوصی.

هتک- و الله- حجاب من اصبحت امامته مقتضیه، علی غیر ما شرع الله فی التنزیل،و سنها النبی فی التاویل، و لکنها احقاد بدریه، و ترات احدیه (2) کانت علیها قلوب النفاق متمکنه...» الی آخر کلامها (علیهاالسلام) (3) .

1- 555. و فی نسخه: علتک
2- 556. ترات: جمه تره- کعده-: الانتقام.
3- 557. المناقب لابن شهر آشوب ج 2 ص 205.

و الجدير بالذكر: ان السيده ام سلمه هى الوحيده- من بين زوجات النبى- التى جاءت لزياره فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) و عيادتها و السوال عن صحتها.

فاين كانت غيرها من الزوجات؟!

و لماذا لم يشاركنها فى الآلام- و هى البنت الوحيده لرسول الله-؟!

هذا... و سوف تقرا ان السيده فاطمه اوصت الى اميرالمومنين (عليهماالسلام) ان يخبر ام سلمه بوفاتها.

ص: 500

و دخلت عليها عائشه بنت طلحه فقالت: بابى انت و امى: ماالذى يبكيک؟

فقالت (عليهاالسلام) لها: اسائلتى عن هنه حلق بها الطائر و حفى بها السائر، و رفع الى السماء امرا، و رزئت فى الارض خبرا؟!

ان قحيف تيم، و احيول عدى (1) جازيا اباالحسن فى السباق، حتى اذا تفريا بالخناق اسرا له الشنان (2) و طوياه الاعلان.

فلما خبا نور الدين، و قبض النبى الامين، نطقا بفورهما، و نفثا بسورهما (3) و ادالا بفدک (4) فيالها لمن ملک.

انها عطيه الرب الاعلى للنجى الا و فى، و لقد نحلنيها (صلى الله عليه و آله و سلم) للصبيه السواغب من نجله و نسلى، و انها لبعلم الله و شهاده امينه.

فان انتزعا منى البلغه، و منعانى اللمظه، احتستبها يوم الحشر زلفه، و ليجدنها آكلوها ساعره حميم فى لظى جحيم (5) .

1- 558. قحيف تصغير قحف، باعتبار ان ابابكر هو ابى قحافه، و قحافه مشتق من القحف و هو جرف ما فى الاناء من ثريد و غيره، فهو كنايه عن الجشع و الاكل و الشرب بنهم شديد/ لسان العرب- حرف الفاء. احيول: تصغير احول، و هو الذى فى عينه حول اى: تغيير.
2- 559. الشنان: البغضاء.
3- 560. الفور: الغليان و الاضطراب. نفث: تكلم، و منه: نففث الشيطان على لسانه. السور- بفتح السين و الواو- حده الشى و شدته.
4- 561. ادالا: غلبا.
5- 562. كتاب الامالى للشيخ الطوسى ج 1 ص 207.

العباس يحاول عياده السيده فاطمه

اشتد المرض بسيده نساء العالمين، و ثقلت، فجاءها العباس بن عبدالمطلب عائداً، فقيل له، إنها ثقيله، و ليس يدخل عليها أحد، فانصرف إلى داره و أرسل إلى على (عليه السلام) فقال لرسوله: قل له: يا ابن أخ! عمُّک يقرئک السلام و يقول لک: لله قد فاجأنى من الغم بشكاه حبيبه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و قره عينه و عينى فاطمه ما هدّنى، و إنى لأظنها أولنا لحوقاً برسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلم) يختار لها و يحبوها و يزلفها لربه.

فإن كان من أمرها ما لا بدَّ منه فاجمع- أنا لک الفداء- المهاجرين و الأنصار حتى يصيبوا الأجر فى حضورها و الصلاه عليها، و فى ذلک جمال للدين.

فقال على (عليه السلام) لرسوله- و هو عمار:- أبلغ عمى السلام و قل: لا عدمتُ إشفاقک و تحيتک، و قد عرفت مشورتک، و لرأيک فضله، إن فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لم تزل مظلومه، من حقها ممنوعه، و عن ميراثها مدفوعه، و لم تُحفظ فيها وصيه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و لا رُعى فيها حقه و لا حق الله (عز و جل)، و كفى بالله حاكماً و من الظالمين منتقماً و أنا أسألک يا عم أن تسمح لى بترک ما أشرت به، فإنها و صّتنى بستر أمرها.

فلما بلّغ الرسول كلام على إلى العباس قال: يغفر الله لابن أخى فإنه

لمغفور له، إنَّ رأْی ابن أخی لا یُطعن فیه، إنه لم یولد لعبد المطلب مولود أعظم برکه من علی إلاَّ النبی (صلی الله علیه و آله و سلم).

إن علیاً لم یزل أسبقهم إلی کل مکرمه، و أعلمهم بکل فضیله، و أشجعهم فی الکریهه، و أشدَّهم جهاداً للأعداء فی نصره الحنیفیه، و أول من آمن بالله و رسولهِ (1) .

1- 563. بحارالانوار ج 43.

كانت السيده فاطمه الزهراء فى ذلک اليوم- اليوم الأخير من حياتها- طريحه على فراشها المتواضع، و قد أخذ الهزال منها كل مأخذ، و ما بقى منها سوى الهيكل العظمى فقط.

نامت السيده فاطمه فى ساعه من ساعات ذلک اليوم، و إذا بها ترى أباها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى المنام، و لعل تلک المرَّه هى الأولى و الأخيره التى رأت الزهراء أباها الرسول فى المنام.

رأت أباها فى قصر من الدر الأبيض، فلما رآها قال (صلى الله عليه و آله و سلم): هلمِّى إلىَّ يا بُنَيَّه، فإنِّى إليکِ مشتاق!!

فقالت: و الله إنى لأشد شوقاً منک إلى لقائک.

فقال لها: أنت الليله عندى!!

انتبهت من غفوتها، واسْتِعدَت لِلِرّحيل إلى الآخره، فقد سمعت من أبيها الصادق المصدَّق الذى قال: «من رآنى فقد رآنى» سمعت منه نبأ ارتحالها فلا مجال للشک و التردد فى صدق الخبر.

فتحت عينها، و استعادت نشاطها، و لعلها كانت فى صحوه الموت و قامت لاتخاذ التدابير اللازمه، و اغتنمت تلک السويعات الأخيره من حياتها.

و يعلم الله مدى انشغال قلبها و تشتّت فكرها فى تلک اللحظات، فهى مسروره بالموت الذى سوف يُحلُّ بها، فإنها تستريح من هموم الدنيا

و غمومها، و تلتحق بأبيها الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) حيث الرفيع الأعلى و الدرجات العلا فى مقعد صدق عند مليک مقتدر، و تتحقق فى حقها البُشرى التى زفّها إليها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يوم قال لها: أنت أوّل أهل بيتى لحوقاً بى.

و لكنها من ناحيه أخرى: يضطرم قلبها لأنها سوف تترک زوجها العظيم و كفؤها الكريم وحيداً غريباً فى هذه الحياه القاسيه، بلا ناصر و لا معين سوى الله تعالى، فلقد كانت الزهراء خير محاميه و مدافعه و ناصره لزوجها فى تلک الأحداث، فمن الذى يقوم مقامها إذا هى فارقت الحياه؟

و مما كان يؤلمها فى تلک السويعات أكثر و أكثر و كان يضغط على قلبها- أنها تفارق أطفالها الصغار، و كأنهم أفراخ لم تنبت أجنحتهم بعد، و قد ذكرنا (فيما مضى) أن من جمله أسمائها: الحانيه، لأنها ضربت الرقم القياسى فى الحنان و العطف على أولادها، و كانت أكثر أُمهات العالم حباُ و شفقه على أطفالها الأعزاء.

إنها ستترک أفلاذ كبدها أهدافاً لسهام هذا الدهر الخؤون الذى لا يرحم كبيراً و لا صغيراً، و لا وضيعاً و لا شريفاً، و خاصه و أنها قد سمعت من أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) مرات عديده: أن آل رسول الله هم المستضعفون وأنهم سوف يرون أنواع الاضطهاد و ألوان المصائب و الذل و الهوان، كما شاهدت هى ذلک بعد وفاه أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم).

و يعلم الله كيف كانت هذه الهواجس و الأفكار تهاجم قلبها المنكسر المتألم. و على كل حال: فالحزن هنا لا يجدى و لا ينفع، و لا بد من الاستسلام للواقع المر، و التسليم لأمر الله و قضائه و لا بدّ من انتهاز هذه الفرصه القصيره

التى تمر مرّ السحاب.

أقبلت الزهراء تزحف أو تمشى مُتكاه على الجدار نحو الموضع الذى يوجد فيه الماء من بيتها، و شرعت تغسل أطفالها بيديها المرتعشتين، ثم دعت أطفالها و طفقت تغسل رُؤوسهم بالماء و الطين، لأنها لم تجد غسيلاً غير الطين.

قف بنا لحظه!! لنبكى على هذه السيده التى قد اقترب أجلها، و هى تلمس رُؤوس أطفالها و أبدانهم النحيفه، و كأنها تودعهم، و ما يدريک أنها- حينذاک- كانت تبكى بصوت خافت، و تتقاطر الدموع من جوانب عينيها الغائرتين، و تسيل على وجهها المنكسف لتغسل الذبول المستولى عليه.

و دخل الإمام على (عليه السلام) البيت، و إذا به يرى عزيزته قد غادرت فراش العله و هى تمارس أعمالها المنزليه.

رقَّ لها قلب الإِمام حين نظر إليها و قد عادت إلى أعمالها المتعبه التى كانت تجهدها أيام صحتها، فلا عجب إذا سألها من سبب قيامها بتلک الأعمال بالرغم من انحراف صحتها؟

أجابته بكل صراحه: لأن هذا اليوم آخر يوم من أيام حياتى، قمت لأغسل رُؤوس أطفالى و ثيابهم لأنهم سيصبحون يتامى بلا أم!!

سألها الإِمام عن مصدر هذا النبأْ فأخبرته بالرؤْيا، فهى بذلک قد نعت نفسها إلى زوجها بما لا يقبل الشک.

إذن، فالسيده فاطمه فى أواخر ساعات الحياه، و قد حان لها أن تكاشف زوجها بما أضمرته فى صدرها (طيله هذه المده) من الوصايا التى يجب

تنفيذها و لو بأغلى الأثمان و لا يمكن التسامح فيها أبداً، لأنَّ بها غايه الأهميه. كأنها قد فرغت من أعمالها المنزليه و عادت إلى فراشها و قالت: يا ابن عم !! إنه قد نُعيت إليَّ نفسى، و إننى لا أرى ما بى إلاَّ أننى لاحقه بأبى بعد ساعه، و أنا أُوصيک بأشياء فى قلبى.

قال لها على (عليه السلام): أوصينى بما أحببت يا بنت رسول الله، فجلس عند رأسها، و أخرج من كان فى البيت، ثم قالت:

يا بن عم !! ما عهدتنى كاذبه و لا خائنه.

و ما خالفتک منذ عاشرتنى.

قال على (عليه السلام): معاذ الله !! أنتِ أعلم باللهِ، و أَبرُّ و أتقى و أكرم، و أشدُّ خوفاً من الله من أن أُوبِّخک بمخالفتى.

و قد عزَّ علىَّ مفارقتک و فقدکِ.

إلاَّ أنَّه أمر لا بدَّ منه.

و الله لقد جددتِ علىَّ مصيبه رسول الله، و قد عظمت وفاتک و فقدک فإنا لله و إنا إليه راجعون.

من مصيبه ما أفجعها و آلمها، و أمضَّها و أحزنها.

هذه مصيبه لا عزاء منها، ورزيه لا خلف لها.

ثم بكيا جميعاً ساعه، و أخذ الإمام رأْسها و ضمه إلى صدره ثم قال:

أوصينى بما شئت، فإنک تجدیننى و فياً أُمضى كل ما أمرتنى به، و أختار أمرک على أمرى.

فقالت: جزاک الله عنى خير الجزاء.

يا بن عم ! أوُصيک أولاً:

أن تتزوج بعدى بابنه أُختى أُمامه، فإنها تكون لُولدى مثلى، فإن الرجال لا بدَّ لهم من النساء.

ص: 507

ثم قالت: أُوصيک أن لا يشهد أحد جنازتی من هؤلاء الذين ظلمونی، فإنهم عدوی و عدو رسول الله، و لا تترک أن يصلی علیَّ أحد منهم و لا من أتباعهم، و ادفنی فی الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصارِ (1) .

الوصيه بصوره أُخری:

قالت: يا بن العم! إذا قضيت نحبی فغسِّلنی و لا تكشف عنی، فإنی طاهره مطهره، و حنِّطنی بفاضل حنوط أبی رسول الله (صلی الله عليه و آله و سلم).

و صَلِّ علیَّ، و ليصلِّ معک الأدنی فالأدنی من أهل بيتی و ادفنی ليلاً لا نهاراً، و سراً لا جهاراً، و عَفِّ موضع قبری، و لا تُشهد جنازتی أحداً ممن ظلمنی.

يا بن العم! أنا أعلم أنک لا تقدر علی عدم التزويج من بعدی فإن أنت تزوَّجت امرأه اجعل لها يوماً و ليله، و اجعل لأولادی يوماً و ليله.

يا أباالحسن! و لا تُصح فی وجههما فيصبحْان يتيمين غريبين منكسرين، فإنهما بالأمس فقدا جدَّهما و اليوم يفقدان أُمَّهما، فالويل لأُمَّه تقتلهما و تبغضهما، ثم أنشأتْ تقول:

ابكنی إن بكيت يا خير هادی

و أسبل الدمع فهو يوم الفراق

يا قرين البتول أوصيک با

لنسل فقد أصبح حليف اشتياق

ابكنی و ابک لليتامی، و لا تنس

قتيل العدی بطَف العراق

و عن الامام الباقر (عليه السلام) ان فاطمه (عليهاالسلام)- لما ارادت الوصيه-قالت لاميرالمومنين (عليه السلام):

يا اباالحسن: ان رسول الله عهد الی و حدثنی انی اول اهله لحوقا به،

1- 564. روضه الواعظين/بحارالانوار ج 43.

و لابد مما لابد منه، فاصبر لامر الله و ارض بقضائه (1) .

و روی عن الامام الصادق (علیه السلام) قال: لما حضرت فاطمه الوفاه، بکت، فقال لها امیرالمومنین: یا سیدی ما یبکیک؟

قالت: ابکی لما تلقی بعدی.

قال لها: لا تبکی، فو الله ان ذالک لصغیر عندی فی ذات الله (2) .

و فی روایه: قالت لامیرالمومنین (علیه السلام): ان لی الیک حاجه یا اباالحسن؟قال: تقضی یا بنت رسول الله.

قالت: نشدتک بالله و بحق محمد رسول الله ان لا یصلی علی ابوبکر و عمر (3) .

و فی روایه عن علی (علیه السلام) قال: «ان فاطمه (علیهاالسلام) اوصت الی و قالت:

ان هما صلیا علی، شکوتک الی ابی، بمثل الذی اشکوهما (4) هذه بعض وصایا السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) التی یتجلی فیها مدی تألمها من ذلک المجتمع، و مدی تذمُّرها من الجفاه القساه.

إنها اختارت أن تسجِّل اسمها فی طلیعه أسماء المضطهدین المحرومین و أن تدوِّن اسمها فی سجلِّ المظلومین، حتی، اسمها رمزاً للمظلومیه

1- 565. بیت الاحزان للقمی ص 142.
2- 566. بحار الانوار ج 43.
3- 567. بیت الاحزان للقمی ص 142.
4- 568. کتاب کامل البهائی لعماد الدین طبری ص 313 هو من علما القرن السابع الهجری و له مولفات کثیره فی اصول الدین و فروعه و فضائل الائمه الطاهرین (علیهم السلام) و کان معاصرا للعلامه الحللی و المحقق الحلی (رضوان الله علیهم اجمعین).

و الحرمان، و ليكون تشييع جثمانها تعبيراً عن سخطها على السلطه و على كل من أيَّد تلک السلطه و اعترف بها و تعاون معها.

و إعلاناً عن غضبها على كل مَن وقف من الزهراء موقفاً سلبياً.

أوصَت أن يُشيَّع جثمانها ليلاً و تجرى مراسيم التشييع- من التغسيل و التكفين و الصلاه و الدفن- فى جوٍّ من الكتمان.

و أن لا يشترک فى تشييع جنازتها إلاَّ أفراد لم تتلوَّث ضمائرهم بالانحراف و لم تسوّد صفحاتهم بالانجراف.

أفراد كان موقفهم تجاه السيده فاطمه- خلال فتره الانقلاب- موقفاً إيجابياً مشرفاً.

ص: 510

و لها وصايا أُخرى لزوجها بأن يتعهد قبرها، و يقرأ القرآن عند مرقدها و غير ذلک مما ليست لها أهميه کالبنود السابقه من وصاياها.

ثم طلبت السيده فاطمه من أسماء بنت عميس الحنوط الذى جاء به جبرائيل من الجنه وقالت: يا أسماء ائتنى ببقيه حنوط والدى من موضع کذا و کذا، فضعيه عند رأسىِ (1) .

و أما الحنوط و هو السدر و الکافور فقد روى عن على (عليه السلام) أنه قال: کان فى الوصيه أن يدفع إلىَّ الحنوط فدعانى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قبل وفاته بقليل: فقال: يا على و يا فاطمه هذا حنوطى من الجنه دفعه الى جبرئيل و هو يقرو کما السلام و يقول لکما: اقسماه، و اعزلا منه لى و لکما.

فقالت فاطمه (عليه السلام): ياابتاه لک ثلثه. و ليکن الناظر فى الباقى على بن ابى طالب.

فبکى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ضمها اليه و قال: موفقه، رشيده، مهديه، ملهمه.

ياعلى قل فى الباقى.

قال: نصف ما بقى، لها؛ و النصف الاخر لمن ترى يا رسول الله !!

قال (صلى الله عليه و آله و سلم): هو لک (2) .

1- 569. بحارالانوار ج 43.
2- 570. مستدرک الوسائل فى احکام الکفن.

ثم دعت السیده فاطمه سلمی امرأه أبی رافع و قالت لها: هیئی لی ماءً.

و فی روایه: «اسکبی لی غسلاً» ثم دعت بثیابها الجدد فاغتسلت أحسن ما یکون، ثم قالت: افرشی فراشی وسط البیتِ (1) .

أقول: لا أعرف السبب فی اغتسال السیده فاطمه و تبدیل ثیابها و هی فی أواخر ساعات الحیاه، بل علی أعتاب المنیه.

و لعل السبب فی ذلک (و الله العالم) أنها (علیهاالسلام) أرادت أن تغسل آثار الجروح الموجوده علی عضدها و علی ضلعها، تلک الجروح التی حدثت لها عند باب بیتها من الضرب، کما تقدم الکلام عنه.

و هکذا نزعت الثیاب الملطخه بالدماء و القیح، و لعلها (علیهاالسلام) أرادت أن تخفی ذلک عن ذویها الذین یحضرون ساعه تغسیلها.

و زعم البعض أنها اغتسلت عوضاً عن غسل المیت، بعد الموت، و أنها أوصت لأن لا تغسل بعد الموت.

و هذا عجیب من المحدِّثین کیف یذکرون هذه الأُسطوره أو الأُکذوبه؟ مع العلم أن غسل المیت إنما یجب بعد الموت لا قبل الموت.

نعم، بالنسبه للمحکوم علیهم بالقتل یغتسلون قبل تنفیذ حکم الإعدام علیهم، و لیس هذا المورد من تلک الموارد.

ثم أن الفقهاء إنما استدلوا علی جواز تغسیل الزوج زوجته بعد الموت بتغسیل الإِمام أمیرالمؤمنین زوجته السیده فاطمه (علیهاالسلام) بعد وفاتها بحیث صار هذا الأمر أوضح من الشمس، و أشهر من أمس، فما فائده ذکر هذا القول الشاذ الذی لا یعبأ به أحد؟

1- 571. بحارالانوار ج 43.

انتقلت السيده فاطمه (عليهاالسلام) إلى فراشها المفروش فى وسط البيت، و اضطجعت مستقبله القبله، واضعه يدها تحت خدِّها بعد أن هيأت طعاماً لأطفالها. و قيل: أنها أرسلت بنتيها: زينب و أم كلثوم إلى بيوت بعض الهاشميات لئلا تشاهدا موت أمهما، كل ذلک من باب الشفقه و الرأفه، و التحفّظ عليهما من صدمه مشاهده المصيبه.

و يستفاد من بعض الأحاديث أن الإمام علياً و الحسن و الحسين (عليهم السلام) كانوا خارج البيت فى تلک الساعه، و لعل خروجهم كان لأسباب قاهره و ظروف معيّنه.

و على كلٍّ حال... فانهم لم يحضروا تلک الدقائق الأخيره من حياه أُمِّهم، و إنما كانت أسماء حاضره و ملازمه لها، و يُستفاد من بعض الأحاديث أن خادمتها فضه أيضاً حاضره.

حانت ساعه الاحتضار، و حاله النزع، و انكشف الغطاء، و نظرت السيده فاطمه نظراً حاداً ثم قالت:

السلام على جبرائيل.

السلام على رسول الله.

اللهم مع رسولک.

اللهم فى رضوانک و جوارک و دارک دار السلام.

ثم قالت: أترون ما أرى؟

فقيل لها: ما ترين؟

قالت: هذه مواكب أهل السماوات و هذا جبرئيل، و هذا رسول الله يقول: يا بنيه اقدمى، فما أمامک خير لک.

و فتحت عينيها.... ثم قالت: و عليک السلام يا قابضْ الأرواح عجِّل بى و لا تعذبنى.

ثم قالت: إليک ربى لا إلى النار.

ثم غمضت عينيها، و مدت يديها و رجليها و فارقت الحياه.

فشقّت أسماء جيبها، و وقعت عليها تقبِّلها و هى تقول: يا فاطمه إذا أقدمت على أبيک رسول الله فأقرئيه عن أسماء بنت عميس السلام.

و دخل الحسن و الحسين فوجدوا أُمهما مسجّاه فقالا: يا أسماء ما يُنيم أُمَّنا فى هذه الساعه؟

قالت: يا بنى رسول الله ليست أُمُّكما نائمه، قد فارقت الدنيا.

فألقى الحسن نفسه عليها يقبِّل رجلها و يقول: يا أُماه كلّمينى قبل تفارق روحى بدنى.

و هكذا الحسين كان يقبل رجلها و يقول: يا أُماه! انا ابنک الحسين!! كلِّمينى قبل أن يتصدَّع قلبى فأموت.

قالت لهما أسماء: يا بنَى رسول الله انطلقا إلى أبيكما فأخبراه بموت أُمكما. فخرجا يناديان: يامحمداه!

اليوم جدد لنا موتک اذماتت امنا.

حتى إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء.

فابتدر إليهما جمع من الصحابه و سألو هما عن سبب بكائهما؟

فقالا: أو ليس قد ماتت أُمنا فاطمه!

فوقع الإمام على (عليه السلام) على وجهه يقول: بمن العزاء يا بنت محمد؟ كنت بکَ اتعزى ففيم العزاء من بعدک؟

قال الراوى: ثم حمل على (عليه السلام) الحسنين، حتى ادخلهما بيت فاطمه (عليه السلام) و عند راسها اسماء تبكى و تقول: و ايتامى محمد!

فلما نظر (عليه السلام) الى سيده النساء ميته، مديده ورمى العمامه من على راسه، و الرداء من على منكبيه، و بكى بكاءا شديدا.

ثم كشف (عليه السلام) عن وجهها، فاذا برقعه عند راسها، جاء فيها:

«.... يا على انا فاطمه بنت محمد، زوجنى الله منک، لاكون لک فى الدنيا و الاخره.

انت اولى بى من غيرى.

حنطنى و غسلنى و كفنى بالليل، و صل على، وادفنى بالليل، و لا تعلم احدا.

و استودعک الله و اقرا على ولدى السلام الى يوم القيامه» (1) .

1- 572. بيت الاحزان ص 152 عن بحارالانوار ج 43.

اشاره

ارتجت المدينه بالبكاء من الرجال و النساء، و دهش الناس كيوم قُبض فيه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و صاح أهل المدينه صيحه واحده، و اجتمعت نساء أهل المدينه فى دار السيده فاطمه، فرأينها مسجّاه فى حجرتها، و حولها أيتامها يبكون على أُمهم التى فقدوها فى عنفوان شبابها، صرخت النساء صرخه كادت المدينه أن تتزعزع من صراخهن و هن يصحن: يا سيدتاه، يا بنت رسول اللهِ (1) .

و أقبل الناس مسرعين و ازدحموا- مثل عُرف الفرس- على باب البيت، و على جالس، و الحسن و الحسين بين يديه يبكيان، فبكى الناس لبكائهما.

و جاءت عائشه لتدخل فقالت أسماء: لا تدخلى. فكلَّمت عائشه أبابكر فقالت: إن الخثعميه تحول بيننا و بين ابنه رسول الله و قد جعلت لها هودج العروس.

فجاء أبوبكر فوقف على الباب فقال: يا أسماء ما حملك على إن منعت ازواج النبى ان يدخلن على بنت رسول الله؟ و جعلت لها مثل

1- 573. المجالس السنيه ج 5.

هودج العروس؟

فقالت اسماء: ان فاطمه أمرتنى أن لا يدخل عليها أحد، و أريتُها هذا الذى صنعت و هى حيه، فأمرتنى أن أصنع لها ذلک.

قال أبوبکر: فاصنعى ما أَمَرَتْکِ. ثم انصرف.

و أقبل ابوبکر و عمرالى على (علیه السلام) یعزّیانه، و یقولان له: یا أباالحسن لا تسبقنا بالصلاه على ابنه رسول الله.

فلم یجبهما على (علیه السلام).

فقال عمر لابى بکر: ان علیا لا یجیبنا لشده حزنه (1) .

کان الناس ینتظرون خروج الجنازه فأمر على (علیه السلام) أباذر- و قیل سلمان- فنادى: انصرفوا، فإن ابنه رسول الله قد أُخِّر إخراجها فى هذه العشیه (2) .

فقال عمر لابى بکر: انهم یریدون دفنها سرا، حتى لانشهد جنازتها (3) .

و هکذا تفرّق الناس، و هم یظنون أن تشیّع الجنازه سیکون صباح غدٍ، إذ أنّ السیده فاطمه الزهراء فارقت الحیاه بعد صلاه العصر، أو أوائل اللیلِ (4) .

مراسم التغسیل و التکفین

مضى من اللیل شطره، و هدأت الأصوات، و نامت العیون، ثم قام

1- 574. کامل البهائى لعماد الدین الطبرى ج 1 ص 311.
2- 575. اى: ان تشیع الجنازه سیتم فى وقت متاخر من اللیل، و لهذا قال: قد اخر اخرجها فى هذه العیشه، و لم یقل: عن هذه العیشه. الا ان الناس فهمو من کلامه غیر ما قصده.
3- 576. کامل البهائى لعماد الدین الطبرى ج 1 ص 311.
4- 577. بحارالانوار ج 43.

الإِمام لينفِّذ وصايا السيده فاطمه.

حمل ذاک الجسد النحيف الذى أذابته المصائب حتى صار كالهلال.

حمل ذلک البدن الطاهر کى يُجرى عليه مراسم السُّنه الإِسلاميه.

وضع ذلک الجثمان المطهّر على المغتسل، و لم يجرّد فاطمه من ثيابها تلبيةً لطلبها، إذ لا حاجه إلى نزع الثوب عن ذلک البدن الذى طهره الله تطهيراً، و يكفى صب الماء على البدن، كما صنع ذلک فى تغسيل النبى الطاهر.

و هناک أسماء بنت عميس، تلک السيده الوفيه الطيبه التى استقامت على علاقاتها الحسنه مع أهل البيت- فهى تناول عليّاً الماء لتغسيل السيده فاطمه.

يقول الإِمام الحسين (عليه السلام): غسَّلها ثلاثاً و خمساً، و جعل فى الغسله الأخيره شيئاً من الكافور، و أشعرها مئزراً سابغاً دون الكفن (1) و هو يقول:

اللهم إنها أَمَتک، و ابنه رسولک و صفيک، و خيرتک من خلقک اللهم لقِّنها حجّتها، و أعظم برهانها، و أعل درجتها، و اجمع بينها و بين أبيها محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) (2) .

و بعد الفراغ من التغسيل حملها و وضعها على أكفانها، ثم نشّفها بالبرده التى نشف بها رسول اللهِ (3) و حنَّطها بحنوط السماء الذى يمتاز عن حنوط الدنيا.

ثم لفَّها فى أكفانها، و كفَّنها فى سبعه أثوابِ (4) .

1- 578. الشعار: ماولى شعر جسد الانسان دون ماسواه/ لسان العرب ج 4 ص 412.
2- 579. مستدرک الوسائل باب تغسيل الميت ج 2 ص 199 الطبعه الحديثه.
3- 580. مستدرک الوسائل، باب تغسيل الميت ج 2 ص 199 الطبعه الحديثه.

4- 581. مستدرک الوسائل، باب تغسیل المیت.

و إنما قام على (عليه السلام) بتغسيلها، و لم يكلف أحداً من النساء بذلک لأسباب:

1- تلبيه لطلبها، و تنفيذاً لوصيتها.

2- إثباتاً لعصمتها و طهارتها، فإن تغسيل الميت يعتبر تطهيراً له، و أما بالنسبه للمعصومين فلا يسمح للأيدى الخاطئه أن تمدّ لتغسيلهم، و إنما هو من واجبات المعصوم الخاصه أن يقوم بعمليه التطهير، و قد مرّ عليک الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) حول كونها صدّيقه، و أن الصدّيقه لا يغسلها إلاّ صدّيق.

فكان الغرض من تلک الوصيه و تنفيذها إثبات عصمتها، و التنويه بذلک فى شتى المجالات و كافه المناسبات.

و يصرّح الإمام (عليه السلام) بذلک حيث يقول: فغسّلتها فى قميصها و لم أكشفه عنها فو الله لقد كانت ميمونه طاهره مطهره... الى آخر كلامه (عليه السلام) (1) .

و هناک أحاديث شاذه بلغت القمه فى الشذوذ، فمنها الحديث الذى يذكره الدولابى و غيره أن الزهراء (عليهاالسلام) اغتسلت قبل وفاتها، و أوصت أن لا يغسلها أحد بعد موتها، و أنها دفنت بلا تغسيل !!

و يأْتى بعض علمائنا القدامى ليصحح هذا الخطأْ، فيقول: فلعل ذلک كان من خصائصها (عليهاالسلام).

أقول: و هل تثبت أمثال هذه الأمور ب (لعل) و (ليت) و خاصه مع تصريح الروايات المعتبره و تواتر الأحاديث الصحيحه: أن عليّاً هو الذى تولّى تغسيلها؟

1- 582. بحارالانوار ج 43.

أضف إلى ذلک: إن تغسيل الميت المسلم واجب شرعاً.

وداعا يا اماه

رأى الإمام أن يتامى فاطمه ينظرون إلى أُمّهم البارّه الحانيه، و هى تلفّ فى أثواب الكفن.

إنها لحظه فريده فى الحياه، لا يستطيع القلم وصفها.

إنها لحظه يهيج فيها الشوق الممزوج بالحزن.

إنه الوداع الأخير الأخير!!

هاجت عواطف الأب العطوف على أطفاله المنكسره قلوبهم، فلم يعقد الخيوط على الكفن، بل نادى- بصوت مختنق بالبكاء-: يا حسن يا حسين يا زينب يا أُم كلثوم هلمّوا و تزوّدوا من أُمّكم، فهذا الفراق، و اللقاء فى الجنه!!

كان الأطفال ينتظرون هذه الفرصه و هذا السماح لهم لكى يودّعوا تلک الحوراء، و يعبّروا عن آلامهم و أصواتهم و دموعهم المكبوته المحبوسه، فأقبلوا مسرعين، و جعلوا يتساقطون على ذلک الجثمان الطاهر كما يتساقط الفَراش على السراج. و نادى الحسان: واحسره لا تنطفى ء ابدا، من فقد جدنا محمد المصطفى و امنا فاطمه الزهراء، يا ام الحسن يا ام الحسين اذا لقيت جدنا محمد المصطفى فاقرايه منا السلام و قولى له: انا بقينا بعدک يتيمين فى دار الدنيا.

كانوا يبكون بأصوات خافته، و يغسلون كفن أُمّهم الحانيه بالدموع، فتجففها الآهات و الزفرات.

كان المنظر مشجياً مثيراً للحزن، فالقلوب ملتهبه، و الأحاسيس مشتعله و العواطف هائجه، و الأحزان ثائره.

و هنا حدث شی ء يعجز القلم عن تحليله و شرحه، و ينهار أمامه قانون الطبيعه، و يأتى دور ما وراء الطبيعه، فالقضيه عجيبه فى حد ذاتها، لأنها تحدّت الطبيعه و العاده:

يقول على (عليه السلام)- و هو إذ ذاک يشاطر أيتام فاطمه فى بكائهم و آلامهم- يقول: «أُشهد الله أنها حنَّت و أنَّت و أخرجت يديها من الكفن، و ضمَّتهما إلى صدرها مليّاً».

إن كانت حياه السيده فاطمه الزهراء قد تعطّلت فإن أحاسيسها و إدراكها لم تتعطل، و إن كانت روحها الطاهره قد فارقت جسدها المطهر فإن علاقه الروح لم تنقطع عن البدن بعد، فلروحها القويه أن تتصرف فى جسمها فى ظروف خاصه و موارد معينه.

كان ذلک المنظر العجيب مثيراً لأهل السماوات الذين كانت أبصارهم شاخصه نحو تلک النقطه من بيت على (عليه السلام) فلا عجب إذا ضجت الملائكه و شاركت أهل البيت فى بكائهم.

فلا غرو إذا سمع الإمام على صوت أحدهم يهتف قائلاً: يا على! ارفعهما فلقد أبكيا ملائكه السموات و قد اشتاق الحبيب إلى حبيبه.

يتقدم الإمام ليرفع طفليه عن صدر أُمهما، و عيناه تذرفان بالدموع.

الصلاه على الجنازه

و انتهت مراسيم التكفين و التحنيط، و جاء دور الصلاه عليها ثم الدفن. لقد حضر الأفراد الذين تقرر أن يشتركوا فى تشييع الجثمان و مراسم

الصلاه و غيرها، و هم الذين لم يظلموا فاطمه، و لم يسكتوا أمام تلک الأحداث،و لم يكن موقفهم موقف المتفرج الذى لم يتأثر بالحوادث.

لقد حضروا فى تلک الساعه المتأخره من تلک الليله خائفين مترقبين، إذ قد تقرر إجراء تلک المراسم ليلاً و سرّاً، و استغلال ظلمه الليل مع رعايه الهدوء و السكوت، كل ذلک لأجل تنفيذ وصايا السيده فاطمه الحكيمه.

لقد حضروا، و هم: سلمان، عمار بن ياسر، أبوذر الغفارى، المقداد، حذيفه، عبدالله بن مسعود، العباس بن عبدالمطلب، الفضل بن العباس، عقيل، الزبير، بريده، و نفر من بنى هاشم، و شيّعوا جثمان فاطمه الزهراء- البنت الوحيده التى تركها الرسول الأقدس بين أُمته- و كأنها امرأه غريبه خامله فقيره فى المدينه،لا يعرفها أحد.

و كأنها لم تكن المنزله الرفيعه و الشخصيه المثاليه.

هؤلاء هم المشتركون فى تشييع جنازه سيده نساء العالمين.

و تقدم الإمام على (عليه السلام) و صلَّى بهم على حبيبه رسول الله، قائلاً: اللهم إنى راضٍ عن ابنه نبيک، اللهم إنها قد أوحشت فآنسها، اللهم إنها قد هُجِرت فَصِلها، اللهم إنها قد ظُلِمت فاحكم لها و أنت خير الحاكمينِ (1) .

ثم صلَّى ركعتين و رفع يديه إلى السماء فنادى: هذه بنت نبيّک فاطمه أخرجتها من الظلمات إلى النور. فأضاءت الأرض ميلاً فى ميل.

صلى الإمام على (عليه السلام) عليها، إذ أنها كانت معصومه، فيجب أن يصلى عليها المعصوم، فالصلاه على الميت دعاء له بالرحمه. و أما بالنسبه للمعصوم فالدعاء له- أى الصلاه على جثمانه- من واجب المعصوم.

1- 583. الخصال للصدوق، عن الامام الباقر(عليه السلام).

هذا من الناحيه الشرعيه، و أما من ناحيه العقل و الحكمه فإن السيده فاطمه الزهراء مع جلاله قدرها، و عظم شأنها ذهبت إلى دار رئيس الدوله يومذاک مطالبه بحقها، فكان موقف الرئيس معها كما عرفت.

ثم حضرت فى المسجد و خطبت تلک الخطبه فلم تجد الإسعاف لا من الحاضرين فى المسجد، و لا من رئيس الدوله، و قد مرّ عليک أن عليّاً (عليه السلام) كان يحملها إلى بيوت المهاجرين و الأنصار يستنجدهم لنصره الزهراء فلم يجد منهم إلاّ الجفاء.

و الكارثه التى حدثت عند باب بيتها تركت فى جسمها آثاراً تدوم و تدوم و لا تزول. و مواقف المسلمين اتجاه ابنه الرسول كان لها أثر عميق فى نفس السيده فاطمه لكونها إهانه صريحه لها، و ظلماً مكشوفاً و اعتداءً مقصوداً، و إهداراً لكرامتها، و تضييعاً لمقامها الأسمى.

و ليست هذه الأمور من القضايا التى تنسى أو تضيع، فلا بد من تنبيه المعتدين على فظاعه عملهم و تسجيل ذلک فى سجل التاريخ، و ذلک عن طريق الاستنكار وا لتعبير عن الاستياء العميق عن تلک الأعمال.

و إن بنود الوصيه ترمز إلى أن الزهراء عاشت بعد أبيها ناقمه و غاضبه على أولئک الأفراد، و استمرت النقمه و الغضب حتى الموت و بعد الموت و إلى يوم يبعثون.

فلا ترضى السيده فاطمه أن يشيعها تلک العصابه، و لا أن يصلُّوا على جنازتها و لا يشهدوا دفنها، و لا يعرفوا قبرها.

فاطمه الزهراء فی مثواها الاخیر

اشاره

لقد قرات ان السیده (علیهاالسلام) اوصت الامام امیرالمومنین (علیه السلام) بان یدفنها لیلا، و ان لا یعلم احدا بموضع قبرها، بل یبقی قبرها مخفیاً من یوم وفاتها إلی یوم الفصل الذی کان میقاتاً لیجلب هذا العمل انتباه المسلمین و علی الأخص الحجاج و المعتمرون الذین یزورون قبر الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) فی المدینه المنوره، و مراقد الأئمه (علیهم السلام) فی البقیع، و یتساءلون عن قبرها فلا یجدون لذلک أثراً و لا خبراً.

فالقبر کان و لا زال مجهولاً عند المسلمین، بسبب اختلاف المؤرخین و المحدثین،فهناک أحادیث تصرّح بدفنها فی البقیع، و هناک روایات أنها دفنت فی حجرتها و عند توسیع المسجد النبوی الشریف صار قبرها فی المسجد.

فإن صح هذا القول فإن صُوَر القبور التی صوَّرها الإِمام فی البقیع کان لغرض المغالطه، و صرف الأنظار عن مدفنها الحقیقی.

و إن کان الإِمام قد دفنها فی البقیع فالقبر کان و لا یزال مجهولاً.

و علی کل تقدیر: لقد حفروا القبر للسیده فاطمه،

حفروا مرقداً لتلک الزهره الزهراء، و اللؤلؤه النوراء، و تقدّم أربعه رجال- و هم علی و العباس و الفضل بن العباس و رابعِ (1) - یحملون ذلک الجسد النحیفِ (2) .

1- 584. مستدرک الوسائل باب الدفن.
2- 585. مستدرک الوسائل باب الدفن.

و نزل على (عليه السلام) إلى القبر لأنه ولىّ أمرها، و أولى الناس بأمورها، و استلم بضعه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و أضجعها فى لحدها، و وضع ذلک الخد الذى طالما تعفَّر بين يدى الله تعالى فى حال السجود ذلک الخد الذى كان يقبّله رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى كل ليله قبل أن ينام.

وضع ذلک الخد على تراب القبر و قال: يا أرض أستودعكِ و ديعتى، هذه بنت رسول الله.

و عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: ان اميرالمومنين (عليه السلام) لما وضع فاطمه بنت رسول الله فى القبرقال: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله و بالله و على مله رسول الله محمد بن عبدالله (صلى الله عليه و آله و سلم).

سلَّمتک أيتها الصّدّيقه إلى من هو أولى بک منى، و رضيت لک بما رضى الله تعالى لک.

ثم قرأ: (منها خلقناكم و فيها نعيدكم و منها نخرجكم تاره أخرى) (1) .

1- 586. مصباح الانوار/ بيت الاحزان ص 156.

دفنوا اول شهيده من آل محمد.

لقد دفنو كتله من المواهب و الفضائل.

لقد اخفوا فى بطون التراب الحوراء الانسيه.

و سوّى على (عليه السلام) قبرها، و كأنه فى تلک المراحل كان جرحه حاراً، فلا يشعر بالألم، و الإنسان قد يصاب بجراح أو كسر فلا يشعر بالألم فى وقته، و بعد مضى لحظات يشتد به الوجع، و يتركه يصرخ و يصيح.

كان جثمان السيده فاطمه نصب عين على فى تغسيلها وتكفينها و الصلاه عليها و دفنها، و الآن قد غابت الزهراء عن الأبصار، و اختفت عن الأعين.

لقد حان أن يشعر الإمام على بألم المصاب، و يشتد به الوجع أشد ما يمكن. كانت تلک اللحظات الحرجه من تلک الليله مؤلمه و مشجيه، فلقد كان قلب الإِمام مضغوطاً عليه بسبب المصيبه.

لقد ماتت فاطمه الزهراء شهيده الاضطهاد، قتيله الظلم و الاعتداء.

و فَقَدَ الإِمام بفقدها شريكه حياته، و أحبّ الناس إليه و إلى رسول الله.

فَقَدَ سيدةً فى ريعان شبابها، و مقتبل عمرها، و نضاره حياتها.

فَقَدَ سيدةً انسجمت معه ديناً و دنيا و آخره.

فَقَدَ زوجةً شاركته فى مصائب حياته و مرارتها بكل صير.

فَقَدَ حوراء ليست من مستويات نساء الدنيا.

سوف لا يجد الإِمام على وجه الأرض مثلها عصمه و نزاهه و تقوى و علماً و كمالاً و شرفاً، و فضائل و مكارم و غيرها.

فلا يمكن له أن يتسلى بامرأه أُخرى.

و مما زاد فی المصیبه، و ضاعف فی أبعاد الکارثه أن السیده أوصت إلی زوجها أن یکون تشییع جثمانها لیلاً و سرّاً، و بإخفاء قبرها بحیث لا یکون لقبرها أثر و لا علامه.

شکوی الی رسول الله

و لهذا هاجت به الأحزان لمّا نفض یده من تراب القبر فأرسل دموعه علی خدیه و حوّل وجهه إلی قبر رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) ثم قال:

السلام علیک یا رسول الله عنیِ (1) .

السلام علیک عن ابنتک و زائرتکِ (2) .

و البائته فی الثری ببقعتک

و المختار الله لها سرعه اللحاق بک

قلّ یا رسول الله عن صفیّتک صبری

و عفی عن سیده نساء العالمین تجلّدیِ (3) .

إلاَّ أن فی التأسی لی بسُنَّتک فی فرقتک موضع تعزِ (4) .

فلقد وسّدتک فی ملحوده قبرک

بعد أن فاضت نفسکِ بین نحری و صدری

و غمّضتک بیدی

1- 587. و فی نسخه: السلام علیک یارسول الله عنی و عن ابنتک.
2- 588. و فی نسخه: السلام علیک من ابنتک و حبیبتک و قره عینک و زائرتک.
3- 589. و فی نسخه: و ضعف عن سیده النساء.

4- 590. و فی نسخه: بسنتک، و الحزن الذی حل بی لفراقک موضع التعزی.

و تولَّيت أمرک بنفسی

بليِ و فی کتاب الله لی أنعم القبول

إنا لله و إنا إليه راجعون

قد استُرجعتِ الوديعه و أخُذت الرهينه

و اختلست الزهراءِ (1) .

فما أقبح الخضراء و الغبراء

يا رسول الله !!

أمّا حزنی فَسَرمد

و أمّا ليلی فمسهَّد

و همٌّ لا يبرح من قلبیِ (2) .

أوِ (3) يختار الله لی دارک التی أنت فيهاِ (4) مقيم

کمدٌ مقيّح، و همٌّ مهيّج

سرعان ما فَرَّق الله بيننا

و إلی الله أشکو

و ستنبوک ابنتک بتضافرِ (5) أُمّتک علیَّ

و علی هضمها حقها

فأحفها السؤال

1- 591. و فی نسخه: اختلصت و اخلست.

2- 592. و فی نسخه: لا یبرح الحزن من قلبی.
3- 593. و فی نسخه: الی ان یختار.
4- 594. و فی نسخه: بها.
5- 595. و فی نسخه: بتظاهر.

واستخبرها الحال

فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً

و ستقول و يحكم الله و هو خير الحاكمين

و السلام عليكماِ (1) يا رسول الله

سلام مودّع

لا سئم و لا قالٍ (2) .

فإن أنصرف فلا عن ملاله

و إن أُقم فلا عن سوء ظنِ (3) بما وعد الله الصابرين. واهاً واها!!

و الصبر أيمن و أجمل

و لو لا غلبه المستولين علينا

لجعلتُ المقام عند قبرک لزاماً

و التلبث عنده عکوفاً (4) .

و لأعولت إعوال الثکلی علی جلیل الرزیه

فبعین الله تدفن ابنتک سرّاً؟!!

و یهتضم حقها قهراً؟!!

و یُمنع إرثها جهراً؟!!

و لم یَطُل منک العهدِ (5) .

1- 596. و فی نسخه: سلام علیک.

2- 597. و فی نسخه: لا قال و لاسئم.
3- 598. و فی نسخه: ظنی.
4- 599. و فی نسخه: لجعلت المقام و اللبث لزاما معکوفا.
5- 600. و فی نسخه: و لم یتباعد العهد.

و لم يخلِق منک الذکر

فإلی الله- یا رسول الله- المشتکی

و فیک- یا رسول الله- أجمل العزاء

فصلوات الله علیها و علیک و رحمه الله و برکاتهِ (1) .

و روی ان علیا (علیه السلام)- لماماتت فاطمه کان (علیهاالسلام) و فرغ من جهازها و دفنها- رجع الی البیت فاستوحش فیه و جزع جزعا شدیدا، ثم انشا یقول:

اری علل الدنیا علی کثیره

و صاحبهاحتی الممات علیل

لکل اجتماع من خلیلین فرقه

و کل الذی دون الفراق قلیل

و ان افتقادی فاطما بعد احمد

دلیل علی ان لایدوم خلیل (2) .

و روی عن الامام جعفر بن محمد (علیهماالسلام) قال: لما ماتت فاطمه کان علی یزور قبرها کل یوم، و اقبل ذات یوم فانکب علی القبر و انشا یقول:

مالی مروت علی القبور مسلما

قبر الحبیب فلم یرد جوابی (3) .

1- 601. الکافی للکلینی و المجالس للمفید و الامالی للشیخ و نهج البلاغه للرضی.
2- 602. الفصول المهمه لابن الصباغ المالکی ص 148.

3- 603. الفصول المهمه لابن الصباغ المالكى ص 148.

و أصبح الصباح من تلک الليله فأقبل الناس ليشيعوا جنازه السيده فاطمه فبلغهم الخبر أن عزيزه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قد دفنت ليلاً و سراً.

و كان على (عليه السلام) قد سوّى فى البقيع صُوَر قبور سبعه أو أكثر، و حيث أن البقيع كان فى ذلک اليوم و إلى يومنا هذا مقبره أهل المدينه، لهذا أقبل الناس إلى البقيع يبحثون عن قبر السيده فاطمه، فأشكل عليهم الأمر، و لم يعرفوا القبر الحقيقى لسيده نساء العالمين، فضج الناس، و لام بعضهم بعضاً، و قالوا: لن يخلف نبيكم إلاَّ بنتاً واحده، تموت و تُدفن و لم تحضروا وفاتها و الصلاه عليها، و لا تعرفوا قبرها؟!!

فلقى المقداد ابابكر و قال له: انا قد دفنا فاطمه البارحه.

فقل عمر المقداد: يا ابابكر الم اقل لک انهم يريدون دفنها سرا؟

فقال المقداد: ان فاطمه اوصت هكذا، حتى لا تصليا عليها (1) .

فجعل عمر يضرب المقداد على راسه و وجهه، و اجتمع الناس و انقذوه منه.

فوقف المقداد امامهم و قال:

«ان ابنه رسول الله ماتت والدم يجرى من ضلعها و ظهرها، بسبب الضرب و السوط الذى ضربتموها، و قد رايت ما صنعتم بعلى، فلا عجب

1- 604. بحارالانوار ج 43 ص 199.

اذا ضربتونى» (1) .

فقال العباس: انها اوصت ان لا تصليا عليها.

فقال عمر: لا تتركون- يا بنى هاشم- حسدكم القديم علينا ابدا!!

فقال عقيل: و انتم و الله لاشد الناس حسدا، و اقدم عداوه لرسول الله و اهل بيته.

ثم قال رجال السلطه: هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتى نجدها فنصلّى عليها، و نزور قبرها.

أرادوا تنفيذ هذه الخطه كى يزيّفوا الخطه التى خططتها السيده فاطمه فى وصاياها، و أن يحبطوا المساعى التى بذلها الإمام على (عليه السلام) فى إخفاء القبر، و حرمان بعض الناس عن درک ثواب الصلاه على جنازه السيده فاطمه.

و إلاَّ فما معنى نبش القبر لأجل الصلاه على الميت؟

أكانوا يظنون أن عليّاً دفن فاطمه بلا صلاه؟

هل من المعقول أن يظن أحد ذلک؟

و أى إسلام و أى دين و شريعه يبيح نبش قبر ميت قد صلّى عليه وليّه بأحسن وجه و أكمل صوره، صلّى عليه بتصريح و وصيه منه؟؟!

إننى أعتقد أن جرّأهم على هذه المجازفه و خرق الآداب و تحطيم المعنويات هو استضعافهم لأميرالمؤمنين (عليه السلام) فكأنهم قد نسوا أو

1- 605. كامل البهائى لعماد الدين الطبرى ج 1 ص 312.

تناسوا سيف الإمام على و بطولاته فى جبهات القتال، و شجاعته التى شهد بها أهل السماء و الأرض.

إن كان الإمام أميرالمؤمنين لم يجرّد سيفه فى تلک الأحداث و المآسى التى حدثت من بعد وفاه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لأجل توحيد كلمه المسلمين، و عدم تفرّقهم عن الدين، فليس معنى ذلک أن يسكت عن كل شى ء و أن يصبر على كل عظيمه و رزيه.

و بعباره أُخرى: إن كان على (عليه السلام) مأْموراً بالصبر فى موارد معينه و مواطن محدوده فلا يعنى ذلک أن يتحمّل كل إهانه و يسكت عليها.

و صل إلى الإمام خبر المؤامره التى يوشک أن تُنفّذ، و كان للإمام (عليه السلام)قباء أصفر يلبسه فى الحروب، لأن الملابس الفضفاضه الطويله العريضه لا تناسب القتال و إنما تتطلب الحرب ملابس تساعد على سرعه الحركه و الأعمال الحربيه، و كان ذلک القباء من ملابس على (عليه السلام) الخاصه للحروب.

لبس الإمام القباء الأصفر، وحمل سيفه ذا الفقار وقد احمرّت عيناه ودرّت أوداجه من شده الغضب، وقصد نحو البقيع.

سبقت الأخبار عليّاً إلى البقيع، و نادى مناديهم: هذا على بن أبى طالب قد أقبل كما ترونه، يقسم بالله: لئن حُوِّل من هذه القبور حجر ليضعن السيف على غابر الآخر.

تلقى الناس هذا التهديد بالقبول و التصديق، لأنهم عرفوا أن عليّاً صادق القول،قادر على ما يقول.

و لكن عمر استخف بهذا التهديد و الإنذار و قال: ما لک يا أباالحسن! و الله لننبشنّ قبرها و لنصلّين عليها!!

فضرب على بيده إلى جوامع ثوب الرجل و هزّه، ثم ضرب به الأرض، و قال له: يا بن السوداء! أما حقى فقد تركته مخافه أن يرتدّ الناس عن دينهم، و أما قبر فاطمه فوالذى نفس على بيده: لئن رُمتَ و أصحابک شيئاً من ذلک لأسقينّ الأرض من دمائكم!!

فقال أبوبكر: يا أباالحسن بحق رسول الله و بحق من فوق العرش إلاَّ خلَّيت عنه، فإنا غير فاعلين شيئاً تكرهه.

فخلّى عنه و تفرّق الناس، و لم يعودوا إلى ذلک (1) .

و بقيت وصايا السيده فاطمه باقيه و نافذه المفعول حتى اليوم و بعد اليوم.

1- 606. بحارالانوار ج 43. باب ما وقع عليها من الظلم.

إن كانت العاده و الإنسانيه قد قضت برثاء الميت، فإن السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) تستحق الرثاء بعد وفاتها كما تستحق الثناء فى حياتها و بعد مماتها.

و الرثاء تعبير عن الشعور، و إظهار التوجُّع و التأسُّف على الفقيد، و بيان تأثير مصيبه فقده على الراثى.

و انطلاقاً من هذا المفهوم فإنه يجدر بالإمام علىّ (عليه السلام) أن يرثى السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) و يبث آلامه النفسيه من تلك الفاجعه المؤلمه، فالإمام يشعر بألم المصائب أكثر من غيره، لأنه يقدّر فقيدته حق قدرها، و تأثير الصدمه فى نفسه أقوى و أكثر، فلا عجب إذا هاجت أحزانه فقال مخاطباً لسيده النساء فاطمه العزيزه بعد وفاتها قائلاً:

نفسى على زفراتها محبوسه

يا ليتها خرجت مع الزفرات

لا خير بعدكِ فى الحياه و إنما

أبكى مخافه أن تطول حياتى

و قال:

أرى علل الدنيا علىَّ كثيره

و صاحبها حتى الممات عليل

ذكرت أبا ودِّى فبتُّ كأننى

بردِّ الهموم الماضيات وكيل

لكل اجتماع من خليلين فرقه

و كلُّ الذى دون الفراق قليل

و إن افتقادى فاطماً بعد أحمد

دليل على أن لا يدوم خليل

و قال:

فراقكِ أعظم الأشياء عندى

و فقدک فاطم أدهى الثكول

ص: 535

سأبکی حسره و أنوح شجواً

علی خِلّ مضی أسنی سبیل

ألا یا عین جودی و أسعدینی

فحزنی دائم أبکی خلیلی

و قال:

حبیب لیس یعدله حبیبُ

و ما لسواه فی قلبی نصیب

حبیب غاب عن عینی و جسمی

و عن قلبی حبیبی لا یغیب

و قال مخاطباً للسیده فاطمه بعد وفاتها:

مالی وقفت علی القبور مسلِّماً

قبر الحبیب فلم یردّ جوابی

أحبیب ما لک لا تردّ جوابنا

أنسیت بعدی خلَّه الأحباب (1) .

و فی کتاب الانوار العلویه (2) ما ملخصه:

لما ماتت فاطمه (علیهاالسلام) احتجب الامام امیرالمومنین (علیه السلام) فی منزله عن الناس، و صار لا یخرج الا للصلاه و زیاره قبر رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

قال عمار: فمضیعت الی دار سیدی و مولای امیرالمومنین، فاستاذنت علیه، فاذن لی، فلما دخلت علیه وجدته جالسا جلسه الحزین الکئیب و الحسن عن یمینه، و الحسین عن شماله، و هو ینظرالی الحسین و یبکی.

فلم املک نفسی دون ان اخذتنی العبره، و بکیت بکاءا شدیدا، فلما سکن نشیجی قلت:

سیدی اتاذن لی بالکلام؟

قال: تکلم یا اباالیقظان.

قلت: سیدی انتم تامرون الناس باصبر علی المصیبه، فما هذا الحزن الطویل...؟

1- 607. بحارالانوار ج 43 ص 216.
2- 608. بحارالانوار ج 43 ص 216.

فالتفت الى و قال: «يا عمار ان العزاء عن مثل من فقدته لعزيز، انى فقدت رسول الله بفقد فاطمه.

انها كانت لى عزاء و سلوه.

كانت اذا نطقت ملات مسامعى بصوت رسول الله.

و اذا مشت لم تخرم مشيته.

و انى ما احسست بفراق رسول الله الا بفراقها.

و ان اعظم ما لقيت من مصيبتها: انى لما وضعتها على المغتصل. وجدت ضلعا من اضلاعها مكسورا، و جنبها قد اسود من ضرب السياط، و كانت تخفى ذلک على مخافه ان يشتد حزنى، و ما نظرت عينای الى الحسن و الحسين الا و خنقتنى العبره،و ما نظرت الى زينب باكيه الا و اخذتنى الرقه عليها....».

ص: 537

تاريخ وفاتها

ليس من العجيب أن يختلف المؤرِّخون فى تاريخ وفاتها و مقدار عمرها كما اختلفوا فى تاريخ ولادتها قبل البعثه أو بعدها، و هكذا الاختلاف فى مقدار مكثها فى الحياه بعد وفاه أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم).

فاليعقوبى يروى أنها عاشت بعد أبيها ثلاثين أو خمسه و ثلاثين يوماً، و هذا أقلّ ما قيل فى مده بقائها بعد الرسول.

و قول آخر: أربعون يوماً.

و قول ثالث: خمسه و سبعون و هو الأشهر.

و رابع: خمسه و تسعون يوماً و هو الأقوى، و هناک أقوال لا يعبأ بها كالقول بأنها عاشت بعد أبيها سته أشهر أو ثمانيه أشهر و هذا أكثر ما قيل فى مكثها بعد أبيها (صلى الله عليه و آله و سلم).

و هناک أحاديث وارده عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) كانت و لا تزال مورد الاعتبار و الاعتماد.

ففى كتاب (دلائل الإمامه) للطبرى الإمامى بإسناده عن الأمام الصادق (عليه السلام): أنها قُبضت فى جمادى الآخره يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه، سنه إحدى عشره من الهجره.

و فى البحار ج 43 عن جابر بن عبدالله: و قبض النبى و لها يومئذ ثمانى عشره سنه و سبعه أشهر.

أیضاً عن الإمام محمد بن علیّ الباقر (علیه السلام): و توفیت و لها ثمانیه عشره سنه و خمسه و سبعون یوماً.

و روی الکلینی هذا القول فی الکافی.

و علی کل تقدیر فإن عشرات الآلاف من المجالس و المآتم تقام فی البلاد الشیعیه بمناسبه وفاه السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) فی المساجد و البیوت و المجامع، و یطعمون الطعام فی یوم وفاتها بکل سخاء، و تسمّی تلک الأیام ب (الفاطمیه) فیرقی الخطباء المنابر و یتحدثون عن السیده فاطمه الزهراء (علیها السلام) و عن حیاتها الزاخره بالفضائل و المناقب و المواقف المشرِّفه، و یختمون کلامهم بذکر بعض مصائبها و آلامها.

ص: 539

كان لها سبعه بساتين وقفتها على بنى هاشم و بنى المطلب، و جعلت النظر فيها و الولايه لعلىّ (عليه السلام) مده حياته و بعده للحسن و بعده للحسين (عليهما السلام) و بعده للأكبر من ولدها، و كان كتاب الوقف موجوداً عند الإمام الباقر (عليه السلام) كما فى كتاب الكافى للكلينى- و صوره الكتاب هكذا:

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصت به فاطمه بنت محمد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بحوائطها السبعه: العواف و الذلال و البرقه و المبيت و الحسنى و الصافيه و ما لأُمّ إبراهيم إلى علىّ بن أبى طالب، فإن مضى فإلى الحسن فإن مضى فإلى الحسن فإن مضى الحسين فإلى الأكبر من وُلدى.

شهد الله على ذلک و المقداد بن الأسود و الزبير بن العوام و كتب علىّ بن أبى طالب».

و تسال: وصلت هذه البساتين السبع إلى السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام)؟ لقد ذكر للسمهودى (1) ان مخيرق اليهودى- و كان من أحبار يهود بنى النضير- أسلم و قُتل يوم أحد، و أوصى ببساتينه السبع إلى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فأوقفها النبى سنه سبع من الهجره على خصوص فاطمه (عليهاالسلام) و كان يأخذ منها لأضيافه و حوائجه.

و أوصت لأزواج النبى لكل واحده منهن اثنتا عشر أوقيه، و لنساء بنى هاشم مثل ذلک، و لأُمامه بنت أبى العاص بشى ءِ (2) .

1- 609. تاريخ المدينه ج 2 ص 152.
2- 610. دلائل الامامه.

إن كان بعض المسلمين لم يراعوا حرمه سيده نساء العالمين فى حياتها، و أذاقوها أنواع الذل و الهوان، و قابلوها بالكبت، و لم يرقبوا فيها كرامتها و لا كرامه أبيها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

و لم يحفظوا فيها كلام الله تعالى حيث أنزل آيات بينات فى حقها و حق زوجها و ولديها سيدى شباب أهل الجنه كآيات التطهير و المباهله و سوره هل أتى و آيه الموده فى القربى.

و كأنَّهم لم يسمعوا وصيه أبيها فى حقها حيث قال: «المرء يُحفظ فى وُلده» و قوله: «فاطمه بضعه منى، من آذاها فقد آذانى» و أمثال ذلک من الكلمات التى أوصى بها الرسول أمَّتُه بحق ابنته الوحيده فاطمه الزهراء.

و استنصرتهم فلم ينصروها، واستنجدت بهم فلم يسعفوها، و لم يتكلم منهم متكلم.فإن الله تعالى قد حفظ و يحفظ لفاطمه الزهراء (عليهاالسلام) مقامها، و لم يبخس من حقها شيئاً، فلقد ذكرها فى كتابه المجيد، و أحلَّها محلاً لم تدركه أيه أنثى فى العالم، و قد جعلها الله سيده نساء العالمين.

و بعد هذا كله فإن الله تعالى سيُظهر عظمتها لأهل العالم كلهم فى يوم القيامه.

فى ذلک اليوم الذى يحشر فيه الظالمون و وجوههم مسودّه.

فى ذلک اليوم الذى يعضّ الظالم على يديه.

فى ذلک اليوم يجمع الله تعالى فراعنه الأمم، وهم أذلاَّء حقراء قد أذهلهم الفزع الأكبر، و قد تذكر كل منهم أعماله و مخازيه و موبقاته.

و قرأ اضبارته المليئه بهتک حرمات الله، و ظلم أوليائه و إهدار دماء الأبرياء، و إذلال الصالحين.

فى ذلک اليوم تتبخَّر الشخصيات الجبَّاره، و تنعدم إمكانيات الطواغيت و تسلب قدره الفراعنه.

فى ذلک اليوم تظهر عظمه الصديقه الطاهره، و منزلتها الساميه عند ربها و جلاله قدرها و عظم شأنها.

إنه يوم عظيم، و عجيب و مدهش و مذهل.

فأنبياء الله يحشرون من قبورهم، و يتجهون نحو المحشر.

و جميع الخلائق على اختلاف أديانهم و ألوانهم و أعمالهم.

و جميع الأمم على اختلاف شرائعهم.

و جميع العالمين «و حشرناهم فلم نغادر منهم أحداً».

و حتى الجنين الذى سقط عن بطن أمه قد استوى إنساناً كاملاً.

أكثرهم عراه و كلهم حفاه.

يجتمعون على صعيد المحشر، و يصطفون صفوفاً تبلغ سبعين ألف صف، تبدأ الصفوف من أقصى المشرق و تنتهى إلى أقصى المغرب.

فى ذلک اليوم تتجلى شخصيه الزهراء عند أهل المحشر.

و إليک بعض الأحاديث التى تشير إلى هذا المعنى، و قد ذكرها جمع غفير من علماء العامه أضف إليها طائفه كبيره من تلک الأحاديث التى رويت عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) و ها هى بعض تلک الأحاديث: 1- روى الحاكم النيسابورى فى المستدرک ج 3 ص 153 بإسناده عن علىّ (عليه السلام) قال: سمعت النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول:

ص: 542

«إذا كان يوم القيامه نادى منادٍ من وراء الحجاب: يا أهل الجمع غضّوا أبصاركم عن فاطمه بنت محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) حتّى تمرّ».

و رواه ابن الأثير فى (أُسد الغابه) ج 5 ص 523 و الكنجى الشافعى فى كفايه الطالب ص 212(، و الذهبى فى (ميزان الاعتدال ج 2 ص 18) و الهمذانى فى (موده القربى) ص 104 مع زياده قال:

2- عن علىّ (عليه السلام) عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) قال:

«إذا كان يوم القيامه نادى منادٍ من بطنان العرش: يا أهل القيامه أغمضوا أبصاركم، لتجوز فاطمه بنت محمد مع قميص مخضوب بدم الحسين. فتحتوى على ساق العرش فتقول: أنت الجبار العدل، اقض بيننا و بين مَن قتل ولَدى. فيقضى الله بسُنَّتى و ربّ الكعبه.

ثم تقول: اللهم أشفعنى فيمن بكى على مصيبته، فيشفّعها الله فيهم». و منهم الزرندى فى (نظم درر السمطين) و المتقى فى كنز العمال ج 13 ص 93 و الهيثمى فى مجمع الزوائد ج 6 ص 212 و ابن الصباغ المالكى فى (الفصول المهمه) ص 127 وابن أبى الحديد فى شرح النهج و ابن حجر العسقلانى فى (لسان الميزان) ج 3 ص 237. و السيوطى فى (الخصائص) ج 2 ص 265 و (الجامع الصغير) و (التعقيبات). و الكنانى المصرى فى (تنزيه الشريعه المرفوعه) و النبهانى فى (الفتح الكبير) و (جواهر البحار) و الشافعى فى (المناقب) و الملا علىّ القارى فى (جمع الوسائل) و القندوزى فى (ينابيع الموده) و الشبراوى فى (الإتحاف بحب الأشراف) و الشبلنجى فى (نور الأبصار).

3- و يروى هذا الحديث عن أبى هريره كلٌّ من:

ابی نعیم فی (دلائل النبوه) و ابن حجرالهیثمی فی (الصوائق المحرقه) و غیرهما.

یروی هذا الحدیث ایضاعن ابی ایوب الانصاری کل من: من: الخوارزمی فی (مقتل الحسین) قال: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) «ینادی مناد من بطنان العرض: یا أهل الجمع نکّسوا رؤوسکم و غضّوا أبصارکم حتی تجوز فاطمه بنت محمد علی الصراط.

قال: فتمرّ و معها سبعون ألف جاریه من الحور العین کالبرق اللامع». و رواه القرمانی فی (أخبار الدول) و الطبری فی (ذخائر العقبی) و ابن الصباغ فی (الفصول المهمه) و الصفوری فی (نزهه المجالس) و غیرهم.

و یروی هذا الحدیث عن ابن عمر و أبی سعید الخدری، و غیرهما.

4- و قد روی جمع کثیر من علماء العامه عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أن السیده فاطمه الزهراء ترد المحشر علی ناقه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) الغضباء أو ناقته القصوی.

هناک احادیث کثیره- مذکوره فی کتب الشیعه و اهل سنه- تصرح بشفاعه السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) یوم القیامه.

و الیک بعضها فیما یلی:

1- و عن جابر بن عبدالله الأنصاری قال: قلت لأبی جعفر الباقر (علیه السلام): جعلت فداک یا بن رسول الله حدثنی بحدیث فی فضل جدتک فاطمه، إذا أنا حدثت به الشیعه فرحوا بذلک؟

فقال أبوجعفر (علیه السلام) حدثنی أبی عن جدی عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: «إذا کان یوم القیامه تُنصب للأنبیاء و الرسل منابر من نور، فیکون منبری أعلی منابرهم یوم القیامه.

ثم یقول الله: اخطب، فأخطب بخطبه لم یسمع أحد من الأنبیاء و الرسل بمثلها. ثم یُنصب للأوصیاء منابر من نور، و یُنصب لوصیی علیّ بن أبی طالب فی أوساطهم منبر، فیکون منبره أعلی من منابرهم.

ثم یقول الله: یا علیّ أُخطب، فیخطب بخطبه لم یسمع أحد من الأوصیاء بمثلها، ثم ینصب لأولاد الأنبیاء و المرسلین منابر من نور، فیکون لابنیّ و سبطیّ و ریحانتی أیام حیاتی منبر من نور، ثم یقال لهما اخطبا، فیخطبان بخطبتین لم یسمع أحد من أولاد الأنبیاء و المرسلین بمثلها!

ثم ينادى المنادى- و هو جبرائيل (عليه السلام)-: أين فاطمه بنت محمد؟

....- فتقوم (عليهاالسلام).

إلى أن قال:- فيقول الله تبارک و تعالى: يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟

فيقول محمد و علىّ و الحسن و الحسين- (عليهم السلام): لله الواحد القهار.

فيقول الله تعالى: يا أهل الجمع إنى قد جعلتُ الكرم لمحمد و علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين!

يا أهل الجمع، طأطئوا الرؤوس، و غضّوا الأبصار، فإن هذه فاطمه تسير إلى الجنه، فيأتيها جبرئيل بناقه من نوق الجنه، مدّبحه الجنين، خطامها من اللؤلؤ الرطب، عليها رحل من المرجان، فتُناخ بين يديها، فتركبها، فيبعث الله مائه ألف ملک ليسيروا عن يمينها، و يبعث إليها مائه ألف ملک ليسيروا عن يسارها، و يبعث إليها مائه ألف ملک، يحملونها على أجنحتهم، حتّى يصيّروها على باب الجنه، فإذا صارت عند باب الجنه تلتفت، فيقول الله: يا بنت حبيبى ما التفاتک و قد أمرتُ بک إلى جنتى؟

فتقول: يا رب أحببتُ أن يُعرف قدرى فى مثل هذا اليوم!

فيقول الله: يا بنت حبيبى! ارجعى فانظرى من كان فى قلبه حبّ لكِ أو لأحد من ذريّتک، خُذى بيده فأدخليه الجنه!

قال أبوجعفر- (عليه السلام)-: و الله يا جابر، إنها ذلک اليوم لتلتقط شيعتها و محبّيها، كما يلتقط الطير الحب الجيّد من الحبّ الردى ء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنه، يُلقى الله فى قلوبهم أن يلتفتوا.

فإذا التفتوا يقول الله- تعالى-:

يا أحبائى ما التفاتكم، و قد شفّعت فيكم فاطمه بنت حبيبى؟

فیقولون: یا رب أحببنا أن یُعرف قدرنا فی مثل هذا الیوم؟!

فیقول الله: یا أحبائی ارجعوا و انظروا:

من أحبّکم لحبّ فاطمه.

انظروا: من أطعمکم لحب فاطمه.

انظروا: من کساکم لحب فاطمه.

انظروا: من سقاکم شربه فی حب فاطمه.

انظروا: من ردّ عنکم غیبه فی حب فاطمه.

فخذوا بیده، و أدخلوه الجنهِ..... (1) .

2- و ورد عن ابن عباس قال: سمعت أمیرالمؤمنین- علیاً- (علیه السلام) یقول: دخل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) ذات یوم علی فاطمه و هی حزینه، فقال لها: ما حزنکِ یا بنیّه؟

قالت: یا أبه ذکرت المحشر، و وقوف الناس عراه یوم القیامه!

فقال: یا بنیّه إنه لیوم عظیم، و لکن قد أخبرنی جبرئیل عن الله (عز و جل) أنه قال: «أول من ینشق عنه الأرض یوم القیامه، أنا، ثم بعلک علیّ بن أبی طالب (علیه السلام)، ثم یبعث الله إلیک جبرائیل فی سبعین ألف ملک فیضرب علی قبرک سبع قباب من نور، ثم یأتیک إسرافیل بثلاث حلل من نور، فیقف عند رأسک، فینادیک: یا فاطمه بنت محمد قومی إلی محشرک.

فتقومین آمنه روعتک، مستوره عورتک، فیُناوِلُک إسرافیل الحُلل فتلبسینها، و یأتیک روفائیل بنجیبه من نور، زمامها من لؤلؤ رطب، علیها محفّهِ (2) من ذهب، فترکبینها، و یقود روفائیل بزمامها، و بین یدیک سبعون

1- 611. بحارالانوار ج 8 ص 51، تفسیر فرات بن ابراهیم ص 113.
2- 612. محفه بکسر المیم-: مرکب للنساء کالهود ج.

ألف ملک بأیدیهم ألویه التسبیح، فإذا جدّبک السیر استقبلتک سبعون ألف حوراء، یستبشرون بالنظر إلیک، بید کل واحده منهن مجمره من نور، یسطع منها ریح العود من غیر نار، و علیهن أکالیل الجوهر، مرصّعه بالزبرجد الأخضر (1) .

3- و عن الإمام الباقر (علیه السلام) قال: سمعت جابر بن عبدالله الأنصاری یقول: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): إذا کان یوم القیامه تُقبِل ابنتی فاطمه علی ناقه من نوق الجنه..... و عن یمینها سبعون ألف ملک، و عن شمالها سبعون ألف ملک، و جبرئیل آخذ بخطام الناقه ینادی بأعلی صوته:

«غضّوا أبصارکم حتی تجوز فاطمه بنت محمد» فلا یبقی یومئذ نبی و لا رسول و لا صدّیق و لا شهید إلاّ غضّوا أبصارهم حتی تجوز فاطمه.....

و تقول: الهی و سیدی: احکم بینی و بین ظلمنی، اللهم احکم بینی و بین من قتل ولدی.

فإذا النداء من قِبَل الله جل جلاله: یا حبیبتی و ابنه حبیبی سلینی تُعطی، و اشفعی تُشَفَّعی، فوعزتی و جلالی لا جازنی ظلم ظالم.

فتقول: إلهی و سیدی: ذریّتی و شیعتی و شیعه ذریّتی، و محبیّ، و محبّ ذریتی.

فإذا النداء من قِبَل الله جل جلاله: أین ذریه فاطمه و شیعتها و محبّوها و محبّو ذریّتها؟

فیُقبلون و قد أحاط بهم ملائکه الرحمه، فتتقدمهم فاطمه (علیهاالسلام) حتی تدخلهم الجنه (2) .

4- و روی عن النبی (صلی الله علیه و آله و سلم)- فی قوله تعالی:

1- 613. بحارالانوار ج 43.
2- 614. بحارالانوار ج 43.

«لا يحزنهم الفزع الاكبر و هم اشتهت انفسهم خالدون»- قال:

«... فتدخل فاطمه ابنتى الجنه و ذريتها و شيعتها، و من اولاهم معروفا ممن ليس هومن شيعتها.

«و هم فيما اشتهت انفسهم خالدون» هى- و الله- فاطمه و ذريتها و شيعتها، و من اولاهم معروفا ممن ليس هو من شيعتها» (1) . أيها القارئ الكريم:

بعد ما مرّ عليک من الأحاديث الصحيحه الصريحه بشفاعه السيده فاطمه(عليهاالسلام) يوم القيامه، تعال وقف معى موقف المتعجب من آراء مستحدثه، و أقوال مبتدعه تتحدى جميع الآيات القرآنيه و الأحاديث النبويه التى تتحدث عن الشفاعه لأولياء الله، فتراهم ينكرون الشفاعه و ينفونها حتى من سيد الأنبياء محمد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و هم يحسبون أنهم يدافعون عن توحيد الله تعالى فكأن الشفاعه تناقض التوحيد، أو تدعو إلى الشرک بالله (عز و جل).

اقرا هذه الآيات المباركه ثم أحكم:

«من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه (2) .

و لا يشفعون إلاَّ لمن ارتضى (3) .

ما من شفيع إلاَّ من بعد بإذنه (4) .

لا يملكون الشفاعه إلاَّ من اتخذ عند الرحمن عهداً (5) .

يومئذ لا تنفع الشفاعه إلاَّ من أذن له الرحمن (6) .

1- 615. تفسير فرات الكوفى.
2- 616. لبقره: 255.
3- 617. الانبياء 28.
4- 618. يونس: 3.
5- 619. مريم: 87.

6- 620. طه 109.

و لا تنفع الشفاعه عنده إلاَّ لمن أذن له (1) .

و لا تغنی شفاعتهم شیئاً إلاَّ من بعد أن یأذن الله لمن یشاء» (2) هذه الآیات کما تراها تصرح بالشفاعه بإذن الله، و تثبت الشفاعه للشافعین.

أما تکفی هذه الآیات لإثبات الشفاعه لأولیاء الله أیها المسلمون؟

هذه الآیات کما تراها تصرّح بشفاعه أولیاء الله فی یوم القیامه.

و أما الشفاعه لهم فی الدنیا فإلیک هذه الآیه المبارکه الصریحه فی تخویل أولیاء الله الشفاعه و الدعاء و الاستغفار للناس، قال تعالی:

1- «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوُک فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحیماً» فإن الآیه دلَّت علی أن العاصین إذا جاءوا إلی الرسول تائبین، و جعلوا یتوسلون به فی طلب المغفره من الله، و استغفر عند ذلک لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحیماً، فلو کان الاستشفاع من النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) شرکاً بالله لما وجدوا الله تواباً رحیماً، لأن الله لا یغفر أن یشرک به.

2- قوله تعالی حکایه من أولاد یعقوب: «یا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا کنا خاطئین» و قول یعقوب «سوف استغفر بکم ربی» فإنه صریح فی سؤالهم و توسلهم بأبیهم إلی الله فی الاستغفار و طلب العفو.

3- قوله تعالی: «و استغفر لذنبک و للمؤمنین».

4- «و صلّ علیهم إن صلاتک سکن لهم».

5- «من یشفع شفاعه حسنه یکن له نصیب منها».

هذا و البحث یحتاج إلی مزید من التفصیل و لکن الکتاب لا یسع لذلک، بل یحتاج إلی مجال أوسع و الله ولی التوفیق.

1- 621. سبا: 23.
2- 622. النجم: 26.

قال تعالى: «اولئک الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيله» (1) .

روى الحاكم الحسكانى الحنفى (2) - فى هذه الآيه-: عن عكرمه قال: هم النبى و على و فاطمه و الحسن و الحسين.

و روى عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) ان الله تعالى حين خلق آدم، اراه انوار محمد و على و فاطمه و الحسن و الحسين، ثم اوحى اليه: «هولاء خمسه شققت لهم خمسه اسماء من اسمائى... فانا المحمود و هذا محمد، و انا العالى و هذا على، و انا الفاطر و هذه فاطمه و انا الاحسان و هذا الحسن و انا المحسن و هذا الحسين... فاذا كانت لک الى حاجه فبهولاء توسل».

ثم قال النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) «نحن سفينه النجاه، و من حاد عنا هلک، فمن كانت له الى الله حاجه فليسال بنا اهل البيت...» (3) .

و روى ان السيده فاطمه (عليهاالسلام) قالت: «... و احمدوا الذى لعظمته و نوره يبتغى من فى السماوات و الارض اليه الوسيله، و نحن وسيله فى خلقه، و نحن خاصته و محل قدسه، و نحن حجته فى غيبه، و نحن ورثه انبيائه...» (4) .

1- 623. الاسراء: 57.
2- 624. فى شواهد التنزيل ج 1 ص 342.
3- 625. فرائد السمطين للجوينى الشافعى ج 1 ص 36.
4- 626. شرح نهج البلاغه ج 16 ص 211.

و عن الامام العسکری (علیه السلام) قال: «نحن حجه الله علی الخلق، و فاطمه حجه، و فاطمه حجه علینا» (1) .

و روی ان الامام الباقر (علیه السلام) اصابته الحمی، فکان یتوسل الی الله تعالی- الشفاعه- بالسیده الزهراء (علیهاالسلام) و ینادی- باعلی صوته، و هو علی فراش المرض-: لشفائه- بالسیده الزهراء (علیهاالسلام) و ینادی- باعلی صوته، و هو علی فراش المرض-: یا فاطمه بنت محمد. حتی یسمع صوته عند باب الدار (2) .

و من الامور المجربه لقضاء الحوائج هو ان تقولا:

«اللهم صل علی فاطمه و ابیها و بعلها و بنیها عدد ما احاط به علمک».

تقولها خمسمائه و ثلاثین مره.

1- 627. کتاب اطیب البیان.
2- 628. بحارالانوار ح 46.

1- روی عن جابر بن عبدالله الانصاری قال: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): «... و من زار فاطمه فکانما زارنی...» (1) .

2- و عن یزید بن عبدالملک (2) عن ابیه عن جده قال: دخلت علی فاطمه فبداتنی بالسلام ثم قالت: ما غدا بک؟

قلت: طلب البرکه.

قالت: اخبرنی ابی- و هو: ذا- انه من سلم علیه و علی ثلاثه ایام، اوجب الله له الجنه.

قلت لها: فی حیاته و حیاتک؟

قالت: نعم و بعد موتنا (3) .

3- و روی عن الامام علی (علیه السلام) عن فاطمه (علیهاالسلام) قالت: قال لی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): یا فاطمه من صلی علیک غفر الله له، و الحقه بی حیث کنت من الجنه (4) .

1- 629. بشاره المصطفی.
2- 630. الظاهر انه النوفلی، من اصحاب الامام الباقر (علیه السلام) ذکره المامقانی فی رجاله، و لیس المقصود یزید بن عبدالملک المروانی، لان اباه و جده کانا منفیین من المدینه المنوره الی الطائف، لبغضمهما لرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و لم یعودا الی المدینه الا فی عهد عثمان.
3- 631. التهذیب.
4- 632. کشف الغمه.

و قد روی السید ابن طاووس هذه الزیاره للسیده الزهراء (علیهاالسلام) و قال: روی ان من زارها بهذه الزیاره، و استغفر الله غفر الله له و ادخله الجنه.

و الزیاره هی:

«السلام علیک یا سیده نساء العالمین، السلام علیک یا والده الحجج علی الناس اجمعین، السلام علیک ایتها المظلومه الممنوعه حقها».

ثم قل: «اللهم صلی علی امتک و ابنه نبیک و زوجه وصی نبیک، صلاه تزلفها فوق زلفی عبادک المکرمین من اهل السماوات و الارضین» (1) .

و هناک زیاره اخری مرویه عن الامام محمد الجواد (علیه السلام) و لها (علیها السلام) زیارات اخری ایضا مذکوره فی کتب الدعاء و الزیارات.

1- 633. الاقبال للسید ابن طاووس.

إن عظمه السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) و فضائلها و مزایاها و مصائبها و ما رأت من الضغط و الکبت و الاضطهاد کانت کافیه لتهییج العواطف الجیّاشه تجاهها، فلا عجب إذا طفق الشعراء ینثرون مدائحهم للسیده فاطمه- بمختلف اللغات- و یعبّرون عن شعورهم و حبهم و مودتهم ایاها.

و ذلک حینما اهتزت ضمائرهم، فتفتحت قرائحهم، و فاضت أحاسیسهم فطفقوا یثنون علی السیده فاطمه الزهراء أحسن الثناء، و یرثونها بأوجع الرثاء.

و أی شاعر یشعر بآلام السیده فاطمه الزهراء و لا یهیج شعوره؟

و أی إنسان یدرک مواهب السیده فاطمه الزهراء و مزایاها و لا یعبّر عن مشاعره؟إلاّ أن یکون شعوره متحجراً، أو إدراکه معطلاّ أو أحاسیسه راکده و جامده.

إن جمال حیاه السیده فاطمه الزهراء یأخذ بمجامع قلب کل حرٍ، و کل قلبٍ حرٍ سلیم. و لقد کان للشعراء مواقف مشکوره مذکوره تجاه سیدتنا فاطمه الزهراء و أخص منهم شعراء القرون الأخیره فلقد سجلوا أروع آیات الولاء بأجمل تعبیر، و صبّوها فی قالب النظم و القریض مدحاً و رثاءً، و کفاهم بذلک ثمناً للجنه التی وُعد المتّقون.

ص: 555

فإنَّک تجد الأدب الرفیع و المستوی الأعلی و التعبیر الأجمل الأرقی فی کل بیت من کل قصیده، و کأن کل بیت منها هو بیت القصید.

و إلیک طائفه من باقات الولاء التی سجلّها الشعراء فی دیوان التاریخ الخالد: 1- لقد أجاد المرحوم الشیخ کاظم الأزری (تغمده الله برحمته) حیث قال:

نقضوا عهد أحمد فی أخیه

و أذاقوا البتول ما أشجاها

یوم جاءت إلی عدیٍّ و تیمٍ

و من الوجد ما أطال بکاها

فدنت و اشتکت إلی الله شکویً

و الرواسی تهتزّ من شکواها

لست أدری إذروّعت و هی حسری

عاند القوم بعلها و أباها

تعظ القوم فی أتم خطاب

حکت المصطفی به و حکاها

هذه الکتب فاسألوها تروها

بالمواریث ناطقاً فحواها

و بمعنی (یوصیکم الله) أمر

شامل للأنام فی قرباها

فاطمأنَّت لها القلوب و کادت

أنِ تزول الأحقاد ممن طواها

: أيها القوم راقبوا الله فينا

نحن من روضه الجليل جناها

و اعلموا أننا مشاعر دين الله

فيكم فأكرموا مثواها

و لنا من خزائن الغيبِ فيض

ترد المهتدون منه هداها

أيها الناس أىّ بنت نبىٍّ

عن مواريثه أبوها زواها؟

كيف يزوى عنى تراثى عتيقٌ

بأحاديث من لدنه افتراها

كيف لم يوصنا بذلک مولانا؟

وتيماً من دوننا أوصاها؟

هل رآنا لا نستحق اهتداءً

و استحقت تيم الهدى فهداها؟

أم تراه أضلنا فى البرايا

بعد علم لكى نصيب خَطاها؟

انصفونى من جائرين أضاعا

حرمه المصطفى و ما رعياها

ص: 556

2- و لشيخ الفقهاء و الفلاسفه آيه الله الشيخ محمد حسين الأصفهانى (رحمه الله) فى مدح الزهراء (عليهاالسلام) و رثائها:

جوهره القدس من الكنز الخفى

بدت فأبدت عاليات الأحرف

و قد تجلى من سماء العظمه

فى عالم الأسماء أسمى كلمه

بل هى أُمّ الكلمات المحكمه

فى غيب ذاتها، فكانت مبهمه

أم أئمه العقول الغرّ، بل

(أم أبيها) و هو علّه العلل

روح النبى فى عظيم المنزله

و فى الكفاء كفوء من لا كفوله

تمثّلت رقيقه الوجود

لطيفه جلَّت عن الشهود

تطوّرت فى أفضل الأطوار

نتيجه الأدوار و الأكوار

تصوّرت حقيقه الكمال

بصوره بديعه الجمال

فإنها الحوراء فى النزول

و فى الصعود محور العقول

يمثّل الوجوب فى الإمكان

عيانها بأحسن العيان

فإنّها قطب رحى الوجود

فى قوسى النزول و الصعود

و ليس فى محيط تلک الدائره

مدارها الأعظم إلاَّ (الطاهره)

مصونه عن کل رسم و سمه

مرموزه فى الصحف المطهّره

(صدّيقه) لا مثلها صدّيقه

تفرغ بالصدق عن الحقيقه

بدا بذلک الوجود الزاهر

سرّ ظهوره الحقّ فى المظاهر

هى (البتول) الطهر و (العذراء)

کمريم الطهر، و لا سواء

فإنَّها سيده النساء

و مريم الکبرى بلا خفاء

بُشراک يا أبا (العقول العشره)

بالبضعه الطاهره المطهره

مهجه قلب عالَم الإمکان

و بهجه الفردوس فى الجنان

غُرّتها الغرّاء مصباح الهدى

يُعرف حسن المنتهى بالمبتدأ

ص: 557

و فى محيّاها بعين الأولياء

عينان من ماء الحياه و الحياء

بُشراک يا خلاصه الإيجاد

بصفوه الأنجاد و الأمجاد

أم الكتاب و ابنه التنزيل

ربّه بيت العلم بالتأويل

بحر الندى و مجمع البحرين

قلب الهدى و مهجه الكونين

واحده النبى أوّل العدد

ثانيه الوصى نسخه الأحد

و مركز الخمسه من أهل العبا

و محور السبع علوّاً و إبا

لک الهنا يا سيّد البريه

بأعظم المواهب السّنيّه

أتاک طاووس رياض الأنس

بنفحه من نفحات القدس

من جُنّه الأسماء و الصفاء

جلّت عن المديح و الثناء

فارتاحت الأرواح من شميمها

و اهتزت النفوس من نسيمها

بها انتشى فى الكون كل صاح

و طابت الأشباح بالأرواح

تحيى بها الأرض و مَن عليها

و مرجع الأمر غداً إليها

لهفى لها لقد أضيع قدرها

حتى توارى بالحجاب بدرها

تجرّعت من غصص الزمان

ما جاوز الحدّ من البيان

و حبّها من الصفات العاليه

عليه دارت القرون الخاليه

تبتّلت عن دنس الطبيعه

فيا لها من رتبه رفيعه

مرفوعه الهمه و العزيمه

عن نشأه الزخارف الذميمه

فى أفق المجد هى الزهراء

للشمس من زهرتها الضياء

بل هى نور عالَم الأنوار

و مطلع الشموس و الأقمار

رضيعه الوحى من الجليل

حليفه لمحكم التنزيل

مفطومه عن زلل الأهواء

معصومه عن وصمه الخطاء

معربه بالستر و الحياء

عن غيب ذات بارئ الأشياء

(راضيه) بكل ما قضى القضا

بما يضيق عنه واسع الفضاء

ص: 558

(زكيه) عن و صمه القيود

فهى غنيّه عن الحدود

يا قِبله الأرواح والعقول

و كعبه الشهود و الوصولِ

مَن بقدومها تشرفت (منى)

و من بها تدرک غايه المنى

و بابها الرفيع باب الرحمه

و مستجار کلّ ذى ملمّه

و ما الحطيم عند باب فاطمه

بنورها تطفأ نار الحاطمه

و بيتها المعمور کعبه السما

أضحى ثراه للثريا مَلثما

و خدرها السامى رواق العظمه

و هو- مطاف الکعبه المعظمه

حجابها مثل حجاب البارى

بارقه تذهب بالأبصار

تمثل الواجب فى حجابها

فکيف بالإشراق من قبابها

يا دره العصمه وا لولايه

من صدف الحكمه و العنايه

فالكوكب الدرّى فى السماء

من ضوء تلک الدره البيضاء

و النيّر الأعظم منها كالسّها

كيف و لا حدّ لها و منتهى

أشرقت العوالم العلويه

بنور تلک الدره البهيه

يا دوحه حازت سنام الفلک

بل جاوز السدره فرعها الزكى

يا دوحه أغصانها تدلّت

بموضع فيه العقول ضلّت

دنت إلى مقام (أو أدنى) فلا

تبتغ من ذلک أعلى مثلا

يا شجره الطور و أين الشجره

من دوحه المجد الأثيل المثمره؟

و إنما السدره و الزيتونه

عنوان تلک الدوحه الميمونه

أثمارها الغرّ مجالى الذات

مظاهر الأسماء و الصفات

مبادئ الحياه فى البدايه

و منتهى الغايات للنهايه

أثمارها عزائم القرآن

فى صفحات مصحف الإمكان

أثمارها منابت للمعرفه

من جنه الذات غدت مقتطفه

ص: 559

لک الهنا یا (سید الوجود)

فی نشآت الغیب و الشهود

من تعالی شأنها عن مثل

کیف و لا تکرار فی التجلّی

و لا یتثنی هیکل التوحید

فکیف بالنظیر و الندید

و ملتقی القوسین نقطه، فلا

تری لها ثانیه أو بدلا

وحیده فی مجدها القدیم

فریده فی أحسن التقویم

و ما أصابها من المصاب

مفتاح بابه (حدیث الباب)

إن حدیث الباب ذو شجون

مما به جنت ید الخؤون

أیهجم العدی علی بیت الهدی

و مهبط الوحی و منتدی الندی؟

أیضرم النار بباب دارها

و آیه النور علا منارها

و بابها باب نبی الرحمه

و باب أبواب نجاه الأمه

بل بابها باب العلى الأعلى

فثمّ وجه الله قد تجلىَّ

ما اكتسبوا بالنار غير العار

و من ورائه عذاب النار

ما أجهل القوم فإن النار لا

تطفئ نور الله جل و علا

و إن كسر الضلع ليس ينجبر

إلاَّ بصمصام عزيز مقتدر

إذ رضّ تلك الأضلع الزكيه

رزيه لا مثلها رزيه

و من نبوع الدم من ثدييها

يُعرف عُظم ما جرى عليها

و جاوز الحد بلطم الخدّ

شلّت يد الطغيان و التعدىّ

فاحمرت العين، و عين المعرفه

تذرف بالدمع على تلك الصفه

و لا تزيل حمره العين سوى

بيض السيوف يوم ينشر اللوى

و للسياط رنه، صداها

فى مسمع الدهر، فما أشجاها

و الأثر الباقى كمثل الدملج

فى عضد الزهراء أقوى الحجج

و من سواد متنها أسودّ الفضا

يا ساعد الله العلى المرتضى

ص: 560

وو كز نعل السيف فى جنبيها

أتى بكل ما أتى عليها

و لست أدرى خبر المسمار

سل صدرَها خزانه الأسرار

و فى جنين المجد ما يُدمى الحشا

و هل لهم إخفاء أمر قد فشا

و البابُ و الجدار و الدماءُ

شهود صدق ما به خفاء

لقد جنى الجانى على جنينها

فاندكت الجبال من حنينها

اهكذا يُصنع بابنه النبى

حرصاً على الملک فيا للعجب؟

أتُمنع المكروبه المقروحه

عن البكاء خوفاً من الفضيحه

تالله ينبغى لها تبكى دماً

ما دامت الأرض و دارت السما

لفقد عزها: أبيها السامى

و لاهتضامها و ذُلّ الحامى

أتستباح نحله الصدّيقه

و إرثها من أشرف الخليفه؟

كيف يُردّ قولها بالزور

إذ هو ردّ آيه التطهير؟

أيؤْخذ الدين من الأعرابى

و ينبذ المنصوص بالكتاب؟

فاستلبوا ما ملكت يداها

و ارتكبوا الجريمه مُنتهاها

يا ويلهم قد سألوها البيّنه

على خلاف السنّه المبيّنه

و ردّهم شهاده الشهود

أكبر شاهد على المقصود

و لم يكن سدّ الثغور غرَضاً

بل سدّ بابها و باب المرتضى

صدّوا عن الحق و سدّوا بابه

كأنّهم قد أمنوا عقابه

أبضعه الطهر، العظيم قدرها

تدفن ليلاً و يعفّى قبرها

ما دُفنت ليلاً بستر و خفا

إلاَّ لوجدها على أهل الجفا

ما سمع السامع فيما سمعِا

مجهوله بالقدر و القبر معاً

يا ويلهم من غضب الجبّار

بظلمهم ريحانه المختار

ص: 561

3- لبعض الشعراء المتاخرين:

إن قيل حوّاء قلت: فاطم فخرها

أو قيل مريم قلت: فاطم أفضل

أفهل لحوّا والد كمحمد؟

أم هل لمريم مثل فاطم أشبُلُ

كلٌّ لها حين الولاده حاله

منها عقول ذوى البصائر تذهل

هذى لنخلتها التجت فتساقطت

رطباً جنياً فهى منه تأكل

وضعت بعيسى و هى غير مروعه

أنّى و حارسها السرّى الأبسل

و إلى الجدار و صفحه الباب التجت

بنت النبى فأسقطت ما تحمل

سقطت و أسقطت الجنين و حولها

من كل ذى حسب لئيم جحفل

هذا يعنّفها و ذاک يدعّها

و يردها هذا و هذا يركل

و أمامها أسد الأسود، يقوده

بالحبل قنفذ هل كهذا معضل

ۀ

و لسوف تأتی فی القیامه فاطم

تشکو إلی رب السماء و تعول

و لترفعنَّ جنینها و حنینها

بشکایه منها السماء تتزلزل

ربّاه ! میراثی و بعلی حقَّه

غصبوا، و أبنائی جمیعاً قُتّلوا

فرخای: ذا بالسُمّ أمسی قلبه

قطعاً، و هذا بالدماء مغسّل

4- و من قصیده لبعض أشراف مکه نقتطف منها بعضها:

و أتت فاطم تطالب بالإر

ث من المصطفی فما و رّثاها

لیت شعری لِمَ خولفت سنن

القرآن فیها؟ و الله قد أعلاها

نُسخت آیه المواریث منها

أم هُما بعد فرضها بدّلاها؟

أم تری آیه المودہ لم تأْتِ

بوُدّ الزهراء فی قرباها

ثم قالا: أبوکِ جاء بهذا

حجه من عنادهم نصباها

قال: للأنبیاء حکم بأن لا

يُورثوا فى القديم و انتهراها

أفَنِنتُ النبى لم تدر إن كان

نبى الهدى بذلک فاها؟

ص: 562

بضعه من محمد خالفت ما

قال؟ حاشا مولاتنا حاشاها

سمعته يقول ذاک و جاءت

تطلب الإرث ضلّةً و سفاها؟

هی کانت لله أتقی و کانت

أفضل الخلق عفَّةً و نزاها

أو تقول: النبی قد خالف القرآن؟

ویح الأخبار ممن رواها

سل بإبطال قولهم سوره النمل،

و سَل مریم التی قبل طه

فهُما ینبئان عن إرث یحیی

و سلیمان من أراد انتباها

فدعت و اشتکت إلی الله من ذاک

و فاضت بدمعها مقلتاها

ثم قالت: فنَحله لی من والدی

المصطفی فلم ینحلاها

فأقامت بها شهوداً فقالوا:

بعلها شاهد لها و ابناها

لم یجیزوا شهاده أبنیْ رسول

الله هادى الأنام إذ ناصباها

لم يكن صادقاً علىّ و لا فاطمه

عندهم و لا ولداها

جرّعاها من بعد والدها

الغيظ مراراً فبئس ما جرّعاها

ليت شعرى ما كان ضرّهما الحفظ

لعهد النبى لو حفظاها؟

كان إكرام خاتم الرسل الها

دى البشير النذير لو أكرماها

و لكان الجميل أن يقطعاها

فدكاً، لا الجميل أن يقطعاها

أترى المسلمين كانوا يلومو

نهما فى العطاء لو أعطياها؟

كانت تحت الخضراء بنت نبيٍ

صادقٍ ناطقٍ أمينٍ سواها؟

بنت مَن؟ أُمّ مَن؟ حليله مَن؟

ويل لمن سنّ ظلمها و أذاها

شيّعت نفسَها فى أجرها أم عناداً

لأبيها النبى لم يتبعاها؟

أم لأن البتول أوصت بأن لا

يشهدا دفنها فما شهداها

لا نبى الهدى أُطيع، و لا فاطمه

أُكرمت و لا حسناها

.... إلى آخر القصيده.

ص: 563

ختام و اعتذار

أيها القارى ء الكريم

لقد قضينا معک فتره من الزمان فى رحاب السيده فاطمه الزهراء عليهاالسَّلاَم و ذكرنا الشى ء اليسير مما يتعلق بحياه سيده نساء العالمين.

و اعلم أننا- لم نذكر إلا بعض المقتطفات من ترجمه السيده الزهراء، فلو أردنا أن نذكر- هنا- ما سجلته التواريخ و احتوته موسوعات الأحاديث لكان هذا الكتاب أضعاف هذا الحجم من حيث غزاره المواد، و لكننا اكتفينا هنا بما يسهل قبوله و لا يعسر على العقول هضمه و لا يصعب على النفوس تحمّله، و لئلا يتهمنا المتهمون بالغلو و الإفراط.

و بعد هذا كله فإننى أقبل كل نقدٍ علمى أو أدبى أو تاريخى بكل ترحيب و تقدير،و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد كاظم القزوينى

كربلاء المقدسه- العراق

1393 ه

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام 1426 الهجري في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوي تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات في مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتي بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمي لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج في البحث والدراسة وتطبيقها في أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على 8 أنظمة؛
JAVA.1
ANDROID.2
EPUB.3
CHM.4
PDF.5
HTML.6
CHM.7
GHB.8
إعداد 4 الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
ANDROID.1
IOS.2
WINDOWS PHONE.3
WINDOWS.4

وتقدّم مجاناً في الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة
نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزي 03134490125
هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021
قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.